

المرجعية وأثرها في بناء الإنسان

اعمال

المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر

الذي أقامه مركز دراسات الكوفة

ودائرة العتبات المقدسة والمزارات الشريفة

برعاية العتبة العلوية المقدسة

لسنة ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

الجزء التاسع

اعداد واشراف

أ.د. عدي جواد الحجار

فهرس البحوث

ت	اسم الباحث	اسم البحث	الصفحة
١.	أ.د. صباح حسن عبد الزبيدي	دور المرجعية الدينية الرشيدة في بناء الانسان بالحوار وثقافته التسامح والتعايش السلمي لمحاربة الفكر المتطرف... دراسة مستقبلية	١
٢.	أ.د. سرحان غلام حسين	دور المرجعية الدينية العليا في تاصيل روح التسامح والوحدة في المجتمع العراقي بعد التغيير (قراءة تاريخية- سياسية)	٤١
٣.	أ. سيف طارق حسين العيساوي أ.م.د قصي سمير عبيس الحلي	القيم التربوية والأخلاقية في التصوص الصادرة عن السيد السيستاني (دام ظله) دراسة تحليلية	٧٣
٤.	أ.م.د. وليد عبد الحميد خلف	دور مرجعية النجف الأشرف الدينية في تنظيم الاختلاف بين المسلمين	٩٧
٥.	أ.م.د. فاضل كاظم صادق	فتوى الجهاد الكفائي وحركة التاريخ الإسلامي عند السيد السيستاني دروس وعبر في بناء القدوة الصالحة	١٢٠
٦.	أ.م.د. أسعد حميد أبوشنت	دور آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي في مواجهة سياسات حزب البعث في العراق	١٤٧
٧.	أ.م.د. مشحن زيد التميمي م. حسام كصاي	مفهوم التسامح في فكر الإمام الشهيد محمد باقر الصدر (١٩٣٥_١٩٨٠)	١٨٩

٢٠٧	السياق القرآني وأثره في كتاب منة المنان للسيد محمد الصدر	أ.م.د. خليل خلف بشير	٨.
٢٣٢	الشيرازي ودوره في تأسيس حوزة سامراء العلمية	أ.م.د. ريم هادي مرهج الذهبي م.د. غفران محمد عزيز الدعيمي	٩.
٢٥٥	نظرية القدوة في الفكر الإسلامي مراجع الشيعة انموذجا	أ.م.د. منذر عبيس متعب	١٠.
٢٩٩	قريئة التخصيص بمتعلقات الجملة في تفسير التبيان للشيخ الطوسي (دراسة نحوية دلالية).	م.د. هاشم جبار الزرفي	١١.
٣٢٥	وظيفة الحاكم الشرعي ودوره في الحفاظ على ممتلكات الدولة السيد الخوئي (قدس) خلال الانتفاضة الشعبانية أنموذجا	م.د. فاضل عاشور عبد الكريم	١٢.
٣٧٧	الدولة المدنية والنظام الديمقراطي لدى مرجعية السيد السيستاني	د. خالد شوكات	١٣.
٣٨٧	دور المرجعية الدينية المقدسة، في أحداث ثورة العرب الكبرى ١٩٢٠، (ثورة العشرين)	م.م. محمد عبد علي حسين القزاز	١٤.
٤٠٧	((تعدد المعنى في تفسيري التبيان ومواهب الرحمن- دراسة موازنة في سورة آل عمران-))	م.م. حسام جليل عبد الحسين	١٥.
٤٣١	مقررات مؤتمر لوزان ١٩١٢ م وفتوى الجهاد في النجف الاشرف	الباحث حسين جويد الكندي	١٦.

٤٥٨	دور المرجعية الدينية في حل المشاكل السياسية والاجتماعية السيد ابو القاسم الخوئي انموذجا	الباحثة انوار حميد كريم يعقوب	.١٧
٤٧٣	THE ROLE OF ISLAMIC THOUGHT AND INSTITUTION MARJAAAT IN COUNTERING EXTREMISM	Professer Nikita Filin	.١٨
٤٩٨	The Power of Narratives in Conflict and Peace: The Case of Contemporary Iraq	Moritz Ehrmann Crisis Management Initiative Gearoid Millar University of Aberdeen	.١٩

دور المرجعية الدينية الرشيدة في بناء الانسان بالحوار وثقافته التسامح

والتعايش السلمي لحاربه الفكر المتطرف... دراسة مستقبلية

أ.د. صباح حسن عبد الزبيدي

جامعه بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الفصل الاول / الأطام العام

مشكله البحث :-

ان التطورات والتغيرات التي تحصل في الفكر ولاسيما عقيدة الافراد التي تتكون من خلال الاكتساب العادات والتقاليد من البيئية التي يعيشون فيها وبالتالي في تشكل سلوك الافراد والمجتمع لذا فهي عملية تربوية او تنشئة اجتماعية تبدأ من الاسرة والمدرسة والمؤسسات الاخرى ، ويقال البعض انها عملية تثقيفيه تهدف الى اكساب الافراد ثقافه جديدة تدور حو طبيعة القيم بصورة عامة وقيم المواطنة بصورة خاصه التي تركز على تشكيل شكل منظومة قيم المواطنة كالحقوق المدنية والسياسية والتي تشكل مصدرا رئيسيا في ترسيخ مفهوم المواطنة الصالحة والتي اكد عليها الاسلام المحمدي بضرورة التمسك بها والامتنال لإرادتها والابتعاد عن النواهي التي تسيء اليها

من المعلوم ان اعداد المواطن الصالح اصبحت ضرورة اجتماعية تتطلب من التربية والتعليم والمجتمع ان يوفر للأفراد واعيا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعلميا يعزز لديهم مفهوم المواطن الصالح المدرك للظروف التي تحدث في العالم ويق في مقدمة ذلك الانسان الواعي . والذي تهدف الى اكساب الافراد ثقافه جديدة تدور حو طبيعة قيم المواطنة المرتكزة وفي منظومة الحقوق المدنية والسياسية التي تشكل مصدرا

رئيسيا في ترسيخ مفهوم المواطنة الصالحة وذلك بغرس تعاليم الدين المحمدي والتمسك بقيمه والامثال لإرادة والابتعاد عن نواهيه وذلك بتطبيق منهجه ومن المعلوم ان تنمية القيم وتحديد ادوار الشباب بلاشك سوف يساهم في النهوض بالمجتمع من خلال تنمية مهارات الحوار والتفاوض والمشاركة في الحياة العامة للمجتمع واكساب مجموعه من الميول والقيم مثل (العدالة ، التسامح ، المبادرة ، الايثار ، وقبول الآخر ، واحترام الراي ، والتعاون ، والولاء ، والانتماء للوطن الذي يعيش فيه ، والتضحية من اجل الآخرين ... الخ كلها تشكل بناء الانسان / المواطن الذي تريده المرجعية بانه شخصيه شبابيه ومتحرره من التعصب والعنصرية . اي بعيدا عن الفكر المتطرف

تنبع اهمية الدراسة الحالية من ان الفكر المتطرف اصبح من القضايا ذات الابعاد الاجتماعية والسياسية والأمنية والتي تؤكد على ضرورة دراستها دراسة علمية وموضوعية لأجل الوقوف على هذه الظاهرة لأنها خطر على بناء الفرد والمجتمع ، فالفكر المتطرف هو سلوك يهدف الى اقضاء الطرف الاخر سواء فرد او افراد وذلك بفرض هذه الافكار عليه مما يولد لدى الطرف الاخر الخوف والرعب وبذلك بات واضح ان الفكر المتطرف يهدف الى تدمير البناء القيمي والاخلاقي وعليه يجب دراسته وتشخيصه ومعرفة اسبابه وعلاجها . وبذلك جاء دعوة المرجعية الدينية في محاربه واجتثاثه مستقبلا

اهمية البحث :- وتأتي اهمية البحث من خلال ما يلي:-

- ١- ان دور المرجعية الدينية في بناء الانسان / المواطن الصالح / الذي يتمسك بالقيم والاخلاق والسلوك الاسلام المحمدي الذي يتحمل مسؤوليه في خدمة المجتمع والذي يحارب الفكر المتطرف

٢- ان الفكر المتطرف من القضايا ذا الابعاد الاجتماعية والسياسية والأمنية في العراق وبعض الدول الاخرى ، لذا لابد من دراسة هذه الظاهرة داسه علميه وموضوعيه في تشخيصها ومعرفة الدوافع التي تقف ورائها ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على الجذور التاريخية للفكر المتطرف والاسباب و طرق تحصين الشباب الجامعي مستقبلا

٣- يمكن تحجيم الفكر المتطرف عن طريق تعزيز الوسطية والاعتدال وتعميق الهوية الوطنية وترسيخ الانتماء والولاء للوطن وبذلك فهي مسؤولية رجال التربية وعلم النفس والاجتماع بدراستها دراسة علمية وموضوعيه لذات مواجهة بالطرق التربوية والعلمية من خلال تشخيصه ومعرفة اسبابه والعوامل التي ساهمت في ظهوره كظاهرة تواجه المجتمعات المعاصرة واعتباره من الظواهر المعاصرة التي تواجه الشباب ولاسيما الشباب

٤- نجد ان الدين الاسلامي اكد على التسامح والتعايش مع كافة الطوائف والاقليات الدينية والعرقية ، حيث اشار القران لكريم الى (العدل ، المساواة ، الاحسان مع الفرد ومع المجتمع) وهي كثيرة ومنها لا الحصر
اهداف البحث :- يهدف البحث الإجابة على الأسئلة الآتية :-

١- ما طبيعة المرجعية الرشيدة ؟

٢- ما طبيعة الفكر المتطرف ؟

٣- ما طبيعة بناء الانسان في نظر المرجعية الدينية ؟

٤- ما طبيعة الحوار . ثقافه التسامح . والتعايش السلمي ؟

٥- ما دور المرجعية الدينية في بناء الانسان بالحوار . وثقافه التسامح . التعايش السلمي لمحاربه الفكر المتطرف .

حدود البحث :- يقتصر حدود البحث على:-

- ١- الادبيات التي تناولت المرجعية الدينية الرشيدة المنشورة حتى عام ٢٠١٨
- ٢- الادبيات التي تناول الفكر المتطرف المنشورة حتى عام ٢٠١٨
- ٣- الادبيات التي تناولت (الحوار . التسامح . التعايش السلمي في المنشورة حتى عام ٢٠١٨

تحديد المصطلحات :-

اولا:- الدور :- ويعرف بعدة تعاريف منها

- وهو توقعات لأنماط معينة من السلوك تشكلها الخصائص الرسمية والتي يحددها الفرد او الجماعة (قمر: ٢٠٠٥

- يعرفه مذكور ، هو وضع اجتماعي ترتبط به مجموعة من الخصائص الشخصية ومجموعة من ضروب النشاط التي يعزو اليها القائم بها والمجتمع معا . اي مجموعة من الافعال المكتسبة التي يؤمن بها شخص في موقف تفاعلي اجتماعي (مذكور : ١٩٧٥)

- ويعرف اجرائيا (هو سلوك متوقع يقوم به المرجع / المرجعية الدينية في بناء الانسان من خلال (تعزيز ثقافته التسامح والتعايش السلمي والحوار البناء) لمحاربه الفكر المتطرف

ثانيا:- المرجع / المرجعية الدينية:-

- المرجعية : تذكر معاجم اللغة العربية، معنى المرجع (العودة أو الرد) وجاءت من اسم المكان، على وزن «مفعّل»، واشتق من الفعل الثلاثي المكون من أحرف أصلية (رجع) على رأي نحاة المدرسة الكوفية .

المرجعية :- اما معاني المرجعية فهي متعددة بعدد المعرفة التي تستخدم فيها . ومن الملاحظ ان بعض الادبيات تشير الى جملة من الاشكاليات والقضايا في الثقافتين (الغربية والعربية معا) والواقع ان اشكاليه مفهوم (المرجعية) ليست وارده في مجال اللغة والآداب فقط . بل تظهر طابعها في كافة مجالات استعمالها (مفهوم المرجعية في علم المصطلح العلم نشر في يوم ٢٥ / ٣ / ٢٠١١

للمرجعية الدينية هي مفهوم شيعي معناه رجوع المسلمين الشيعة الى من بلغ رتبة الاجتهاد والأعلمة) على خلاف في اشتراط الأخيرة) في استنباط الأحكام الشرعية، ومن أصبح مؤهلاً لمنصب الإفتاء وأصدر آرائه في الأحكام الفقهية في كتاب يسمى الرسالة العملية يعبر عنه بـ) المرجع الديني (أو) آية الله العظمى (في المصطلح الشيعي، يرجع الشيعة إلى المراجع أو مراجع التقليد لمعرفة الأحكام الفقهية، وقد يمتد نفوذ المراجع إلى التدخل في مسائل سياسية واجتماعية كما وقع ذلك مرارا في تاريخ المرجعية الشيعية. والمراجع هو طالب علوم دينية درس في الحوزات العلمية (النجف وقم غالبا) وقضى سنينا في الدراسات العليا حتى حاز على رتبة الاجتهاد وأصبح مؤهلاً للإفتاء. استدل على مشروعية المرجعية بالدليل العقلي القاضي بأن يرجع الجاهل في الأمور التي لا يعلمها إلى المتخصص العالم بها، وبما روته الكتب الحديثية الشيعية عن الإمام المهدي آخر أئمة الشيعة من قوله: « وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله ». ثالثا:- بناء الانسان :- ويعرف بعده تعاريف نظرية وعلميه وهي:-

(١) ويعرف البناء الانسان / نظريا :- هو نظام متكامل من مجموعه الخصائص الجسمية والوجدانية والترويحية والإدراكية التي تعين هوية الفرد وتمييزه عن غيره عن الافراد تمييزا بيننا وكما تبدوا للناس اثناء التعامل اليومي الذي تفضيه

الحياة الاجتماعية ، فهي تدل على طباع الشخص ومزاجه الخلقي كما تدل على وحدة الذات وقياسها

(النورة جي : ١٩٩٠)

(ب)- وهي عملية تكوين الانسان المؤمن بقيم المجتمع الاسلامي والمحصن بالأخلاق الفاضلة والقادر على ضبط غرائزه وشهواته والتحكم بانفعالاته والقادر على كسب عيشة بيده وصحيح البدن والعقل والروح هذا من جهة وخدمة مجتمعة الذي يتسم بالعدل والمساواة والتعاون على الخير والتراحم والتكافل والانسجام والسلام ، بعيدا عن التطرف والغلو والارهاب والعنف من جهة ثانية عملا بالقول (اذا صلح الفرد ، صلح المجتمع ، واذا صلح المجتمع صلح الفرد

(ج)-ويمكن تعريفه اجرائيا (تزويد الانسان بمعلومات والافكار وتزويده بالقيم والاتجاهات واكسابه المهارات التي تربط بالقيم والمثل التي يريدها الاسلام والمرجعية الدينية . اي الانسان الصالح والذي يخدم مجتمعه . بما له حقوق وعليه واجبات . بعيدا على التطرف الفكري

رابعا:- الفكر المتطرف : الفكر المتطرف هناك عدة تعاريف للفكر المتطرف وبعرفه كل من :

أ- النوره جي (الفكر :- هو ظاهره عقليه تنتج عن عمليات التفكير القائم على الادراك والتحليل والتعميم

(النورة جي : ١٩٩٠)

ب- ان التطرف في اللغة العربية هو الوقوف في الطرف وبعكس (التوسط والاعتدال) ويعني الغلو وهو العلو والارتفاع الشيء ومجاوزه الحد فيه (ابن منظور : ١٩٩٧)

تد من حيث المعنى (يعني، المغالاة والافراط وكذلك يعني هو مجموعه من المعتقدات والافكار التي تتجاوز المتفق عليه، سياسيا، اجتماعيا، دينيا، قانونيا، ثقافيا حدود المجتمع ومعايير ثم تحول الفكر الى قوة وعنف ضد من يقف ضده او مخالفته

ثد واما الفكر المتطرف :- يؤكد الباحث ان الفكر المتطرف مرعبه تعاريف وهي:

- وهو مجموعه افكار وطرق واساليب قديمة بدأت في كتابات المستعربين والمستشرين والمبشرين الحاقدين في بلاد الاندلس بتشوية العقيدة الإسلامية ولاسيما القران الكريم والسنة النبوية المطهرة والتاريخ واللغة العربية والموروث الحضاري بالتحريف وتضليل الحقيقة والراي

- وهو مجموعه افكار وطرق واساليب حديثة بدأت من خلال كتابات عالم السياسية الأميركية (صومويل هانتجون في كتابه (صدام الحضارات) ومفاده ان العالم على حافة صدام بين حضارات ثقافيه بين (شرق اسيا، الاسلام، الغرب

- وهو الفكر الذي ظهر بعد تفجيرات ١١/٩/٢٠٠١ بقيادة اسامة بن لادن مسؤول تنظيم القاعدة على الولايات المتحدة الأمريكية والتي قال فيها ان العالم يتميز بين (الكفر والايمان) وتحول هذا الفكر الى مقاومة اساسها القوة والعنف والارهاب كل من يقف ضد هذه الجماعات الإرهابية، فهو فكر لا يؤمن بالحوار ولا التسامح والتعايش السلمي يؤمن بالقوة في تحقيق افكاره المزعومة

خامسا:- الحوار :- يمكن تعريفه اجرائيا

بانها الوسيلة التي يستخدمها الناس سواء على مستوى الفرد او المجموعة لأجل خلق تفاعل ايجابي بين الاطراف المختلفة في القضايا السياسية - الاجتماعية - الثقافية - الدينية والذي يساهم في خلق قواسم مشتركة للأطراف لأجل الوصل الى اتخاذ القرارات الصائبة

سادسا:- ثقافته التسامح :- ويمكن تعريفه اجرائيا :-

(ا) - فالتسامح يعني العفو عند المقدرة وعدم الاساءة والترفع عن الصغار الاشياء وسمو النفس البشرية الى مرتبة اختلاقيه عالية ،

(ب) - فهو مجموعه من مبادئ وقيم التي تقوم على الاحترام والقبول الاخر والتقدير للتنوع البشري لثقافات ، متمثلة بالانفتاح والتواصل وحرية الفكر في مجالات الحياة بعيدا عن التطرف الفكر والغلو

(ج)- يعرف اعلان الامم المتحدة التسامح ، عام :١٩٩٥ - (ان التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا لأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا ، وتعزيز التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد (اعلان الامم المتحدة مبادئ التسامح:١٩٩٥)

سابعا:- التعايش السلمي :- يمكن تعريفه اجرائيا :-

(أ)هو الاعتراف بالهويات المتنوعة للشعوب (العرقية ، القبلية ، والدينية المذهبية،،، الموجود في المجتمع، متمثلة بدعم الفرد والمجتمع ان يعيش في مجتمعه بسلام وامن ، بعيد عن الصراعات الفكرية والارهاب ، منهجية البحث :-

اعتمد الباحث في منهج البحث على البحث الوصفي التحليلي للأدبيات التي تحدثت عن الفكر المتطرف بجانبها النظري والعملية اضافه الى الادبيات المستمدة من القران الكريم واحاديث الرسول الاعظم محمد (ص) واهل البيت (عليهم السلام) والادبيات التي تناولت مفهوم الحوار . ثقافته التسامح والتعايش السلمي المنشورة حتى عام ٢٠١٨ وكذلك مفهوم المرجع والمرجعيات الدينية المنشورة حتى عام ٢٠١٨ واستنباط مؤشرات تفيد البحث الحالي

الفصل الثاني

طبيعة الفكر المتطرف :-

طبيعة الفكر المتطرف :-

من المعلوم ان ظاهره الغلو والتطرف ليست وليدة الظروف الحالية بل كانت موجودة في المجتمعات التي سبق الاسلام ، فقد عرفت عدة طوائف عن الاجماع واتهمت بالكفر او خرجت عن المؤلف او المعقول . وفي ضوء ما تقدم ظهر التطرف الديني في اوروبا ما استدعت الكنيسة التدخل للوقوف في وجهه التطرف ، كما ان المجتمع الاسلامي لم يسلم من ظاهرة التطرف

خصائص الفكر المتطرف :-

يؤكد بعض المختصين في هذا الصدد ان هناك عدة خصائص للفكر المتطرف وهي :-

- الخروج عن الاعتدال والوسطية في صور سلوك
- الايمان الراسخ بانهم على صواب والآخرين في ضلاله عن الحقيقة
- العنف في التعامل والخشونة والغلظة في الدعوة والشذوذ في المظهر
- النظرة التشاؤمية والتقليل من اعمال الآخرين والاستهتار بها
- الاندفاع وعدم ضبط النفس

• الخروج عن القصد الحسن (الدليمي : ٢٠٠٦)

اسباب الفكر المتطرف :- ان من اسباب الفكر المتطرف يرجع الى عدة اسباب

١) الجهل :- ومن المعلوم ان الجهل هو كصدر كل الأخطاء ، لان الجاهل لا يحكم عقله بل يندفع وراء عاطفته ، وقد يكون هذا الشخص غيورا على دينه وشديد الخوف من ربه بسبب جهله ولا يدري كيف يفعل ، فالكثيرون ممن تأثروا بهذا

الفكر المتطرف نتيجة لضحالة ثقافتهم الدينية المحدودة ، اذ لا يحملون شهادات علميه في مجال الدين ، فقد ظهر عليهم تدجين وهو الحرص على الالتزام بالدين ، اضافه اطلاق احكام من الجهلة على الدين في مسالة (الحلال والحرام) بدون علم ، فقد نبه القرآن الكريم بقوله تعالى على هؤلاء ب (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفتنون على الله الكذب لا يفلحون }) ، سورة النحل : ١١٦)

٢) البطالة : ان عدم اهتمام الدولة لمصالح المجتمع وغياب خطط التنمية في توفير فرص العمل داخل المجتمع لأعداد هائلة للشباب مما ادى تعطيل هذه الطاقات الشبابية دون دمجهم بالمجتمع واحترام انشطتهم الإبداعية ولد عندهم التطرف والفتاوى ضد السلطة او الدولة او المجتمع بانهم مهمشين

٣) الاعلام : من المعلوم ان للاعلام دور بارز في ترويج الفكر المتطرف ، حيث ان معظم هذه الحركات المتطرفة تتأخذ من وسائل الاعلام بث افكارها وذلك بنشرها في المجالات والكتب والمطبوعات واشربة الفيديو وشبكة الانترنت التي تمجد الفكر المتطرف (القضاة : ٢٠٠٧) كما ان انتشار الاشاعات في المجتمع يصبح المجتمع ساحة ومسرح لتبادل الاتهامات والضن السوء بالناس مما يوع الفجوة بين ابناء المجتمع الواحد ويصبح الباب مفتوح على مصراعيه امام الافكار المتطرفة والتكفيرية ، وهذا ما نبه اليه القرآن الكريم بقوله تعالى (اأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم } ١٢) سورة الحجرات : ١٢١)

٤) الفساد الاداري وغياب العدالة :- من المعلوم ان للفساد الاداري وغياب العدالة في مؤسسات الدولة وذلك بتجاوز بعض المسؤولين وعدم العدالة بين الناس او تنقيص من حقوقهم والتمييز بينهم ساهم في مظاهر السخط او التذمر وفقدان الثقة في السلطة والعمل بالاتجاه المضاد لتغيير هذا الواقع ، وهو مبرر لركوب المتطرف او التكفير باسم الاصلاح او التغيير

٥) الترف والتفسخ الاخلاقي :- ان ظهور الترف والتفسخ الاخلاقي في بعض فئات المجتمع بسبب ما طرأت عليه من مظاهر التمدن في بنية المجتمع بين القديم والحديث وبذلك يصبح الفرد ما بين متاهيه القديم والحديث في الفكر المتطرف مما ادى الى الغلو والتطرف بين فئات المجتمع

٦) غياب الدولة عن مراقبه الافكار الوافدة : ان معظم المساجد في ايدي اشخاص او دعاة مغرضين او غير مؤهلين في توجيه المجتمع نحو الصالح العام ، وبذلك يتراجع التوجيه الديني ، لذا فان غياب الرقابة المستمرة لدعاة والحلقات النقاش والفتاوي الشاذة كلها تساهم في نشر الافكار المتطرف بين ابناء المجتمع الواحد وهي فتنة (التميمي : ٢٠١٤)

الفصل الثالث

طبيعة المرجعية في بناء الانسان لمحاربة الفكر المتطرف :- وشمل محورين هما :-
المحور الاول :- طبيعة المرجعية الدينية في بناء الانسان . المحور الثاني :- دور المرجعية في محاربة الفكر المتطرف

المحور الاول :- طبيعة المرجعية الدينية في بناء الانسان

طبيعة المرجع / المرجعية الدينية :-

من المعلوم ان المرجع الديني هو مؤتمن المؤمنين على دينهم الذي هو اشرف الاشياء عندهم وعزها . والمرجعية الدينية عند الناس الوجه الناصح والنور المشرق في حفظ الدين وجمع شمل المؤمنين ولاسيما بعد غياب الأئمة المعصومين (عليهم السلام) عن الساحة بعدم وجود نظام يلتزم حقوق الناس ويلبي حاجاتهم . وعليه ان المرجعية الدينية هي الت تحمل من كنوز العلم والحكمة والدراية في الامور الدينية خصوصا . وانها لها الكلمة الموسوعة والمؤثرة في الناس

لقد كان الشيعة في القرون الإسلامية الأولى يرجعون إلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يستفتونهم في مسائل الحلال والحرام. وقد استمر هذا الحال إلى زمان عشر المهدي الذي يعتقد الشيعة بأنه قد غاب غيبيتين؛ الأولى كانت الغيبة الصغرى وكان له سفراء يشكلون حلقة التواصل بين المهدي وبين شيعته في مختلف الأقطار، فكانوا يحملون إليه رسائل شيعته ومحبيه وأسئلتهم، ثم يأتون إليهم بالجواب، ومن مهامهم أيضا أنهم كانوا يستلمون الحقوق الشرعية - الأخماس - ويحملونها إلى المهدي أو يتصرفون بها حسب ما تفتضيه المصلحة. وقد استمر عصر الغيبة الصغرى من سنة ٢٦٠ هـ حتى سنة ٣٢٩ هـ. والسفراء الأربعة هم على التوالي: (عثمان، وابنه محمد بن عثمان العمري، والحسين بن روح النوبختي، وعلي بن محمد السمرى).

بوفاة السفير الرابع علي بن محمد السمرى انتهى عصر الغيبة الصغرى فبدأ عصر الغيبة الكبرى حيث بدأ الشيعة يرجعون في أحكام الدين والفتاوى الشرعية إلى علماء الدين الذين تصدوا للمرجعية واستمر عصر الغيبة الكبرى إلى زماننا الحالي.

واجب المكلف :-

حين يصل الشيعي إلى سن التكليف يتوجب عليه أن يعمل بالأحكام الشرعية ويتوصل للحكم الشرعي بإحدى ثلاث طرق:

١. الاجتهاد: هي رتبة علمية يصل إليها المتخصص بالعلوم الدينية الحوزية تؤهله لتحديد الأحكام الشرعية وبيانها استنادا إلى الأدلة المستخرجة من القرآن والأحاديث.^[٣]

٢. التقليد: أن يقلد أحد المجتهدين ويعمل بفتاواه وما توصل إليه اجتهاداته، وعوام الشيعة هم من المقلدين للمجتهدين، هذا والتقليد يكون في الحكم الشرعي الفقهي فقط، أما أصول الدين والعقائد فلا يقلد فيها ويجب على المكلف أن يبحث فيها عن الدليل والبرهان باتفاق جميع المراجع.

٣. الاحتياط: الاحتياط يعني اقتضاء أن ينحو المكلف طريق الحيطة في جميع أعماله وذلك بأن يأخذ بما يكون موافقا للرأي الفقهي لجميع مراجع التقليد، وهذا يعني أن لا يترك واجبا أو يفعل محرما على رأي أي واحد المراجع. فيكون بهذا قد عمل بشرائط الاحتياط ويكون على يقين من براءة ذمته فيما يتعلق بتكليفه الواقعي.

شرائط المرجعية :-

من أهم الآثار التي وردت في المرجعية والتقليد هو ما يروى عن المهدي (عليه السلام) قوله: (أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم) ، وكذلك ما زوي عن الامام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) قوله: (أما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا على هواه مطيعا لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا

يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم. فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة العامة فلا تقبلوا منا عنه شيئاً ولا كرامة). وكثيراً ما يستدل بالحديث الأخير على الشرائط التي ينبغي لها التوافق في المرجع، كما أن في الحديث دلالة على أن الشرائط التي ينبغي توافرها في المرجع لا تنطبق إلا على بعض فقهاء الشيعة وفيه نهى من العسكري عن الرجوع في التقليد إلى من لا تنطبق عليهم الشرائط. فيستخرج من هذين الحديثين وغيرهما الشروط التي يجب توافرها في المرجع المجتهد - على الاختلاف في تحديد هذه الشروط بين فقهاء الشيعة -

١. البلوغ.
 ٢. العقل.
 ٣. الإيمان، والمقصود أن يكون شيعياً اثني عشرياً.
 ٤. الذكورة.
 ٥. الاجتهاد
 ٦. العدالة
 ٧. طهارة المولد
 ٨. الحياة :- وفي هذا الشرط اختلاف بين مراجع الشيعة، ويأتي تفصيله فيما بعد.
 ٩. أن لا يقل ضبطه عن المتعارف.
 ١٠. الأعلمية. أي أن يكون أعلم من بقية المراجع، ويأتي تفصيل ذلك فيما بعد.
- آراء في تقليد المرجع الديني :-
- من أهم المسائل الخلافية بين مراجع الشيعة وفقهاهم هي مسألة تقليد الميت، حيث يمكن تقسيم الآراء في هذه المسألة إلى ثلاثة وهي :-

١- جواز تقليد الميت مطلقا :-

أجاز بعض مراجع الشيعة القدماء الرجوع في التقليد إلى الميت ابتداءً، غير أن هذا الرأي لا يعتد به عند المراجع الحاليين، وتتميز المدرسة الإخبارية بأن معظم المراجع المنتسبين إليها يجيزون تقليد الميت ابتداءً، والمدرسة الإخبارية حالياً ليس لها أي مرجع حي فكل العوام المنتسبين إليها يرجعون في التقليد إلى مراجع (متوفين كيوسف البحراني والحر العاملي وحسين العصفور وغيرهم)، ولم تتفرد المدرسة الإخبارية في قولها بجواز تقليد الميت، فهناك عدد قليل من الأصوليين شذوا عن العموم وذهبوا إلى القول بجواز تقليد الميت. ولكن هناك مراجع من الشيعة الاصولية يجوزون ذلك مثل السيد (كمال الحيدري و الشيخ محمد ابراهيم الجناتي)

٢- حرمة تقليد الميت مطلقا:-

بعض مراجع الشيعة المعاصرين يذهبون إلى وجوب تقليد الحي وحرمة تقليد الميت مطلقا، وممن ذهب إلى هذا الرأي من المراجع المعاصرين (الصادق الروحاني، والبشير النجفي) حيث رد في كتابه وقفة مع مقلدي الموتى على أستاذه (الخوئي ومحسن الحكيم) طارحاً أدلته حول ذلك.

٣- جواز تقليد الميت استدامة:-

تقليد الميت استدامة أو البقاء على تقليد الميت هو أحد الآراء في هذه المسألة، ومعظم مراجع الشيعة الحاليين على هذا الرأي بحيث أن المكلف لو قلد مرجعاً في حال حياته فإنه من الممكن أن يبقى على تقليده بعد وفاة هذا المرجع، بل إن بعضهم يوجب تقليد الميت (استدامة) إذا ابتداء المكلف بتقليده في حال حياته وإحرازه شرط الأعلمية فيه. وقد أفتى بجواز تقليد الميت استدامة (محمد الصدر، وصادق الشيرازي وشمس الدين الواعظي).

التبعية :-

التبعية هو العمل بفتاوى أكثر من مرجع، ولا يعني ذلك أن يأخذ المكلف ما يعجبه من مرجع وما يعجبه من مرجع آخر، وإنما المكلف يرجع إلى مرجع واحد فقط ولكن مرجعه قد يتوقف عن الفتوى في مسألة معينة أو يفتي بالاحتياط الوجوبي فعلى المكلف في هذه المسألة أن يعمل بالاحتياط أو يقلد مرجعا آخر.

الشهادات والأعلمية :-

يشترط الأكثرية من فقهاء الشيعة في التقليد أن يقلد المكلف المرجع الأعلم الذي فيه صفة الأعلمية، ويختلف تعريف الأعلم من شخص لآخر؛ إلا أنهم إجمالا يوافقون ما ذكره (محمد كاظم الطباطبائي اليزدي) في كتابه العروة الوثقى وهو قوله: (المراد من الأعلم من يكون أعرف بالقواعد والمدارك للمسألة، وأكثر اطلاعا لنظائرها والأخبار، وأجود فهما للأخبار، والحاصل أن يكون أجود استنباطا) ويستندون في ذلك على روايات عديدة، ومنها: (عن عمر بن حنظلة، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما - إلى أن قال - فإن كان كل واحد اختار رجلا من أصحابنا فرضيا أن يكونا الناظرين في حقهما واختلف فيهما حكما، وكلاهما اختلفا في حديثكم؟ فقال: (الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما، ولا يلتفت إلى ما يحكم به الآخر).

ولاية الفقيه :- ولاية الفقيه تعرف (بأنها ولاية وحاكمية الفقيه الجامع للشرائط في عصر غيبة الإمام حيث ينوب الولي الفقيه عن الإمام في قيادة الأمة وإقامة الحكم. وتنقسم ولاية الفقيه إلى قسمين:

(١)الولاية العامة :-

(٢)الولاية المطلقة :- (مفهوم المرجعية في علم المصطلح منشور يوم ٢٥/٢/٢٠١١)

اهداف المرجعية الدينية :-

بناء الانسان السوي وفق قيم وعادات المجتمع الاسلامي

١- تنمية الميول والمواهب والعادات الحسنه لتقويه جوانب شخصيه الانسان في جوانبها (العقلية + الجسمية + الوجدانية بشكل متوازن لأجل اداء لرسالته في الحياه العامة

٢- تربيته الانسان من خلال قنوات التربية الإسلامية وهي (الاسرة والمسجد والحسينيات . باعتبارها مؤسسات تساهم في التربية والتعليم

٣- عمليه اصلاح وبناء الانسان والمجتمع معا. فهي صمام الامان للناس في مراحل الحياه . وكذلك في بناء الذات الإنسانية .. ان بناء الشخصية السوية للإنسان المسلم ، يتم من خلال تعزيز التعاليم والمبادئ الإسلامية التي تؤكد على الالتزام بالفضائل والاخلاق النبيلة والابتعاد عن الرذيلة والفحشاء . وتركيه النفس وطهارتها . بالابتعاد عن الشهوات والهفوات والفسوق والرفث والجدال وقول الحق وتقوى الله سبحانه وتعالى ومن خلال الايمان به والالتزام بأوامره والابتعاد عن نواهيه . ومقارعه الظلم والفساد

مكانه الانسان في فكر المرجعية :-

نظرة الاسلام الحنيف الى الانسان بانه يتكون من قبضه من (تراب ونفخه من روح) استنادا الى قوله تعالى (نبي خالق بشرا من طين) {٧١} فإذا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ

رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {٧٢} سورة ص ٧١-٧٢

وفي ضوء ما تقدم ان الاسلام يرى ان الانسان بانه مزيج من (ماده وروح) ولكل هذه العناصر المكونة له لها مطالبها ونزعتها . فالجزء (المادي) (التراب) ينزع الى حاجات مادية . وهي الطعام . الشراب . الجنس . تملك . وضرورات الحياه المادية واما الجزء الروحي (النفخة الروحية) التي يحملها الانسان تعبر عنها اشواقه وعواطفه وميله للتدين والتقدير .

وبناء على ما تقدم ان نظرة الاسلام لتركيب الطبيعى (المادة والروح) لم يأتي على شكل نظريه او تخمين او احتمال . وانما هي صورة واقعيه لهذا الكائن الحي وهي وحي الله سبحانه وتعالى . وقد اثبت الدراسات الحديثه على النظرة الإسلاميه للإنسان على ان هذه النظرة واقعيه للإنسان ولها معالجه واقعيه لمشاكله ومطالبه بالشكل الذي يحفظ توازنه بين (حاجاته الطبيعىة دون افراط) استنادا الى قوله تعالى (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرُّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ } ٥ { سورة فاطر ٥

وتأسيسا على ما تقدم ان الاسلام الحنيف لم يؤكد على الرهبنه التي نظره الى الحياه مدبرة والاتجاه نحو الآخرة . بل هي تجسيد لحاله التوازن بين (الطاقات والحاجات الطبيعىة) (الحياه الدنيا والآخرة) استنادا الى قوله تعالى (ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } ٧٧ { سورة القصص ٧٧ وكذلك قول الرسول محمد (ص) (ان لا نفسكم عليكم حقا . فصوا . وافطروا . وقوموا ، وناموا . فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم الدسم ، واتي النساء . ومن رغب عن سنتي فليس مني) وكذلك قول الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) (للمؤمن ثلاث ساعات فساعه ينجى فيها ربه ، وساعه يروم بها معاشه وساعه يخلو

بين نفسيه وبين لذتها فيما يحل ويجمل) (سماحه السيد حسين الصدر) دام ظله
الانسان خليفه الارض بلا)

دور المرجعية في بناء الانسان :-

من المعلوم ان الاسلام نظر الى الانسان بانه خليفته في الارض وبذلك اتسمت معالم
الإنسانية في رساله الاسلام من خلال ما يلي:-

١- خاطب الانسان بخصائصه الإنسانية بعيدا عن اللغة واللون والعنصر قوله تعالى
(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن
أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير} {١٣} سورة الحجرات : ١٣ وبذلك
جسد الرسول الاعظم محمد (ص) مخاطب الناس (ايها الناس . ان ربكم واحد . وان
اباكم واحد . كلكم لادم وادم من تراب . ان اكرمكم عند الله اتقاكم . وليس
لعربي على اعجمي ولا لاحمر على ابيض ولا ابيض على اسود فضل الا بالتقوى)

٢- وضع مفهوما عاما لأصل الانسان اما حالات التفاصيل التي وضعتها الاعراف
الوضعية . فليس لها مبرر . استنادا الى قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث متهمات رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله
الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا } {١} سورة النساء ١/

لذلك نقول ان مصير الانسان واحد . وهو (التراب . وابوهم واحد هو (ادم) وهذه
الحقيقية . انهم شاركوا جميعا في الحضارة الإنسانية . لأفضل على اخر . عكس
نظره بني اسرائي اذا يستخدمون (شعب الله المختار) لأجل خدمة مصالحهم وبذلك
ظهر التمييز العنصري والاستعمار . والاستغلال للشعوب) وبذلك لا ننسى وصيه
امير المؤمنين الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) (الناس صنفان . اما اخ لك في
الدين او نظير لك في الخلق) لذلك نظر الاسلام الى الانسان المسلم في جميع اقطاره .

وجهاته . من جسد وروحا وعقلا وعاطفه . فردا او عضوا في المجتمع مع الاخذ بنظر الاعتبار حالات الضعف الانساني والفروق الفردية بين الناس
دور المرجعية في بناء المجتمع :-

تؤكد المراجع الدينية ان بناء المجتمع يأتي من خلال استعماله الفكر والعقل وان الانسان اساس وجوده وتفكيره وهو (العقل والتعقل) ولان المجتمع الالهي يصبوا نحو العلم والموضوعية وذلك استنادا الى قوله تعالى (ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففينا عذاب النار { ١٩١ } سورة ال عمران ١٩١ / ومن هنا ان القران الكريم جعل اساس العلاقة بين (الانسان والله سبحانه وتعالى) هو التفكير والتعقل (لان العقل هو المميز للإنسان وبه فضل الله سبحانه وتعالى . فالإنسان يختلف عن سائر المخلوقات بعقله وتفكير ولغته . وبذلك حمله الله سبحانه وتعالى (الأمانة الإلهية للخلافة الربانية) في الارض وبه يقاس الثواب والعقاب

وفي ضوء ما تقدم اعطت الشريعة الإسلامية اهمية للعقل وحملته المسؤولية الكبيرة ولاسيما العلماء . استنادا الى قوله تعالى (ثم يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور { ٢٨ } سورة فاطر ٢٨ /

وتأسيسا على ما تقدم . ان الامه الغافلة . وهي الامه البعيدة عن الله . والمنكرة لربها . وهي الامه التي تخدم الشيطان والشيطان يخدمها التي تجمع المال من حرام وتغش وتكذب انها امه لا تستخدم عقلها استعمالا سليما ولا تفكر الا بالدنيا وتنسى الآخرة وبذلك فهي في حاله عدم توازن بين (الدنيا والآخرة)

(سماحه السيد حسين الصدر دام ظله) مجتمع التعقل والتفكر سلسله من

ماذا تريد المرجعية من الانسان :-

من المعلوم ان المرجعية تريد من الانسان سواء ذكر انثى كبير صغير . عامل موظف تاجر غني . فقير . مسؤول في الدولة على وفق ما يلي :-

• ان يكون هدف الانسان هو الله . والعلاقة معه كبيرة ولا شيء غير ذلك ،
ولأشياء سوى ذلك هو الله . اي لا يتاجر الانسان بالله لأموال الدنيا . لأنه ليس فوق الله
تجاره

• على الانسان ان لا يعيش حاله الازدواجية مع الله . وانما ان تكون العلاقة فيها
الوضوح . اي لا تكون الدنيا هي الغاية بالنسبة له وانما ان تكون كلمه (لا اله الا
الله) بشروطها وشرطها في كل حياته من البداية وحتى النهاية

• ان يحاسب نفسه :- اي على الانسان ان يراجع نفسه بشكل دائم . ولأيديع النفس
دون محاسبه ومن دون رقيه . فاذا استقام تمكن من ضبط نفسه . وبذلك يكون قد
نجح . واستحق ما عند الله من ثواب ومن اجر . فلو لم يكن هناك شيطان لكانت
النفس نفسا ملائكيه لأخطاء ولا تعطي . وعليه تحتاج النفس بشكل دائم
ومستمر حاله المراقبة وحاله المحاسبة للنفس استنادا الى قوله تعالى (إن تبدوا ما في
أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على
كُلِّ شيء قدير } {٢٨٤} سورة البقرة / ٢٨٤ . اي هناك حسابا بين يدي الله سبحانه
وتعالى . وكذلك قول الرسول الاعظم محمد (ص) (حاسبوا انفسكم قبل ان
تحاسبوا) وبناء على ما تقدم ان الحساب هو اظهار القول الذي نطقت به مثلا (غيبه
. نميمه . بهتان . افتراء ... الخ

• ان يقول الانسان (لا اله الا الله) بكل جوارحه وأعضائه وبفكره . وبقلبه . وبكل أحاسيسه . وانها تجمع في الكون كلها . تؤكد على (التوحيد) منطلقة من قلبه ولسانه وعمله

• ان يكون عبد الله مخلصه له وعاملا في طاعته بعيدا عن الانحراف وخدمة اعمال الشيطان الذي يدعوه الى السرقة والكذب والخداع والحسد والحقد والبغضاء والتكالب على الدنيا والتعصب والابتلاء ... الخ وبذلك تكون حياته مؤمله . تالفه

• ان يجسد حاله التوازن بين (الطاقات والحاجات الطبيعية) (الحياه الدنيا والآخرة) استنادا الى قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين} {٧٧} سورة القصص / ٧٧

(سماحه السيد حسين الصدر القدرة الإلهية للامه العدد ٤٩)

وفي ضوء ما تقدم يرى الباحث . ان المرجعية تريد بناء (الانسان المواطن الصالح) الذي يتميز بـ

١. تكوين انسان مسلم مؤمن بالله وبملائكته وبكتبه وبرسله واليوم الآخر ، وملتزم بتعاليم الاسلام ، عامل على نشر الفضيلة ، وذلك استنادا قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير } {٢٨٥} ، سورة البقرة ، آية ٢٨٥

٢. تكوين انسان مسلم فاضل محصن بالأخلاق والصفات الحميدة اقتداء برسول الله الذي قال عنه تعالى (وإني لعلی خلق عظیم } {٤} ، سورة القلم ، آية ٤)

٣. تكوين انسان مسلم المتزن نفسيا ، القادر على ضبط غرائزه وشهواته والتحكم في انفعالاته ، استنادا الى قوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى {٤٠} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى {٤١} سورة النازعات ٤٠-٤١)

٤. تكوين انسان مسلم نشيط قادر على كسب معيشته من مهنة او عمل عقليا كان ام عضليا ، الضارب في الارض سعيًا وراء رزقه ، وقوي في جسده وايمانه ، استنادا الى قوله تعالى (وَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {١٠} ، سورة الجمعة

٥. تكوين انسان مسلم موطن صالح يشعر بالانتماء والالتزام والمشاركة الفعالة من خلال اداء الواجبات وله حقوق المواطنة بعيدا عن تمييز في اللون ولجنس او العرق لفئه دون الاخرى. والذي يعد عضويه كامله

المحور الثاني:- دور المرجعية في محاربته الفكر المتطرف لبناء الانسان الذي يخدم مجتمعه

يجب ان ندرك جيد ان الفكر المتطرف / الارهاب هو ظاهرة امتد تاريخها منذ وجود الانسان على كوكب الارض ، ولهذا هناك اسباب وعوامل ساعدت على ظهورها واستفحالها ، لذا يجب دراسة هذه الظاهرة دراسة علمية وموضوعية وان تأخذ كل الطرق العلمية والتربوية بوضع الخطط المناسبة في حلها يمكن التقرب اليها وذلك عن طريق السلام ، والمحبة والتفاهم وهو الطريق الصحيح والبديل المناسب في حلها ، وان افضل اسلوب في حلها هو استعمال اسلوب الحوار البناء والتسامح والتعايش السلمي القادر على تخطي اكبر الحواجز والذي يساهم في خلق السبل الواضحة وفي تحقيق العمل التفاعلي الايجابي بين المرضي والمعارض وان يكون اساس التفاوض والتعايش السلمي على اساس المفاهيم الصعبة

ومستخدمين لغة الحوار والمحبة .ويمكن ازالة العقبات عن طريق قوله تعالى (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) سورة البقرة: ٢٠٨)

اليات محاربه الفكر المتطرف يتم من خلال :-

من المعلوم ان المجتمع العربي والاسلامي في الوقت الحاضر يمر بمرحلة هي غزو فكري موجه وبشكل مدروس من قبل اعداء الاسلام وفي كافة المجالات الحياه ولاسيما الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية . ومن اجل اضعاف ابنائه ونشر الرذيلة بين افراده عن طريق الوسائل والتقنيات وفي مقدمتها ما يسمى بالعملة الثقافية وباستخدام والوسائط المتعددة المرتبطة بالوسائل الاتصالات بمفاهيم اجتماعيه وثقافيه وسياسيه

اولا:- الحوار البناء :-ويعرف بعده تعاريف :-

(أ) - هو عملية تواصل تسير بين اتجاهين احدهما للأخر لأجل الوصول الى اتخاذ القرار المناسب

(ب) -بانه الوسيلة التي يستخدمها الناس سواء على مستوى الفرد او المجموعة لأجل خلق تفاعل ايجابي بين الاطراف المختلفة في القضايا السياسية - الاجتماعية - الثقافية - الدينية والذي يساهم في خلق قواسم مشتركة للأطراف لأجل الوصل الى اتخاذ القرارات الصائبة

وبذلك ان الاسلام حث على الحوار عن طريق الدعوة والارشاد والتوجيه والتزكية والتعليم ، لذا امر الله سبحانه وتعالى النبي والمؤمنون الى ان يؤدّون حق الامه في التبليغ وقوله تعال (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (المائدة: ٦٧)

اهمية الحوار البناء في حياتنا اليومية :-

ولعل اهم الحقائق هي (حقيقته التعددية والتنوع في الوجود) وهي قاعدة تكوينيه شاملة وناموس رباني ثابت ولأيمكن في كل الاحوال الغائها ، وقوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير سورة {الحجرات: ١٣}) وقوله تعالى (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) سورة {الروم: ٢٢} ان هذا التنوع والتعددية في الوجود يحتاج بين الانسان والانسان الاخر وبين المجتمع والاخر استخدام وسيله فيها نسق مشترك يجمع بين الناس في ضوء الاختلافات والتنوع ، لذلك وجدت البشرية ان طريقة الحوار وهي النافذة الأساسية لصناعه الحياة المشتركة لأجل بناء حياة اجتماعيه سوية على هذه الارض

وبناء على ما تقدم ، ان طريقة الحوار لا يلغي الطرف الاخر وانما تجسيد مساحة مشتركة في بلورة مفهوم او معلومات بتشاطر الاطراف فيها عن طريقه المحاوره ، وعليه ان طريقه الحوار اصبحت فكر، ثقافه ، تحترم الفروق والتنوع لأنها تقوم على تبادل الافكار بطريقة علميه وموضوعيه يتوصل خلالها الى نتيجة مشتركة ، (الزبيدي : ٢٠١٠)

- اهمية الحوار :-

- انقاذ المجتمع من امراض (الظلم والاستبداد وسيطرة المادية المتوحشة) لأبناء مستقبل بعيد عن الانحدار الاخلاقي
- خلق قواسم مشتركه بين الاطراف المحاور سواء على مستوى الافراد او الجماعات وفق المذاهب والفرق القومية الخ

• دعم قيم السلام والوئام والتنمية في المجتمعات الإنسانية وفي ضوء ثقافته العصر لقائمه على الديمقراطية

• تجذير سلوك لدى الطالب الجامعي في ضوء الفضاء الجامعي والعمليات التربوية

• اكساب الفرد مهارات الحوار (اتقان الحديث ، الاستماع ، الكتابة والتلخيص ، العلاقات الإنسانية

• ان للحوار قيمه اختلاقيه تدفع الشخص الى استخدام (العقل + المنطق) لخلق الموعظة الحسنه

• ان استخدام طريقة الحوار يؤدي الى خلق المبادرات الإيجابية لحل مشكله ما

• اكتشاف الحقيقة والتعرف عليها ومن ثم بلورة الفكرة والمضمون وبذلك يقال إن الحكمة من الحوار هي ضالة المؤمن

انواع الحوار :-

١- الحوار الديني ، (لقد تعدد النظريات والتطورات التي تعمل على صيانه رؤية ومنظومه مفاهيميه في فهم طبيعة العلاقة بين الاديان السماوية (اليهودية ، المسيحية ، الإسلامية) لإيجاد قواسم مشتركة خصوصا ونحن نعيش حياة التقدم العلمي والتطور المعلوماتي والتكنولوجي ، وبذلك فنحن نحتاج الى صياغه رؤيه جديدة لهذه العلاقات الدينية المتأخية ، وهذا لا يتم من خلال الحوار والتسامح والتعايش الديني ضمن المجتمع الواحد

٢- الحوار الاسلامي (من المعلوم ، ان الاسلام اعتمد منذ او وهلة بالحوار بين الاديان ، فهو يعترف بالأخر وينمي القواسم المشتركة بين الانسان والانسان الاخر ، وخير دليل على ذلك القران الكريم وهو كتاب الحوار والدعوة والتسامح والحرية ، فقد

حاور الشرك ، وحاور المشركين ، كما حاور الملائكة ، والدعوة الى التوحيد والايمان وكذلك دعا نبيه الكريم الخاتم على ذلك

(سماحه السيد حسين محمد فضل الله (محمد حسين: ١٩٩٥)

ثانيا:- تعزيز ثقافه التسامح :-

ثقافه التسامح :-

من المعلوم ، ان ثقافه التسامح هي الفضيلة التي سار عليها السلام ، وساهم في نشر ثقافه التسامح، فالتسامح لا يعني المساواة او التنازل او التساهل بل هو اتخاذ موقف ايجابي بحق الاخرين ، فهو يحقق احترام حقوق الانسان وحرياته من جهة وكذلك لا يقبل بالظلم الاجتماعي او التخلي الفرد عن معتقداته او انتهاك حرياته ..الخ مفهوم التسامح :-

أ- يعرف اعلان الامم المتحدة التسامح ، عام ١٩٩٥) (ان التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا لأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا ، وتعزيز التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد (اعلان الامم المتحدة مبادئ التسامح: ١٩٩٥)

ب- تعرفه ثقافه التسامح تعني عدم الممانع والواعية من قبل الفرد تجاه المعتقدات وسلوك الجماعات وعدم التدخل فيها سواء اكانت هذه المعتقدات ((دينية، سياسية ، اخلاقية))

لذا فان ثقافه التسامح تمثل القيم والمعتقدات والمعايير والرموز الأيديولوجية ، فهي تنشأ في ظل التعايش السلمي للمجتمع ثقافه التسامح :-

ان التسامح الديني:- ان الاختلاف بين البشر طبيعي ، فلكل منهم عقيدته ، ونظامه ، ودينه ، وطرز حياته ونمط عيشه ، ووجهة نظر ، ، و لذلك نقول من الصعب ان يجمع البشر قاطبة على رأي واحدة ، وعقيدة واحدة ، ودين واحد ، . وفقد اشارة تبارك (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين سورة اية { ١١٨ } لذلك فان الاسلام يقر بوجود اختلاف وتباين بين البشر في عقائدهم وافكارهم واديانهم ، وبذلك طالب الله سبحانه وتعالى المؤمنين بقوله تعالى (وما أكنز الناس ولو حرصت بمؤمنين سورة (يوسف اية : ١٠٣)

ان الاختلاف في الرأي والاجناس واللغات والعقائد هل يكون جدير للنزاع بين الشعوب والامم ، وبذلك يرى الاسلام (الحوار والتسامح الديني) هو الاساس والطريق الذي يمكن مواجهة التطرف والغلو وبناء على ما تقدم ، يرى الاسلام ان التسامح في الاعتدال والوسطية ، فالإسلام هو دين الرحمة والخير للناس اجمعين وقوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا سورة {البقرة ، ايه ١٤٣} ، (الحوامد : ٢٠٠٧) وظائف ثقافه التسامح :-

- بناء القيم :- اي بناء القيم السلمية وفق معايير العقلانية والعدالة والانسانية
- التفاعل والاتصال :- اي تتفاعل مع الحياة بكل مفاصلها لمواجهة التغييرات والمستجدات
- النضج :- اي لا تتوقف عند الماضي والحاضر وانما تتصدى الى المستقبل بما ينفعها

- توظيف المعلومة :- اي تطبيق مفاهيم التعايش ، التنوع ، ومفردات ثقافيه فاعله تحقق حالة التغيير
- معالجة المشكلات : اي تساهم في مواجهة المتغيرات وحالات الاصطدام الحضاري ، الاجتماعي ، السياسي ، التربوي ، الاقتصادي ، الفكري
- الانفتاح والاستفادة : اي تستفيد من الفكر والجهد الانساني اي كان بعد التأكد من القيم التي يحتويها
- البناء :- اي نؤمن بالنبأ والنمو ومنع حالات التخريب او التدمير او استغلال الضعفاء
- تشكيل الوعي :- اي تركز على الوعي وحرية وتقدير كل افراد المجتمع المتنوع
- التجديد والابداع :- اي توفير الابداع والتجديد وتشجع على الابداع والتمسك بالقيم والمبادئ السليمة مستفيدة من العلوم الاخرى
(الجبوري: ٢٠١٤)

ثالثا:- التعايش السلمي :-

من المعلوم ان التعايش السلمي . وهو ان يعيش الفرد والمجتمع بسلام وفق توجهاتهم ((الدينية ، القومية ، العرقية ، المذهبية بعيدا عن التطرف الفكري والارهاب بكل اشكاله

مبررات التعايش السلمي :-

ان البشر يختلفون في اطباعه الشخصية وتوجهاتهم (الدينية ، القومية ، العرقية ، المذهبية ، كيف يمكن ان يستطيعوا ان يعيشوا بعضهم لبعض ، وجدت المنظمات

العالمية ومنها منظمة المتحدة ان افضل وسيلة للتعايش السلمي هو نشر ثقافه التسامح ، وذلك لا جل خلق سلوك انساني متسامح ومتعايش على مستوى دول العالم ، وبذلك عقدة عدة مؤتمرات بهذا الشأن ومنها المؤتمر العالمي عام ١٩٩٥ لو رجعنا الى تاريخنا العربي والاسلامي نجد ان الدين الاسلامي اكد على التسامح والتعيش ، السلمي مع كافة الطوائف والاقليات الدينية والعرقية ، حيث اشار القران الكريم الى (العدل ، المساواة ، الاحسان مع الفرد ومع المجتمع) وهي كثيرة ومنها لا الحصر

• (ولقد كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا سورة الاسراء اية {٧٠})

• (إِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا سورة النساء اية {٥٨})

• (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ سورة النحل ، اية {٩٠})

• (تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ سورة المائدة :- {٢})

• (رفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير سورة المجادلة اية: {١١})

وبناء على ما تقدم ، الفكر الاسلامي فكر غير متطرف تجاه (التعايش السلمي ، للأفراد وانباء المجتمع ، فهو يؤمن بالحقوق والحريات والمعتقد والعلم والحكمة ... الخ

اهمية التعايش السلمي

ان الدول المتقدمة اهتمت بمفهوم التعايش السلمي ، لأنه يؤمن بالهويات المختلفة لأبناء الشعب وبهذا يبعد الصراع الفكري والمذهبي

١- ادامة العلاقات بين افراد المجتمع وكذلك مع الدول الاخرى كان تكون مجاوره
مثلا

٢- ان الدين الاسلامي يؤمن بالتعايش السلمي وجعله مبدا من مبادئ الحضارة الإسلامية بدليل استطاع العرب والمسلمين ان يعيشون في هذه الدولة التي فتحوها ونشروا الدين الاسلامي
مبادئ التعايش السلمي والتسامح :-

١- ان سلوك التعايش السلمي هي نفس سلوك التعايش السلمي ، فالتسامح يعني عدم الممانعة الواعية من قبل الفرد تجاه الفرد الاخر بالمعتقدات (الدينية ، السياسية ، الاخلاقية) ، فهو سلوك يحترم ويقدر التنوع الثقافي ،
٢- ان سلوك التعايش السلمي بانه يؤمن بحرية الفكر والضمير وكذلك التسامح يؤمن بالفكر والضمير

موضوعات التسامح - (موضوعات التسامح) وتشمل :-

- لدين - التسامح - التعايش السلمي
- لفن والاعلام :- التسامح - التعايش السلمي
- الاخلاق - التسامح - التعايش السلمي
- السياسية - التسامح - التعايش السلمي
- التاريخ - التسامح - التعايش السلمي
- التربية والتعليم - التسامح - التعايش السلمي

خلاصة :- لذلك نقول ان (التسامح والتعايش) يحقق عملية الاعتراف بالهويات المتنوعة سواء الدينية ، المذهبية - العرقية ، القبلية ، ومن هنا اهتمت دول العالم بنشر ثقافه التسامح والتعيش السلمي في مناهجها التربوية ، لغرض بناء الوحدة الوطنية والمواطنة والوطن والانتماء والولاء واعتزاز الطلبة بهذه الهوية ، ومن الدول التي شهدت صراعات على الهوية دفعت ذلك دماء كما حدث في البوسنة والهرسك وصربيا ، وباستعمال مناهج تربوية استطاعت ان تنشر ثقافه التسامح والتعيش السلمي المبني على الحوار لتجاوز هذه الصراعات

اليات دور المرجعية الدينية في بناء الانسان والمجتمع معا :-
يمكن ان تساهم المرجعية في بناء الإنسان المجتمع من خلال :-

١- المنبر :- يعتبر المنبر افضل وسيله فعاله في التوعية الشعبية لتكوين الراي العام .
وراسله عالميه لنشر * المعلومات والمفاهيم والقيم والاتجاهات ولاسيما القيم والمثل التي يرغب فيها المجتمع او المخالفة للمجتمع والفرد)

وفي ضوء ما تقدم ان المنبر يتناول قضايا محليه واقليميه وعالميه وصياغه الوعي لاجتماعي وفق منظومه القيم والاخلاق السامية . فهو يساعد على اتخاذ المواقف الجماهيرية لتعبئه الراي العام

وعليه فقد يتخذ المنبر يؤكد على دعوة او عرض بعض الحقائق لشرح مفاهيم او قيم مثل (الحرية . العدل . التضحية ... الخ) عبر خطاب تبليغي ذو تأثير معنوي على الوجدان والعاطفة ومن اذكاء الغضب ضد الظلم والطغيان والفساد . وبث الروح والوعي والحماس للجماهير

وتأسيسيا على ما تقدم اتخذ الرسول الاعظم محمد * (ص) المنبر في صدر الاسلام ليؤدي خطبه يوضح فيها تعامل عامه او شرح آيات قرانيه نزلت او ليلهم العباد

الفرائض . وكذلك مخاطبه الرجال والنساء وقاده الجيش او المبايعه وعندما بايع الرسول محمد (ص) الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) برفع يدا الامام علي وهتف في تلك الحشود قائلاً (من كنت مولاه فهذا علي مولاه ثم قالها اربع مرات) اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار الا فليبلغ الشهد الغائب)

٢- الدعاء :- من الواضح ان الدعاء هو المدرسة التي يتعلم فيها العباد الكثير من الفضائل ويتخلقون بأخلاق الله سبحانه وتعالى . فمن من خلالها تتم تعلم المؤمن دروس المساواة والعدل . اذ يفتح الله سبحانه وتعالى الباب للجميه دون استثناء الصغير والكبير والغني والفقير وشريف والوضيع . اي يفتح الله سبحانه وتعالى الخط مع الله سبحانه وتعالى في ساعه يشاء ومن اي مكان يريد ان يتحدث منه وبناء على ما تقدم ان الدعاء يحرر الانسان من كل اصنام التبعية حتى لنفسه او عائلته او عشيرته . ويجعله ينتمي الى الله سبحانه وتعالى . فالله هدفه . وهو رجاء ومحط امله . ولان العبودية لله هي طريق الحرية . والله سبحانه وتعالى يستجيب الدعاء وعن الامام الباقر (عليه السلام) (لا تحقروا صغيراً من حوائجكم . فان احب المؤمنين الى الله تعالى اعالهم)

(سماحه السيد حسين محمد علي فضل الله ويسلونك عن الدين والحياء سلسله موضوعات فقهيه واجتماعيه وتربويه وأخلاقية .. المركز الاسلامي الثقافي . مجمع الامامين الحسينين . لبنان ٢٠١٨)

٣- الوصية :- من المعلوم ان الوصية حظيت في الاسلام بأهمية خاصه . وهي تعد منهجا حيكما سار عليه عظماء الدين . فهذا رسول الله (ص) قد اوصى الى اهل

البيت واصحابه بدوا من امير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) ومرورا بسلمان الفارسي وابي ذر وعمار بن مسعود

وفي ضوء ما تقدم ان الوصية هي تذكير ليس الا موعظة تتسم بانها شاهد وحكمه وحسن تقدير . وبذلك فهي نفحة من نفحات الايمان وعصاره الفكر توضح معالم الطريق والهدايا

وبناء على ما تقدم قام المرجع الديني الاعلى سماحه ايه الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) بعده توصيات ومنها (قراءة القرآن . ومنهج البلاغة . العمق في الصحيفة السجادية . والايمان بالله تعالى وحسن الخلق . واتقان المهنة والالتزام بمكارم الاخلاق . موجه للشباب المسلم والطفل والمرآه وكافه شرائح المجتمع

(تراث سامراء نصائح حماسه للشباب)

٤- الخطبة: وهي كلام منشور يمتاز بوجود العاطفة ورجاحة العقل وسمو المعاني . وحسن السبك . وروعه البيان . وصدق اللهجة . وعمق التأثير وجمال النطق . وقوة الحجج . يتوجه بها المتكلم الى الجمهور المستمع لأجل اقناعهم او استمالتهم اليه خطبه الجمعة :- وهي الخطبة التي تلقى كل يوم جمعه عند الزوال ، وتهدف عدد من الجمهور وتمثل عاملا اتصالا اعلاميا ورافدا معرفيا وثقافيا من خلال التوجيه والارشاد والتذكير بما انزل الله سبحانه وتعالى من استحقاقات دينيه و دنيوية للناس عامه وفقا لرؤيه شامله للأحداث الماضي والحاضر والمستقبل

وفي ضوء ما تقدم داب ممثل المرجعية العليا كل اسبوع وقبل الصلاة يوم الجمعة التحدث بالشأن العام والتحليل الواسع السياسي والخدمي والسلوك العام السياسي

٥:- الفتاوي :- من المعلوم ان الفتوى تنطلق من قبل المرجع الاعلى كالجهد الكفائي من قبل سماحه المرجع الاعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) في حزيران عام ٢٠١٤ والذي تمخض عن تأسيس الحشد الشعبي المقدس ذي الطاقة الشعبية التعبوي لمواجهة الخطر للأفكار الصادرة من التنظيمات الإرهابية المتمثلة بداعش ومن يدعمهم من العرب والاجانب . ولأجل التنوير والوحدة والمقاومة لتحرير العراق .

٦- استعماله الفكر والعقل في بناء المجتمع يأتي من خلال وان الانسان اساس وجوده وتفكيره وهو (العقل والتعقل) ولان المجتمع الالهي يصبوا نحو العلم والموضوعية وذلك استنادا الى قوله تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار} {١٩١} سورة ال عمران ١٩١/ ومن هنا ان القران الكريم جعل اساس العلاقة بين (الانسان والله سبحانه وتعالى) هو التفكير والتعقل (لان العقل هو المميز للإنسان وبه فضل الله سبحانه وتعالى . فالإنسان يختلف عن سائر المخلوقات بعقله وتفكير ولغته . وبذلك حملة الله سبحانه وتعالى (الأمانة الإلهية للخلافة الربانية) في الارض وبه يقاس الثواب والعقاب

وفي ضوء ما تقدم اعطت الشريعة الإسلامية اهمية للعقل وحملتة المسؤولية الكبيرة ولاسيما العلماء . استنادا الى قوله تعالى (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} {٢٨} سورة فاطر ٢٨/

وتأسيسا على ما تقدم . ان الامه الغافلة . وهي الامه البعيدة عن الله . والمنكرة لربها . وهي الامه التي تخدم الشيطان والشیطان يخدمها التي تجمع المال من حرام

وتغش وتكذب انها امه لا تستخدم عقلها استعمالا سليما ولا تفكر الا بالدنيا

وتنسى الآخرة وبذلك فهي في حاله عدم توازن بين (الدنيا والآخرة)

(سماحه السيد حسين الصدر) دام ظله (مجتمع التعقل والتفكري سلسله من

محاضرات العدد ٥١ /

الاستنتاجات والتوصيات المقترحات

اولا:- الاستنتاجات

١- ان الفكر المتطرف اصبح من القضايا ذات الابعاد الاجتماعية والسياسية

والأمنية في العراق والعالم ولا بد من دراسة هذه الظاهرة والوقوف عندها بدراسة

علمية وموضوعية لتشخيصها ومعرفة أسبابها ومن ثم طرق علاجها

٢- يمكن تحجيم هذه الظاهرة عن طريق تعزيز الوسطية والاعتدال وذلك بتعميق

الهوية الوطنية وترسيخ الانتماء والولاء للوطن وبذلك تصبح مسؤولية رجال التربية

والتعليم وعلم النفس والاجتماع

٣- ان من اسباب الفكر المتطرف في العراق يعود الى عدة عوامل واسباب وهي (

الجهل ، البطالة ، الاعلام المضاد ، الفساد الاداري وغياب العدالة ، والترف والتفسخ ،

وغياب الدولة عن مراقبه الافكار الوافدة)

٤- ان للمرجعية الدينية يمكن ان تساهم في بناء الانسان لمحاربة الفكر المتطرف

من خلال الحوار وثقافته التسامح والتعايش السلمي

ثانيا :-: التوصيات والمقترحات

• - ضرورة ادخال مفردات مثل المفاهيم الحوار وثقافته التسامح والتعايش السلمي في

قنوات التربية والتعليم وبعض المؤسسات الاخرى والتأكيد على دور المرجعية في

بناء الانسان الذي يخدم وطنه

- ضرورة الاهتمام بالبرامج التربوية في محاربة الفكر المتطرف والإهاب لمكافحة الارهاب اصبحت ضرورية ومن اولويات الدول التي تريد العيش بسلام ، لذلك جاء هذا الدراسة ثمرة لنشر ثقافه الحوار والتسامح والتعايش السلمي ، اضافه الى ذلك دور المؤسسات التنموية التي ترتبط بالشباب والتنمية وخير ما فعلت المؤسسة الدولية للشباب والبيئة والتنمية في تعزيز ثقافه الحوار والتسامح والتعايش بموضوع المؤتمر ولاسيما المناهج الدراسية، وذلك بتسليط الضوء على ماهية الفكر المتطرف وكيف يمكن محاربته من جذوره لدى شريحة الشباب مستقبل
- ضرورة عقد ندوات ومؤتمرات تتضمن دور المرجعيات الدينية في تعزيز ثقافه التسامح والتعايش السلمي والحوار في تعزيز قيم الحوار الحضاري وفي كافه موضوعات لنبد التطرف الفكري والتأكيد على الحوار الحضاري
- ضرورة بناء الانسان والمجتمع وفق روى المرجعيات الدينية من خلال قنوات الاتصالات واستيعاب مفاهيم الحوار والتسامح والتعايش السلمي وهذا ما كدت عليه الامم المتحدة ومؤتمراتها في نشر ثقافه التسامح والحوار والتعايش في المصادر العربية والاجنبية
- القران الكريم :
- ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت ١٩٩٧
- التميمي ، ليث حمودي ابراهيم ، دور المناهج التربوية في مواجهة الفكر المتطرف ، بحث مقدم الى المؤتمر الدولي لوزارة التعليم العالي والبحث العمي في ٢٠١٤/٤/١
- الجمعية العامة للأمم المتحدة ، اعلان مبادئ التسامح في ٢٥/اكتوبر/١٩٩٥
- الجبوري ، عيلان ، صناعة ثقافه التعايش في المجتمع العراقي ، بغداد ٢٠١٣

• الحوامدة ، محمد فؤاد وزيد سليمان العدوان ، دور المناهج التربوية في محاربة الارهاب من خلال ثقافته التسامح ، بحث مقدم الى المؤتمر الدولي للإرهاب الرقمي ، الاردن ٢٠٠٧

• الدليمي ، عباس فاضل ، الارهاب والتطرف الفكري واغلفه المستقبلية ، مجلة جامعه ديالى العدد (٧٦)

• الزبيدي ، صباح حسن عبد ، تعميم الحوار الناجح لدى الشباب كأسلوب في توجيه الشبا واصلاحهم نحو التقدم الحضاري الانساني ، بحث مقدم الى الحلقة النقاشية لوزارة الشباب والرياضة ، بغداد ٢٠١٠

• سماحه السيد محمد حسين فضل الله ، دنيا الشباب ، حوارات ، لبنان ١٩٩٥

• سماحه السيد حسين الصدر (دام ظله) الانسان الخليفة . بلا

• سماحه السيد حسين الصدر (دام ظله) مجتمع التعقل والتفكير . سلسلة من محاضرات العدد (٥١)

• سماحه السيد حسين الصدر (دام ظله) القدرة الإلهية للامه . العدد (٤٩)

• سماحه السيد علي فضل الله (ويسلونك عن الدين والحياء) سله موضوعات فلسفيه واجتماعيه وتربويه وأخلاقية . المركز الاسلامي الثقافي . مجمع الاماميين الحسين . لبنان ٢٠١٨

• القضاة ، محمد على التربية الوقائية في عصر الارهاب ، جامعه اليرموك ، الاردن ٢٠٠٧

• قمر . عصام توفيق . الأنشطة المدرسية والوعي البيئي الاطر النظرية . الادوار

الوظيفية . التجارب الدولية . دار السحاب للنشر والتوزيع . القاهرة ٢٠٠٥

- كراس - تراث سامراء . نصائح حماسيه للشباب
- مفهوم المرجعية في علم المصطلح . منشور يوم ٢٥/٣/٢٠١١ الشبكة العنكبوتية
- النوره جي ، احمد خورشيد (١٩٩٠) مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد
- يونسكو ، تقرير عن الشباب ، النشرة العلمية العدد (٩) ، ١٩٩٧

The role of the religious authority in fighting extremist ideology through dialogue and promoting the culture of tolerance and peaceful coexistence in Iraqi society. Future Study

E-mail: sabah_hassan@yahoo.com

Sabah Hassan Abdul Zubaidi

University of Babylon / College of Education for Human Sciences

It is known that the various human phenomena (conflict, closure, conflict, silencing of freedoms, coercion, marginalization, exclusion, and intellectual extremism) require a deep reading and awareness of the factors and reasons, and finding appropriate ways to overcome them.

Therefore, we say that Islam has emphasized the study of these subjects in a comprehensive scientific and objective study by establishing a culture of tolerance and peaceful coexistence in the

cultural, social, religious, scientific and objective dialogue and in order to dismantle these phenomena.

In the light of the foregoing, permanent conflicts and tendencies do not arise in a vacuum, but rather create the inability to establish common denominators that bring people together in the arena of agreement. The conflict between man and the other person or group with another group according to culture.

What is witnessed by our Arab and Islamic reality from serious events and developments that are suffering from the scourge of intolerance, misunderstanding, tyranny, violence and extremism? Is the rational authority a role in fighting extremist ideology?

The current research will shed light on extremist ideology in terms of roots, motives and reasons. As well as the role of the reference in the dissemination of the culture of dialogue in all its forms, especially the dissemination and promotion of the concepts of tolerance and peaceful coexistence of society to build a believer and aware of his responsibilities in the future

دور المرجعية الدينية العليا في تاصيل روح التسامح والوحدة

في المجتمع العراقي بعد التغيير (قراءة تاريخية - سياسية)

أ.د. سرحان غلام حسين

الجامعة المستنصرية / قسم الدراسات التاريخية

المقدمة :

لعبت المرجعيات الدينية العليا في العراق دوراً رئيسياً في العملية السياسية الجارية في البلاد ، عندما اشرفت على تأسيس لمرتكزاتها ، وواكبت تحولاتها ، ورعت مسيرتها من قريب او بعيد ، وكان لمواقفها الاثر البالغ في السعي لانجاز الاستقلال والسيادة، والعمل على انتهاء الاحتلال الامريكي ، واعادة تاهيل بناء الدولة ومؤسساتها ، على اساس الالتزام بالقانون ، ومبادئ العدالة والمساواة واحترام الاخر ، وتفعيل المشاركة الشعبية في القرار الوطني عبر التمثيل النيابي .

في الوقت نفسه ، وعلى الرغم من عديد الدراسات العلمية والاكاديمية التي تناولت تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ان هناك ضرورة الى التعمق في دراسة مواقف ودور واتجاهات المرجعية الدينية في العراق حيال التطورات والاحداث السياسية وبشكل خاص مرحلة ما بعد التغيير في ٢٠٠٣/٤/٩ ، مدى قوة تأثيرها في توجيه الراي العام . ان الخوض في موضوعات كهذه لا تخلو من عقبات من حيث عمق الدور الوطني والروحي للمرجعية في رفض الاحتلال ، وما لها من مكانة دينية في مجتمع بقى عقوداً طويلة متأثراً بالمرجعية الدينية. ولما حظيت به في مختلف مراحل نشاطها من دور توجيهي مميز روحياً وفكرياً وسياسياً على اتباعها وعموم المسلمين ، اذ كانت صاحبة القرار المؤثر في مختلف القضايا المصيرية الكبرى التي تعرض لها العراق ، كما ان المكانة التي تشغلها المرجعية ، فرضت نفسها على الواقع الحياة

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بكل قوة في الظروف غير الاعتيادية للبلاد ، فراحت الحكومات العراقية عبر مراحلها تتعامل معها بحسابات دقيقة. اذ تحاشت الاصطدام معها قدر الامكان خوفا من تعرضها لغضب شعبي من فئات المجتمع المختلفة ، رغم ان بعضا من هذه السلطات كانت تعمل على اضعافها وتقليص دورها الشرعي في الافتاء والارشاد ، فالحكومات تنظر الى المرجعية على انها سلطة ذات نفوذ على المسلمين اكثر من نفوذها الرسمي عليهم ، بل ان سلطة الحكومة قد تتعطل اذا ما تعارضت مع موقف المرجعية.

وبناء على ذلك ، وبالتوافق من الناحية المنهجية مع العنوان انتظمت الدراسة في مقدمة وثلاثة محاور شمل المحور الاول : الاطار المفاهيمي والمصطلحات ذات الصلة بالدراسة ، و جاء في المحور الثاني : دور المرجعية الدينية بعد التغيير ، ودورها في المجتمع ، واخيرا ركز المحور الثالث من الدراسة : دور المرجعية الدينية بعد التغيير في تاصيل التعايش والوحدة الوطنية ، وتعزيز السلم الاهلي ، فضلا عن الخاتمة والملاحق ومصادر الدراسة ومراجعها .

المحور الاول :

الاطار النظري والمفاهيمي

ان مفهوم المرجعية كمؤسسة دينية قد تكون لها نفس الاسس والمعايير التي تميز المؤسسات الاخرى لكنها تضطلع بمهمة خاصة بها لا تؤديها غيرها من هذه المؤسسات . لذا من الممكن الإفادة منها لتوضيح معنى المؤسسة ومن ثم الاستدلال على المعنى المؤسسي للمرجعية الدينية.

فمن حيث الاصطلاح تعني المؤسسة وجود فكرة أو عقيدة بجانب بنية أو جهاز لتطبيق هذه الفكرة ، وقد عرف قاموس (letaro) الفرنسي المؤسسة بأنها: "كل ما

يبتدعه أو يقيمه الإنسان وذلك بمقابل ما هو موجود في الطبيعة ، فالمؤسسة بصورة عامة هي تركيبة يبتدعها الإنسان بالتعاون مع الأفراد الآخرين في المجتمع، فالحب مثلاً هو ظاهرة طبيعية إما الزواج فهو مؤسسة اجتماعية ومن ثم فإنها من نتاج الحياة الاجتماعية ويشتمل مفهوم المؤسسة على كل التنظيمات القائمة في المجتمع كالزواج والعائلة الملكية والمشروع الاقتصادي والهيئات الدينية، كما يشمل في الوقت نفسه كل المؤسسات القانونية والسياسية أيضاً . أما جاك وولف J.woolfe فيرى في المؤسسة " تركيب مكون من أفكار وأنماط في السلوك وأنماط من الروابط بين الناس وفي أغلب الأحيان من عدة مادية، وكل ذلك منظم حول مراكز معترف بها اجتماعياً ومن ثم فإن كل مؤسسة تشتمل على عناصر بنيانية قائمة على ركائز محددة" (١)

فالمؤسسة إذن هي طراز مستمر في السلوك الاجتماعي أو طريقة ثابتة للسلوك الجماعي فالحياة المشتركة في المجتمع عليهم إن يطوروا قيماً أو طرقاً مقبولة لتحقيق أهداف مشتركة، والمؤسسة هي مجموعة علاقات اجتماعية منظمة لاحتواء وتنظيم جهود الأفراد من أجل تحقيق الأهداف المشتركة" (٢)

وبطبيعة الحال لا يمكن إن نتصور وجود مؤسسات معينة من دون أداء دور أو خدمة معينة، وسط البيئة التي تمارس فيها هذه المؤسسة نشاطها مستمدة بقائها وديمومتها من خدماتها التي تقدمها للمجتمع الذي تتعايش معه. إذ لو كانت هذه المؤسسة بعيدة عن ثقافة البيئة الحاضنة لها فلن تجد هذه المؤسسة فرصة البقاء . لمدة طويلة في مجتمع ، حيث " يوجد ترابط وثيق الصلة ما بين المؤسسات من جهة وبين العقائد السائدة في المجتمع من جهة أخرى ، لان المؤسسات تنشأ في وسط اجتماعي وحضاري معين ولا يمكن إن تقدم بوظائفها على الوجه الإتم إلا إذا تماشت مع عقلية الأفراد

والجماعات الذين يعيشون في هذا الوسط^(٣). وبذلك فإن نمو المؤسسات وتطورها مرهون بمدى القبول الذي تحوز عليه في أوساط المجتمع وعندما تحوز هذا القبول تبدأ مرحلة أخرى إلا وهي التأثير في هذا الوسط المجتمعي والارتقاء به. مما تقدم يمكننا إن نعتبر المرجعية الدينية مؤسسة دينية اجتماعية وذلك لتوفر العوامل التي يستند إليها مفهوم المؤسسات داخل هذه المؤسسة. فتوفر العقيدة والفكرة إضافة إلى الجهاز المسئول عن تطبيقها نراه جليا عند النظر إلى تركيبة المرجعية الدينية وأسلوب العمل المتبع في إرشاد وتوجيه الإلتباع المنضوين تحت خيمة هذه المرجعية. ومن الجدير بالذكر أن التزام الفرد لتوجهات المرجعية الدينية متأني من اعتقاده أنها تمثل الامتداد لخلافة الرسول(ص) وفكرة الامامة. وقد تحول عنصر لايمان بهذه الرسالة و الخوف من العقاب الإلهي إلى وازع داخلي لدى الفرد فاخذ يحترم مشيئتها مادامت تعبر في نظره عن القيم والمعتقدات التي يتمسك هو بها، إما إذا لم تعد تنسجم مع تفكيره فانه لن يخضع الا مرغما. وقد اطلق بعض فقهاء الشيعة صفة المؤسسة على المرجعية الدينية ذلك انهم يرون ان المرجعية الدينية يجب ان تكون مؤسسة لكي يمكنها التحرك بحرية داخل البيئة المجتمعية التي تعيش فيها. حيث يرى السيد محمد حسين فضل الله "رحمه الله" :

"إن المرجعية الإسلامية الشيعية في الفكر الشيعي المؤسساتي تمتد إلى أفاق واسعة جدا في الفكر الشيعي فالمرجع هو نائب الإمام ووجوده يسد فراغ الإمام في مختلف الجوانب الروحية والفكرية والسياسية والاجتماعية بحيث لا يعيش الناس فراغ القيادة في جانب من الجوانب سواء كان ذلك في دائرة القضايا التي تتحرك في داخل الوضع الإسلامي العام أو في القضايا العالمية المرتبطة بالوضع الإسلامي، لذا فمن الطبيعي إن لا يكون المرجع مرجعا في الفتوى فقط أو مرجعا في القضايا التي تعيش الحقوق الشرعية وأمور القاصرين وما إلى ذلك مما اعتاد الفقهاء إن يتحدثوا عنه

كموقع للمجتهد أو كموقع للمرجع أو مسألة القضاء التي يعتبرها الفقهاء من صلاحيات^(٤). والحق ، ان الاساس العقائدي والفهمي الذي ساقه السيد فضلالله (طيب الله ثراه) والذي تتكأ عليه المرجعية ، هو ما دفع المستشرق الفرنسي المعروف ، واستاذ الفلسفة في جامعة سوربون بفرنسا ، هنري كربين H. Karpine الى القول : اعتقد ان المذهب الشيعي هو المذهب الوحيد الذي حافظ على علاقة الهداية الالهية بين الخالق والمخلوق الى الابد . فقد جعل الولاية مستمرة متصلة حية . فالدين اليهودي ختم النبوة التي هي علاقة واقعية بين الله والعالم الانساني في النبي موسى عليه السلام ، وانكر نبوة المسيح ومحمد بعد ذلك . كذلك توقف المسيحيون عند المسيح ايضا ، وتوقف اهل السنة والجماعة عند النبي محمد ايضا ، واعتقدوا ان علاقة الخالق بمخلوقه قد انتهت بخاتمته . أما المذهب الشيعي فهو المذهب الوحيد الذي يؤمن بان النبوة ختمت بنبوة النبي محمد ، غير انه اعتقد ان الولاية التي هي علاقة الهداية المكملة مستمرة حية بد النبي والى الابد^(٥). وفي هذا المجال فلا مانع أبدا في ان يكون للمرجع معاونون يختارهم، ولكن على ان لا يكونوا هم كل المؤسسة، بل ان يكونوا معاونين الذين ينسجم معهم في دائرة المؤسسة، وفي إطار المؤسسة^(٦) وذلك للابتعاد عن إضفاء الطابع الشخصي على مؤسسة المرجعية الدينية. إن من يتتبع التطور التاريخي للمرجعية الدينية يلحظ التأثير الواضح الذي تمارسه هذه المرجعيات على إتباعها هذا التأثير وبلا شك متأة من قناعة ورضا هؤلاء الإتباع بشرعية سلطة المرجعية الدينية .

من هذا نستنتج بأن المرجعية تمثل سلطانا دينيا اجتماعيا سياسيا على الأفراد الذين يمنحوها الإمرة والقيادة لما لهم من ثقة ورضا بكل ما تتخذه من قرارات تخص الشأن

العام فتحصل المرجعية على الطاعة الايجابية وهذا يمنحها مشرعية الوجود والوظيفة هذا الوجود الذي يميزها كبنية لها وجود خاص بها.

لتحليل بنية المرجعية كبنية اجتماعية لابد من معرفة المكانة التي تحتلها هذه المرجعية وسط هذا المجتمع إذ لا يمكن النظر لهذه المرجعية بمعزل عن تكوينات أخرى. " وتقع الفكرة الموجهة في مدلول وحدة المجتمع وبتعبير أدق فإن المجتمع كلية إي مجموعة من العناصر المترابطة، في كل جوانب الحياة الاجتماعية الاساسية، وعلاقات العمل هي الوجوه المتنوعة لمجتمع واحد وهي لا تكون في ذاتها عوالم مغلقة منعزلة عن بعضها بعضاً" (٧)

إذن يمكن اعتبار المرجعية الدينية هي احد وجوه هذا المجتمع وهي ليست عالم منغلق على نفسه بل عالم يتأثرو ويؤثر في المجتمع كله ، وإن الذي يهم هو تحديد نوع البنية التي تمثلها المرجعية الدينية .

وعليه فإن مفهوم البنية هو من أكثر المفاهيم سعة في علم الاجتماع والانثربولوجيا والتي نجد تطبيقاتها على الوحدات الاجتماعية. أما من ناحية السكونية نسبيا هي كل مؤلف من ظواهر مترابطة بحيث تتعلق كل واحدة منها الاخرى (٨)

المحور الثاني :

دور المرجعية الدينية بعد التغيير

في المرحلة التي تلت تغيير النظام السياسي في العراق ظهر دور المرجعية الدينية والذي شكل الرقم الاكثر صعوبة ضمن المعادلة السياسية في البلاد وفي مقدمتهم السيد الله علي الحسيني السيستاني الى جانب المراجع الاخرى الكرام ، حيث بدا اكثر مرونة وقدرة على تفهم ممارسة اللعبة الديمقراطية في العراق ، عما هو عليه القوى السياسية ، فقد جمعت المرجعية بين قدرة الاعتراض ومرونة التوافق بحث اصبحت

الاحزاب السياسية التي دخلت في العملية السياسية تشعر بالحاجة الى عدم تجاوز المرجعية الدينية^(٩)

من جانب آخر، يعتقد العديد من المهتمين والمحللين السياسيين لسياسة للمرجعية الدينية في البلاد ومرجعية السيد علي الحسيني السيستاني بشكل خاص انه رغم ايمانه بعدم زج او انغماس رجال الدين في عالم السياسة، الا ان وضع العراق السياسي في هذه المرحلة الحرجة حيث التوتر والمخاض الصعب لمعاناة العراقيين ومشكلاتهم في ظل الاحتلال وانهياء مؤسسات الدولة العراقية بعد الحرب دفعت المرجعية للحماس نحو الرأي العام الرسمي والشعبي بما يطالب به عامة الناس ويستجيب لحاجة العراقيين الى من يقودهم بنزاهة ترفع عنهم الظلم وتكتسب الشرعية منهم .

ويكمن القول ان دور المرجعية الدينية في المدة التي تلت تغير النظام سار على اتجاهاين رئيسيين :

الاتجاه الاول : السيطرة وضبط الوضع العام في البلاد .

من الملاحظ بعد انهيار النظام في البلاد بوقت قليل كانت للمرجعية دور وراي في الساحة العراقية كمرشد وموجه بل في كثير من الاحيان ضابط لحركة الاحداث في الشارع، ولا سيما قيام عملية النهب والسلب وسرقة ممتلكات الدولة والمال العام، لاعداد كبيرة من الطبقات المحرومة والجائعة التي كانت ضحية المرحلة الدكتاتورية، مما اصاب الحياة العامة في البلاد بالشلل في ظل ادارة الاحتلال الامريكي، فكان الامر يتطلب تدخلا من جهة لازالت تحظى باحترام وتقديس من اغلبية الناس، وازاء هذا الوضع الخطير تدخلت المرجعية الدينية واصدرت فتوى حرمت فيها عمليات السرقة والتجاوز على المال العام وممتلكات الناس، كما دعت الى اعادة كل هذه المسروقات وتسليمها الى الجوامع والحسينيات ريثما تستتب

الايوضاع ويعاد تشكيل المؤسسات الحكومية ، وحث المجتمع على الحرص على المال العام وعدم التجاوز عليه^(١٠) .

كما اكدت المرجعية الرشيدة على العلاقة بين المذاهب الاسلامية وبين المسلمين والديانات الاخرى الموجودة في العراق ، فنتيجة للعمليات الارهابية التي اخذت طال حياة العراقيين والتي كانت تهدف الى بث الفرقة الطائفية بين ابناء البلد الواحد ، من خلال استهداف الرموز والاماكن المقدسة لكل طائفة في العراق ، كذلك رفضه مطالب بعض الاطراف بحمل السلاح للدفاع عن انفسهم ضد العمليات المسلحة حتى لا يسفر عن ذلك فتنة او يؤدي الى اقتتال يقود الى نزاع مذهبي ، هكذا كانت المرجعية الدينية احدى الضمانات الرئيسية للحيلولة دون اندلاع الحرب الطائفية خاصة بعد ٢٠٠٥^(١١) . كما اصدرت المرجعية ايضا بيانا بعد تصاعد اعمال العنف المتبادلة بين ابناء الوطن الواحد دعى فيه حرمة الدم العراقي واحترام دور الشرطة في المحافظة على القانون والنظام^(١٢) كما كانت للمرجعية دور في التخفيف من حالة التوتر والصدام بين قوات التحالف والتيار الصدري بزعامة السيد مقتدى الصدر في مدينة النجف الاشرف ، مما ادى الى محاصرة المدينة وحصول الصدام المسلح بشكل قاسي ادى الى شل حركة الحياة في المدينة وسقوط الكثير من الضحايا ، فضلا عن تدمير الكثير من المباني فيها . وازاء هذا الامرقام السيد السيستاني بقطع رحلته العلاجية في لندن والعودة الى النجف الاشرف وتدخله بحل الازمة ، وحصل الاتفاق حول الازمة مع السيد مقتدى الصدر^(١٣) .

من كل ذلك نخلص الى القول ان المرجعية الدينية مثل في هذه المرحلة التاريخية المهمة من تاريخ العراق تمثيلا رائدا من خلال السيد علي الحسيني السيستاني مع المراجع الاخرى في العراق ، حيث لعبت دورا مهما في ضبط حركة الاحداث في الشارع

السياسي العراقي رسميا وشعبيا وتهدة الاوضاع وتحريم العنف والدم العراقي والتي أثبتت انها فوق كل الميول والاتجاهات .

الاتجاه الثاني : موقف المرجعية من العملية السياسية

كانت للمرجعية رؤية واضحة وفلسفة خاصة بشأن تدخل رجال الدين في العمل السياسي ، وتلخصت هذه الرؤية ، بان الاسلام نظام شامل ومدرسة متكاملة تضع قواعد ومبادئ عامة للحياة من دون ان تتدخل في التفاصيل وتعقيدات الانظمة الحياتية المختلفة تاركة للعقل البشري فضاءه الرحب في التفكير والاجتهاد والابداع من دون أي تحجر عليه او وصاية مباشرة ضمن الخطوط العامة الواسعة التي حددها الاسلام وقيمها النبيلة ، مما يعني فتح آفاق رحبة أمام السياسيين كغيرهم من أهل الاختصاص ليتدعوا في مجال عملهم ، ولا يتدخل المرجع الديني الا في القضايا المصيرية الحساسة الا اذا حصل تقاطع حاد مع ثوابت الدين الاسلامي . هذه النظرية ضمن توجهات التي تؤمن بها المرجعية الرشيدة فهي سمات ميزت المرجعية على وجه الخصوص الا مع استثناءات قليلة تقدرها المرجعية .(١٤)

لذلك حرصت المرجعية ومنذ اليوم الاول لتغير النظام ان يمسك بالعصى من الوسط في تعامله وفي مواقفه من العملية السياسية في البلاد ، فهو لم يتدخل اطلاقا في الامور التنفيذية والادارية ، عدا القضايا المهمة والمصيرية التي يحصل في الساحة العراقية ، منها موضوع الانتخابات . ففي مسالة الدستور رفضت المرجعية الصيغة التي تقدم بها مجلس الحكم (١٥) والحاكم المدني (بول بريمر) وهي ان يتم تعيين مجلس وطني او جمعية وطنية تضطلع بمهمة وضع دستور مؤقت (قانون ادارة الدولة للمرحلة) حيث طالب بدلا من ذلك ان يكون المجلس منتخبا من قبل الشعب (١٦). مقابل ذلك حصل تايد شعبي في بغداد والمحافظات ، مما اربك توجهات الادارة الامريكية التي لم تكن تتوقع ان تحظى المرجعية الدينية بهذا القدر من التأثير والاهمية على الشعب

بمختلف انتماءاتها وتوجهاتها ، في الوقت نفسه تذرعت الجهات الامريكية واطراف عراقية في مجلس الحكم على رفض اجراء الانتخابات ، عندها طالبت المرجعية ان يحسم الامر وكلمة الفصل يكون للامم المتحدة باعتبارها الشرعية الدولية بديلا من ادارة الاحتلال ، فوافق على قرارها وهو بهذا القبول توافق مع المجتمع الدولي الذي فوضه مهمة تقدير ظروف العراق ، ورغم ان النتيجة لم تحقق رغبة المرجعية ، لا انها اثبتت ان المرجعية يعتبر التطورات السياسية في العراق خاضعة للشرعية الدولية وليس لشرعية الاحتلال .

ان في الكثير من فتاوى الخاصة بالمرجعية تتجلى روح القانون واحترام الحق العام واعطاء الجهات القانونية وحدها حق التصرف والحكم ولذلك كانت ازمة (قانون ادارة الدولة) بينه وبين الحاكم المدني في العراق ازمة رئيسية عندما حشدت المرجعية الراي العام العراقي وضغط على اعضاء مجلس الحكم لتغير الحكم كثيرا من بنود هذا القانون وتحفظ على العديد من فقراته (١٧) ووصفه يانه يضع العوائق امام الوصول الى دستور دائم لليلد يحفظ وحدته وحقوق ابنائه من جميع الاعراق والطوائف . استمرت المرجعية العليا بالسير قدما في دعم العملية السياسية لذلك ، ولذلك فان المرجعية في الانتخابات الثانية في ٢٠٠٥ ، حاولت الابتعاد قدر الامكان عن دعم اي قائمة انتخابية وحرمت استخدام صور المراجع العليا في الدعاية الانتخابية واكدت في بيان لها انها لا تدعم اي قائمة انتخابية واوصت الشعب العراقي بانتخاب الاصلح لهم ، وللأسف ما حصل ليس كما طمحت المرجعية .

وعليه يمكن القول ان المناورة السياسية للقوى والاحزاب تتعارض مع مكانة المرجعية الدينية الرشيدة والتي قدمت الكثير من الطروحات والتوجيهات للقائمين على العملية السياسية وبوضوح وتثبيت مواطن الخلل والقوة وكل ما هو مطلوب

منهم ، علما ان المرجعية جعلت من المناورة السياسية ممارسة اخلاقية رصينة ومسؤولة معتمدا على الاستراتيجيات تاركا التفاصيل الفرعية التكتيكية للقوى السياسية التي ما تزال تتلمس طريقها.

ان العراق شأنه شأن الكثير من العالم الاسلامي على امتداد المعمورة ، عالم يتسم بالتنوع والتعدد، ذلك لان الحياة بابعادها الاجتماعية والطبيعية إنما تقوم على الاختلاف في الطبائع والسجبا ، مثلما تقوم على التباين في الثقافات والالوان والاديان. فالتنوع سمة طبيعية من سمات البشر ، بل انه آية من آيات الله سبحانه وتعالى ، الذي يقول في محكم كتابه الكريم { يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير سورة الحجرات الاية { ١٣ } وبدلا من أن يكون هذا التنوع سمة ايجابية ينتج عنها حضارة متنورة جراء التفاعل بين الثقافات المتنوعة للاقليات المتباينة، وجدنا ان واقع العلاقات فيما بينها وفي الكثير من مناطق العالم تكتنفه المشكلات قد تؤدي الى الصراع والتناحر بسبب عوامل خارجية واخرى داخلية. وان ذلك من اكثر الوقائع الاجتماعية تعقيدا في المجتمعات الحديثة ، نتيجة للمعضلات الناجمة عن المشكلات والتي لا تقتصر على منطقة معينة او دولة محددة. من جانب اخر، ان الانسان بطبيعته ينبذ العنف لانه يخالف فطرته ، او اية ممارسة تخلو من الرفق واللين ، وتمثل التجاوز على الحقوق والحريات العامة للآخرين ، وبعبارة اخرى فهو يعني الغاء الرأي الاخر. لذا فان الكثير من تجارب الشعوب، اثبتت ان مقابلة العنف بالعنف تعني اشعال نار الفتنة والصراع ونتائجها مؤلمة وغير انسانية . اما مواجهة العنف بالتسامح فهذه هي قمة الوعي والتعايش والتسامح للسلم الاهلي ويجنب الشقاق في المجتمع ، ويحقق السلام والوئام بين افراد الشعب

ووحدة الوطنية . وعليه لابد ان ندرك انه لم يبق امام اي شعب من الشعوب والانسانية جمعاء ، سوى خيار لجم ثقافة العنف والاحتراب ، والعمل على تبني قيم التسامح والتعايش ، وردم نقاط الخلاف بينهم (١٨) .

ان بدا الحوار بمواطن الاتفاق هو المسار الصائب والطريق القويم الى كسب ثقة الآخر وانتشار روح التفاهم يصبح فيه الحوار هادئا وهادفا في نفس الوقت ، لان الحديث عن نقاط الاتفاق وتقريرها يفتح امام المجتمع افقا في التلاقي والتواصل ومن ثم القبول والاقبال للطرف الآخر ويقلل من حجم الهوة بين الطرفين بشكل او اخر ، مما يجعل فرص الوفاق والنجاح اقرب وافضل ، كذلك يجعل احتمالات النزاع او الصراع اقل وابعد بكثير ، وذلك ناتج من التعاون على ما اتفق عليه ، والتناصح فيما اختلف به . حيث ان العناية بنقاط الاتفاق والتلاقي مع التركيز بشكل واضح وخاص على اوجه التطابق والاهتمام بفرز وتجميع الفقرات او المشتركات المتقاربة والذي من شأنها يختصر الزمن للوصول الى الهدف بعد ازالة هوة الخلاف و الاختلاف . وعليه فعلى المحاور ان يحذر البدء بنقاط المختلف عليها لان ذلك قد يؤدي الى نسف عملية الحوار وتعكر الاجواء (١٩) ومن ثم عليه ايضا ان يتفاعل ويتعاون مع الآخر في الجوانب المتفق علي ويتسامح في ما هو مختلف فيه وبهذا يتحقق الانسجام مع الآخر ويعذر البعض فيما اختلفا فيه.

اذن ان الشرط الاساس للتعايش السلمي الدائمي هو ان يكون هناك روح التسامح بين جميع الاطراف المختلفة ، لان التسامح يمثل الشرط الضروري والمفتاح للتخلص من كل الخلافات ، وهو كذلك الركن الهاديء للسلام والوئام الاجتماعي في المجتمع ، فكلمة التسامح تعطي اشارة واضحة الى معاني ودلالات عدة منها ؛ الغفران التساهل التنازل التواضع الترخيص الاستجابة والرضا ، ولكن الذي نعنيه

نحن في هذا المعنى هو التسامح بمعنى التفاعل والتجاوب، اي الاخذ والعطاء والمرونة ، فالتسامح يعني ايضا ترخيص متبادل (٢٠) .

وتجدر الاشارة هنا الى ان اتباع هذا المنهج من مبدا التسامح للوصول الى هدف التعايش السلمي الاهلي يختلف عن التسامح في قضايا اخرى سواء كانت فردية ام جماعية. ففي حالة التعايش السلمي لا يبنى فكرة التسامح على قاعدة عفا الله عما سلف، وانما يبنى على جملة من المعطيات والمتطلبات الثانوية والاساسية مجتمعة ، التي يجب توفرها للوصول الى التسامح لعل في مقدمة ذلك هو احترام خصوصية الآخر وثقافته وحضارته ، بحيث الا يصبح من حق اي شعب او ابناء اي ثقافة من ادعاء الافضلية والتفوق او التجاوز على اي شعب اخر . (٢١) بالمقابل إن التسامح يقتضي تقديم التنازلات المتبادلة من جميع الاطراف، لاسيما الطرف الذي يمتلك السلطة او القدرة الكبيرة في معادلة الصراع الجديدة لان عملية التعايش السلمي لا تقتضي ايضا تقديم تنازلات متساوية ، وانما منطقية ومعقولة بما يوحى للجميع انهم حققوا مكاسبهم الرئيسية من دون اضرار . (٢٢)

ان التسامح ممارسة انسانية ينبغي ان ياخذ بها الافراد وكذلك الجماعات والدول ، لان التسامح مسؤولية انسانية وهي تشكل عماد حقوق الانسان والتعددية الثقافية والديمقراطية وسيادة القانون ، ومن ثم ينطوي على نبذ العنف والاستبداد ، ومن ثم يثبت القيم والمعايير التي تنص عليها الصكوك الدولية الخاصة بحقوق الفرد والمجتمع . (٢٣) كما يقتضي التسامح ضرورة الابتعاد من التعصب والانفعال الشديد لانها مناقضة ومفسدة التعايش السلمي الاهلي ، من هذا المنطلق جاءت فكرة الجمعية العامة للامم المتحدة لمفهوم التسامح لتستطيع خلالها خلق الاجواء المناسبة لانجاح عملية التسامح والذي يشكل المسار الصائب للبناء الحقيقي للتعايش السلمي بين الشعوب ، من ثم تحقيق السلام والتقدم الاقتصادي

والاجتماعي لكل المجتمعات الانسانية ، وقد اعدت منظمة الامم المتحدة للترقية والعلوم والثقافة (اليونسكو) وثيقة إعلان مبادئ حول التسامح صدرت في ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٩٥ بباريس ، والذي اعتبر سنة عالمية للتسامح . وبهذا الاعلان للامم المتحدة ، فانها اكدت أن المجتمع البشري بامس الحاجة الى تاصيل ونشر قيم التسامح كمنظور انساني واخلاقي اولا ، وبالتالي لا يمكن تطور المجتمع الانساني بخروجه من غلوائه الحالية إلا بتعميم فكرة قبول الاخر وان تناقض هذا الاخر مع الجماعة خصوصا وأن الاخر اصبح حاجة ماسة ، لا ترفا فكريا . وقد ورد ايضا مصطلح التسامح في ديباجة ميثاق الامم المتحدة موقع عليه في ٢٦ حزيران ١٩٤٥ نافذة المفعول في ٢٤ ت ١ ١٩٤٥ ، فقد نصت على مبدأ التسامح حيث جاء فيها : "نحن شعوب الامم المتحدة ، وقد آلينا على انفسنا... أن نؤكد من جديد ايماننا بالحقوق الاساسية للانسان ، وبكرامة الفرد وقدرته... وفي سبيل هذه الغايات اعتزمنا أن نأخذ انفسنا بالتسامح ، ونعيش معا بسلام وهذا التاويل كما ورد في ديباجة الميثاق". (٢٤).

وعليه فالعراق اليوم بحاجة الى اطار يوحد جميع الطوائف والاديان والشرائح الاجتماعية. لا يمكن ان يصار الى اطار توحيدي يضم كل الفئات والقوميات والاتجاهات وهو يركز الى الخصوصيات ايا كانت. فالشعب بحاجة الى اعادة ترتيب اولوياته ، والبحث عن صيغ تستوعب التناقضات الدينية والقومية ، وتستجيب لطموحات الجميع بشكل متساو. ولعل الصيغة الفضلى هي المجتمع المدني الناضج ، الذي يتصف بقدرته الاستيعابية ، واستجابته للضرورات الاجتماعية والسياسية والانسانية ، وحفاظا على خصوصيات الشعب بجميع فئاته.(٢٥) والتسامح هو احد القيم التي يعتمدها المجتمع المدني للخروج من ازمة الصراع الديني

والسياسي على اساس التكافؤ في الحقوق السياسية والعقيدية، بعيدا عن الاقصاء والتهميش. أي يجب ان يصار الى اطر تبعد فتيل التوتر والصراع القائم على اساس ديني او عقيدي، وتحوله الى ساحة للحوار والتفاهم والتكامل. وهذا ما يحتاجه عراق اليوم وفي المستقبل للخروج من ازمة التراكمات التاريخية والصراعات الكامنة. (٢٦)

المحور الثالث :

دور المرجعية في تاصيل التعايش الوحدة الوطنية والسلم الاهلي
عرف المجتمع بانه "كيان جماعي من البشر بينهم شبكة من التفاعلات والعلاقات الدائمة والمستقرة نسبيا وتسمح باستمرار هذا الكيان وبقائه وتجده في الزمان والمكان". كذلك يعرف ايضا "شبكة او نسيج العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين الافراد وتهدف الى سد حاجاتهم وتحقيق طموحاتهم واهدافهم القريبة والبعيدة. ويتشكل المجتمع اساسا عندما تنشأ العلاقات بين الافراد بغض النظر عن نوع العلاقة نسبية او عرقية او دينية او ثقافية . وتتباين المجتمعات من حيث تنوعها العرقي والديني .

من خلال ما تقدم فان هذه الخصوصية في التركيبة السكانية المجتمعية عبر التاريخ كان عنصر قوة وتفاعل في اطار مجتمعه المدني من غير تدخل خارجي من هذا الطرف او ذاك . فهو مجتمع متسامح ومتعايش . لذلك قد يتوهم البعض من الباحثين الذين لا يدركون عن قرب عراقية التكوين الاثني واصالته في العراقي ، بان ذلك دليل على هشاشة البنية الاجتماعية ، والواقع انهم لا يميزون بين المجتمع العراقي والسلطة العراقية . فالمجتمع العراقي متعدد ومتنوع . ولكن علاقته بالسلطة ذات طابع انقسامي يتضح من خلال ظروف العراق بعد الحرب العالمية الاولى

، وتأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ . العلاقة بين الشعب والسلطة تزداد سوءا كلما كانت السلطة في العراق لا تعبر عن ارادة كل المجتمع ، وعليه فان الهوية الوطنية كانت ولا تزال تعد اعلى مستويات الهوية . من خلال الارادة المجتمعية لتحقيق الوحدة الوطنية بالتعايش السلمي والتسامح الانساني . (٢٧)

ان هذه المعاني بحاجة لمراجعة وقراءة جديدة في التراث الاسلامي الانساني ، في ظل تطبيقات وممارسات خاطئة لغايات سياسية سلطوية تذرعت بالاسلام في الماضي والحاضر لغرض تكريس الرأي الواحد ، ونفي الرأي الاخر ...

وعليه فان فكرة التسامح والتعايش السلمي هي القدرة على تحمل الرأي الاخر، والصبر على اشياء لا يحبها الانسان او يرغب بها ، بل لربما يعتبرها منافية لمنظومته الفكرية والاخلاقية . ذلك ان قبول فكرة التسامح والتعايش السلمي هو نبذ اللا تسامح أي تجاوز سبل الانقسام الذي يقوم على اساس الدم ، والقومية ، والدين، والطائفية، والعشيرة او غيرها . يعني حق العيش على نحو مختلف ، سواء بممارسة حق التعبير عن الرأي او حق الاعتقاد ، او حق المشاركة في بناء المجتمع والحياة المدنية والسياسية والثقافية ، ان قبول التعايش والتسامح يعني الموافقة على ما هو مشترك ، حتى لو كان في نظر الاخر مخالف لمنظومته القيمية ، وبهذا المعنى تصبح فكرة التسامح ذات بعد اخلاقي وفكري او سياسي ، ازاء المعتقدات والافعال والممارسات ، فنقيض فكرة التسامح هو اللا تسامح ، أي التعصب والعنف والاستبداد ومحاولة فرض الرأي بالقوة . (٢٨)

من جانب اخر اذا اردنا التحدث بالتفاصيل عن مفهوم التعايش والتسامح ، اذا لا نستطيع التحدث عنه بالمطلق ، فعلى ان نحدد لمن نتحدث ، ومع من ، وفي أي اطار ، وفي أي مكان وزمان . ويقول المفكر "بوكير" كما يؤيده في ذلك المفكر العربي

نظام بركات " أننا اذا حجبنا حق الاخر في الدعاية لافكاره واعتقادنا اننا نمتلك الحقيقة والصواب ، ونحن قد لا نملكه بالفعل ، نكون قد ضيقنا من مفهوم التسامح وللتسامح بعد تربوي " ، لانني اعتقد بان للجهاز او المؤسسات التربوية والتعليمية ، بعد الاسرة دور كبير في ترسيخ قيم التسامح وادراكه كقيمة عليا بين المجتمع. لذا فان اصلاح جهاز التربية والتعليم لابد ان يكون في مقدمة مهمات من يأخذون على عاتقهم نشر قيم التسامح والتعايش ونبذ فكرة العنف والصراع والتسلط ، كون قيم التسامح بطبيعته ذو بعدين هما البعد الفردي والبعد الجماعي . وهناك جدلية تتمثل بعدم استقامة هوية "النا-دون هوية الآخر" لكن الافراط في التمايز، تحت واجهة الخصوصية، يقود الى الانتفاء والابتعاد عن الاصل. كما ان المبالغة احيانا في التمسك بالخصوصية يقود الى بغض الآخر وتجاهله ، ولربما اقضاء الآخر وعتباره عدوا او خصما لا يمكن التعايش او التواصل معه. (٢٩)

من خلال هذه الخصوصية العراقية ويشكل خاص بعد تغير النظام السياسي بعد ٢٠٠٣ كانت المرجعية الدينية صمام الامان لذلك ،أخذت بنظر الاعتبار المعطيات التاريخية للوضع السياسي قبل التغير وطبيعة الحياة السياسية للبلاد في عملية التعامل مع القوى السياسية والدينية بشأن التعايش السلمي وروح التسامح مع الآخر.

من جانب اخر ، أن الهوية الوطنية تعرف بأنها البوتقة التي ينصهر في داخلها الكثير من المتغيرات والأطياف البشرية التي تتكون منها الدولة العراقية بأبعادها الوطنية والدينية والسياسية، وما يصاحبها من انصهار واندماج للأفكار والجهود الفكرية والولاءات والانتماءات المتعددة في ولاء واحد وانتماء واحد -بعيدا عن الازدواجية أو ثنائية الانتماء ألا وهو حب الوطن والانتماء له والولاء لتربة الوطن. حيث إن الوطن

يمثل القاسم المشترك الأعظم بين مختلف فئات الشعب على تنوعهم وتعدددهم سواء كان هذا التعدد حزبيا أو عشائريا أو إقليميا أو عرقيا أو جهويا أو اجتماعيا أو طائفيا أو دينيا أو قوميا أو طبقيًا أو غيرها. وهويتنا الوطنية نابعة من الانتماء للدولة العراقية وللشعب العراقي ، كما رسخها الدستور العراقي عام ٢٠٠٥.(٣٠)

والهوية الوطنية العراقية ووحدته الوطنية تعظم الجوامع وتقلص الفوارق، إذ أنها تعظم تراب الوطن الذي يشكل كيانا سياسيا تعيش بداخله فئات متعددة ومتنوعة، وهذا طبعا لا يتنافى مع احترام تعددية المواطنين داخل الدولة بشرط أن تكون هذه التعددية من النوع الايجابي، لأن الاختلاف العرقي والديني والحضاري والفكري والثقافي بين المواطنين أمر طبيعي ومحمود لإثرائه تجربة الأمة الواحدة. ولهذا فان حب العراق والانتماء إليه والدفاع عنه يعتبر القاسم المشترك لدى جميع ابناء الشعب العراقي بكل اطيافه ومكوناته، مدنيا أو ريفيا أو بدويا، عاملا أو صانعا أو مهندسا أو مديرا، مسلما أو مسيحيا ، شماليا أو جنوبيا ، شرقيا أو غربيا، من عشيرة كذا أو كذا، إلى غير ذلك من أشكال التنوع والتعدد الذي يجب أن يوجه لغايات تلك الثقافات سواء الوطنية منها أو السلوكية تؤول لانتماء المواطن الحقيقي للعراق ، كما أن هذه الثقافات تؤشر إلى الاندماج والتفاعل مع ماضينا وحاضرنا وتشكل الرؤية المفصلية والاستشرافية لمستقبلنا، وهي بالتالي تستفتى تحت ظلال الهوية الوطنية ووحدتها التي يسعى الجميع للمحافظة عليها (٣١).

وعليه فان الهوية الوطنية العراقية الجامعة يجب أن تكون جادة وناضجة لتأخذ زمام المبادرة لبناء الوطن العصري المبني على مقومات الانتماء الوطني الانموذج والتعايش والتسامح والمساواة والمشاركة والعدل وحقوق الإنسان وسيادة القانون ،

وكذلك على تمكين ثقافة الاعتدال والوسطية والتسامح والصفح ومحاربة لغة الغلو والتطرف، والمبني على المواءمة بين الحداثة والإصلاح من جهة وبين الأصالة والمعاصرة من جهة أخرى ، بما يسمح بتفعيل دور الجميع في التنمية الشاملة والمستدامة لبناء العراق الجديد. (٣٢)

وخلاصة القول ان قيم التعايش والتسامح ضمانة للسلم الاهلي ويعد ارضية ملائمة لمعالجة المشكلات التي يعاني منها المجتمع العراقي ، ذلك ان التعايش السلمي يحصد المكاسب ويقلل من فرص الاخفاق ، ولا سيما اذا كان الهدف منه الوصول الى وحدة الصف بين ابناء الشعب ، وفي ضوء ما تقدم ، فانه ينبغي على الجميع اشاعة روح المودة والتسامح والتعايش والعيش المشترك باطار الوحدة الوطنية الصادقة والمصالحة الوطنية بالاستنارة وحياء الروح الوطنية وفق قاعدة حقوق المواطنة للجميع دون تمييز.

وفي النهاية لابد من القول ان المجتمع العراقي بكل شرائحه ، في هذا الوقت اكثر حاجة الى التسامح والتعايش والوحدة الوطنية من ذي قبل لان كل ذلك هو التربة الخصبة التي تنبت فيها الافكار والرؤى والابداع وهذا هو السبيل الذي يوفر جوا من روح التفاعل والتعايش في المجتمع العراقي

الخاتمة :

شكلت المرجعيات الدينية في النجف الاشرف ومازالت جزءا مهما من تاريخ العراق المعاصر وعضوا فاعلا في التركيبة المؤثرة في مجرى الاحداث العراقية وصانعا لبعضها ومما استعرضناه في ثنايا البحث يمكن استنتاج الكثير في اطارها العام والخاص حيث امتلاك المرجعية الدينية لعمق تاريخي وتراثي يمتد الى اكثر من الف عام وهو ما اعطاها الكثير من مصادر القوة والمران على الفعل والاستجابة للاوضاع العامة والتقلبات السياسية والاجتماعية التي تحصل في العراق والعالم

الاسلامي، كما ان المؤسسة الدينية لم تكن بعيدة ومنفصلة عن الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي بل هي متصلة فيه من خلال التواصل المباشر مع الجمهور بكل فئاته ، كذلك اعتمد تفكير ورؤى رجال الدين في هذه المؤسسة على الاصول الدينية والانطلاق منها في التعامل مع الواقع والسلطة والمجتمع والاحداث واطرت كل نشاطها بهذه الاصول. وان المرجعية الدينية مرت بفترات تاريخية متباينة من الانكفاء والانعزال احيانا الى الصعود والنشاط الواضح ، مثلت المرجعية الدينية ملاذا للمؤمنين بالرجوع اليها وهي الاخرى ربطت نفسها بهم بدفاعها عن مصالحهم ونقل مطالبهم. وفي الوقت نفسه ، مثلت في كل المراحل دور المعارضة السلمية حتى في الاوقات التي كانت تمتلك فيها مزيدا من القوة والمؤهلات لاستخدامها وهي سمة لازمتها على طوال الخط وهو ما اشتهرت به مدرسة النجف المعروفة بالاعتدال والعقلانية ، كما استطاعت المؤسسة الدينية احداث تغيير حقيقي في قدراتها السياسية واساليب عملها وخطابها الموجه وما تقدمه من طرح فكري ومعالجات وحلول لكثير من القضايا العامة ، وكذلك استيعاب طموحات الذين يبحثون عن مشاركة فعلية في ادارة بلادهم من خلال تعزيز مطالبهم وطرحها على رموز الحكومة العراقية وشخصياتها.

دخلت المرجعية الدينية في صراعات متعددة بعضها كان ممكن تلافيه وبعضها كان مفروضا عليها وقد دفعت نتيجة ذلك الكثير من الجهود والخسائر، على الرغم من كل ذلك ، لا يمكن لاي حكومة التغافل عنه او عدم التعاون معه ، واثبتت المرجعية الدينية انها الاكثر قدرة على السيطرة في اغلب الظروف وخاصة فترة الفراغ السياسي التي حدثت ما بعد احتلال العراق ٢٠٠٣. كما وفرت الاستقلالية التي تميزت بها المرجعية الدينية تاثيره على المشتركين في العملية السياسية

اجبرتهم على مسايرتها لما تملكه من قاعدة جماهيرية كبيرة يمكنها ان تغير الكثير وتقلب التوقعات ، واثبتت الوقائع ان المرجعية الدينية تمثل الخيار الوطني الاخير اذا فشلت كل الخيارات الاخرى . لذا يمكننا ان نعتبر المرجعية الدينية هي الخيار الاقوى للاتفاق حوله في وقت الازمات باعتبارها صمام الامان لكثير من التجاوزات التي من الممكن ان تحدث من اطراف اخرى قد توصم

نفسها بوصمة المذهبية وحجتها الدفاع عن المذهب. ايضا ليس هناك اشارات تدل على ان المرجعية الدينية حاولت الاستقلال وبناء دولة خاصة بها بل كانت دائما ما تسعى الى ترشيد العملية السياسية بما ينسجم ومقتضيات مصلحة الشعب والفرد على حد سواء.

وخلاصة القول : ان ما نستنتجه من الدراسة ، ان المرجعية والحوزة العلمية تمتلك الوعي السياسي الكبير لمجريات الاحداث في الساحة العراقية ، وبرهنت في الوقت نفسه انها مؤثر اذا ما دعت الحاجة الى ذلك وما حصل ونحن في منتصف عام ٢٠١٤ من احداث دليل واضح عن ما ادركته المرجعية عن مخاطر ما حصل ويحصل في بعض المحافظات العراقية من احداث عسكرية وسياسية تعاملت معها بكل وضوح وواقعية وبابعادها المستقبلية على وحدة العراق والسلم الاهلي .

فضلا عن ذلك ، كانوا يحرصون على استخدام كل الجهود لوحدة الصف الوطني ومنع الفتن والاقتتال بين المسلمين الذي كان تقف وراءه دائما مطامع سياسية .

كما وثقت الدراسة على ان الوحدة وتضامن العراقيين بمختلف طوائفهم هي الطريقة الوحيدة والمثلى لاستقلال العراق وتقدمه ودرء الخطر عن البلاد والعباد في هذا الزمن الصعب في العراق ومحيطه الاقليمي والدولي .

النصوص الصادرة

عن سماحة السيد السيستاني
دام ظلّه

في المسألة العراقية

إعداد

حامد الخفاف

دار المورخ العربي
بيروت - لبنان

ملحق رقم ()

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) شكل العراق الجديد يحده الشعب العراقي بجميع تربيته ومذاهبه وآلية ذلك هي الانتخابات الحرة المباشرة.

(٢) الحوزة العلمية هي النخبة الاشراف مفتوحة للجميع ويميز فيها من هو الراهلية من الاخرين بغض النظر عن قوميته وجنسيته . وفي النظام السابق يعني الى ان تكون الحوزة عربية والمرجعية عراقية ولكنه فشل في تحقيق ذلك .

(٣) نأمل ان تتوفر الظروف المناسبة لاستعادة الحوزة العلمية في النخبة الاشراف نشاطها وتعلن عن تطويرها بما يتناسب وموقعها المتميز في الساحة العلمية ، ولكي ذلك سوف لن تصوف مكانة غيرها من الحوزات ، وسماحة السيد دام ظلهم يرحي جميع الحوزات العلمية والحزبات التي لقيتها مكنته في قم وكوفة الى الحوزة العلمية فيها معروفة .



٤٤/٤٢
١٤٤٤

ملحق رقم ()

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين
 ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبعد :
 يعاني الشعب العراقي منذ سقوط النظام السابق من سوء الأوضاع
 الامنية وتزايد أعمال التهريب التي يتعرض لها المواطنون
 في مختلف أرجاء العراق وكان من آخرها الاعتداء الذي
 لقي استهداف مكتب سماحة المرجع الديني آية الله الحكيم
 دامت بركاته ، حيث أدى الى سقوط العديد من الأبرياء
 بين قتل وجرح وتدمير عمنه أيضاً أضرار واسعة في
 الممتلكات والحدود المجاورة .
 ونحن إذ نشجب جميع الأعمال الإرهابية ولا سيما ما تمس
 منها لمزعة الامنية المقدسة ندعو الجهات ذات العلاقة
 الى وضع حد لهذه الظاهرة الخطيرة واتخاذ الإجراءات
 اللازمة لتحسين الوضع الأمني ومنها تعزيز لثروات المنطقة
 العراقية بكلفة بتوفير الأمن والاستقرار ودعمها بالبنية
 التحتية وخدمات الضرورية .
 نسأل الله العلي العتد أن يحبس لسوء العراق عامة والمزعة
 ايلامة خاصة كل سوء ومكره . وأياخذ بأيدي الجميع
 الى مافيه الخير والصلوة انه سميع مجيب .

٢٦ / جمادى الآخرة
١٤٢٤

ملحق رقم ()

بسم الله الرحمن الرحيم

في مسلسل الاعمال الاجرامية التي يسجلها العراق العزيز وتختلف
وحدة واستقراره واستقلاله تعرض عدد من الكنائس المسيحية في بغداد
والموصل الى اعتداءات آتمة أسفرت عن سقوط عشرات الضحايا الابرياء
بين قتل وجرح كما قصور من جرائمها الكثير من الممتلكات العامة والخاصة .
وانما اذ نتج وتدين هذه الجرائم الفظيعة وتدين ضرورة تصافر الجهود
وتعاون الجميع - حكومة وشعباً - في سبيل وضع حد للاعتداء على العراقيين
وقطع دابر المعتدين تؤكد على وجوب احترام حقوق المواطنين المسيحيين
وعينهم من الاقليات الدينية ومعا حقهم في العيش في وطنهم العراق في
امن وسلام .

نسأل الله العلي العظيم ان يحجب العراقيين جميعاً كل سوء ومكره ويؤمن
على هذا البلد العزيز بالامن والاستقرار انه سميع مجيب .

١٤٠٠/٤/١٥
٢٠١٩/٨/٤

ملحق رقم ()

أ

رسالة موجهة من مكتب السيد السيستاني دام ظلّه في النجف الاشرف إلى السيد الأخضر الإبراهيمي جوابا على رسالة منه تستوضح موقف المرجعية الدينية من الدور القادم للأمم المتحدة في العراق .

وقد جاء فيها ، بعد السلام والتحية ، التوضيحات التالية :

١. إن المرجعية الدينية التي بذلت جهودا مضنية في سبيل عودة الأمم المتحدة إلى العراق وإشرافها على العملية السياسية وإجراء الانتخابات العامة ، كانت تتوقع أن يترك لممثلي الشعب العراقي في الجمعية الوطنية المنتخبة حرية إدارة البلد في المرحلة الانتقالية وكتابة الدستور الدائم والاستفتاء عليه وفق الآلية التي يقررها المندوبون أنفسهم .

ولكن بعد إقرار ما يسمى بـ (قانون الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية) ستكون الجمعية الوطنية القادمة مكبلة بقيود كثيرة لا تسمح لها باتخاذ ما تراه مطابقا لمصلحة الشعب العراقي ، حيث أملى عليها مجلس غير منتخب هو مجلس الحكم الانتقالي وبالتنسيق مع سلطة الاحتلال قانونا (غريبا) لإدارة الدولة في المرحلة الانتقالية ، كما أملى عليها - وهو الأخطر - مبادئ وأحكام وآليات معينة فيما يخص كتابة الدستور الدائم وإجراء الاستفتاء عليه .

إن هذا (القانون) الذي لا يتمتع بتأييد معظم الشعب العراقي كما تؤكد ذلك استطلاعات الرأي العام وملايين التوقيعات التي جمعت خلال الأيام القليلة الماضية في رفضه أو المطالبة بتعديله يصادر حق ممثلي الشعب العراقي المنتخبين بصورة لا نظير لها في العالم ، وبذلك تفقد الانتخابات التي طالما طالبت بها المرجعية الدينية الكثير من معناها وتصبح قليلة الجدوى . إن هذا (القانون) الذي يعهد بمنصب الرئاسة في العراق إلى مجلس يتشكل من ثلاثة أشخاص - سيكون أحدهم من الكرد والثاني من السنة العرب والثالث من الشيعة العرب - يكرس الطائفية والعرقية في النظام السياسي المستقبلي للبلاد ويعيق اتخاذ أي قرار في مجلس الرئاسة إلا بحصول حالة التوافق بين الأعضاء الثلاثة وهي ما لا تتيسر عادة من دون وجود قوة أجنبية ضاغطة - كما وجدنا مثل ذلك في حالات مماثلة - وإلا يصل الأمر إلى طريق مسدود ويدخل البلد في وضع غير مستقر وربما يؤدي إلى التجزئة والنقسام لا سمح الله تعالى .

٢. إن المرجعية الدينية التي سبق لها أن طالبت بصور قرار من مجلس الأمن الدولي يحدد موعد الانتخابات العامة تخشى أن تعمل سلطة الاحتلال على إدراج هذا (القانون) في

ملحق رقم ()

لسمعة تعالى

١ - ان تقارير الخبراء العراقيين المقدمة الى الصحافة السيد - دلم ظله - تؤكد امكان اجراء الانتخابات بدرجة مقبولة من المصداقية والسفافية خلال الاشهر المقبلة الى النايح المقرر لنقل السيادة الى معتل السب العراقي ، ولكن هناك في مجلس الحكم وسلطة الاحتلال من يدعي عدم امكان ذلك ، ومن هنا كان اقتراح مجي فنيق من خبراء الامم المتحدة الى العراق للتحقق من هذا الامر ودراسة الموضوع من كافة جوانبه ، وقد قدم مجلس الحكم طلباً بذلك الى السيد كوفي عنان الامين العام للأمم المتحدة . واذا جاء فنيق الخبراء وترضا ببد العمل مع نظرائهم العراقيين الى عدم امكان اجراء الانتخابات فتليهم الدلون معهم في ايجاد آلية اخرى تكون الاصلق تبسراً عن ارادة الشعب العراقي ، واما الآلية المذكورة في اتفاق مجلس الحكم وسلطة الاحتلال فلا تضمن ابداً تمثيل العراقيين بصورة عادلة في المجلس الوطني الموقت .

٢ - ان العلاقة الاخوية بين السنية والسنة في العراق لن تتأثر ببعض الجوانب المؤسفة التي وقتت مؤخرأ ، وقد يسعى الكل في تطويقها واتخاذ ما يمكن لعدم تكررها ، ومن المؤكد ان العراقيين جميعاً سنة وفسيحة وفهم حري على وحدة بلادهم والدفاع عن توابنة الدينية والوطنية ، كما انهم متفقون على ضرورة التأسيس لنظام جديد يقر مبدأ العدالة والمساواة بين جميع أبناء هذا البلد في جنب مبدأ الشفعية وادباً الرأي الآخر .

١٣ / ذية
٢٠٠٤
مجلس
السياسة

ب

القرار الجديد في مجلس الأمن ليكتسب صفة الشرعية الدولية ويلزم به الشعب العراقي رغما عليه .

إننا نحذر من أي خطوة من هذا القبيل لن تكون مقبولة من عامة العراقيين وستكون له نتائج خطيرة في المستقبل ونرجو إبلاغ أعضاء مجلس الأمن بهذا الأمر .

٣. في ضوء ما تقدم وبالرغم مما يتمتع به شخصكم من احترام وتقدير لدى سماحة السيد إلا إنه لا يرغب أن يكون طرفا في أية لقاءات واستشارات تجريها البعثة الدولية في مهمتها القادمة في العراق ما لم يصدر من الأمم المتحدة موقف واضح بأن هذا (القانون) لا يلزم الجمعية الوطنية المنتخبة بشيء ، ولن يذكر في أي قرار جديد لمجلس الأمن الدولي بشأن العراق .

هذا ما لزم بيانه وتقبلوا فائق الاحترام

الجمعة / ٢٧ / المحرم / ١٤٢٥

١٩ / آذار / ٢٠٠٤

مكتب السيد السيستاني (دام ظله)

النجف الأشرف

ملحق رقم ()

بسمه تعالى

١ - ان تقارير الخبراء العراقيين المقدمة الى سماحة السيد - دام ظله - تؤكد امكان اجراء الانتخابات بدرجة مقبولة من المصداقية والسفافية خلال الايام المتبقية الى التاييم المقرر لنقل السيادة الى ممثلي الشعب العراقي ، ولكن هناك في مجلس الحكم وسلطة الاحتلال من يدعي عدم امكان ذلك ، ومن هنا كان اقتراح مجي فريق من خبراء الامم المتحدة الى العراق للتحقق من هذا الامر ودراسة الموضوع من كافة جوانبه ، وقد قدم مجلس الحكم طلباً بذلك الى السيد كوفي عنان الامين العام للأمم المتحدة . واذ جاء فريق الخبراء وترشحوا ببدل العمل مع نظرائهم العراقيين الى عدم امكان اجراء الانتخابات فتليهم الدولون معهم في ايجاد آلية اخرى تكون الاصلق لتبني عن ارادة الشعب العراقي ، واما الآلية المذكورة في اتفاق مجلس الحكم وسلطة الاحتلال فلا تضمن ابداً تمثيل العراقيين بصورة عادلة في المجلس الوطني الموقت .

٢ - ان العلاقة الاخوية بين السنة والسنية في العراق لن تتأثر ببعض التغيرات المؤسسية التي وقعت مؤخراً ، وقد تسعى الكل في تطويقها واتخاذ ما يمكن لعدم تكررها ، ومن المؤكد ان العراقيين جميعاً سنة وسنية وغيرهم من عر وجده بلدهم والدفاع عن توابية الدينية والوطنية ، كما انهم متفقون على ضرورة التأسيس لنظام جديد يقر مبدأ العدالة والمساواة بين جميع أبناء هذا البلد فيجب مبدأ الشفافية والديمقراطية والحرية.

١٣ / ذية
٢٠٠٤
مجلس
السياسة
الداخلية

- (١) صادق الاسود، علم الاجتماع السياسي أسسه وأبعاده، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ١٩٩٠، ص ٢٨٠.
- (٢) صادق الاسود، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨١، نقلا عن : Jacques wolff:sociologue Economique Editions comas, Paris, pp. ٦٩-٧٠.
- (٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٢
- (٤) حسين بركة الشامي، المرجعية الدينية من الذات الى المؤسسة، مؤسسة دار الاسلام، مطبعة الصدر، ط ١، لندن، ١٩٩٩، ص ٤٣٢.
- (٥) مهدي الب يشوائي، سيرة الائمة، تعريب حسين الواسطي، مؤسسة الامام الصادق، ١٩٨٣، ص ٦٤٠-٦٤١
- (٦) مهدي الب يشوائي، سيرة الائمة، تعريب حسين الواسطي، مؤسسة الامام الصادق، ١٩٨٣، ص ٦٤٠-٦٤١
- (٦) جان بير كوت، وجان بيير مونييه، عناصر من اجل علم اجتماع، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية-دمشق، ١٩٩٤، ص ٢٥.
- (٧) صادق الاسود، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥، نقلا عن غاستون بوكول، علم الاجتماع السياسي، ترجمة خليل الحر، المنشورات العربية، بيروت، ١٩٧٢، ص ١٨.
- (٩) ينظر ملحق رقم (١) ؛ زهير الدجيلي، السيستاني .. مواقف ودوره في احداث العراق، موقع على النت.
- (١٠) ينظر الفتوى في الملحق رقم (٢).
- (١١) ينظر نص البيان الصادر عن مكتب السيستاني يشجب فيه الاعمال الارهابية التي طالت دور العباد
- (١٢) ينظر الملحق رقم (٤) نص رسالة المرجعية للامم المتحدة حول الاوضاع في العراق ؛ والملحق رقم (٥).
- (١٣) نص الاتفاق الذي تم التوصل اليه مع السيد مقتدى الصدر ينظر حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسالة العراقية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٧.
- (١٤) فراس طارق مكية، الفلسفة السياسية للمرجعية السيعية نموذج التجربة العراقية، موقع على النت.
- (١٥) مجلس الحكم : مجلس شكلته الادارة المدنية الامريكية في العراق بادارة (بول بريمر) لادارة الدولة في البلاد وان يكون ممثلا لكل مكونات المجتمع العراقي من اديان وقوميات

وعرقيات وحسب نسبة كل مكون في المجتمع العراقي مما اسس لحالة المحاصصة الطائفية التي ظلت حاضرة في الانتخابات اللاحقة للحكومة العراقية.

(١٦) عمار البغدادي ، الامام السيستاني رؤية من الداخل ، دار قمر العشيرة ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ١١٠.

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١١١.

(١٨) نقلا عن ياسين سعد محمد ، مقومات التعايش السلمي في العراق في ظل الانقسامات الفئوية ، من اعمال المؤتمر العلمي السنوي الثاني لكلية العلوم السياسية والاجتماعية في جامعة السليمانية، نيسان ٢٠١١ ، ص ٣١٩.

(١٩) ابراهيم الديب ، المحاور المحترف آداب ومهارات ، مؤسسة ام القرى للترجمة والتوزيع ، القاهرة ٢٠٠٤ ص ٩٢.

(٢٠) رشيد عمارة واحمد عمر محي الدين، التعايش السلمي في مجتمعات متنوعة العراق انموذجا ، مجلة جامعة السليمانية، العدد ٣١، آذار ٢٠١١، ص ١٨٣.

٢١ - مايكل انجلو ماکو بوتشي، اعداء الحوار: اسباب اللاتسامح ومظاهره، ترجمه عبد الفتاح حسن، دار الشرقيات ٢٠٠٩، ص ٤٨.

(٢٢) في مجال الاتصال والديمقراطيه، دار النهضة العربيه، بيروت ٢٠٠٥، ص ٣٢.

(٢٣) اعلان مبادئ بشأن التسامح عام ١٩٩٥ في ١٦ تشرين الثاني ١٩٩٥ بباريس، ص ٩.

(٢٤) ناظم عبد الواحد الجاسور ، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية ، دار النهضة العربية، بيروت ٢٠٠٨ ، ص ٩٣.

(٢٥) عقيل يوسف عيدان ، التسامح الديني في الاسلام، مجلة المواطنة والتعايش، تصدر عن مركز وطن للدراسات ، العدد الثالث ، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ٧٢.

(٢٦) سهيلة عبد الانس ، العنف الطائفي في العراق ، من وقائع المؤتمر المركزي الذي عقده بيت الحكمة (ثقافة للعنف في التعامل مع الاخر) بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٢٨.

(٢٧) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج ١ ، دار ومكتبة دجلة والفرات ، بغداد ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٠٤.

(٢٨) سهيلة عبد الانيس ، العنف الطائفي في العراق ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٨.

(٢٩) رشيد خيون ، الاديان والمذاهب في العراق ، منشورات معهد الدراسات الاستراتيجية ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ٦٣ وما بعده.

(٣٠) رشيد خيون ، مصدر سابق ، ص ٨٦.

- (٣١) ريفا بهالا، ايران والولايات المتحدة ،المفسدات المحتملة للصفقة في العراق ، في (العراق تحت الاحتلال تدمير الدولة وتكريس الفوضى) ،سلسلة كتب المستقبل العربي (٦٠) مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ٢٠٠٨ .
- (٣٢) نقلا عن ياسين سعد محمد ، مقومات التعايش السلمي في العراق في ظل الانقسامات الفئوية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢٠ .

القيم التربوية والأخلاقية في النصوص الصادرة عن السيد السيستاني

(دام ظله) دراسة تحليلية

أ.م.د. قصي سمير عبيس الحلي / كلية الامام الكاظم (عليه السلام) الجامعة
أ. سيف طارق حسين العيساوي / كلية التربية الاساسية / جامعة بابل

المقدمة

الحمد لله الواحد الاحد المتفرد الصمد والصلاة والسلام على الرسول محمد، وعلى آله المدد، وبعد:

القضايا التي يكشف عنها هذا البحث كثيرة فهو يكشف أمورا مهمة ألا وهي القيم التربوية والاخلاقية وأثارها البالغة في مصير الأمة، والحفاظ عليه، فضلا عن السعي في رقيها، ويعطي رأيا جديدا في السلم المجتمعي وكيفية إدارة الأزمات، ويرى رؤية جديدة في كيفية التعامل مع الصعاب في أحنك الأوقات.

ولتحقيق هدف البحث فقد اختار الباحثان نقطة البداية في مواقف تتجلى فيها هذه القيم في كيفية تعامل السيد السيستاني مع الأحداث المعاصرة، وما لها من آثار كبيرة في حفظ جوهر الرسالة الإلهية من التحريف، وحقن دماء المسلمين، والتأثير في المجتمع بكل أطيافه في وقت تكالبت فيه قوى الشر والطغيان من أجل النيل من الإسلام الحق والمسلمين، بإشاعة الفتن والأباطيل والشبهات وغير ذلك، فضلا عن إظهار الإسلام للغير بصورة قبيحة ومشوهة.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة ومبحثين، وخاتمة، أما المبحث الأول فقد جعلناه في (جوانب نظرية عن القيم) تناولنا فيها القيم لغة واصطلاحا، وأنواعها، والعوامل المؤثرة فيها، وأما المبحث الثاني فقد انبرى لرصد القيم الاخلاقية والتربوية ومصاديقها عند السيد السيستاني، ثم جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج

التي جلستها هذه الدراسة، وقد بذل الباحثان جهداً في الحصول على المصادر والمراجع المهمة التي أفاداً منها .

وبعد ، فإننا وختاماً نرجو أن نكون قد وفقنا في عرض صورة مشرقة من صور الإسلام الأصيل، وندعو الله تعالى أن يسدد خطانا إن كان صدر منا خطأ أو سهواً إنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الاول

جوانب نظرية عن القيم

مفهوم القيمة :

القيمة لغة: القيمة واحدة القيم؛ لأنه يقوم مقام الشيء، وقومت الشيء فهو قويم أي مستقيم، والقوام العدل^١، ومما سبق يتضح أن مادة (قوم) استعملت في اللغة لمعان عدة، منها: الاستقامة، والعدل. وفي القرآن الكريم قال الله تعالى ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ ﴾ [التوبة / ٣٦]، يعني: المستقيم الذي لا عوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية إلى اليهودية والنصرانية، وغير ذلك من الضلالات والبدهج المحدث^٢. وقوله تعالى ﴿ فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ ﴾ [البينة / ٣]، قال ابن جرير أي في الصحف المطهرة كتب من كتب الله قيمة عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ لأنها من عند الله عز وجل قال قتادة "رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة" يذكر القرآن بأحسن الذكر وثني عليه بأن الشاء وقال ابن زيد "فيها كتب قيمة" مستقيمة معتدلة^٣.

اصطلاحاً:

عرفت القيم بتعريفات عدة نذكر منها: هي "مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه"^٤. وعرفت بأنها: "القواعد التي تقوم عليها الحياة الانسانية ويختلف بها عن الحياة الحيوانية كما

تختلف الحضارات بحسب تصورها لها^٥ وعرف بأنه "عبارة عن تقييم يتصل بالأفعال، أو السلوك، أو الاتجاهات، أو غيرها من المؤشرات وإنها تتضمن توجهها معينا نحو خبرة ما، وللقيمة خاصية الانتقاء والاختيار وهي تكشف عن نفسها من خلال الاختيار من بين البدائل ، وتوجد داخل النسق القيمي للفرد وهي تتسم بالتفاعل والدينامية^٦.

اولا/ تصنيف القيم: يقوم تصنيف القيم على أسس عدة:

١- على أساس المحتوى : ومن أهم قيمها: القيم الدينية، والخلقية، والجمالية، والاقتصادية، وقد صنفها سبرانجر في كتابه (انماط الرجال) إلى ستة أنواع، وهي^٧: سلطان القيمة النظرية: ويعبر عنها اهتمام الفرد وميله إلى اكتشاف الحقيقة .

سلطان القيمة الاقتصادية: وهي اهتمام الفرد وميله إلى ما هو نافع .

سلطان القيمة الاجتماعية: ويعبر عنها باهتمام الفرد وميله إلى غيره من الناس .

سلطان القيمة الجمالية: اهتمام الفرد وميله الى ما هو جميل من الشكل والتوافق والتنسيق .

سلطان القيمة السياسية: وتظهر في اهتمام الفرد بالنشاط السياسي، وحل مشكلات الناس .

سلطان القيمة الدينية: ويعبر عنها باهتمام الفرد وميله لمعرفة ما وراء العالم الظاهري، فهو يرغب في معرفة أصل الانسان ومصيره، ويرى أن هناك قوة تسيطر على العالم .

٢- على أساس المقصد: فهي أما وسائلية أي تعد القيم وسائل للوصول إلى غايات أبعد، كالترقي، أو قيم غائبة في حدود ذاتية، مثل حب البقاء .

٣- على أساس الشدة: وهي قيم ناهية وملزمة، وقيم تفضيلية، وقيم مثالية تحدد ما يرجى أن يكون عليها الشيء .

٤- على أساس العمومية (الشيوع أو الانتشار) : وهي أما قيم عامة، مثل: القيم الدينية، والزواج والعفة... الخ ، أو قيم خاصة تتعلق بموقف أو طبقة أو دور .

٥- على أساس الوضوح : وهي أما ظاهرية كالقيم المتعلقة بالمصلحة العامة، أو ضمنية يستدل عليها من ميول الناس وسلوكهم، مثل: القيم المرتبطة بالسلوك الجنسي .

٦- على أساس الدوام : والدوام أما مطلق أو نسبي يتغير من جيل إلى آخر كما في عرض الأزياء.^٨

ثانياً/ خصائص القيم: وتتصف القيم بمجموعة من الخصائص المهمة نذكر منها^٩:
سلطانها ليست من وضع شخص معين ، بل هي حصيلة تجربة جماعية .
سلطانها ليست صفات مجردة ، بل يتوصل اليها من خلال انماط السلوك المعبرة عنها .
سلطانها تعتبر معايير وضوابط للسلوك الانساني .

سلطانها تنتقل من جيل إلى آخر عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعية .
سلطانها صفات العمومية، وقد تختلف من فئة إلى أخرى، ولكن هناك قيماً معينة عامة لجميع أفراد المجتمع .

سلطانها تختلف من مجتمع إلى آخر ، وإن اشتركت في بعض نواحيها .
سلطانها صفة التغيير والتطور رغم بطئه ، والذي يتم نتيجة عوامل مختلفة .

ويرى الباحثان: أنه على الرغم من تباين واختلاف كبير في رؤى كل فئة من الفئات المختلفة في مجال الفلسفة والدين ، وعلم الاجتماع ، وعلم النفس والاقتصاد في مفهوم القيم إلا انه يمكن أن نؤكد أن أوجه الاتفاق أكثر من أوجه الاختلاف، فالاختلاف الرئيس يكمن في المؤشرات التي تدل على القيم، فبعض الباحثين يرى قيام هذه المؤشرات في دائرة الاتجاهات، وبعضهم يراها في دائرة الأنشطة السلوكية،

في حين أن أوجه الاتفاق تمتد لعناصر كثيرة منها القيمة. فهناك إمكانية التغير في بناء القيم إذا ما تولدت صورة من صور التفاعل بين المرء بإمكاناته الشخصية وبعض المتغيرات الخارجية^{١٠}.

ثالثا/ الفرق بين القيم والمفاهيم الأخرى :

في ضوء عرضنا لمفهوم القيمة وبعض تعريفاتها في تحديد المصطلحات يتضح بأن القيمة قد اختلفت وتنوعت في تعريفها، فهناك من ينظر إليها على أنها اهتمامات، أو اتجاهات، أو معتقدات، أو صفات، أو تفضيلات، أو أحكام، أو قرارات، أو مبادئ، والبعض الآخر ينظر إليها في ضوء مؤشرات السلوك، وهناك من نظر إليها على أنها تنظيمات لأحكام تتعلق بالاختيار والفعل، وأنها تمثل الشيء المرغوب فيه، أو المفضل إزاء ما يجب على الفرد القيام به، وهذا التفضيل على وفق معايير يتعلمها الفرد عن طريق الجماعة، ولتحديد مفهوم القيمة فإننا بحاجة إلى توضيح بعض المفاهيم الأخرى ومدى التمييز بينها وبين القيم ليكون مفهوم القيمة أكثر وضوحا.

القيم والحاجة: يتمثل الفرق بين القيم والحاجات في أن القيم تتضمن التمثيلات المعرفية، وأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكنه عمل مثل هذه التمثيلات، في حين أن الحاجة لا تتضمن هذا الجانب وتوجد لدى جميع الكائنات الحية (الإنسان والحيوان)^{١١}.

القيم والاتجاهات: تعد القيم أكثر تجريدا وأكثر ثباتا من الاتجاهات، ولها صفة العمومية؛ لأنها تعبر عن أحكام عامة بدرجة أكثر من الاتجاهات، فضلا عن بعض الاختلافات الأخرى التي أكد عليها بعض الباحثين والتي تتلخص في أن القيم أعم وأشمل من الاتجاهات فتشكل مجموعة الاتجاهات فيما بينها علاقة قوية معينة ونتيجة لذلك تمثل القيم موقفا أكثر أهمية من الاتجاهات في بناء شخصية الفرد^{١٢}.

القيمة والاهتمام: يعد الاهتمام مظهراً من المظاهر العديدة للقيمة، فظهور اهتمامات معينة لدى الفرد إنما يكشف عن بزوغ قيم معينة ترتبط بهذه الاهتمامات، وإن الاهتمام يعد مفهوماً أضيق من القيمة حيث يرتبط الاهتمام بالتفضيلات المهنية التي لا تستلزم الوجوب أو الالتزام في حين ترتبط القيمة بضرب من ضروب السلوك المثالية أو غاية من الغايات ويستلزم الوجوب^{١٣}.

القيمة والمعتقد: تتميز المعارف في القيم عن المعارف الأخرى التي تتضمنها المعتقدات في الجانب التقويمي، حيث يختار الشخص من بين البدائل في تقيمه ما هو مفضل أو غير مفضل، وتختلف القيمة عن المعتقد في أن القيم تشير غالباً إلى ما هو حسن أو سيء، في حين ترتبط المعتقدات غالباً بما هو صحيح أو زائف^{١٤}.

القيمة والسلوك:

يتمثل الاختلاف بين القيم والسلوك في أن القيمة أكثر تجريداً من السلوك، فهي ليست مجرد سلوك انتقائي كما يرى البعض، بل تتضمن المعايير التي يحدث التفضيل على أساسها، فالاتجاهات والسلوك هي محصلة للتوجيهات القيمية.

القيمة والحقيقة: يؤكد مجموعة من الباحثين أن هناك فرقاً بين الحقيقة والقيمة في أغلب الأحيان، فالحقيقة يمكن التأكد من صحتها، ولا يوجد اختلاف حولها بعكس القيمة؛ لأنها مرتبطة بالفرد ولا يوجد اتفاق ثابت حولها، فقد تختلف من شخص لآخر، ومن مكان لآخر^{١٥}.

القيمة والدافع: هناك خلط شائع بين الباحثين في استعمال هذين المفهومين والنظر إلى القيمة على أنها أحد الجوانب لمفهوم أشمل هو الدافعية، فقد تستعمل القيمة بالتبادل مع الدافعية إلا أن هناك فرقاً بينهما، فالدافع هو حالة تؤثر استعداداً داخلياً يسهم في توجيه السلوك نحو غاية معينة، في حين أن القيمة هي عبارة عن التصور القائم خلف هذا الدافع^{١٦}.

وثبت مما تقدم أن القيمة تختلف عن غيرها من المصطلحات، بل تعد تلك المصطلحات المتمثلة في أنماط الخاطر الميل، والرغبة، والإرادة، والعادة، والخلق، والسلوك مراحل سابقة لتكوين القيمة . والشكل الآتي يمثل مراحل سابقة لتكوين القيمة:

القيمة وهي وصول السلوك الى درجة من الثبات تتكرر بصورة دائمة	الخلق	العادة الارادة التي تتكرر	الارادة صفة النفس التي تخص رغبة من الرغبات التي مالت اليها	الرغبة تغلب ميل على بقية الميل	الميل توجه الانسان لخاطر من خوابره	الخاطر وهو حديث النفس
	وهو صفة النفس الباطنية ويدرك بالبصيرة. والسلوك هو صفة النفس الظاهرة ويدرك بالبصر					

شكل رقم (١) يوضح مراحل سابقة لتكوين القيمة^{١٧}

موارد القيم الاخلاقية والتربوية في النصوص الصادرة عن السيد السيستاني سنعرض في هذا المبحث تحليلاً علمياً للنصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني (دام ظله الوارف) لاستنباط القيم الاخلاقية والتربوية منها، لما لها من أثر في تهذيب النفوس، وتطبيب القلوب وهو أمر انماز به سماحة السيد عن سائر العلماء، وجعل منه محط اعتزاز الجميع واحترامهم .

سلطان القيم التي تم استنباطها :

١. الإيثار: وهو أن يكون مع الكف عن حاجاته^(١٨)، وهو أن يجود الانسان بالمال مع الحاجة اليه، وتفضيل غيره عليه^(١٩)، قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٢٠)، وفي وصف حالة من الإيثار قام بها أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٢١)، وفي قيمة الإيثار قال رسول الله (صلى الله عليه واله): "من أثر على نفسه أثره الله على نفسه يوم القيامة"^(٢٢)، وعن الامام علي (عليه السلام): "أفضل السخاء الإيثار"^(٢٣)، وقد كانت هذه القيمة واردة في نصوص السيد السيستاني ففي النص رقم (٢) سؤال من وكالة رويترز لسماحته والذي نصه "هل طلب السيد سماحة السيد توفير الأمن لعائلته؟" وقد كان الجواب "سماحته يريد الأمن لكل النجف، بل لكل العراق ولا يريد لنفسه ولعائلته وقد جاءت عشرات الوفود العشائرية لحمايته فشكرهم وأمرهم بالرجوع الى أماكنهم"^(٢٤). هذا مثال يسير ويوجد غيره في مواطن كثيرة.

٢. احترام الرأي والرأي الآخر: يعني ذلك وضع رأي الآخر موضع النظر الاحترام، وإن كان غير مقبول وهو من أبواب الحكمة، ومن مصاديقه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ

يَرْزُقْكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (٢٥). ففي هذه الآية المباركة يخطاب صلى الله عليه واله الكفار عند تنازع الاراء ويقول لهم نحن وأنتم احدنا مصيب والآخر مخطيء ورغم ادراكه لضلال الآخرين الا أنه لم يوجه لهم الانتقاد الحاد بل أراد منهم الرجوع إلى أنفسهم. وقد وجد الباحثان لها مصاديق كثيرة في نصوص عدة، ومنها: في سؤال لصحيفة الواشنطن بوست في النص رقم (١٣): "ما هو رأيكم وهل نستطيع أن نعلم من هو أفضل مرجع من الأشخاص والمراجع الذين توفوا؟" فكان الجواب "كل مكلف يرجع في تحديد (المرجع الأعلّم) إلى من يثق به من أهل الاختصاص، ونحن لا نبدي رأياً في ذلك ونحترم الجميع" فنراه يحترم رأي الجميع وضع ثقته باستنتاجهم، فهو يحملهم المسؤولية الشرعية والاخلاقية في الاختيار، وفي الوقت ذاته أنه لا يدعو لنفسه البتة.

٣. الأبوية المطلقة: ما أوسعها وما أجملها وما أنبلها عند سماحة السيد، وقد وجد الباحثان تطبيقاتها خمسة نصوص ومنها ف النص رقم (١٠٥) عند سؤاله حول رأيه في الانتخابات، فكان الجواب " (إن المرجعية تقف على مسافة واحدة من جميع المرشحين في هذه الانتخابات، إلا أنها تشدد في الوقت نفسه على ضرورة أن يختار الناخب بعد الفحص والتمحيص من يكون مؤهلاً، ممن يلتزم بثوابت الشعب العراقي، ويسعى لتحقيق مصالحه، ويتصف بالكفاءة والنزاهة والاخلاص لخدمة الشعب الكريم ..الخ) ٢٦. وفي هذا النص تتضح الأبوية لجميع العراقيين، وكذلك ترفع عن الناس شبهة دعم قائمة، أو مرشح من قبل المرجع الاعلى، وهذا ديدن أهل الدين، فعن النبي صلى الله عليه وآله: " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (٢٧)

٤. الدعوة لتحكيم العقل: وهي دعوة الله سبحانه أولاً، ودعوة أنبيائه ورسله فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله): «أول ما خلق الله العقل، قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم علي منك: بك أخذ وبك أعطي، وبك أثيب وبك أعاقب»^(٢٨)، وفي هذا يقول الصادق (عليه السلام) في باب تعظيم دور العقل: «العقل دليل المؤمن»^(٢٩)، وبهذا الدليل يصل الانسان إلى الحق عن طريق التدبر والتفكر، ولكن هذا الدليل يحتاج إلى تسديد وتوفيق لكي يصل الى مبتغاه، وفي هذا يقول إمامنا الحسين (عليه السلام): «لا يكمل العقل إلا باتباع الحق»^(٣٠)، والحق هو طريق الله سبحانه فمنه البدء وإليه العود وما بينهما بحث في الدليل بهديه سبحانه. ومن هنا فإن سماحة السيد يحرص كل الحرص على أن يستقل الناس بأرائهم ولا يكونوا تابعين إلى غيرهم، وحكموا العقل في أمورهم الخاصة والعامة. ففي سؤال لصحيفة الواشنطن بوست " ما هي أفضل نصيحة للعراقيين من خلال ذكر حدث نبوي أو حديث لإمام أو مرجع؟" فأجاب " في القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت الكثير مما لو عمل به المسلمون لكان أفضل من الحال الحاضر"^(٣١)، ومن أبرز ذلك قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا النَّالِبَابِ﴾^(٣٢)، وغير ذلك من النصوص التي تشير إلى هذا المعنى.

٥. النصيحة: الاسلام دين النصيحة فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) "الدين النصيحة"^(٣٣)، فعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن أحدكم مرآة أخيه فإن رأى به أذى فليمط عنه»^(٣٤)، وهنا إشارة إلى النصيحة في السر؛ ففي بعض الموارد تكون النصيحة في الملاءمة، وأيضا هو يرى من أخيه ما لا يراه من نفسه كما يرسم في المرآة ما هو مختلف عن صاحبه فيراه فيها أي: إنما يعلم الشخص عيب نفسه

بإعلام أخيه كما يعلم خلل وجهه بالنظر في المرأة، ومن كلامه صلى الله عليه وآله: الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (٣٥)، وقد وصفها بعض أهل العرفان بأنها: رقة من نصح أو خب يؤدي إلى خوف وهو أن يكون الناصح خائفاً على المنصوح، وذلك ألطف الرحمة وأرقها (٣٦)، وقد دأب سماحة السيد (دام ظلّه) إلى توجيه النصيحة فمرة إلى شيعة أمير المؤمنين، ومرة إلى الناس عامة حتى من غير المسلمين ففي سؤال له من قبل صحيفة باينوير الهندية نص (٢٥): "مالذي ترغبون بإدخاله في الدستور من مبادئ الحكومة والدين الاسلامي" فكان جوابه على شكل نصيحة عامة: "الثوابت الدينية والمبادئ الاخلاقية والقيم الاجتماعية للشعب العراقي يجب أن تكون الركائز الاساس للدستور العراقي القادم" ٣٧. وقد ورد نفس الجواب لنفس السؤال من جريدة الزمان العراقية ٣٨ ولو تأملنا في جواب سماحة السيد وحللناه نجده يؤكد على أمور مهمة في صياغة الدستور وهي:

- أ. الثوابت الدينية: لم يشر إلى الدين الاسلامي فقط، بل عممه على باقي الاديان بالأخذ بالثوابت المطلقة من كل دين في العراق والاسلام بمقدمتها، وهنا مراعاة لكل الاديان في العراق وأشار بالثوابت؛ لينصرف الذهن عن المذهبية والفئوية.
- ب. والمبادئ الاخلاقية: وهنا المسألة أعم من الدين وقد حددها (بالمبادئ) ليتم الابتعاد عن الأخلاق الدخيلة التي ربما لا تلائم المجتمع.
- ت. القيم الاجتماعية: لا يخفى على الجميع أن لكل مجتمع نسيجه الخاص، وهنا يريد السيد السيستاني أن لا يستورد الدستور من قيم خارجية، بل من صميم روح المجتمع التي ينسلخ منه. هذه العنوانات الثلاثة سماها السيد (الركائز الاساسية للدستور) وهي تنطوي يقيناً عن نصيحة تحمل كثيراً من الحكمة في طياتها.

٦. الحوار البناء: لقد اهتم القرآن الكريم اهتماما بالغاً بالحوار؛ لأنه الطريق الأمثل للإقناع وإلقاء الحجة، وعن طريق الاطلاع على النماذج القرآنية الراقية في الحوار، إذ نجده قد اتخذ صوراً متعددة، فمنها حوار الخالق سبحانه مع خلقه سواء أكانوا ملائكة أم بشرًا أم من الجن؟ ومرة أخرى حوار الإنسان مع الإنسان، وحوار الإنسان مع المخلوقات الأخرى. وهذا يؤكد لنا أن القرآن الكريم اعتمد اعتماداً كبيراً على الحوار بأسلوب تعليمي تربوي، وإرشادي فضلاً عن روعة الفصاحة والبلاغة، وجلال البيان، وعمق التفكير^{٣٩}. وعند تتبع الباحثين للحوار في القرآن الكريم وجداه يقوم على ثلاثة مناهج^{٤٠}:

سلطان المنهج العقل: حيث يتبع الأسلوب العقلي كل مهاراته في الإقناع

سلطان المنهج الوجداني: الذي يعتمد على الترغيب والترهيب في الإقناع.

سلطان المنهج الحسي: وهو دعم الحوار القرآني بالصور الحسية من وصف وتجسيد وتشبيه.. الخ.

ومن العرض السابق يستنتج الباحثان أن الحوار القرآني قد استحوذ على أبعاد الانسان الثلاثة: العقلي: وهو ما يتضمنه من مهارات تفكيرية، والوجداني وما يتضمنه من انفعالات وعواطف وأخيلة، والحسي: وهو ما يؤثر في الحواس الخمسة عن طريق التأمل في التماثل في القرآن الكريم وما نراه أنه يركز على المنهج العقلي، ويستعمل المنهجين الآخرين دعامة له؛ لأنه قائم أساساً على التفكير.

والسيد السيستاني هو سليل النبوة، وامتداد القرآن الكريم، إذ كان مبدأه ومنطلقه الأول هو الحوار البناء، فعندما قدم له سؤال من جريدة الزمان العراقية نص^(٢٦): "يكتسب الحوار بين المذاهب الاسلامية أهمية خاصة في التقريب بين

وجهات نظر المسلمين حول العديد من القضايا، فهل في نيتكم تبني مبادرة للحوار مع أهل السنة في العراق؟

الجواب- التواصل مع أخواننا أهل السنة قائم سواء عن طريق اللقاءات المباشرة أم غيرها ، ووجهات النظر بيننا وبينهم متطابقة أو متقاربة في معظم القضايا الرئيسية، والحوار هو الاسلوب الأمثل لحل الخلاف إن وجد.^{٤١} وهذا النص يدل على كثرة اللقاءات الحوارية بينهم.

٧. المواساة : أن يكون في معاونة الأصدقاء بحيث يشاركهم بباله وماله^(٤٢)، والمتأمل في القرآن الكريم لا يجد لفظة المواساة بعينها، وإنما جاءت بألفاظ مختلفة لكنها تشير إلى معنى المواساة، ومن ذلك مواساة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): في قوله تعالى ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾^(٤٣). مواساة المبتلين وأصحاب الهموم والكروب وتفريج كربهم: حيث نلاحظ في ضوء التأمل بآيات كتاب الله تعالى أن هذا القرآن فيه الشفاء والدواء من كل هم وكرب وغم، قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾^(٤٤)، فنجد في القرآن الكريم أعظم منهج لمواساة المحزونين والمكروبين، ونجد فيه أعظم منهج وأسلم طريق لتفريج الكروب وإزالة الهموم والغموم، من فوائد المواساة أيضا البركة في الماء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "البركة في المال من إيتاء الزكاة ومواساة المؤمنين وصلة الأقربين"^(٤٥). يرى الباحثان: أن التضامن يتضمن جانبين: الأول معنوي وهو أن يهتم المسلم لأخيه بباله، والثاني مادي في أن يبدي التعاون المالي والمادي إذا ما احتاج إليه، وهو بكل الأحوال تخفيف عن المكروب بالاعانة المادية والمعنوية، وهذه من القيم التي وجدها الباحثان حاضرة وذلك عن طريق استقراء النصوص الصادرة عن سماعة السيد، ومنها النص الذي أصدره مواساة للاعتداء على مكتب سماعة السيد محمد سعيد

الحكيم نص(٣٠)٤٦، ومنها النص الذي أصدره مواساة لأسرة مفتي الديار العراقية الشيخ جمال الدين الدبان نص(١٠١)٤٧ وغيرها كثير من النصوص.

٨. استنهاض الهمم : وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله يحب معالي الأمور وأشرفها، ويكره سفاسفها"(٤٨). وقد ورد في دعاء كميل بن زياد عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام: "واجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك وأخصهم زلفى لديك"(٤٩)، فطموح المؤمن بأعلى المقامات عند الله وأقرب المنازل إلى الله وليس مطلق الفوز ولو بأي حال، مع أن مجرد أن يرحل الإنسان عن النار فقد فاز ونجا بنفسه في الآخرة، يقول الامام الصادق (عليه السلام): "إن المؤمن يطير بهمة كما يطير الطائر بجناحيه"(٥٠)، والسيد رعاه الله سبحانه كان صاحب همّة أعجبت العدو قبل الصديق، والبعيد قبل القريب، وكان يحاول استنهاض همم الشعب العراقي بكل طوائفه. ونجح في جملة من الأمور، نذكر منها: اصراره على الانتخابات، وكتابة الدستور، واعطائه الاولوية للكفاءة العراقية، وليس تأخيرها.

وقد صدرت الفتوى المباركة مع بداية تغير النظام، وهذا ما أكدته وكالة الاسوشييد برس الامريكية.٥١

٩. حقن الدماء: لقد أمتاز السيد حفظه الله تعالى امتيازاً لافتاً في حفظ الدماء وحقنها. ففي استفتاء قدم لسماحته في التعامل مع أزام النظام السابق، فقد كان يدعو الى التريث والتأن والجلء الامر لولي الدم بعد المحاكم الشرعية نص(١١)٥٢، وهو هنا يدعو الى مبدأ من جوهر الاسلام وهو الحلم : الطمأنينة وترك الشغب عند سورة الغضب(٥٣)، وهذا التعريف ينطبق على الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْنُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾(٥٤)، وفي مضمون هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ

﴿٥٥﴾ ، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وآله: "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (٥٦)، ومن ذلك أيضاً قول رسول صلى الله عليه وآله: "والذي نفسي بيده ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم" (٥٧)، وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): "الحلم نور جوهره العقل" (٥٨)، وقال عليه السلام "من غاظك بقبح السفه فغظه بحسن الحلم عنه" (٥٩)، بل أنه دعى الى السلمية في اخراج المحتل حفاظا على دماء المسلمين^{٦٠}، حتى عد من دعاة السلام في العالم.

١٠. الثبات والوضوح: سمتان مميزتان للمرجع الاعلى وقد استقرأها الباحثان ب (١٠) نصوص فقد كان لا يجمال في الحق، وواضح الرؤى والمطلب. ومن أمثلة ذلك: في سؤال لصحيفة لوس انجلوس تايمز: "ماذا تعتقدون سماحتكم باللجنة التي ستكلف لكتابة الدستور هل:
أ. منتخبة من قبل العراقيين.

ب. يتم تعيينهم من قبل مجلس محلي أو رجال دين.

ج. أي من الخيارين بشرط موافقة العراقيين. فجاء جوابه الصارم: "لا صلاحية لأية جهة كانت في تعيين أعضاء مجلس كتابة بل يلزم أن يكون منتخبا من قبل الشعب العراقي عن طريق صناديق الاقتراع وه الطريقة الوحيدة التي يمكن التوصل بها الى معرفة رأي الشعب العراقي في هذه القضية المهمة.^{٦١}، وغيرها كثير من النصوص التي تدل على رباطة جأشه وصبره. فقد كان ثابتا في المواقف قويا في الشدائد، فكلما كان الصبر على الأهوال في سبيل الله تعالى كان الأجر أعظم، قال الله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِئُوسُ كَثِيرٍ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (٦٢)، وقال جلّ وعلا

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۚ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (٦٣)، ففي الآيتين الكريمتين دلالة واضحة تشير إلى صفة الثبات، بل تمدحها حيث صرحت أن الله يحب الذين صبروا وتحملوا الشدائد، وعن رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلوا أشد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة" (٦٤). وفي هذا الحديث الشريف يتبين أن إيمان الإنسان يتوقف على شدة وهول البلاء، فكلما عظم بلاء العبد المؤمن ازداد ثابتا وإيمانا.

الخاتمة

١- أثبت البحث أن أصحاب المعاجم اللغوية استعملوا القيمة في معان عدة، ولكنها تدور بين دلالاتي الاستقامة، والعدل.

٢- توصل البحث إلى أن قيمة الإيثار التي كانت عند السيد السيستاني هي مستلهمة من القرآن والعترة، فقد كان يجود بنفسه ويتحمل الصعاب خدمة لأبسط انسان في العراق.

٣- أثبتت الدراسة أن السيد السيستاني يحترم رأي الجميع، ويضع ثقته باستنتاجهم في تحديد العلم، فهو يحملهم المسؤولية الشرعية والاخلاقية في الاختيار، وفي الوقت ذاته أنه لا يدعو لنفسه البتة.

٤- أثبتت الدراسة أن السيد السيستاني لم يشر في خطابه إلى الدين الاسلامي فحسب، وإنما عممه على باقي الاديان بأخذ الثوابت المطلقة من كل دين في العراق والاسلام بمقدمتها، وهنا مراعاة لكل الاديان في العراق؛ لينصرف الذهن عن المذهبية والفئوية.

٥- أكدت الدراسة أن السيد السيستاني لا يريد أن يستورد الدستور من قيم خارجية، بل من صميم روح المجتمع التي ينسلخ منه.

٦- يتصف سماحة المرجع الأعلى بسمتين مميزتين، وقد استقرأها الباحثان من نصوصه، وهما: الثبات والوضوح.

٧- أن النصوص التي صدرت عن سماحة السيد

الهوامش:

الصالح في اللغة: ١٠٢/٢.

تفسير الطبري: ٢٠٤٠٧/١.

تفسير ابن كثير: ٣٠٩٢/١.

نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: ٧٨/١، وينظر: بحث في القيم: ٤٠٤.

الثقافة الاسلامية تخصصا ومادة وقسما علميا: ١٤، وينظر: بحث في القيم: ٥٠٤.

٦. القيم الخاصة في مادة التربية الاسلامية: ٨٦.

٧ المدخل الى التربية والتعليم: ٤١.

٨ الثقافة الاسلامية تخصصا ومادة وقسما علميا: ١٤، وينظر: بحث في القيم: ٤.

٩ المدخل الى التربية والتعليم: ٢٢.

١٠ القيم في العملية التربوية: ٢٢.

١١ ارتقاء القيم دراسة نفسية: ٥٩.

١٢ علم نفس النمو، الطفولة والمراهقة: ٢٩.

١٣ ارتقاء القيم دراسة نفسية: ٤٦.

١٤ المصدر نفسه: ٤٦.

١٥ أخلاقنا، سلسلة اسلاميات: ٥٩.

١٦ المصدر نفسه: ٦٠.

١٧ ارتقاء القيم دراسة نفسية: ٥٠.

(١٨) تفسير المحيط الاعظم: ٤٥١.

(١٩) الاخلاق والآداب الاسلامية، عبد الله الهاشمي: ٣٢٧.

(٢٠) سورة الحشر: ٩.

(٢١) سورة الإنسان: ٨.

- (٢٢) نور الثقلين، الحويضي ٢٨٥/٥٢.
- (٢٣) ميزان الحكمة: ١٦١.
- ٢٤ النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ١٢.
- (٢٥) سورة سبأ: ٢٤.
- ٢٦ النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ١٧٩.
- (٢٧) مسند أحمد: ٥٦/٦.
- (٢٨) كنز العمال: ٦٨٦/٣، جامع الأحاديث القدسية: ٦٥/١.
- ٢٩ الكافي: ٢٥/١.
- (٣٠) أعلام الدين: ٢٩٨، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٨٣ بحار الأنوار: ١٢٧/٧٥.
- ٣١ النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ٣١.
- ٣٢ سورة الزمر ١٧-١٨.
- ٣٣ أخرجه مسلم، حديث (٥٥)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه أبو داود في "كتاب الأدب" باب في النصيحة حديث (٤٩٤٤)، وأخرجه النسائي في "كتاب البيعة" باب النصيحة للإمام حديث (٤٢٠٨ >).
- (٣٤) سنن الترمذي: ١ / ٣٥١.
- (٣٥) سنن أبي داود - الأدب: ٤٩٤١.
- (٣٦) ينظر: مدارج السالكين: ٥١٤/١.
- ٣٧ النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ٥١.
- ٣٨ المصدر نفسه: ٥٣.
- ٣٩ فن الحوار، أصوله، آدابه، صفات المحاور: ٣٢.
- ٤٠ أسلوب الحوار في القرآن الكريم: ١٠٨.
- ٤١ النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ٥٤.
- (٤٢) تفسير المحيط الأعظم: ٤٥١.
- (٤٣) سورة فاطر: ٨.
- (٤٤) سورة فصلت: ٤٤.
- (٤٥) تحف العقول: ١١٥.
- النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ٥٩٤٦.
- ٤٧ النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ١٧٥.
- (٤٨) السلسلة الصحيحة، الألباني: ٤ / ١٦٨، تلخيص المتشابه في الرسم، البغدادي: ٨/١، وتعني السفساف: ما يدخل فيها وما لا يدخل فيها.

- (٤٩) شرح دعاء كميل لأمير المؤمنين عليه السلام: ١٧.
- (٥٠) غرر الحكم: ٤٤٧.
- النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ٥١ ٢٠
- ٥٢ النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ٢٦
- (٥٣) تفسير المحيط الاعظم: ٤٤٦.
- (٥٤) سورة الفرقان: ٦٣.
- (٥٥) سورة المؤمنون: ٩٦.
- (٥٦) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب: ٢٢٦٧/٥.
- (٥٧) الخصال: ٥.
- (٥٨) غرر الحكم: ١١٨٥.
- (٥٩) غرر الحكم: ٣١٩٤، ٨٦٢٠.
- ٦٠ النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ٤٧
- ٦١ النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية: ٤٩
- (٦٢) سورة آل عمران: ١٤٦
- (٦٣) سورة البقرة: ١٥٥.
- (٦٤) أخرجه أحمد: ١٨٥/١.

المصادر والمراجع

سلطان القرآن الكريم

١. القيم الخاصة في مادة التربية الاسلامية، جمال عبد الهادي، المنصورة، دار الوفاء، القاهرة، ١٩٨٦.
٢. القيم في العملية التربوية، ضياء زاهر، مؤسسة الخليج العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٦.
٣. المدخل الى التربية والتعليم، عبد الله الرشدان، نعيم جعيني، دار الشروق للطباعة والنشر، عمان، الاردن، ٢٠٠٦.
٤. ارتقاء القيم دراسة نفسية، عبد اللطيف محمد خليفة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٦، ١٩٩٢.

٥. علم نفس النمو ، الطفولة والمراهقة ، حامد عبد السلام زهران ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٧ .
٦. أخلاقنا ، سلسلة اسلاميات ، محمد ربيع جوهر ، المؤسسة العربية الحديثة ، العدد (١٢) القاهرة ، ١٩٨٨ .
٧. فن الحوار ، أصوله ، آدابه ، صفات المحاور . فيصل بن عبدة قائد الحاشري ، ط ١ ، مط دار الايمان للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ٢٠٠٣ .
٨. اسلوب الحوار في القرآن الكريم ، إديس أوها . ط ١ ، مط ، منشورات وزارة الاوقاف الدينية ، المملكة المغربية ، ٢٠٠٥ .
٩. النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية . حامد الخفاف ، ط ٢ ، د. مط ، ٢٠٠٩ .
١٠. مسند أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد ، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
١١. الصحاح في اللغة لصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
١٢. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

١٣. تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير ، القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، المحقق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة

الطبعة الثانية، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ م.

١٤. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة.

١٥. الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسماً علمياً، أعضاء هيئة التدريس بقسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض، ١٩٩٦.

١٦. تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، السيد حيدر الأملي، حققه وقدم له وعلق عليه: السيد محسن الموسوي التبريزي، العهد الثقافي نور على نور، د.ت الطبعة: الثانية.

١٧. الأخلاق والآداب الإسلامية، عبد الله الهاشمي، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان، الطبعة: الأولى ٢٠٠٦ م.

١٨. تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تصحيح: هاشم الرسولي، انتشارات اسماعيليان، الطبعة: الأولى، د.ت.

١٩. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث - قم، ١٤٢٢ هـ.

٢٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالملكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥ هـ)، (المحقق: بكري حياني - صفوة السقا، : مؤسسة الرسالة،

الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.

٢١. جامع الأحاديث القدسية، صام الصبابطي، دار الريان للتراث، د.ت.
الكافي، تحقيق: تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، مطبعة حيدري،
الطبعة: الخامسة، دار الكتب الإسلامية- طهران - إيران، سنة الطبع: ١٣٦٣ ش.
٢٢. أعلام الدين في صفات المؤمنين، الشيخ الجليل الحسن بن أبي الحسن
الديلمي (من أعلام القرن الثامن الهجري)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام
لاحياء التراث، د.ت.
٢٣. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الشيخ الجليل الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر
الحلواني: (من أعلام القرن الخامس)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه
السلام- قم المقدسة، برعاية الحاج السيد محمد باقر بن المرتضى الموحد الأبطحي دامت
بركاته، باهتمام: الحاج السيد جلال طبيب بور، الأصفهاني، الطبعة الأولى
المحققة.
- المطبعة: مهر، قم، ١٤٠٨ هـ.
٢٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي (ت ١١١١ هـ)، تحقيق: محمد الباقر البهبودي
الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.
٢٥. سنن الترمذي، الترمذي أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب
الإسلامي، ١٩٩٦ م.
٢٦. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبو داود، المحقق: شعيب
الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م.
٢٧. مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار
الكتاب العربي، رقم الطبعة السابعة، ١٤٢٣ - ٢٠٠٣ م.

٢٨. تحف العقول، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، مؤسسة الأعلمي-بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٩. السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٣٠. تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بؤادر التصحيف والوهم، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المحقق: سكينه الشهابي، طلاس - دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

٣١. غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي (ت ١١٥٥هـ)، ترتيب وتدقيق عبد الحسين ذهيني، دار الهادي، بيروت - لبنان.

٣٢. الخصال، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري

الطبعة، ١٤٠٣هـ-١٣٦٢ش.

The issues revealed by this research are many, it reveals important things, namely educational and moral values and their great effects on the fate of the nation, and its preservation, as well as the pursuit of its advancement, and gives a new opinion in the community peace and how to manage crises, and sees a new vision in how to deal with difficulties in I crave the times.

In order to achieve the goal of the research, the researchers chose the starting point in the positions that reflect these values in how Mr. Sistani dealt with contemporary events and their great effects in preserving the essence of the divine message of distortion,

injecting the blood of Muslims and influencing society in all its forms at a time when Evil and tyranny in order to undermine the true Islam and Muslims, by spreading sedition, falsehoods, suspicions, etc., as well as showing Islam to others in an ugly and distorted way.

The second topic has been set up to monitor the ethical and educational values and their doctrines at Mr. Sistani, and in the course of his research, Then came the conclusion, including the most important results of this study, and the researchers made an effort to obtain the sources and references important from which they reported.

دور مرجعية النجف الأشرف الدينية في تنظيم الاختلاف بين المسلمين

أ.م.د. وليد عبد الحميد خلف

كلية الفقه / جامعة الكوفة

موضوع البحث : المشروع الريادي لمرجعية النجف الأشرف في تنظيم الاختلاف بين المسلمين .

أسباب اختيار البحث : الحاجة الفعلية في البلاد العربية والإسلامية عموماً والعراق خصوصاً للتعريف والتثقيف بهذا المشروع وتطبيقه في واقع الحياة تحقيقاً لوحدة المسلمين واللحمة الوطنية والأخوة الدينية والسلام المجتمعي .

مشكلة البحث : التساؤلات المتعلقة بدور مرجعية النجف الأشرف في تنظيم الاختلاف بين المسلمين باعتبار زعامتها الدينية ومكانتها العلمية ، من حيث : ماهية دورها ، ومنهجها فيه ، والنتائج المتحققة نظرياً وفعالياً .

جدوى البحث : إن المشروع التكاملي لمرجعية مدرسة النجف الأشرف في تنظيم الإختلاف بين المسلمين يستحق البحث ، لأنه فيه إضافة معرفية تتجلى في أبعاد هذا المشروع التنظيرية والفعالية ، وإنجازاته التاريخية والمعاصرة ، وأثره في السلوك الإيجابي لمئات الملايين من المسلمين الذين يقلدون مرجعيات هذه المدرسة .

أسئلة البحث: وتتفرع على موضوع البحث تساؤلات جوهرية مهمة في البعدين النظري والعملي تتعلق بدور مرجعية مدرسة النجف الأشرف في تنظيم الاختلاف بين المسلمين من حيث : (الدوافع ، والمنهج ، والفلسفة ، والأهداف ، والنتائج) ، والأسباب والظروف التي حالت دون تحقيق الانجازات المأمولة في واقع البلاد العربية والإسلامية وفي مقدمتها العراق .

أهداف البحث : البرهنة على أن مرجعية مدرسة النجف الأشرف بمشروعها الريادي موضوع البحث على خطى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في انفتاحها على المذاهب الإسلامية وتنفيذها مشاريعها المذكورة بمنهجها المبين خدمة للإسلام ورفعة لشأنه ، وللمسلمين جميعا توحيدا لكلمتهم ورسا لصفوفهم وعملا على تأخيرهم وإفادة من نتائجهم العلمي وتحقيقا لسعادتهم في الدنيا والآخرة وإحقاقا لحقوقهم ورفع الحيف والجور عنهم جميعا ، وتعايشا إنسانيا مع الآخر .

أهمية البحث : تشخيص المشروع التكاملي لمرجعية مدرسة النجف الأشرف في تنظيم الاختلاف بين المسلمين ، والذي هو مشروع إسلامي في أصوله وقواعده ، إنساني في نزعته وقيمه ، وليكون منطلقا لتنظيم واقع حياتنا اليوم على أسس التعايش الأخوي بين المسلمين جميعا ، و"التآلف الاجتماعي" مع الجميع ، وتفعيل التحابب ثقافة ومنهج وسلوكا بين المسلمين جميعا على تعدد مذاهبهم واجتهاداتهم .

فرضيات البحث : أن رؤية مرجعية مدرسة النجف الأشرف في تنظيم الاختلاف بين المسلمين رؤية إسلامية واقعية مستنبطة من القرآن الكريم والسنة الشريفة ، تتميز بالعدل والانصاف بعيدا عن التعصب والغلو والتطرف ورفضا للتكفير والشقاق ونبذا للعنف والطائفية ، ولها دور ريادي في التأسيس للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، ووحدة المسلمين .

حدود البحث ومجتمعه : لما كان موضوع البحث مشروع مرجعية مدرسة النجف الأشرف فإن حدود البحث المكانية مدينة النجف الأشرف والبلدان التي انتشر فيها خريجوها للقيام بواجباتهم الدينية والعلمية والمعرفية في تنظيم الاختلاف بين المسلمين ، وعليه فإن مجتمع البحث مقلدو مدرسة النجف الأشرف أينما كانوا ، ولما

كانت فرضيات البحث ثابتة منذ ظهور مرجعية مدرسة النجف وإلى اليوم فإن حدود البحث الزمنية بعمر هذه المرجعية .

منهج البحث: لما كان تنظيم الاختلاف بين المسلمين ظاهرة دينية معرفية سلوكية تبنتها مرجعية مدرسة النجف الأشرف فلا بد أن يكون منهج البحث هو المنهج الوصفي التحليلي للحصول على نتائج علمية دقيقة .

هيكلية البحث : التعريف بتنظيم الاختلاف بين المسلمين ودور مرجعية مدرسة النجف الأشرف في ذلك بأبعاده النظرية (المفهوم ، المشروعية ، والفلسفة ، والهدف) والفعلية (المنهج العملي ، والاليات المتبعة ، والنتائج المترتبة) ، وختاماً تقييم المشروع كونه تجربة إسلامية رائدة .

الكلمات المفتاحية : المرجعية الدينية ، مدرسة النجف الأشرف ، تنظيم الاختلاف ، التقريب بين المذاهب ، الوحدة الإسلامية ، التعايش الإنساني .

البحث الموسوم

دور مرجعية النجف الأشرف الدينية في تنظيم الاختلاف بين المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام ووضع لنا شرعة ومنهاجا تنظم شؤون حياتنا والصلاة والسلام على خير الأنام البشير النذير السراج المنير سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين الهداة المهديين .

للمرجعية الدينية في مدرسة النجف الأشرف منذ ظهورها قبل أكثر من ألف عام وإلى اليوم دور ريادي في العالم الإسلامي علمي وتربوي واجتماعي وسلوكي وحضاري خدمة للإسلام الحنيف ورفعة للمسلمين ، فكونت منذ تأسيسها في عهد الشيخ الطوسي واقعا حضاريا مهما في تاريخ الأمة ، سواء في بنيويتها أم في الخزن المعرفي الذي أنتجته أو ساعدت على إنتاجه ، أم في إيجاد الحلول للمعضلات الفكرية التي

تواجه أفراد الأمة ولتكون أفكارهم وتقلباتهم في إطار الشريعة الإسلامية ، فالمرجعية الدينية تتفاعل مع آمال الأمة وطموحاتها ، متحسسة همومها وظروفها ، ولذا كان لها في كل حادثة حديث ، وفي كل واقعة موقف ، فحققت انجازات كبيرة في جميع الميادين .

ومن القضايا المهمة التي عالجتها المرجعية الدينية معالجة شرعية موضوعية استراتيجية قضية "الاختلاف بين المسلمين" والتي أجمت صراعا وفتنا ، وأثمرت شقاقا وتعصبا ، وأنتجت ويلات وضحايا ، فسعت المرجعية الدينية في النجف الأشرف منذ نشأتها إلى معالجة هذه القضية الخطيرة معالجة واعية بكل متعلقاتها (أسبابها وجذورها وحقيقتها وأبعادها وأهدافها ونتائجها) كل ذلك بمشروع " تنظيم الاختلاف بين المسلمين " وهو مشروع ريادي في واقع الحياة من مشاريع المرجعية الدينية في النجف الأشرف .

وأهمية هذا الموضوع دفعني للبحث فيه ، واقتضت ضرورة البحث تقسيمه على ثلاثة مباحث : الأول في التعريف بمشروع المرجعية الدينية في الاختلاف ، والثاني : في منهجية المرجعية الدينية في تنظيم الاختلاف ، والثالث : في إنجازات مشروع المرجعية الدينية في تنظيم الاختلاف ، فإن أحسنت بفضل الله تعالى وتوفيقه ، وإن أخفقت فبقصوري وتقصيري ، وعذري أنني بذلت مجهودي .

المبحث الأول- مشروع المرجعية الدينية في الاختلاف :

لما كانت " المرجعية " وظيفة المرجع فإن وجودها متوقف على وجوده ومفهومها يتجلى من مفهومه ، فلا بد من تعريفه :

المرجع لغة: مصدر رجع ، يقال : رجع يزجع رجوعا ورجعا : انصرف (١) ، والرجوع : نقيض الذهاب (٢) .

والمرجع اصطلاحاً : هو المجتهد الذي يرجع إليه الناس للفتوى في عباداتهم ومعاملاتهم ، ويسمى أيضاً بـ (المقلد) (٣) ، وكما أنه : العالم المجتهد الذي ترجع إليه الأمة بالحكم الشرعي لحياتها اليومية ، فإنه يقودها إلى منهج الرسالة الإسلامية وتطلعاتها المصيرية العامة ، فيتصدر المركز القيادي في الأمة (٤) .

وعليه فإن " مرجع التقليد " هو الأب الروحي للأمة في جميع تقلباتها التي يفترض أن تكون في إطار التشريع الإسلامي .

ومن هنا نفهم أن وظيفة المرجعية وظيفته دينية من أجل الخروج عن عهدة التكليف الشرعية ، وبراءة الذمة منها أمام الله عز وجل ، وحصول العذر بين يديه سبحانه وتعالى ، وقد قامت الأدلة الشرعية على مشروعيتها (٥) .

والاختلاف : أن ينهج كل شخص طريقاً مغايراً للآخر في حاله أو في قوله ، فالاختلاف مطلق المغايرة في القول أو الرأي أو الحالة أو الهيئة أو الموقف (٦) ،

وإذا كان " التنظيم " : " الترتيب والتدبير ليأخذ الأمر نسقاً معيناً " ، فإن " تنظيم الاختلاف " الإجراءات المتخذة لترتيب الاختلاف وتديره ليكون إيجابياً في واقع الحياة.

وعلى امتداد تاريخها تميزت مرجعية النجف الأشرف بواقعية رؤاها في جميع المسائل والقضايا ، ومنها " الاختلاف بين المسلمين " ، ففي رؤية المرجعية الدينية في مدرسة النجف الأشرف أن من الحقائق التي لازمت الوجود الإنساني على هذه الأرض اختلاف الإنسان مع الآخر في شؤون كثيرة ، ومنها الاختلاف في الدين والمذهب والثقافة والفكر والفلسفة ، وهذا الاختلاف طبيعي لاختلاف الناس في القدرات العقلية وطبيعة التفكير ومستوى الذكاء والتحصيل العلمي والبيئة الثقافية والرؤى والفلسفات والأهداف والدوافع والغايات ، وسيبقى الاختلاف قائماً ببقاء هذه العوامل والتي هي باقية ببقاء الإنسان ، بل قد يكون الاختلاف ضرورياً في واقع الحياة لأن

القدرات العقلية للإنسان تتطور وتتكامل بالاختلاف المعرفي مع الآخر وبذلك يتشكل المجال الأفضل للتطور الذهني والمعرفي ويساعد لبناء أدوات ذهنية جديدة (٧).

كما أنه من البديهيات في تراث مرجعية مدرسة النجف الأشرف المستمد من نصوص أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أن أهل السنة كالشيعة في كل أثر يترتب على مطلق المسلمين ، وأن هذا من مسلمات مذهب الإمامية الإثني عشرية (٨) . ولذا تبنت المرجعية الدينية فعليا في واقع الحياة مشروعها في تنظيم الاختلاف باليات متعددة ، منها :

١ - ترسيخ مبدأ التعاون والانفتاح على المذاهب الإسلامية باعتباره خطوة إيجابية تبناها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ويفرضها الواقع القائم .

٢ - تعميق الشعور في نفوس المسلمين بوجوب التلاحم بينهم ، وعليهم أن يذللوا العقبات في سبيل ذلك وتناسيهم خلافاتهم (٩) .

٣ - التعريف بالمشاركات بين المذاهب الإسلامية وإظهارها في كل مناسبة ، وفي مقدمة الأمثلة على ذلك أن لمرجعية السيد المرتضى جهود في تنظيم الاختلاف بين المذاهب الإسلامية فقهيا ، حيث ركز في تأليفاته على الفقه المقارن (١٠) ، وفي كتابه "الانتصار" رد الشبهة القائلة أن الإمامية انفردوا بمسائل أفتوا بها لم يكن موافق لهم من بقية فقهاء المذاهب الإسلامية مما يسهم في عزل فقههم عن بقية المذاهب الأخرى (١١) ، وكانت جهود السيد المرتضى في مجال دراسة الفقه المقارن تهدف إلى تقريب شقة الخلاف في المسائل الفقهية التي تنامت في ذلك العصر باختلاف وجهات نظر فقهاء المذاهب الإسلامية ، وذلك بحصر آرائهم في كل مسألة من المسائل الفقهية ومقارنتها ، وهو بذلك فتح أبوابا جديدة لعملية التلاقح الفكري التي لم تكن

معهودة آنذاك ، وأوصد أبواب النزاعات التي لم تبين على أصول البحث العلمي الجاد (١٢).

٤ - تكييف الاختلاف بين المذاهب الإسلامية ، وذلك لوعي المرجعية الدينية بمسؤوليتها الشرعية أمام الله تعالى ومسؤوليتها التاريخية أمام الأجيال في كل عصر فقد وضعت منهجا لتكييف الاختلاف بين المسلمين تكييفاً إيجابياً واعياً بتحويل هذا الاختلاف إلى اختلاف تنوع لا تجييره إلى اختلاف تضاد ، وبالاقتبال من عنف الخلاف إلى تنظيم الاختلاف بإيمان راسخ ووعي ثابت ونوايا صادقة وجهود متضافرة على قاعدة امتثال الأمر المولوي بالرد إلى الله والرسول وتحويله إلى واقع حياتي معاش ، لأن يحول الاختلاف إلى تصارع وتنازع وتقاتل وتبادل للتهمة بالكفر والمروق من الدين والإلحاد والفسوق ، مما يؤدي إلى هدم الإسلام من الداخل بتفرق المسلمين شيعاً وتفكك مجتمعاتهم وانحيار دولهم (١٣).

٥ - في رؤية المرجعية الدينية في النجف الأشرف أن مسؤولية إسلامية عامة تسعى لتلبية متطلبات وحاجات جميع المسلمين سنة وشيعة على حد سواء وتحقيق آمالهم وطموحاتهم جميعاً ، فقد ورد في نداء المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر في (شعبان / ١٣٩٩ هـ - حزيران / ١٩٧٩ م) ما نصه : (وأني منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمة ، بذلت هذا الوجود من أجل الشيعي والسني على السواء ، ومن أجل العربي والكرد على السواء ، فأنا معك يا أخي وولدي السني بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي) (١٤).

ويتبين من كل ذلك أن " تنظيم الاختلاف بين المسلمين " ليس مقولة عابرة في حركية مرجعية النجف الأشرف ، بل هو أحد مشاريعها الاستراتيجية منذ أكثر من ألف عام ، وأنها بذلت جهدها وجهيدها عبر الزمن لتنفيذه ، ولكن قساوة الظروف

وخبث السياسة وأباطيل المرجفين وأساليب الأعداء كلها عوائق كأداء امام ذلك المشروع.

ولتنفيذ مشروع المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف في تنظيم الاختلاف بين المسلمين في عصرنا الحاضر فقد أكد المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني في الكلمة التي ألقيت نيابة عنه في عام (٢٠٠٧ م) في افتتاح الملتقى الأول لعلماء السنة والشيعة في العراق على "محبة سماحته لجميع الناس مستنكرا للفرقة بين المذاهب الإسلامية"، مبينا "ان نقاط الخلاف بين الشيعة والسنة في قضايا فقهية موجودة بين أبناء المذهب الواحد أيضا ... لا بد للشيعة ان يدافعوا عن الحقوق الاجتماعية والسياسية للسنة قبل أبناء السنة أنفسهم ... خطابنا الدعوة إلى الوحدة ، وكنت ولا أزال أقول لا تقولوا اخواننا اهل السنة ، بل قولوا أنفسنا أهل السنة ... الاسلام يجمعنا معا ... أنا مع الجميع حينما يطالبون بحقوقهم" (١٥).

المبحث الثاني - منهجية المرجعية الدينية في تنظيم الاختلاف :

لا شك أن العلاقة وثقى بين "الاختلاف" و"الخطاب" فجذلتيهما مترابطة متجذرة في فلسفة كل منهما ، ولذا فإن "تنظيم الاختلاف" و"الخطاب الديني" كل منهما مشروع متكامل لمرجعية النجف الأشرف بمفاهيمه وفلسفته وضوابطه وآلياته ونتائجه .

وللمرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف منذ تأسيسها مشروع خطاب ديني إنساني حضاري موجه للعقل والقلب في تنظيم الاختلاف بين الناس قائم على نبذ الطائفية والعنف والتطرف بكل صوره وأبعاده ، وترسيخ مبادئ الوسطية والإعتدال ، وثقافة السلم الأهلي والتعايش الإنساني والأخوة الدينية والأمن المجتمعي (١٦) وفق منهج الاستقامة في الدين أي الإلتزام التام بالقرآن الكريم والسنة

الشريفة ، ومبادئ الإسلام الحنيف وآدابه ، والإيمان المطلق بأصول الدين ، وامتنال أحكام الشريعة والتحلي بالأخلاق الفاضلة ومخالفة الهوى (١٧) .

ولتنظيم الاختلاف بين المسلمين كانت ولا تزال المرجعية الدينية تدعو نخب المسلمين جميعا (علماء ومتعلمين) المبادرة الفورية إلى تدارس آليات التطبيق والتشاور في سبل تنظيم الاختلاف بعد أن توصل منهجية منضبطة لتألف المسلمين مهما اختلفت رؤاهم وتعددت مذاهبهم .

وفي فلسفة مرجعية مدرسة النجف الأشرف لتنظيم الاختلاف أسس لا يتحقق دونها سعت جاهدة إلى تفعيلها في الأمة ، وهي :

أولا - الوعي : وذلك بأن يعمل كل قادر على أن توعية كل فرد من أفراد المجتمع أن الاختلاف أمر واقع وأن تنظيمه مطلب شرعي وعقلي ووجداني ، ولا بد من إزالة العوائق النفسية التي تحول دون قبول تنظيم الاختلاف وهي (كراهية الآخر ، والجمود الذهني ، والتعصب) (١٨) .

وتوعية علماء المسلمين بدورهم الخطير في هذه المعادلة لأنهم إن اختلفوا تصارع المسلمون ، وإن تصارعوا تناحر المسلمون واقتتلوا ، فعليهم تربية المسلمين على هدي الوحي وخلق النبي (ص) في التعامل مع الناس كل الناس ، بل وأن يعملوا على توظيف الاختلاف لإثراء الثقافة والحضارة الإسلامية على مبدئي " التعددية " و " التسامح " بعد إزالة العوائق النفسية الواعية واللاواعية التي تحول دون هذا (١٩) .

ولما كان الرأي الآخر المختلف إثراء للمعرفة والانفتاح عليه إزالة للعوائق فقد كانت لمرجعية الشيخ الطوسي جهود مميزة في حفظ آراء بعض المذاهب الإسلامية المنقرضة مع الاختلاف معها كمذهب زفر والأوزاعي والبصري والسدي والظاهري وغيرها ، وقد ذكر المسائل المختلف فيها وقرنها بالأدلة ، واختار منها ما وصل إليه استنباطه ورأيه (٢٠) .

ولتنظيم الاختلاف تنظيمًا بناءيًا متكاملًا فقد عملت المرجعية الدينية في كل مناسبة على تذكير وحث علماء المسلمين على حتمية نزع الغطاء الديني عن كل ما يثير الفتنة والفرقة والخلاف بين المسلمين من جميع المذاهب ، ومكافحتهم ثقافة الحقد والتعصب والإقصاء ورفض الآخر ، فالحقيقة التي بينتها المرجعية أن التعصب للذات والجهل بالآخر عمق الخلاف وجذر الصراع بين المسلمين (٢١) .

ومن الشواهد على ذلك ما كان لمرجعية الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من دور كبير وسعي دؤوب متواصل في التقريب بين المذاهب الإسلامية وفي تنظيم الاختلاف بين المسلمين من خلال مؤلفاته وخطبه ومذكراته ومواقفه المتكررة الموشية بحالة القلق والتوجس المريع الذي ينتابه من استمرار حالة الأمة على ما هي عليه من الاختلاف والتنافر والتقاطع رغم شدة التقارب ووضوحه بين مذاهبها ، بل أن حياته كانت موقوفة في إقامة صرح الوحدة الإسلامية المباركة ونبذ الاختلاف (٢٢) .

ثانياً - المعرفة : شخّصت المرجعية الدينية أن من أهم عوامل الاختلاف بين المسلمين الجهل بحقيقة رؤية المسلم الآخر ودليله وما يستتبعه من تجهيل وتعصب وانغلاق وجمود وظلامية بل هو السبب الرئيس للصراعات التي عانت منها الأمة ودفعت ثمنها دماء زكية ، ولذا أمرت الجميع بالخروج من ظلام الجهل ولوازمه إلى نور المعرفة وآفاقها ، ولتحقق تنظيم حقيقي لاختلاف المسلمين .

فأما العالم فبتفهمه رؤية الآخر وتعقله تنظيره بموضوعية وعلمية وحيادية ونشره الحقيقة العلمية بين الناس وتثقيفهم بها ، وأما الجاهل فبإقباله على التعلم ومعرفة ثقافة الآخر ، وهذا يحتم على الجميع التوعية بذلك وتحويله الى واقع فعلي (٢٣) .

ومن الجهود المبذولة في ذلك ما كان لمرجعية العلامة الحلي من دور مميز في ابراز المشتركات الفقهية بين المذاهب الاسلامية المختلفة كما في كتابه " منتهى المطلب في تحقيق المذهب " .

وفي فلسفة مرجعية مدرسة النجف الأشرف أن الاختلاف ينتج وعيا مزدوجا بنقد المنظومة الفكرية والثقافية للذات وتحليلها معرفيا وقيميا ومراجعتها وتصحيحها في حوار جدلي دائم ، واكتشاف أوجه نظر مغايرة تمثل معارف وثقافات الآخر والتي ينبغي أن تفهم على أنها مرآة عاكسة لاكتشاف الذات وتقييم تجربتها لتقويمها ، ومن الشواهد على ذلك الاحاطة العلمية التفصيلية بفكر الآخر المختلف وتاريخه ورؤاه وفقهه وفلسفته وأصوله وفروعه وثقافته وجميع شؤونه ، وهو ما يتضح من المنتج المعرفي لمدرسة النجف الأشرف بجميع أبعاده .

ثالثا - الحوار : وهو وفق رؤية المرجعية الدينية تخاطب أبناء الأمة (وفي مقدمتهم العلماء والمفكرون والباحثون والأكاديميون والنخب المختلفة) تخاطبهم في القضايا المختلف فيها للتحقق بشأنها وتعقلها سعيا لمعرفة ، ولإيجاد قواسم مشتركة بينهم وبما يحقق تنظيم الاختلاف على أساس الإيمان بالله ورسوله والتحلي بأخلاق الإسلام الحميدة ونبد العصبية ، مع مراعاة شخصية الطرف الآخر في الحوار ، وعلى قاعدة " التواصي بالحق والتواصي بالصبر " فالتواصي يدل على تبادل الحوار بين المسلمين بأن يعمل كل مع صاحبه مثل ما يحب ويجب أن يعمل معه ، وتحري الحقيقة بجهد مشترك بين المتواصين (٢٤) .

ومن أمثلة ذلك أنه كان منهج الشيخ نور الدين علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي الملقب بالمحقق الثاني (٨٦٨ - ٩٤٠ هـ / ١٤٦٣ - ١٥٣٤ م) تشجيع الحوار

بين الأطراف وشجب مبدأ العنف ومصادرة الآخرين (٢٥)، وهذا منهج أساس في تنظيم الاختلاف بين المسلمين .

لقد بذلت مرجعية مدرسة النجف الأشرف على امتداد تاريخها جهودا حثيثة لنشر ثقافة الحوار بمدلولاته الإيجابية كونه وسيلة للتفاهم مع الآخر وفهمه ، ولأنه أداة التلاقي والتقارب والتواصل مع الآخر والتخاطب معه ومناقشته في كل القضايا ، والتوافق على الوصول إلى حل للمعضل المختلف فيه بعلمية وموضوعية وودية واحترام بعيدا عن العنف بكل صوره وأبعاده ، ولإيجاد أرضية مشتركة تضمن التآخي بين المسلمين .

وفي فلسفة المرجعية الدينية أن الحوار الحضاري البناء ضرورة إسلامية كونه من مصاديق الأمر الإلهي " لتعارفوا " ، فلا بد من إعادة صياغة أدب الاختلاف صياغة معاصرة يعتمدها علماء الأمة ومفكروها ليسهل الاقتداء بها وتثقيف العامة بمضامينها ، ولا بد من تأصيل المفكرين المسلمين لـ " عقل الاختلاف " على أنه رؤية للأمور وفهم للظواهر وتقدير للأقوال ، وفق هدي الكتاب الكريم والسنة المطهرة . ووفق ضوابط المرجعية الدينية في تنظيم الاختلاف أن لغة الحوار الحضاري تقتضي معرفة أسس ومباني الطرف الآخر ، والابتعاد عن العصبية المذهبية ، وتحديد المشتركات لتكون أصولا يؤسس عليها للتآخي والتوحيد ، وتشخيص المختلف فيه ليكون في دائرة البحث والدراسة والتمحيص والتعقل والاحترام (٢٦) .

كما أن البحث العلمي المقارن في " فقه الخلاف " على وفق رؤية مدرسة النجف الأشرف ، جزء من ثقافة الحوار مع المذاهب الإسلامية ، والمساهمة في التقارب ، وإزالة التشنج ، وعلى أن يكون المنهج في البحث العلمي المقارن على وفق الموضوعية والحيادية والإنصاف ولتكسر حواجز الانغلاق والتعصب والجمود ويتحقق التنوع الفقهي (٢٧) .

رابعا - التآخي : وفي حركية مرجعية مدرسة النجف الأشرف (تنظيرا وعملا) ضرورة وحتمية تأخي المسلمين ، وهو مشروع نهضت به المرجعية في كل أحوال الاختلاف بل حتى في حالة الصراع والنزاع ، معلنة أن من لوازم التآخي أن يقر المسلم صادقا بأن لغيره مثل حقه في كل شيء ، وبذلك يندثر التزمت ويتحقق ثراء الاختلاف فيتعمق فهم الوجود ويبدع عقل الاختلاف في إغناء تجربة المسلمين فكرا وخلقا ومنهجاً رصينا (٢٨) .

خامسا - الوحدة الإسلامية : وهي المطلب الأسمى للمرجعية الدينية في المجتمع الإسلامي ، إنها وحدة الأخوة الحقيقية القائمة على وحدة الانتماء ووحدة الغاية والاتحاد في القصد والاشتراك في العواطف ، والتي تجمع المسلمين وتسمو بهم عن كل الاعتبارات الأخرى ليكونوا الأمة الواحدة التي أرادها الله تعالى .

فكان الإمام آية الله العظمى المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر (١٣٥٣ - ١٤٠٠ هـ / ١٩٣٥ - ١٩٨٠ م) أحد منظري " الوحدة الإسلامية " في مدرسة النجف الأشرف حتى كان شعاره في مجلة الأضواء " رسالتنا يجب أن تكون قاعدة للوحدة " داعياً علماء المذاهب الإسلامية إلى التكاتف والأخوة والوحدة مبيناً أسسها ومحذراً من الفرقة والإنشقاق ومخاطبهما ، وقد أعلن في خطابه ما نصه : " وإني مذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمة بذلت هذا الوجود من أجل الشيعي والسني على السواء ، ومن أجل العربي والكرد على السواء ، حيث دافعت عن الرسالة التي توخدهم جميعاً ، وعن العقيدة التي تضمهم جميعاً ، ولم أعش بفكري وكياني إلا للإسلام ، طريق الخلاص وهدف الجميع " (٢٩) .

ووفق نظرية مرجعية مدرسة النجف الأشرف أن الوحدة بين المسلمين يمكن أن تتحقق في الجوانب الأخرى مع وجود الاختلاف في بعض الأفكار والاجتهادات ،

فيمكن تنظيم الاختلاف في إطار الوحدة الحضارية للأمة بإعادة تشكيل عقل المسلم ليقبل الاختلاف في إطار الوحدة (٣٠) ، ولا يزال إلى اليوم سعي المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف حثيثا لتحقيق ذلك بجميع السبل المتاحة .

المبحث الثالث - إنجازات مشروع المرجعية الدينية في تنظيم الاختلاف :

رغم الصعاب والمحن الرزايا والخطوب والفتن فقد حقق مشروع المرجعية الدينية في تنظيم الاختلاف إنجازات مهمة نوجز بعضها فيما يأتي :

١ - التأسيس لرؤية منهجية استنباطا من كتاب الله وسنة رسوله (ص) في تنظيم الاختلاف بين المذاهب الإسلامية لاستيعاب تنوعهم وبما يحقق تآلفا وتآخيا بين جميع المسلمين مهما اختلفت رؤاهم وتعددت مذاهبهم ، كما أنها أوجدت نخبة من العلماء والدعاة والمفكرين والباحثين تتحمل مسؤولياتها في إدارة الاختلاف وتنظيمه والتقريب بين المذاهب الإسلامية ونشر ثقافة الحوار الإيجابي والتآخي والوحدة بين المسلمين جميعا ، الأمر الذي حقق نتائج إيجابية تمثلت بنزع فتيل الفتن والضبط الاجتماعي والحد من الطائفية وإيجاد أرضية صلبة لتآخي المسلمين.

٢ - العمل على ترسيخ العواطف النبيلة بين جميع المسلمين تجاه بعضهم بأن يتآخي جميعهم وتسود بينهم على اختلاف مذاهبهم رابطة الحب وثقافة الود ، ومخاطبة وجدانهم من خلال هذه العاطفة المؤثرة والمحركة لإرادة المسلم (٣١) ، وليثمر ذلك تعاون جميع المسلمين على البر والتقوى والاحتراز عن كل ما يوجب الفتنة والافتراق ، وتوحيد كلمة جميع المذاهب الإسلامية سنة وشيعة ونشرف فكر وثقافة الألفة بين الجميع (٣٢) .

٣ - أدت مواقف المرجعية الدينية في النجف الأشرف منذ بداية القرن العشرين إلى تعزيز وحدة العراقيين من السنة والشيعة (٣٣) .

٤ - عمل المرجع الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي (١٢٥٦ هـ / ١٨٤٢ م - ١٣٣٨ هـ / ١٩١٩ م) على توثيق الصلات الأخوية بين المسلمين بكل قواه ، ساعيا إلى التآلف والتآزر بين السنة والشيعة ، ونتيجة لجهوده الكبيرة الجبارة فقد اشتد في ظل مرجعيته التقارب بين السنة والشيعة بشكل لم يشهد له مثيل في العراق (٣٤).

٥ - ومن انجازات مرجعية النجف الأشرف في تنظيم الاختلاف بين المسلمين ما انتهجه الشيخ محمد رضا المظفر (١٣٢٢ - ١٣٨٤ هـ / ١٩٠٤ - ١٩٦٤ م) في الدراسات الإسلامية المقارنة وفي التقريب بين المذاهب الإسلامية " منهج التنوير والتبصير " بتوضيح الحقائق العلمية وتقريب العلوم التي انتجتها مدارس المذاهب الإسلامية ، وتيسير الإدراك والفهم ، وتأليف القلوب حول كلمة الحق ، وإزالة الحجب عن أعين الناظرين ، وحماية العقول من جمود المتعصبين ، والدعوة إلى الانصاف في الحكم ، والتثبت قبل ابداء الرأي ، والتشاور بين أهل العلم، ولذا فقد أسس بمعينة بعض من علماء النجف الأشرف "كلية الفقه" لتكون صرحا علميا جامعيا يجمع بين العمق المعرفي للحوزة العلمية والمنهج الأكاديمي وباعتماد الدراسة المقارنة في العلوم الإسلامية على تعددها ، ولتكون "كلية الفقه" من سبل التقريب بين المذاهب الإسلامية (٣٥).

٦ - إن الجهود المباركة للمرجعية الدينية في تنظيم الاختلاف بين المسلمين قد أثمرت التركيز على الوفاق منهجا وسلوكا وتنظيرا وفعلا ، والتثقيف بالمشتركات بين المذاهب الإسلامية في الأصول والفروع والأحكام والقيم ، ومن أمثلة ذلك توظيف الإمام آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الزنجاني (١٣٠٤ - ١٣٨٨ هـ / ١٨٨٧ - ١٩٦٨ م) جهوده العظيمة في رحلاته الرائدة في بلدان العالم الإسلامي وعلاقاته الطيبة بأعلام الأمة الإسلامية وعلماء مذاهبها وخصوصا الأزهر

الشريف ، ولا سيما بشيخه محمد مصطفى المراغي لإظهار الأصول المشتركة بين السنة والشيعة ، ولايجاد أرضية صلبة للتعايش وللتآخي والتقارب بينهما تمهيدا لتحقيق الوحدة الإسلامية (٣٦) .

٧ - أصدر المرجع الشهيد محمد محمد صادق الصدر (١٩٤٣ - ١٩٩٩ م) توصياته بأهمية انفتاح الشيعة على السنة والحضور معهم في مساجدهم والصلاة خلفهم ، وقد أدت جهوده إلى إزالة الحاجز المذهبي والنفسي بين أبناء العراق (٣٧) .

٨ - ألزم المرجع الأعلى الإمام آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني الجميع بتنظيم الاختلاف بين المسلمين بقوله: " فينبغي لكل حريص على رفعة الاسلام ورقى المسلمين أن يبذل ما في وسعه في سبيل التقريب بينهم والتقليل من حجم التوترات الناجمة عن بعض التجاذبات السياسية لئلا تؤدي الى مزيد من التفرق والتبعثر و تفسح المجال لتحقيق مآرب الاعداء الطامعين في الهيمنة على البلاد الاسلامية والاستيلاء على ثرواتها" (٣٨) ، وحققت مرجعية الإمام آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني في تنظيم الاختلاف بين المسلمين انجازات تاريخية ، منها :

أ - تشديد مرجعية السيد السيستاني على الحالة الوطنية العراقية ، بما يضمن العدالة والمساواة لجميع أبناء العراق بلا تمييز ، واستوعبت المرجعية مختلف أطياف الشعب العراقي ومذاهبه وقومياته وأديانه .

ب - منعت مرجعية السيستاني نمو التطرف الديني الذي حاولت بعض التيارات ممارسته .

جـ - لعبت المرجعية دورا هاما في الأزمات السياسية والنزاعات المسلحة حيث تمكنت بحكمتها وسعة صدرها من تجنب العراق حربا أهلية وفتنا طائفية .

د - أكدت المرجعية أهمية ضمان حقوق الأقليات الدينية والمذهبية والقومية في العراق (٣٩).

هـ- سعت مرجعية السيد السيستاني في الأزمة الطائفية المستعرة إلى الزام أتباع أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في ضبط النفس ، والدعوة إلى العمل على ما يعزز وحدة الشعب العراقي ويشد من أواصر الألفة والمحبة بين أبنائه (٤٠).

وفي يومنا هذا لا زال المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني يؤكد في كل وقت وحين على رص الصفوف ونبذ الفرقة والابتعاد عن النعرات الطائفية والتجنب عن إثارة الخلافات المذهبية ، مركزا على المشتركات أصولا وفروعا وقيما التي تجمع المسلمين سنة وشيعة ، وقد ألزم سماحته الجميع على التعايش السلمي بين الجميع وفق ضوابط الاحترام المتبادل بعيدا عن المشاحنات و المهاترات المذهبية و الطائفية أيا كانت عناوينها ، وأن مواقف سماحته والبيانات الصادرة عنه خلال السنوات الماضية بشأن المحنة التي يعيشها العراق ، وما أوصى به أتباعه ومقلديه في التعامل مع إخوانهم من أهل السنة من المحبة والاحترام ، وما أكد عليه مرارا من حرمة دم كل مسلم سنيا كان أو شيعيا وحرمة عرضه وماله والتبرؤ من كل من يسفك دما حراما أيا كان صاحبه كل هذا يفصح بوضوح عن منهج مرجعية النجف الأشرف الدينية العليا في التعاطي مع أتباع المذاهب الإسلامية جميعا ونظرتها اليهم ، ولو جرى الجميع وفق هذا المنهج مع من يخالفونهم في المذهب لما آلت الامور الى ما نشهده اليوم من عنف أعمى يضرب كل مكان وقتل فظيع لا يستثني حتى الطفل الصغير والشيخ الكبير والمرأة الحامل والى الله المشتكى (٤١).

إن كل ذلك يحقق لحمّة النسيج الاجتماعي بل " وحدة الأخوة الحقيقية " أي " وحدة النوع الإنساني " القائمة على مبادئ " العبودية لله تعالى " و " الأخوة في الدين " و " التناظر في الخلق " ، فالوحدة بين الناس يمكن أن تتحقق مع وجود الاختلاف في

العقائد والأفكار والاجتهادات ، وذلك بتنظيم الاختلاف في إطار الوحدة الحضارية للأمة ، وإعادة تشكيل ذهنية الإنسان ليقبل الاختلاف في إطار الوحدة ، وهذه مسؤولية الجميع (٤٢) .

خاتمة البحث (النتائج والتوصية) :

نستنتج من مطالب البحث أهمية مرجعية النجف الأشرف الدينية في تاريخ الأمة وتراثها وأثرها في واقع حياة المسلمين واستراتيجية مشروعها التكاملي في تنظيم الاختلاف بين المسلمين ، وتوصلنا إلى نتائج وتوصيات وكما يأتي :

أولاً - النتائج :

١ - كوّنت مرجعية النجف الأشرف الدينية منذ تأسيسها في عهد الشيخ الطوسي واقعا حضاريا مهما في تاريخ الأمة ، سواء في بنيتها أم في الخزن المعرفي الذي أنتجته أو ساعدت على إنتاجه ، أم في إيجاد الحلول للمعضلات الفكرية التي تواجه أفراد الأمة ولتكون أفكارهم وتقبلاتهم في إطار الشريعة الإسلامية .

٢ - من القضايا المهمة التي عالجتها المرجعية الدينية في النجف الأشرف منذ نشأتها معالجة شرعية موضوعية استراتيجية قضية " الاختلاف بين المسلمين " بكل متعلقاتها (أسبابها وجذورها وحقيقتها وأبعادها وأهدافها ونتائجها) .

٣ - من آليات مشروع المرجعية الدينية في تنظيم الاختلاف بين المسلمين : (ترسيخ مبدأ التعاون والانفتاح على المذاهب الإسلامية ، وتعميق الشعور في نفوس المسلمين بوجوب التلاحم بينهم وتذليل العقبات وتناسي الخلافات ، والتعريف بالمشاركات بين المذاهب الإسلامية) .

٤ - تكييف الاختلاف بين المذاهب الإسلامية تكييفاً إيجابياً واعياً بتحويل هذا الاختلاف إلى اختلاف تنوع لا تجييره إلى اختلاف تضاد ، وبالانتقال من عنف الخلاف إلى تنظيم الاختلاف بإيمان راسخ ووعي ثابت ونوايا صادقة وجهود متضافرة .

٥ - في رؤية المرجعية الدينية في النجف الأشرف أن مسؤوليتها إسلامية عامة تسعى لتلبية متطلبات وحاجات جميع المسلمين سنة وشيعة على حد سواء وتحقيق آمالهم وطموحاتهم جميعاً .

٦ - للمرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف منذ تأسيسها مشروع خطاب ديني إنساني حضاري موجه للعقل والقلب في تنظيم الاختلاف بين الناس قائم على نبذ الطائفية والعنف والتطرف بكل صوره وأبعاده ، وترسيخ مبادئ الوسطية والإعتدال ، وثقافة السلم الأهلي والتعايش الإنساني والأخوة الدينية والأمن المجتمعي .

٧ - في فلسفة مرجعية مدرسة النجف الأشرف أن الاختلاف ينتج وعياً مزدوجاً بنقد المنظومة الفكرية والثقافية للذات وتحليلها معرفياً وقيماً ومراجعتها وتصحيحها في حوار جدلي دائم ، واكتشاف أوجه نظر مغايرة تمثل معارف وثقافات الآخر والتي ينبغي أن تفهم على أنها مرآة عاكسة لاكتشاف الذات وتقييم تجربتها لتقويمها .

٨ - في مشروع مرجعية النجف الأشرف الدينية أن الحوار الحضاري البناء ضرورة إسلامية ، فلا بد من إعادة صياغة أدب الاختلاف صياغة معاصرة يعتمد عليها علماء الأمة ومفكروها ليسهل الاقتداء بها وتثقيف العامة بمضامينها ، ولا بد من تأصيل المفكرين المسلمين لـ "عقل الاختلاف" على أنه رؤية للأمور وفهم للظواهر وتقدير للأقوال ، وفق هدي الكتاب الكريم والسنة المطهرة .

٩ - وفق نظرية مرجعية مدرسة النجف الأشرف أن الوحدة بين المسلمين يمكن أن تتحقق في الجوانب الأخرى مع وجود الاختلاف في بعض الأفكار والاجتهادات ، فيمكن تنظيم الاختلاف في إطار الوحدة الحضارية للأمة بإعادة تشكيل عقل المسلم ليقبل الاختلاف في إطار الوحدة .

١٠ - إن الجهود المباركة للمرجعية الدينية في تنظيم الاختلاف بين المسلمين قد أثمرت التركيز على الوفاق منهجا وسلوكا وتنظيرا وفعلا ، والتثقيف بالمشاركات بين المذاهب الإسلامية في الأصول والفروع والأحكام والقيم ، ومنع نمو التطرف الديني والتعصب المذهبي ، ونزع فتيل الحرب الأهلية والفتن الطائفية ، وضمان حقوق الأقليات الدينية والمذهبية والقومية ، وضبط النفس ، والعمل على ما يعزز الوحدة ويشد أواصر الألفة والمحبة بين المسلمين جميعا ، وإعادة تشكيل ذهنية المسلم ليقبل الاختلاف في إطار الوحدة .

ثانيا - التوصية :

أخلص من مطالب البحث إلى توصية أضعها أمام السيد مدير مركز دراسات الكوفة المحترم واللجنة العلمية في هذا المؤتمر ، وفحواها : ضرورة استقطاب النخب والكفاءات العلمية والأساتيد الأفاضل لتفعيل مشروع المرجعية الدينية العليا في تنظيم الاختلاف بين المسلمين في واقع الحياة ببعديه التنظري والتطبيقي العملي بآليات متعددة ، منها عقد مؤتمر تخصصي في هذا المشروع وورش عمل وحلقات نقاشية وندوات فكرية .

- (١) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (٦٣٠ - ٧١١ هـ / ١٢٣٢ - ١٣١١ م) / لسان العرب، الطبعة الأولى - دار صادر، (بيروت، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م): ٨ / ١١٤، الفيروزآبادي: أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي (٧٢٩ - ٨١٧ هـ / ١٣٢٩ - ١٤١٥ م) / القاموس المحيط، الطبعة الثالثة - المطبعة الأميرية ببولاق، (القاهرة، ١٣٠٢ هـ): ١ / ٩٣٠.
- (٢) الفيومي: أحمد بن محمد المقرئ (٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م) / المصباح المنير، الناشر: المكتبة العلمية، (بيروت، لا.ت): ١ / ٢٢٠.
- (٣) فتح الله: أحمد (الدكتور) / معجم ألفاظ الفقه الجعفري، الطبعة الأولى - مطابع المدوخل، (الدمام، ١٤١٥ هـ): ص ٣٨٠ و: ص ٤٠٤.
- (٤) ينظر: بحر العلوم: العلامة الدكتور السيد محمد / النجف الأشرف والمرجعية الدينية - مجموعة بحوث ومقالات: ص ٧٢.
- (٥) ينظر: الحكيم: السيد محمد سعيد بن محمد علي الطباطبائي (آية الله العظمى) / المرجعية الدينية وقضايا أخرى، الطبعة الثالثة، (النجف الأشرف، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م): ص ٣٣.
- (٦) ينظر: العلواني: طه جابر / أدب الاختلاف في الإسلام، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٢): ص ٢٢.
- (٧) ينظر: الحكيم: السيد محمد باقر (آية الله العظمى) / الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين، الطبعة الرابعة، الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، (النجف الأشرف، ٢٠٠٨): ص ٤٥ وما بعدها.
- (٨) ينظر: كاشف الغطاء: الشيخ محمد حسين / أصل الشيعة وأصولها، تحقيق: علاء آل جعفر، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة الإمام علي (ع) (قم المقدسة، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م): ص ٢١٠، شرف الدين: العلامة السيد عبد الحسين الموسوي العاملي / الفصول المهمة في تأليف الأمة، الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م): ص ٢١.
- (٩) ينظر: السيد الحكيم / المرجعية الدينية وقضايا أخرى: ص ١٠٧، و: ص ١١٢ وما بعدها.
- (١٠) ينظر: القزويني: الدكتور جودت / المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية .. دراسة في التطور السياسي والعلمي، الطبعة الأولى، الناشر: دار الرافدين، (بيروت، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م): ص ٤٨.
- (١١) ينظر: الخرسان: السيد محمد رضا / مقدمة كتاب الانتصار للشريف المرتضى المطبوعة الحيدرية، (النجف، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م): ص ٤٢.

- (١٢) ينظر: ينظر: القزويني / المرجعية الدينية العليا : ص ٥٠ .
- (١٣) ينظر: الحكيم / الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين : ص ٩٣ وما بعدها ، و : ص ١١٠ وما بعدها .
- (١٤) ينظر الخاقاني : محمد عيسى / استثمار الدم .. إعدام السيد محمد باقر الصدر ، الناشر : Kutub Ltd ، الطبعة الأولى ، (لندن ، ٢٠١٨) : ص ١٦١ .
- (١٥) وقائع المؤتمر الوطني الاول الكبير لعلماء الشيعة والسنة في العراق المنعقد على قاعة الحسينية الفاطمية الكبرى في النجف الاشرف للفترة من (٢٦/١١ ولغاية ٢٧/١١/٢٠٠٧) .
- (١٦) ينظر الحكيم : المرجع آية الله العظمى السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم / الواقع الشيعي يدعو للوسطية والاعتدال واحترام الآخر ، وكالة أنباء الحوزة ، (١٣/٨/٢٠١٨) .
- (١٧) ينظر : الفياض : المرجع آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق / التشيع مدرسة الوسطية والاعتدال ، وكالة أنباء براءا (١٩/٨/٢٠١٦) .
- (١٨) ينظر: السيد الحكيم / المرجعية الدينية وقضايا أخرى : ص ١١٤ وما بعدها .
- (١٩) ينظر: الحكيم / الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين : ص ١٤٩ وما بعدها ، و : ص ١٧٠ وما بعدها .
- (٢٠) ينظر: القزويني / المرجعية الدينية العليا : ص ٦٤ .
- (٢١) ينظر: السيد الحكيم / المرجعية الدينية وقضايا أخرى : ص ١١٤ وما بعدها .
- (٢٢) ينظر : علاء آل جعفر / مقدمة كتاب أصل الشيعة وأصولها للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، الطبعة الأولى ، الناشر : مؤسسة الإمام علي (ع) (قم المقدسة ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م) : ص ٩٤ - ٩٥ .
- (٢٣) ينظر: الحكيم / الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين : ص ٢١٤ وما بعدها .
- (٢٤) ينظر: السيد الحكيم / المرجعية الدينية وقضايا أخرى : ص ١١٤ وما بعدها .
- (٢٥) ينظر: القزويني / المرجعية الدينية العليا : ص ١٤٢ .
- (٢٦) ينظر: الحكيم / الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين : ص ٢١٨ وما بعدها .
- (٢٧) اليعقوبي : آية الله الشيخ محمد / فقه الخلاف ، الطبعة الثانية ، (النجف الأشرف ، ١٤٣٢ هـ) : ص ٦ .
- (٢٨) ينظر: الحكيم / الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين : ص ٩٢ وما بعدها .
- (٢٩) النعماني : الشيخ محمد رضا / شهيد الأمة وشاهدها ، إعداد وتحقيق : لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر ، الناشر : مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر ، الطبعة الأولى ، (قم المقدسة ، ١٤٢٢ هـ) : القسم الثاني / ص ١٨٨ .
- (٣٠) ينظر: الحكيم / الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين : ص ٨٣ وما بعدها .

(٣١) ينظر: الصدر: الإمام الشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر / رسالتنا، إعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، الناشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر: ص ٢١ وما بعدها.

(٣٢) ينظر: الدفتر: الأستاذ محمد هادي / صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه في الأقطار العربية والعواصم الإسلامية، إخراج وتنقيح: حسن الشيخ إبراهيم الكتبي، الناشر: مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، (بيروت، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م): ص ٥٢ وما بعدها.

(٣٣) ينظر: د. صلاح عبد الرزاق / المرجعية الدينية في العراق والانتخابات البرلمانية وتعزيز الوحدة الوطنية، الطبعة الأولى، الناشر: منتدى المعارف، (بيروت، ٢٠١٠): ص ٩٧.

(٣٤) ينظر: د. صلاح عبد الرزاق / المرجعية الدينية في العراق: ص ١٠١ - ١٠٢.

(٣٥) ينظر: الأصفي: آية الله الشيخ محمد مهدي / الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الإصلاحية في النجف، تقديم: ماجد الغرباوي، الناشر: العارف للمطبوعات ومؤسسة المثقف العربي، (سدي، ٢٠١٠ م): ص ١٠٠ وما بعدها.

(٣٦) ينظر: الدفتر / صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه: ١ / ٢٥ وما بعدها.

(٣٧) ينظر: د. صلاح عبد الرزاق / المرجعية الدينية في العراق: ص ١١٤.

(٣٨) السيستاني: السيد علي الحسيني (المرجع الديني الأعلى) / بيان مكتب سماحة السيد (دام ظله) حول الوحدة الإسلامية ونبذ الفتنة الطائفية في (١٤ / محرم / ١٤٢٨).

(٣٩) ينظر: د. صلاح عبد الرزاق / المرجعية الدينية في العراق: ص ٨٢ - ٨٨.

(٤٠) ينظر: السيستاني: الإمام آية الله العظمى السيد علي الحسيني (المرجع الديني الأعلى) / بيان مكتب السيد السيستاني في النجف الأشرف - دام ظله الوارف - ٢١ / شعبان / ١٤٢٦ هـ، ٧ / أيلول / ٢٠٠٥ م.

(٤١) السيستاني: الإمام آية الله العظمى السيد علي الحسيني (المرجع الديني الأعلى) / بيان مكتب سماحة السيد (دام ظله) حول الوحدة الإسلامية ونبذ الفتنة الطائفية في (١٤ / محرم / ١٤٢٨).

(٤٢) ينظر: الحكيم / الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين: ص ١٧٩ وما بعدها.

فتوى الجهاد الكفائي وحركة التاريخ الإسلامي عند السيد السيستاني

دروس وعبر في بناء القدوة الصالحة

أ.م.د. فاضل كاظم صادق

جامعة ذي قار / كلية الآداب

ملخص البحث

فكرة هذا البحث تنطلق من وحدة أحداث التاريخ فالمسيرة الانسانية هي واحدة أزلية حيث انعدام الزمن بين الماضي والحاضر والمستقبل . استطاع السيد السيستاني في توضيف هذا المعنى في تركيزه على شواهد مهمة من التاريخ الاسلامي في نص وتطبيقات فتوى الجهاد الكفائي وذلك من خلال ربط الأحداث الماضية بحاضر الصراع مع الدواعش في جهاد أهل الحق من آل بيت النبي محمد صل الله عليه وآله وسلم وأتباعهم ومن آمن بهم وجهادهم ضد أهل الباطل وأتباعهم منذ ظهور الاسلام حتى وقتنا الحاضر .

لقد استعرض سماحة السيد وهو يرشد ويوصي المجاهدين تلك الأخلاق السامية والمثل العليا النبيلة سيما ما يخص منها آداب الجهاد في مدرسة أهل البيت اذ كان لتلك الشواهد الانسانية أثره البالغ في صنع جيل جهادي جديد هدفه بناء الانسان والارتقاء به حيث القتال هو الاستثناء وتبقى القاعدة في فكر آل النبي هي السلام والمحبة وفعل الخير .

فتوى الجهاد الكفائي وحركة التاريخ الإسلامي عند السيد السيستاني

دروس وعبر في بناء القدوة الصالحة

يعد الجهاد في سبيل الله واحدا من الأركان الهامة في الدين الاسلامي الحنيف بل هو في مرحلة من المراحل التي اذا تعرض فيها الاسلام والمسلمين الى خطر حقيقي وتهديد في الوجود والتاريخ والثروات والامكانيات يعد حاميا وحافظا لكل اركان الاسلام الاخرى .

ولأن الجهاد بهذا الوصف من الأهمية والمكانة فقد أعطى الله سبحانه وتعالى المجاهد في سبيله أعلى درجات الرفعة والكمال في الدنيا والآخرة عندما اعتبر المجاهد الشهيد حيا يرزق عنده جل جلاله ((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)) (١) .

وفرض الباري عز وجل القتال في سبيله ولأجله رغم ما يعانیه المقاتل من جهد وعناء لكن رغم ذلك فان الفوز والنجاح سيكون حصيلة هذا الكفاح وتلك التضحية . اذ جاء في قوله تعالى ((كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)) (٢) .

وورد عن رسول الله محمد (صل الله عليه وآله وسلم) ((ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)) (٣) . وعنه عليه الصلاة والسلام ((رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)) (٤) .

وعن عظمة الجهاد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ((فان الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة منه ألبسه الله لباس الذل وشمله البلاء)) (٥) .

والجهاد على نوعين واجب عيني وهو ما يتعلق بكل مكلف ولا يسقط بفعل الخير ويقابله الواجب الكفائي وهو انه مطلوب فيه وجوب الفعل من أي مكلف كان فهو يجب على جميع المكلفين ولكن يكتفى بفعل بعضهم فيسقط عن الآخرين ولا يستحق العقاب بتركه^(٦).

تعد فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقها السيد السيستاني من الصحن الحسيني الشريف على لسان ممثل سماحته الشيخ عبد المهدي الكربلائي يوم ١٣ حزيران ٢٠١٤ م الموافق ١٤ شعبان ١٤٣٥ هـ من أعظم الفتاوى التي أطلقتها المرجعية المباركة في النجف الأشرف في التاريخ الحديث والمعاصر^(٧). وذلك لقوة الخطر الداعشي الداهم الذي هاجم العراق اذ سقطت مدنا عديدة بيد هذا التنظيم الارهابي وعلى رأسها نينوى وصالح الدين^(٨).

تدور فكرة البحث عن موضوعة التاريخ في فتوى الجهاد الكفائي وكيف استخدم السيد السيستاني حركة التاريخ في دعم وتقوية هذه الفتوى المباركة ثم توظيف الشواهد التاريخية في مرحلة لاحقة بعد اعلان الجهاد الكفائي وهذا ما نلمسه في ثانيا وصايا وارشاداته الى المقاتلين في سوح الجهاد والتضحية^(٩).

ولعل المهم في الأمر هنا استخدام المرجع حفظه الله للنموذج الحسن والصالح والتعريف بالقدوة الطيبة التي نالت مكانة مرموقة في تاريخنا الاسلامي في أداء الواجب والتضحية في سبيل الله تعالى ومبادئ الدين الاسلامي الحنيف وتأسيسا على ذلك نجد سماحته كثيرا ما يذكر بالشواهد التاريخية الاسلامية لتكون المثل الذي يحتذى به من قبل المجاهدين الذين لبوا نداء الجهاد والشهادة فكانت جهادية أهل البيت عليهم الصلاة والسلام وكذلك رموز تضحياتهم بارزة في نهجه وهو يتعامل ويتفاعل مع المقاتلين^(١٠).

وقبل الولوج في ثنايا البحث لابد من القول ان المقصود بحركة التاريخ هنا هي كل المسيرة الانسانية من نواحيها المختلفة منذ وجود الانسان على هذه الأرض دون اهمال شيء من التاريخ هذا على اعتبار كل تفاعلات الحياة وحدة واحدة تتفاعل وتتكامل بعضها مع الآخر فلا فصل بين مكونات التاريخ الانساني على امتداد هذا الوقت الطويل فكل مكون يرتبط بالذي قبله والذي بعده ارتباطا مباشرا وهو نتيجة المكونات السابقة ومادة للمكونات اللاحقة^(١١).

وبناء على ذلك وعلى سبيل المثال هكذا تعامل الامام علي مع التاريخ باعتباره حركة تكون شخصية الانسان الحاضرة والمستقبلية فحركة التاريخ عند الامام علي شغلت حيزا هاما وخطيرا في عملية التربية والبناء ولهذا كان عليه السلام حريصا على تعريف أمته الاسلامية بأهمية التاريخ باعتباره قوة باقية تهدف الى صلاح الانسان وتقدمه^(١٢).

وليس أدل على ذلك قوله عليه السلام في وصية الى ابنه الامام الحسن عليه السلام ((أي بني واني وان لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني بما انتهى الي من أمورهم قد عمرت مع أولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل امر نخيلته وتوخيت لك جميله وحرفت عنك مجهوله))^(١٣). ونستنتج من هذا النص الرائع كيف ان الامام علي عليه السلام يدعو الى سبر غور الماضي والافادة الكبرى من تجارب الماضين والتفكير والنظر في أخبارهم وأعمالهم والاطلاع على آثارهم ومحاولة معايشة الماضي ذهنيا وفكريا الى حد الذوبان في أخبار الأولين وتاريخهم الى الحد الذي يصبح فيه الفرد من خلال ذلك واحدا من هؤلاء الماضين على اعتبار التاريخ وحدة زمنية متكاملة وهكذا أدرك وأمن السيد

السيستاني بذلك كيف لا وهو على نهج الامام علي في تعامله وتصوره واعتقاده بأحداث حركة التاريخ .

وهكذا يمكننا القول عن حركة التاريخ تمثيلها لرؤية حضارية للحياة البشرية في وحدتها المتعددة الظواهر وفي تغييرها المستمر منذ فجرها الأول الى يومنا هذا وحتى المستقبل لأن التاريخ هو حركة الكون والأرض والأحياء والناس على سطح هذا الكوكب وما ينتج عن هذه الحركة الدائمة من تغير دائم^(٤) .

وحركة التاريخ وفق ذلك تعني فيما تعنيه انعدام الزمن ليتلاقى الماضي مع الحاضر والمستقبل وتصبح الحقيقة واحدة في كل الأزمنة^(٥) . وذلك أمر عرضه القرآن الكريم بأن حركة التاريخ هي مادة حية تعيشها الأمم مع مرور الزمن لتأخذ منها الاعتبار بوصفها دروس وتجارب عاشها آخرون قبل ذلك^(٦) .

ووفقا لما تعنيه حركة التاريخ هذه فقد افاد السيد السيستاني منها افادة عظيمة في اعلان فتوى الجهاد الكفائي وكذلك في توجيهاته الى المقاتلين في سوح الجهاد من خلال تقديم وعرض مواقف مختارة صدرت من شخصيات اسلامية راقية في أخلاقها وقيمها تمثلت في أهل بيت النبوة واتباعهم ومريدوهم من المؤمنين المجاهدين .

مثلت حركة التاريخ عند السيد المرجع فعالية مستمرة دؤوبة تشغل دوما وهماها الأول والأخير تقديم النموذج الأفضل من تاريخنا الاسلامي ليصبح قدوة حسنة تصنع قدوات جديدة قادرة أيضا على خلق قدوات وأمثلة جديدة وهكذا دواليك تدور حركة التاريخ من اتجه بالتاريخ اتجاها حسنا يخلق مجتمعا قويا قادرا على النهوض والبناء الحضاري . وعندها تضعف القدوة السيئة الطالحة وتتردى وتكون غير قادرة على تحقيق شهواتها ورغباتها القائمة أصلا على تدمير قدرات وثروات الانسان والخط من شأنه وفي ذلك يبتعد المجتمع عن الضعف والتدهور وتكون الأمة

قادرة على مجابهة التحديات بحيث ان الأمة والمجتمع اذا صار على هذا الوصف لا يستطيع حتى الأعداء والمتربصين النيل منه .

وحتى نبرهن فريضة ما أشرنا اليه سابقا من حضور مسألة حركة التاريخ عند السيد السيستاني وهو يواجه تحدي الدواعش الخطير واعتبار استيعاب وفهم هذه الحركة ومن ثم توظيفها كأحد العوامل في مواجهة الأعداء وتحقيق النصر لاحقا . باعتباره أحد الأسلحة التي وظفها سماحته في هذه المعركة التاريخية .

سوف نركز على بحث ودراسة فقرتين مهمتين للتعرف على حضور التاريخ بشواهد وأحداثه عند السيد حفظه الله الأول نص فتوى الجهاد الكفائي والثاني التوجيهات الى المقاتلين في ساحات الجهاد .

صاغ السيد السيستاني شواهد التاريخية التي مثلت رؤيته لحركة التاريخ الاسلامي وهو يتصدى للهجمة الارهابية الداعشية الكافرة تركيزه و ابرازه لخطين او مجموعتين او أمتين ظلا يتصارعان ولا زالا منذ ظهور الاسلام وحتى وقتنا الحاضر .

تمثلت الأول بأمة أهل البيت وأتباعهم ومن آمن بهم ومواصفات هذه الأمة تجاهد من أجل الحق واشاعة الخير والارتقاء بالانسان والنهوض به وهي أمة مؤمنة بالله واليوم الآخر . وأخرى أمة باطلة تعمل من أجل تحقيق شهواتها الدنيوية تعمل على هدم وتحطيم الانسان من أجل تحقيق ما تريد ^(١٧) . وميزهم الله سبحانه وتعالى بعضهم عن الآخر بقوله عز وجل ((الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغون يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)) ^(١٨) .

لنقرأ أولاً في ثنايا الفتوى المباركة وما هي المضامين والابحاث التاريخية التي تضمنتها .

ابتدأ السيد السيستاني أول ما ابتدأ اشارته وتذكيره بوحدة العراق أرضاً وشعباً وتاريخاً عندما أشار الى تعرض العراق أرضاً وسكاناً الى تحدي خطير^(١٩) . وهذا أمر في غاية الأهمية يكمن في استحضر سماعته لتاريخ العراق منذ تكونه على هذه الأرض حتى وقتنا الحاضر وهو اشارة وتذكير بوحدة العراق الوطنية التي آمن بها السيد السيستاني وسعى جاهداً للحفاظ عليها وكان من نتائج الفتوى ان حمت هذه الوحدة بعدما كانت معرضة الى الضعف والانحيار^(٢٠) .

لقد كان ايمان سماعته بوحدة تاريخ العراق الذي صنعه كل العراقيين بمختلف انتماءاتهم العرقية والطائفية والمذهبية وهو القاعدة الصلبة التي ارتكزت عليها الفتوى لما أوضحت خطورة التهديد والهجمة الارهابية التي تهدد وتحاول تقويض هذا التاريخ الواحد المشترك لكن ابناء هذا البلد قد وعدا حقيقة ما يريد منهم الدواعش فهبوا للتلبية نداء الفتوى^(٢١) .

وأعظم ما في مضامين الفتوى وكل مضامينها عظيمة عدم مناشدتها طائفة دون أخرى او مذهب دون آخر او قومية دون أخرى على الرغم مثلاً من تصريحات زعماء الدواعش الذين قالوا بصريح العبارة سعيهم لمهاجمة النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء واستهداف العتبات المقدسة فيها^(٢٢) .

أوضحت الفتوى كذلك نية وأهداف الارهابيين التي لا تستهدف مدينة أخرى بل الهدف هو العراق كله^(٢٣) . وهذه دعوى من سماعة السيد الى العراقيين بالانتباه واليقظة والحذر انهم مستهدفون بأطيافهم وألوانهم المختلفة ونلاحظ من ذلك حس تاريخي اراد سماعته بيانه للعراقيين ان جميع الغزوات والحروب والهجمات التي تعرض لها العراق

كانت وبالا في نتائجها على الجميع ولم يستفد منها أحد سواء على المدى القريب والبعيد .

وما دام الخطر يستهدف الجميع قالت الفتوى (ان مسؤولية التصدي لهؤلاء التكفيريين ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع ولا تخص طائفة دون اخرى) (٢٥) .
بعدها انتقلت الفتوى الى تذكير العراقيين بتاريخهم المجيد وهو اشعار عظيم وحكيم من سماحة المرجع في أهمية العودة الى التاريخ واستنهاض مآثره واشراقته لتوظيفها في مجابهة الخطر الدائم اذ بين سماحته (وان التحدي وان كان كبيرا الا ان الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة وتحمل المسؤولية في الظروف الصعبة هو أكبر من التحديات والمخاطر) (٢٦) .

فهذه المسألة التاريخية التي اوضحتها الفتوى هي في غاية الأهمية في موضوعة توصيف عظمت وقوة الخطر ولكن في العراقيين القوة والقدرة على مواجهته استنادا الى وقائع وحوادث تاريخية مرت بهذا البلد نجح العراقيون من خلالها التصدي لكل الملمات والصعاب التي واجهتهم على مدة تاريخهم الطويل (٢٧) .

ولنا في هذا الموضوع وقفة تأمل لبحث هذه الظاهرة القائمة على قانون التحدي والاستجابة الذي يمثل الصورة الأبرز في حركة التاريخ .

تعد نظرية التحدي والاستجابة من أهم النظريات المعاصرة في فلسفة التاريخ (٢٨) .
والتحديات وفق تلك النظرية انواعا مختلفة من بينها تحديات بيئية بشرية ممثلة بالكوارث الطبيعية او الهزائم العسكرية الساحقة وتحديات ضغوط الخارج التي من صورها العدوان العسكري وكذلك تحديات داخلية من مظاهرها النقمة والتدمير الذي يحصل لدى سكان هذه الدول او تلك لأسباب مختلفة (٢٩) .

واذا نظرنا الى وضع العراق أبان الهجوم التكفيري للدواعش نجد ظهور كل هذه التحديات في العراق آنذاك فهناك الضغط الخارجي والداخلي وكذلك الانهيار العسكري وايضا الهجمات العسكرية المتتالية للتكفيريين على مدن ومناطق البلاد المختلفة^(٣٠).

وازداد وضع العراق سوءا سيما بعد سيطرة العصابات الغازية على محافظة نينوى وصالح الدين والانهيار المريع المدوي للجيش العراقي والاجهزة الأمنية الأخرى^(٣١). هكذا اذن واجهت العراق جملة من التحديات الخطيرة جدا التي كادت الاطاحة بوحدة هذا البلد العزيز وما دامت التحديات بهذه الخطورة فلا بد من استجابة قوية جدا أشد وطأة من التحدي نفسه .

وهنا نؤكد بكل ثقة كيف كان السيد السيستاني يراقب الأحداث بكل دقة وجدية ومتابعة فوجد سماحته حتمية اتخاذ قرار تاريخي مفصلي ينقذ العراق من الهاوية التي كان يتجه اليها وقد أدرك المرجع الكبير ان لا مناص من اتخاذ عمل كبير يتناسب وقوة الخطر الداهم فلا بد من تحرك قوي وسريع يدفع التاريخ وحوادثه باتجاه ايجابي ويوجهه بشكل يكون أبناء البلد معه قادرين على استعادة الثقة في نفوسهم أولا وترتيب اوضاعهم وصفوفهم لأخذ مبادرة الدفاع القوي لوقف تقدم الاعداء وبعدها في مرحلة لاحقة يتحول الدفاع الى هجوم يكون هدفه تحرير المدن وطرد المحتلين .

واستنادا الى طبيعة حركة التاريخ بأن الحركة التي تسجل البناء والنمو هي التي تنبثق من الروح الانسانية والعقل البشري المبدع والارادة الواعية وهي وقتذاك تستند الى قيم ومبادئ راسخة^(٣٢) . ووفقا لهذه المعاني فقد أدرك سماحة السيد بضرورة اعلان فتوى الجهاد الكفائي التي تنبثق أصلا من روح انسانية وعقل بشري مدرك

وارادة تعي ما تقوم به وهي تستند في أساسها الى قيم ومبادئ قوية تستمد مثلها الأعلى من كتاب الله العزيز ومن أفكار ومسيرة أهل البيت عليهم السلام الذين مثلوا خط الجهاد الحقيقي وهم القدوة الصالحة في مسيرة هذه الحركة التاريخية الاسلامية.

واذا أجرينا تحقيقا وبحثا عن الأسباب والدوافع التي حدت بالالاف من العراقيين في تلبية نداء الجهاد لوجدناها انطلقت أصلا واستندت الى الموروث الفكري الجهادي لمدرسة أهل البيت سيما ثورة الامام الحسين علي السلام التي كانت أثارت حماس وهمم المجاهدين^(٣٢).

ولأن حركة التاريخ تعني فيما تعنيه انعدام الزمن ليتلاقى الماضي والحاضر والمستقبل وتصبح الحقيقة واحدة في كل الأزمنة^(٣٣). فتلك حقيقة أدركها السيد السيستاني عندما عرف ان التاريخ يعيد نفسه فهؤلاء الارهابيين الدواعش لا يختلفون عن حركات الخوارج وغيرهم من البغاة والمنافقين الذين تصدى لهم الامام علي عليه السلام ومن بعده الأئمة المعصومين من أبناءه وكل الأحرار والمجاهدين الذين ساروا على نهج أهل البيت^(٣٤).

وذلك أمر عرضه القرآن الكريم ان حركة التاريخ هي مادة حية متواصلة متجددة لا فواصل بين مكوناتها تعيش الشعوب والأمم لتأخذ من دروس الاعتبار بوصفها تجارب انسانية خاضها آخرون قبل ذلك^(٣٥).

ومن جانب آخر فالتحديات التي تواجه الامم والشعوب تعمل على استشارة الطاقة الابداعية الكامنة في المجتمع فاذا كانت الاستجابة ناجحة أدى ذلك الى مولد تاريخ وحضارة جديدة^(٣٦).

ولعمري أقول ان كل هذه المعطيات والأفكار كانت حاضرة في العقل المنقذ للسيد السيستاني وهو يستحضر الماضي في حركته التاريخية فكانت معارك بدر وأحد والخندق وحنين وصفين والنهروان وعاشوراء كربلاء بشخصها ورموزها ما خلقت من قدوات صالحة وما ساهمت في بناء وتربية الانسان الصالح في تعريفه وتبصيره طريق الحق وكذلك ما افرزته من نماذج سيئة انهزمت وانهارت شخصها وأفكارها مع الزمن لتعيش وتنمو والى الابد القدوة الصالحة .

وتلك مشيئة الله سبحانه وتعالى في خلقه في قانون وراثة الأرض للناس الصالحين من عباده (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحين) (٣٧) . وقال عز من قائل (فأنا الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) (٣٨) .

اذ ان الفلاح والنجاح والفوز للذين يزكون أنفسهم ويعملون على تطهيرها والارتقاء بها عن طريق فعل الخير وسلوك طريق الحق والصلاح واما الخسران والبوار والخيبة هي للذين يركنون الى الباطل ويسировون في دربه ويقفون مع الظالمين وذلك واضح في كلاه عز وتبارك (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) (٣٩) .

وهكذا كان السيد السيستاني يعلم ويدرك تماما بحتمية النصر وكأنه يراه واضحا للبيان بحكم ما عرف عن سماحته من قوة بصيرة وقدرة على استشراف المستقبل (٤٠) . لأنه اعتمد وهو يتأمل التاريخ ويقرأ تلك القراءة الواعية على ما جسده معسكر الحق عبر مراحل التاريخ الاسلامي من فوز وفلاح (٤١) . فكانت الفتوى فرصة تاريخية عظيمة لأبناء هذا الجيل لينظموا الى قافلة الفائزين المجاهدين في معسكر ال الرسول محمد (٤٢) .

ولتعداد حركة التاريخ تدور بقوة لتصنع نماذج وقدوات صالحة تسير على خطاها الأجيال اللاحقة في المستقبل القادم قدوات فاضلة تسير على طريقها قدوات وهكذا نبرهن ان حركة التاريخ واحدة مستمرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بعضها مع الآخر في عملية تكاملية حتى الأبد^(٤٣).

من جانب آخر ورغم كل الذي اشرنا اليه من أهمية وعظمة فتوى الجهاد الكفائي عند السيد السيستاني غير ان سماحته يؤمن ان هذا الجهاد لا يمكن له أخذ مكانته الحقيقية ويحقق أهدافه ويعطي ثماره الا بالالتزام التام بأداب وسلوكيات معينة على المقاتلين الأخذ بها ولذلك شرع سماحته باصدار وصايا الى المجاهدين مثلت بمجموعها خارطة عمل ودليل لهؤلاء صدى للمرابطين في سوح العز والكرامة^(٤٤).

ابتدأ السيد السيستاني النصائح والتوجيهات بتأكيد سماحته ان الله سبحانه وتعالى كما ندب الى الجهاد وجعله من الدعامات المهمة الى الدين وفضل المجاهدين على القاعدين فان الله عز وجل جعل له حدودا وآدابا اوجبها الحكمة واقتضتها الفطرة يلزم مراعاتها فمن رعاها حق رعايتها أوجب له ما قدره فضله وسنه من بركاته ومن أخل بها أحبط من أجره ولم يبلغ به أمله^(٤٥).

ان المدقق في ثنايا هذه الوصايا يجدها مليئة بالشواهد التاريخية الاسلامية التي صدرت من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام ابتداء من الرسول الكريم (صل الله عليه وآله وسلم) وكلها تدل في خاتمة استحضار التاريخ الاسلامي المشرق الذي مثله سلوك وتصرف معسكر الحق من أهل البيت اذ صارت هذه الأخلاقيات القتالية تراثا انسانيا راقيا في ادبيات المعادلة وأخلاق الحروب^(٤٦).

ولعل من أولى الشواهد التاريخية الاسلامية التي أوردتها سماحته ما صح عن الامام الصادق من حديث في قوله كان رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) اذا أراد أن يبعث سرية دعاها فأجلسهم بين يديه ثم يقول سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى صلة مله رسول الله لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقدروا ولا تقتلوا شيئاً فانيا ولا صبيا ولا امرأة ولا تقطعوا شجرا الا ان تضطروا اليها (٤٧) .

تعج هذه الوصية بجوانب انسانية رائعة فهي حددت الفعل الجهاد لأجل الجهاد فقط فهو في مفهوم وفكر أهل البيت جهادا هدفه تقويم سلوك الانسان وارجاعه الى جادة الصواب ليأخذ مكانته التي أراد الله عز وجل أخذها ليبنى ويعمل ويعمر الأرض من تصح خلافته للباري جل جلاله وليس مثالا هدفه الانتقام من الناس والعمل على ابادتهم من غير المقاتلين منهم من الشيوخ والأطفال والنساء والسيطرة على ممتلكاتهم ومقدراتهم كما يفعل الدواعش ومن قبلهم اسلافهم الذين شهد لهم التاريخ الاسلامي بشتى انواع جرائم الحرب والقتل فهذه المدرسة الشهبانية هو حب التسلط والبقاء على كرسي الحكم بغض النظر عما يرتكبه من قتل واضطهاد وتنكيل .

بعدها ينتقل السيد المرجع للحديث عن قتال البغاة والمحاربين من المسلمين وفي ذلك يورد أخلاقا وآدابا وردت عن الامام علي عليه السلام في مثل هذه المواقف (٤٩) .

وفي ذلك يرى الباحث ان لابد من التنويه في هذا الموضع عن خطوات تتبع في مدرسة أهل البيت قبل البدء بالمعركة أولها مرحلة الارشاد والعظة ومحاولة افهام الطرف الآخر بما هو عليه من غشاوة وضلالة وعدم دراية بما يقوم به وما يدور حوله وهذا موضوع في غاية الأهمية الانسانية لأن الهدف في نهج هذه المدرسة المباركة هو ليس كسب

الحرب من عدمه ولكن الهدف هو الانسان وهدايته الى الحق وانشاله من الضلالة والطبي .

وفي ذلك ورد عن الامام علي عليه السلام ان رسول الله بعثه الى اليمن لدعوة الناس الى الاسلام قائلا (يا علي لا تقاتلن أحد من تدعوه ويم والله لأن يهدي الله الى يديك رجلا خيرا لك مما طلعت عليه الشمس وغربت) (٥٠) .

وايضا في يوم الجمل روي عن الامام علي (لا تعجلوا على القوم) (٥١) . معطيا للحوار فرصته وللعقل فسحته فالامام يدرك وهكذا برهنت كل اعماله وسلوكياته بأن القتال هو الاستثناء وان نهج السلام وسماع صوت العقل المنطق هو القاعدة .

وفي هذا الموضع لابد من الإشارة الى جملة من الخطوات والاجراءات تتبع قبل بداية القتال وتلكم سياسة عسكرية نهجها أهل البيت عليهم السلام ولعل أولها خطوة الارشاد والوعظ وهي محاولة جدية لا قناع الطرف الآخرانه وقع في وهم وضلالة وليس لديه من الدراية الكافية بما يدور حوله وهذا أمر في غاية أخلاقية عالية لأن الهدف في فكر هذه المدرسة المحمدية ليس كسب الحرب من عدمه بقدر ما هو انتشار الفرد من الضلالة الى الهدى وبالتالي الحفاظ على حياته ليؤدي مسؤوليته في اعمار الأرض وخلافة الله فيها . وفي ذلك ورد عن الامام علي ان رسول الله صل الله عليه وآله وسلم قد بعثه الى اليمن لدعوة الناس الى الاسلام قائلا له (يا علي لا تقاتلن أحد حتى تدعوه وايم والله لأن يهدي الله على يديك وجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت) (٥٢) .

كذلك في يوم الجمل عرض الامام علي المصحف الشريف على أعدائه كوسيلة هداية ورجوع الى الصواب لما خاطب أصحابه (أيكم يعرض عليهم المصحف وما فيه يقول لهم هو بيننا وبينكم بما فيه من أوله الى آخره) (٥٣) . معطيا للحوار فرصته

وللعقل فصحته فالامام يدرك وهكذا برهنت كل اعماله وسلوكياته ان القتال هو الاستثناء وان طريق السلام وسماع صوت المنطق والصواب هو القاعدة فالحفاظ على الانسان وحرمته هو الغاية المنشودة عند الله سبحانه وتعالى وكذلك عباده المخلصين وفي هذا مصداق لقوله تعالى (من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) (٥٢).

ومن عظيم أخلاق البيت النبوي اعتبار موعظة وارشاد الطرف الآخر من الحقوق لهؤلاء على أهل بيت النبوة وهذا ما تجسد فعلا في قول الامام الحسين عليه السلام للجيش الأموي (أعظكم بما لحق عليكم لي) (٥٣). فما أعظمه من قول واما أبلغها من فكرة حوت هذه المقولة القليلة بكلماتها الكثيرة والكبيرة بمعانيها لما اعتبر الامام عليه السلام هذه العظة ليس من باب الاستحباب بل هي حق لهؤلاء يتوجب الوفاء به . وقد أراد الامام ومن قبله جده الرسول محمد وأبوه الامام علي ان يكون ذلك سلوكا لاتباعهم من بعدهم ونحن حينما نتصفح ونقرأ وصايا السيد السيستاني نجد هذه الدروس والقيم واضحة أيما وضوح . وفي يوم كربلاء لم يقتصر نصيح معسكر الأمويين وارشادهم على الامام الحسين عليه السلام نفسه بل تعدى الأمر الى أصحابه فهذا زهير بن القين يخاطب معسكر ابن زياد (ان حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم) (٥٤).

ولعل مسألة مهمة أشار اليها الصحابي زهير بن القين في تحذيره للعواقب الوخيمة والنتائج الخطيرة التي يترتب عليها القتال اذا ما وقع موضحا في قوله فما دام السيف لم يقع فالجميع على دين واحد وملة واحدة ولكن وقوع القتال يعني انقطاع العصمة فيكون هؤلاء أمة وأولئك أمة (٥٥).

ومذ ذلك اليوم الكربلائي اذ لم تقل قبل ذلك بكثير ولكن يوم عاشور أفرز أمتين أمة هدى وحق ورقى تقاتل من أجل الانسان وسعادته واستعادة حقوقه وأمة باطلت في ضلالة تقاتل في سبيل الطاغوت وللحصول على شهوات دنيوية زائلة مستغلة الانسان ومضطهده في تحقيق ما تريد .

وبعد استنفاد وسائل الحوار والحلول السلمية وحتمية وقوع القتال وقيام المعسكر الآخر بالاعتداء ووقوع بعض الخسائر فان ذلك يكون رصينا اذا كانت هناك فرصة أخيرة لعدم نشوب الحرب ويتجسد ذلك في يوم الجمل لما أمر الامام أحد مقاتليه بعرض المصحف الشريف على مقاتلي الطرف الآخر الذين قاموا بقطع يمين وشمال حامل المصحف الذي اضطر الى حمل المصحف بأسنانه^(٥٦) . ورغم ذلك كان الامام ينتظر من هؤلاء ولو بارقة أمل تعمل على منع اندلاع المعركة .

وهذه الفكرة وذلك السلوك يبدو واضحا في وصية السيد السيستاني حينما قال (ولئن كان في بعض التثبث وضبط النفس واتمام الحجة رعاية للموازين والقيم النبيلة بعض الخسارة المؤجلة أحيانا فانه أكثر بركة وأحمد عقبى وأرجى نتاجا)^(٥٧) .

ومع ايمان الامام علي عليه السلام بوقوع المعركة وقيام الحرب لكنه لا يجب ان يكون أول من يبدأ بقتال جاء ذلك في قوله (لا تقاتلونهم حتى يقاتلونكم فأنتم على حجة وترككم قتالهم حجة أخرى عليهم)^(٥٨) . وهذا أيضا ورد عن الامام الحسين يوم كربلاء (أكره أن أبدأهم بقتال)^(٥٩) .

وذلك درس عمل عليه السيد السيستاني بكل قناعة وايمان مستوعبا تلك القيم والأخلاق العلوية وموظفها في سياسته القائمة على بناء وصناعة القدوة الصالحة

وهكذا جاءت قرارات وتوجيهات السيد السيستاني وهو يتعامل مع هؤلاء قائمة على مثل تلك المعاني السامية^(٦٠).

ولما تبدأ الحرب بقرار من طرف الباطل المعتدي فلها اسما وضوابط وأدابها في المعسكر العلوي ومرة اخرى يشير السيد حفظه الله الى تعامل الامام علي مع البغاة المعتدين (فاذا كانت الهزيمة باذن الله فلا تقتلوا مدبرا ولا تصيبوا مغورا ولا تجهزوا على جريح)^(٦١) . وبشأن النساء أوصى الامام علي بوجوب المعاملة الحسنة (ولا تهيجوا النساء بأذى وان شتمت اعراضكم وسبين أمراءكم)^(٦٢) .

وأكد سماحة السيد في معرض وصاياه بحرمة قتل النفس البريئة^(٦٣) . مذكرا بقول الامام الى مالك الاشر لما ولاه مصر في عهده الشهير^(٦٤) (اياك وسفك الدماء في غير محلها)^(٦٥) .

ونلمس مدى حرص ودقة ملاحظة سماحته في التعامل مع البغاة بخصوص الحالات المشتبه بها مشيرا الى التحذير أولا واستخدام الرمي غير القاتل حتى تتبين الحالة هل هي عدوة ام غير ذلك^(٦٦) .

وبين السيد دام ظله عدم مقاتلة النساء والشيوخ والصبيان من أتباع مقاتلي المعسكر الآخر^(٦٧) . مستشهدا بذلك أيضا في توجيهات الامام علي الى مقاتليه (فاذا وصلتكم الى رجال القوم لا تهتكوا الستر ولا تدخلوا دارا الا بأذني ولا تأخذوا شيئا من أموالهم)^(٦٨) . وفي قول آخر له عليه السلام (النساء والذراري فلا سبيل لنا عليهم لانهم مسلمات وفي دار هجرة فليس لكم عليهن من سبيل)^(٦٩) .

وفي توجيه انساني أيضا هدفه التمييز بين البغاة المردة وغيرهم من الأبرياء يوصي سماحته بعدم اتهام الناس في دينهم وعدم نفي صفة الاسلام عنهم^(٧٠) . موضحا

كيف عمل الخوارج على هذا أنذاك ويعمل الدواعش مثل هذا في وقتنا الحاضر (٧١).

وسماحته في هذا يعمل بوصي وهدى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لما سمع بعضا من أصحابه في معركة صفين يسبون مقاتلي أهل الشام من أتباع معاوية (أني أكره لكم ان تكونوا سبابين ولكنكم او وصفتم اعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقلتم وكان سبكم اياهم اللهم احقن دماءنا ودمائهم واصلح ذات بيننا وبينهم وأهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به) (٧٢).

ولم ينس السيد السيستاني وصيته بأهل وأتباع الديانات الأخرى في عدم التعرض لهم بأي أذى والحفاظ على ممتلكاتهم وحرماتهم (٧٣). مذكرا بشجب واستنكار ما فعله جيش معاوية عندما أغار على أطراف العراق وعلى مدينة الأنبار واعتدى على النساء من أهل الذمة (ولقد بلغني ان الرجل من أهل الشام يدخل على المرأة المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلاندها ورعاثها) (٧٤).

وفي نهيه عن أخذ أموال الناس والاستيلاء عليها (٧٥) أوضح سماحته ما قام به الامام علي في حربه في يوم الجمل (انه نهى ان يستل من أموال من حاربه الا ما وجد معمم وفي عسكرهم) (٧٦).

وفي توجيه آخر له فيه من السماحة والانسانية الشيء الكثير قال سماحته (ولا تمنعوا قوما من حقوقهم وان ابغضوكم ما لم يقاتلونكم) (٧٧). مستشهدا بكيفية تعامل الامام علي مع الخوارج في قوله لهم (لكم عندنا ثلاث خصال : لا نمنعكم مساجد الله ان تصلوا فيها ولا نمنعكم الفياء ما كانت ايديكم مع أيدينا ولا نبداكم بحرب حتى تبدؤونا به) (٧٨).

وفي وصية أخرى ذكر سماحته بوقوع أكثر مقاتلي الدواعش بالشبهة بتضليل الآخرين فلا يمكن اعانة هؤلاء المضلين بما يوجب قوة الشبهة في اذهان الناس حتى ينقلبوا انصارا بهم بل ادروا ذلك بحسن تصرفكم ونصحكم واخذكم بالعدل والصفح في موضعه (٧٩).

ولأجل بيان هذا الأمر استشهد سماحته بموقف الامام علي يوم الجمل في حديثه لأهل البصرة لما خاطبهم (هل تجدون علي جورة في الحكم او حيفا في قسم او رغبة في دنيا) (٨٠).

وأیضا بموقف الامام الحسين لما خاطب أهل الكوفة (على ماذا تقاثلوني على سنة غيرتها ام على شريعة بدلتها) (٨١).

وعلى الرغم من شدة المواجهة وقوة المنازلة مع البغاة الارهابيين فقد أوصى سحامة المرجع الأعلى أهمية اهتمام المقاتلين بل الوجوب في ذلك وهو ان تؤدي الصلاة المفروضة (٨٢). منوها في ذلك الى التزام الامام بأداء الصلاة رغم شدة الحرب وقساوة المعركة (٨٣). وكذلك ما فعله الامام الحسين في يوم عاشوراء لما دعا أي تمامة الساعدي (ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين) (٨٤).

وفي أثناء الحرب وبعدها فان فتوى الجهاد الكفائي لم تقتصر على البعد القتالي والعسكري بل كان لها بعدا انسانيا مهما في تقديم العون والمساعدة للآلاف من العوائل النازحة المشردة (٨٥). إذ جاء في توجيهات السيد السيستاني ان مئات الآلاف من المواطنين لا يزالون مهجرين نازحين من قراهم ومدنهم فاننا نهيب بالمواطنين الذين تفضل الله عليهم بالرزق الواسع ان يساهموا في اغاثة اخوانهم النازحين وتأمين احتياجاتهم فان ذلك من افضل اعمال الخير والبر ويعبر عن عمق الشعور بالمسؤولية والحس الوطني (٨٦).

ولأجل حماية اموال المواطنين اصدر السيد السيستاني فتوى بتحريم التعدي على أموال المواطنين في المناطق المحررة من الارهابيين اذ اعتبر ان هذا التعدي له آثاره السلبية بالغة السوء على التعايش السلمي بين أبناء الوطن الواحد وهو حرام حرام واختتم الفتوى بـ (اللهم اني قد بلغت فاشهد) (٨٧).

ليس هذا فحسب بل تعدى الأمر بسماحته ان اصدر توجيهاته الى مبعوث الامم المتحدة بشأن التحقيق في جرائم داعش كريم فان بضرورة معاملتهم حسب الشريعة الاسلامية السمحاء والقانون (٨٨).

ان كل هذه الاخلاقيات والقيم الانسانية انما هي مستوحاة من فكر ووحى مرسة أهل البيت الذين عرف عنهم الاحسان الى اعدائهم فهذا ديدنهم عن طول تاريخهم . وبسبب هذا وذلك فقد نالت فتوى الجهاد الكفائي اعجاب وتقدير الكثيرين سيما من غير المسلمين الذين انصفوا هذه الفتوى وقالوا الحقيقة التي أبى قولها الحاقدين والاعداء فهذا يان كوبيش ممثل الأمم المتحدة في العراق يقول (بدون فتوى السيد السيستاني فان مصير العراق كان سيختلف عما هو عليه الان) (٨٩).

وأوضح أيضا ان القوات الأمنية ومنها الحشد الشعبي استمعت جيدا الى أقوال السيد السيستاني في التعامل مع النازحين وتقديم المساعدات الانسانية .

وكذلك السفير الكوري الجنوبي في العراق الذي تحدث هو الآخر عن أثر الجهاد الكفائي في الانتصار على داعش مؤكدا استحالة تحقيق النصر لولا فتوى المرجع السيستاني والعراق حقق نصرا تاريخيا وتنظيم داعش لم يكن يهدد العراق بل العالم كله (٩٠).

خلص البحث الى جملة من النتائج وهي :

١. يمكن الاستفادة في أي وقت ومكان من التجارب الانسانية السابقة واستحضارها لتحقيق أهداف وغايات شريفة تعمل على خدمة الانسان والنهوض به وهذا ما فعله السيد السيستاني في عرضه لماضي الأحداث من التاريخ الاسلامي .
٢. تعد قراءة الماضي والبحث في موارده المختلفة من الدروس التربوية التي تساهم في خلق وبناء جيل جديد يعتمد على العبرة من احداث الماضي في تجنب الوقوع في الكثير من الأخطاء والذنوب .
٣. الاطلاع على ما فعلته القدوات الصالحة من أفعال خيره وكيف أثمرت تلك الأفعال واعطت نتائجها الطيبة ولو بعد حين وبالمقابل كيف انهارت واغدرت النماذج السيئة والتي قد حصلت على شيء من النجاح المهلهل الذي سرعان ما هوى وذهب وأفضل مثال في ذلك نهضة الامام الحسين وأهله وأصحابه فرغم خسارته المعركة في حينها الا انه فاز في الدنيا والآخرة وصارت نبراسا للفداء والتضحية .
٤. ساهمت فتوى الجهاد الكفائي في صناعة نماذج انسانية جهادية رائعة وهي كانت فرصة تاريخية للكثير من الشباب للتعبير عن ارادتهم الحرة دون ضغط او اجبار في الدفاع عن وطنهم ومقدساتهم .
٥. عززت الفتوى عرى الوحدة الوطنية فهي كانت نداء جهاديا لكل العراقيين وظهرت بالتجربة والفعل سماعة ووطنية السيد السيستاني اذ أخذ أهالي المناطق المحررة يكتنون الاحترام والتقدير واعتبروه صمام الأمان لكل العراقيين .

- (١) آل عمران ، ١٦٩ .
- (٢) البقرة ، ٢١٦ .
- (٣) محمد الكليني ، الكافي ، ج ٥ ، ص ٢ .
- (٤) نفس المصدر ، نفس الصفحة .
- (٥) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٧ ، ينظر محمد جواد مغنيتة ، في ظلال نهج البلاغة ، ج ١ ، ص ١٨٥ .
- (٦) محمد رضا المظفر ، أصول الفقه ، ج ١ ، ص ٨٠ ، ٨١ .
- (٧) عماد الكاظمي ، المرجعية الدينية ودورها في بناء الدولة العراقية ، صفحة كتابات في الميزان ، منشورة على شبكة الانترنت .
- (٨) صباح مهدي رميض ، فتوى المرجعية من تحريم التنبأ الى الجهاد الكفائي ، ص ١٣٧ .
- (٩) السيد علي الحسيني السيستاني ، نصائح الى المجاهدين .
- (١٠) المصدر نفسه .
- (١١) عامر الكفيسي ، حركة التاريخ في القرآن الكريم ، ص ٢٢ .
- (١٢) محمد مهدي شمس الدين ، حركة التاريخ عند الامام علي ، ص ٣ .
- (١٣) عباس علي الموسوي ، الوصية الخالدة ، ص ٤٣ ، ٤٤ .
- (١٤) الكفيسي ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .
- (١٥) مرتضى معاش ، حركة التاريخ بين قدر الاستبداد وحرية الاختيار .
- (١٦) شمس الدين ، المصدر السابق ، ص ٤٣ و ص ٩٦ .
- (١٧) نوري جعفر ، الصراع بين الأمويين ومبادئ الاسلام ، ص ٣٧ ، ص ١٣٣ وما بعدها ، ص ١٧٠ .
- (١٨) البقرة ، ٢٥٧ .
- (١٩) ينظر نص فتوى الجهاد الكفائي .
- (٢٠) حامد الخفاف ، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني الصفحات ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ص ٣٥ ، ٣١١ ، حسين محمد الفاضلي ، الامام السيستاني ، أمة في رجل ، الصفحات ٢٥٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣٢٧ .
- (٢١) ينظر ، صباح مهدي رميض ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .
- (٢٢) راجي نصير ، المرجعية الدينية في النجف الأشرف وأثرها في الرأي العام ، ص ٢٠٣ ، ص ٢٥٢ .
- (٢٣) صباح مهدي رميض ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .
- (٢٤) نفس الفتوى ، ينظر المقال السيد علي السيستاني يعلن الجهاد الكفائي ويعد قتل الوطن شهداء www.qanon203.net .
- (٢٥) المصدر السابق .

(٢٦) المصدر السابق.

(٢٧) عن الاحتلال والغزوات التي تعرض اليها العراق وعاصمته بغداد وهي أكثر من ثلاثين مرة . ينظر : ساره عبد الله ، بغداد والغزوات عبر التاريخ ، مقالة منشورة على شبكة الألوية بتاريخ ٢٠١٥/٦/١٩ .

(٢٨) صاحب هذه النظرية هو المؤرخ والفيلسوف الانكليزي أرنولد تويني وملخصها ان الأمة عندما تتعرض لخطر كبير داهم الذي يمثل التحدي ويكون ردها ومواجهتها واستجابتها أكبر وأقوى من التحدي فانها ستنتصر ليس ذلك فحسب بل سيفتح لها تاريخ مجيد عندما تبدأ خطوات ولادة حضارة جديدة عند هذه الأمة ، ارنولد تويني ، مختصر دراسة التاريخ ، ج ١ ، ص ١٠١ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨١ .

(٣٠) صباح مهدي رميضي ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٣١) راجي نصير ، المصدر السابق .

(٣٢) مرتضى معاش ، المصدر السابق .

(٣٣) راجي نصير ، المصدر السابق .

(٣٤) مرتضى معاش ، المصدر السابق .

(٣٥) نوري جعفر ، المصدر السابق .

(٣٦) عماد الدين خليل ، التفسير الاسلامي للتاريخ ، ص

(٣٧) تويني ، المصدر السابق .

(٣٨) الانبياء ، ١٠٥ .

(٣٩) الرعد ، ١٧ .

(٤٠) الشمس ، ٨ .

(٤١) محمد حسين الصغير ، الحسين عملاق الفكر الثوري

(٤٢) الوصايا ، الوصية رقم ١ .

(٤٣) راجي نصير ، المصدر السابق .

(٤٤) محمد باقر الصدر ، سنن التاريخ ، ص ٤٥ .

(٤٥) وصايا السيد السيستاني ، ومنهجية الحرب ، مقال منشور على شبكة الانترنت ، صفحة كتابات بتاريخ ٢٠١٥/٣/٢٧ م .

(٤٦) الوصايا ، الوصية رقم ١ .

(٤٧) نوري جعفر ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٤٨) الكليني ، المصدر السابق ، ص ٥٣

- (٤٩) للمزيد من البحث والدراسة عن هذه الأخلاق الحسنة والسلوكيات الانسانية لأذاب القتال عند أهل البيت عليهم السلام. ينظر: جورج جرداق، الامام علي صوت العدالة الانسانية، ص ٢٠١.
- (٥٠) الكليني، المصدر السابق، ص ٥٥.
- (٥١) نفس المصدر.
- (٥٢) المائدة، ٣٢.
- (٥٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٢٠.
- (٥٤) نفس المصدر، ج ٥، ص ٤٢٢.
- (٥٥) الطبري، المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٢٠.
- (٥٦) المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٤٠.
- (٥٧) الوصية رقم ١٣.
- (٥٨) الكليني، ج ٥، ص ٣٧.
- (٥٩) أبو مخنف، مقتل الامام الحسين، ص ٣٠.
- (٦٠) للمزيد من ذلك تراجع الوصايا والارشادات فهي في مضامينها ومحتوياتها توضح ذلك أشد الوضوح.
- (٦١) الكليني، المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٠.
- (٦٢) نفس المصدر، ج ٥، ص ٤١.
- (٦٣) الوصية، رقم ٤.
- (٦٤) ينظر: محمد جواد مغنیه، ج ٣، ص ٣٧، للتفصيل في طبيعة عهد الامام علي الى مالك الأشر وكذلك مضامين وفقرات هذا العهد.
- (٦٥) نفس المصدر.
- (٦٦) الوصية رقم ٤.
- (٦٧) الكليني، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٠.
- (٦٨) الوصية رقم ٥.
- (٦٩) الكليني، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١.
- (٧٠) الوصية رقم ٦.
- (٧١) الوصية رقم ٦.
- (٧٢) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٥، ص ٨٧.
- (٧٣) الوصية رقم ٧.
- (٧٤) نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.
- (٧٥) الوصية رقم ٨.

- (٧٦) الكليني، المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٤.
- (٧٧) الوصية رقم ١٠.
- (٧٨) الطبري، ج ٤، ص ٣١٥.
- (٧٩) الوصية رقم ١١.
- (٨٠) الطبري، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٢٠.
- (٨١) أبو مخنف، مقتل أبي مخنف، ص ٤٧.
- (٨٢) الوصية رقم ١٥.
- (٨٣) أبو مخنف، المصدر السابق، ص ٨١.
- (٨٤) نفس المصدر، ص ٨٢.
- (٨٥) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني ١١ ربيع الأول ١٤٣٦ هـ.
- (٨٦) توجيهات سماحة السيد السيستاني في خطب الجمعة المقامة في الصحن الحسيني الشريف
- (٨٧) موقع مكتب السيد السيستاني، مقالة منشورة بعنوان تحريم التعدي على أموال المواطنين في المناطق المحررة من الإرهابيين
- (٨٨) مقالة منشورة على صفحة وكالة NRT في ٢٣/١/٢٠١٩ بعنوان السيد السيستاني اصدر توجيهات بشأن التعامل مع معتقلي داعش.
- (٨٩) موقع العتبة الحسينية المقدسة، مقالة بعنوان بدون فتوى السيد السيستاني فان مصير العراق كان سيختلف عما هو عليه الان، ممثل الأمم المتحدة في العراق يقول ذلك
- (٩٠) موقع العتبة الحسينية المقدسة، مقالة بعنوان السفير الكوري الجنوبي استحالته تحقيق النصر لولا فتوى المرجع السيستاني
- المصادر والمراجع
- القران الكريم

١- البلاذري، احمد بن يحيى، انساب الاشراف.

٢- توينبي، ارنولد، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، القاهرة، ٢٠١١.

٣- الخفاق، حامد، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني من المسألة العراقية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٩.

٤- جرداق، جورج، روائع نهج البلاغة، بيروت، ٢٠٠٢.

٥- جعفر، نوري، الصراع بين الامويين ومبادئ الإسلام مطبوعات النجاح، القاهرة، ١٩٧٨.

٦- رميض، صباح مهدي، فتوى المرجعية الدينية من تحريم التنبأك الى فتوى الجهاد الكفائي، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد ٢٠، السنة الحادية عشر، ٢٠١٧م.

٧- الريشهري، محمد، موسوعة الامام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، دار الحديث، قم، ١٤٢١هـ.

٨- شمس الدين، محمد مهدي، حركة التاريخ عند الامام علي، بيروت، ١٩٧٧.

٩- الصدر، محمد باقر، السنن التاريخية في القرآن الكريم، بيروت، ٢٠١١.

١٠- الصغير، محمد حسين، الامام الحسين عملاق الفكر الثوري، بيروت، ٢٠١٢.

١١- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٧٥.

١٢- الفاضلي، حسين محمد الامام السيستاني، امة في رجل، بيروت، ٢٠٠٨.

١٣- الكاظمي، عماد، المرجعية الدينية ودورها في بناء الدولة العراقية، صفحة كتابات في الميزان منشورة على شبكة الانترنت.

١٤- الكفيسي، عامر، حركة التاريخ في القرآن الكريم، بيروت، ٢٠٠٣.

١٥- الكليني، محمد، الكافي، تحقيق علي اكبر غفاري، طهران، ١٣٦٧ش.

١٦- المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، بيروت، ١٩٩٠.

١٧- معاش، مرتضى، حركة التاريخ بين قدر الاستبداد وحرية الاختيار، مقالة منشورة على شبكة الانترنت.

١٨- مغنيه، محمد جواد، في ضلال نهج البلاغة، بيروت، ١٩٩٧.

١٩- الموسوي ، عباس ، الوصية الخالدة ، بيروت ، ١٩٨٥ .

٢٠- نصير راجي ، المرجعية الدينية في النجف الاشرف واثرها في الرأي العام العراقي بعد عام ٢٠٠٣ ، كربلاء ، ٢٠١٨ .

Research Summary

The idea of this research stems from the unity of the events of history. . The human path is an eternal unit Where the lack of time between the past and the present and the future. . Sayyid al-Sistani was able to employ this meaning in focusing on the important evidence of Islamic history in the text and applications of the Jihad Alkafai by linking the Past and Current Events in a conflict with the Organization of the Islamic State in Iraq and terrorist Syrian in jihad of the people of truth from the Prophet Muhammad and their followers against the people of falsehood and their followers since the advent of Islam to the present time. . . His Eminence, Sayyid al-Sistani, recommended the Mujahideen to exercise restraint, the supreme morals, and the supreme values in their jihad. And all these actions originated from the school of the house of the Prophet Muhammad. . The result of this led to the creation of a new jihadist generation aimed at | building and upgrading the human. . The rule of the Islamic religion remains the spread of peace, love and peaceful Coexistence among the general population.

دور آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي في مواجهة سياسات حزب

البعث في العراق

أ.م.د. أسعد حميد أبوشنت

جامعة المثنى - كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة:

تعد مرجعية آية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي احدى اهم المرجعيات الدينية في تاريخ العراق المعاصر والعالم الاسلامي ، نتيجة لعوامل عدة : لعل من أهمها طبيعة الاحداث التاريخية والظروف التي سادت محليا واقليميا خلال حقبة السبعينيات والثمانينيات حتى مطلع التسعينيات من القرن العشرين ، فمن جهة الاوضاع الداخلية التي عاشها العراق كان حزب البعث قد أحكم قبضته على البلاد وبدأ باستهداف الاطراف المعارضة لسياساته ، وقد استهدف بشكل خاص المرجعية الدينية وطلبة الحوزة العلمية ، أما على الصعيد الاقليمي فقد شهدت مرجعية السيد الخوئي (قدس سره) حربين مدمرتين كان العراق طرفا فيهما : الاولى هي الحرب العراقية الايرانية ١٩٨٠-١٩٨٨ التي أطلق عليها (حرب الخليج الاولى) ، والثانية الحرب التي شنتها قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية لاجراج العراق من الكويت عقب غزوه لذلك البلد عام ١٩٩٠ والتي أطلق عليها (حرب الخليج الثانية) ، ثم فرض العقوبات الاقتصادية على العراق ، وقد نتج عن تلك الحربين وتلك العقوبات دمار كبير طال مختلف مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وحولت العراق من بلد كان يقف على أعتاب التحول الى بلد متطور الى بلد يفتقر الى ابسط مقومات العيش الكريم ، ونتيجة لذلك فقد انتفض الشعب العراقي ليقول كلمته ويرفض سياسات حزب البعث ، وقد كان

للمرجعية الدينية في النجف الاشرف متمثلة بشخص السيد الخوئي دور مهم في تلك الاحداث ، رغم كل ما كان يعانيه من تضيق وحصار حتى وصفت المرحلة التي مرت بها المرجعية الدينية والحوزة العلمية بانها من اشد واصعب المراحل بسبب التعدي السافر على ذلك الكيان الذي يمثل قمة الهرم الشرعي لشيعة أهل البيت (عليهم السلام) في عصر الغيبة.

تسلم الامام السيد ابو القاسم الخوئي زعامة المرجعية الدينية في العراق عام ١٩٧٠ ومواجهته سياسات حزب البعث

الظروف التي زامنت استلام السيد الخوئي المرجعية

استلم الامام السيد الخوئي قيادة المرجعية الدينية في العراق والعالم الاسلامي عام ١٩٧٠ بعد وفاة الامام السيد محسن الحكيم ، والذي عانى بدوره من سياسة حزب البعث^(١) ، وبلاد المسلمين تعيش في ظل ظروف سياسية صعبة ، ففي العراق كان حزب البعث المعروف بسياسته الدموية قد امسك بزمام الامور في العراق ، وفي ايران كان الشعب يتظاهر للاطاحة بنظام الشاه تحت قيادة الامام الخميني ، ثم دخول العراق وايران في حرب امتدت ثمان سنوات ، وفي لبنان كانت الحرب الاهلية مستعرة ، وقد انتهج السيد الخوئي طريقا يتلائم مع قسوة تلك الاوضاع لغرض الحفاظ على استقلالية الحوزة العلمية تجاه الصراعات السياسية السائدة ، خاصة في ظل الحصار الذي كان يفرضه عليه نظام حزب البعث^(٢) ، وقد أصر السيد الخوئي على البقاء في مدينة النجف رغم المضايقات المستمرة له ولعلماء المسلمين الشيعة ، وتعرضه للتهديد المباشر ولم يرجح الهجرة الى ايران رغم سهولة العيش وتعاطف الشعب والحكومة هناك^(٣).

لقد اختار السيد الخوئي دورا علميا وفكريا اغناء للفكر والعلم ، ولم يخضع لسلطان الحاكم الجائر ، ونتيجة لذلك الموقف الصلب فقد تعرضت حوزة النجف العريقة ومرجعية المسلمين الشيعة الى أصعب الظروف وأحلكها قبيل وفاة السيد الحكيم في أواخر الستينات وبداية السبعينات من القرن العشرين ، فقد بدأ حزب البعث بضرب التيار الديني بكافة فروعه من علماء وطلبة العلوم الدينية ووكلاء المراجع المنتشرين في عموم البلاد ، وتهجير الالاف من طلبة العلوم الدينية من العراق ومن مختلف الجنسيات ، ثم شن حملات اعتقال واسعة لبعض رجال الدين بحجة ممارسة النشاط السياسي ، كما اقدم حزب البعث على اعدام العديد من علماء الدين وفي طليعتهم السيد الشهيد محمد باقر الصدر عام ١٩٧٩ ، والسيد الشهيد حسن الشيرازي^(٤) عام ١٩٨٠ ، وآل السيد الحكيم عام ١٩٨٤^(٥) ، وغيرهم^(٦) ، وسجن المئات من العلماء بغير تهمة ، وقد تأثر السيد الخوئي بتلك الاحداث بشكل كبير وهو يرى اغتيال واعتقال علماء وتلامذة الحوزة العلمية^(٧) ، كما حاولت الحكومة إجبار العديد من الخطباء ورجال الحوزة العلمية على تمجيد قرارات الحكومة وأفكار حزب البعث العربي الاشتراكي^(٨).

كان احمد حسن البكر اول من اضطهد الحوزة العلمية خلال مدة رئاسته (١٩٦٨-١٩٧٩) ، ومنع اقامة مراسيم محرم واستمر بالضغط على الحوزة العلمية حتى نهاية حكمه ، ليستلم رئاسة البلاد من بعده صدام حسين الذي واصل نهج سلفه وزاد عليه ، واصبح كيان حوزة النجف الاشرف في خطر شديد ، ونتيجة لذلك اتخذ السيد سياسة التقية حيال كل ما يجري من القضايا مركزا في سياسته على صيانة الحوزة العلمية وتقديم كل ما يلزمها في استمرارية مسيرتها العلمية وخاصة

الامتناع عن المشاركة في العمل السياسي الذي يعد الذريعة والتهمة الجاهزة التي يستغلها النظام البعثي في ضرب الحوزة العلمية^(٩).

لقد كانت المرجعية الدينية والحوزة العلمية الخطر الاكبر الذي يهدد الوجود البعثي ؛ لان الفكر الحوزوي كشف في وقت مبكر أبعاد المخطط البعثي في العراق والمتمثل بمحاربة الدين^(١٠) ، إذ ان التخريب الفكري كان من أهم اساليب البعث في زرع افكاره بين ابناء الشعب العراقي ، لذا لم تكن المقاومة الفكرية واهتمام السيد الخوئي بحفظ كيان الحوزة العلمية ككيان فكري حصين بوجه الافكار المنحرفة التي يروج لها البعث من المقاومة السياسية ، بل تفوقها أهمية كونها المعنية بتحصيل العقول والافكار بوجه مختلف الانحرافات.

لقد دفعت سياسة البعث السيد الخوئي الى توظيف الجزء الاكبر من القدرات المالية والانشطة العلمية للحوزة خارج البلاد^(١١) ، وكان من نتائج تلك السياسة ان حاز السيد الخوئي على نصيب كبير من الثراء العلمي والفكري ، ونال رصيда ضخما من المحبة والاحترام من قبل تلامذته المنتشرين في أقطار اسلامية كثيرة والذين عملوا كسفراء حملوا فكره وعلمه وأخباره وأخبار العراق ، وكانت فتواه سلسلة غير معقدة واكبت متطلبات العصر وسرعان ما لاقت قبولا وتفاعلا من قبل المقلدين في مختلف انحاء العالم الاسلامي ، وكانت تلك النجاحات من ثمار الجهاز الاداري الذي نفذ تعليمات السيد الخوئي بدقة وكان ذلك الجهاز يتحرك في بقاع عديدة من العالم ، فإن كان النظام البعثي قد حاصر السيد الخوئي ، إلا ان مرجعيته العامة انتشرت في مختلف انحاء العالم الاسلامي وغير الاسلامي^(١٢).

طبيعة المواقف السياسية للسيد الخوئي

كان السيد الخوئي مترويا في مواقفه السياسية العلنية سيما ما ارتبط منها بالامور الخاصة بالشأن الداخلي العراقي ، بسبب الاضطهاد الذي يواجهه كل من يبدي موقفا

معارضاً لسياسة حزب البعث، وقد تعرض السيد الخوئي الى ضغوط كبيرة الى الحد الذي منع من طباعة كتبه الفقهية إلا بعد حصول موافقة وزارة الثقافة والاعلام وحذف بعض الفقرات والمسائل التي لا تروق للسلطة، ولم يكن السيد الخوئي خائفاً على نفسه بقدر خوفه على حياة مقلديه وبقاء الحوزة العلمية واستمرارها في تدريس الفقه الشيعي الامامي بعد ان بدأت التيارات السلفية بفتح مدارسها ونشرها في العديد من المحافظات في العراق^(١٣).

أما مواقفه من التطورات الحاصلة على الساحة العراقية، ورغم معارضته غير العلنية للنظام البعثي الا انه لم يعتمد اسلوب المواجهة العنيفة من اجل الحفاظ على بقاء المرجعية الدينية والحوزة العلمية بعد انخفاض اعداد الطلبة في المدارس بسبب التهجير^(١٤)، والاعدادات التي اتبعها نظام البعث منذ عام ١٩٦٨، وفي تلك المرحلة تأهبت الحكومة العراقية لمرحلة جديدة من المواجهة مع المرجعية الدينية، من خلال توجيه ضربات مباشرة تمثلت بحملات التفسير التي بدأت في الـ ٢٦ من كانون الاول ١٩٧١، وقد وصل عدد المسفرين حوالي ٢٠٨٤ على الحدود الايرانية وقد شكل طلاب الحوزة العلمية جزءاً كبيراً منهم، وتزامن ذلك مع سفر السيد الخوئي الى لندن للعلاج واجراء عملية جراحية في ٢٩ كانون الاول ١٩٧١، وقد زاره السفير الايراني في لندن ونقل إليه طلب الشاه محمد رضا بهلوي، ان ينتقل الى ايران، فأجابه السيد بالفرض منتقداً في الوقت ارتباطات الشاه بالصهيونية العالمية، وانه لن يغادر العراق رغم مضايقات السلطة، وقد حرك هذا الاجراء الحكومة العراقية فأوفدت مبعوثها الى السيد الخوئي بقصد الزيارة، فأخبره السيد بطلب السفير الايراني، وانه عازم على اتخاذ قرار الهجرة الى ايران ما لم تتوقف الاجراءات القمعية ضد الحوزة العلمية في النجف الاشرف ولاسيما تفسير طلبة العلوم الدينية، وقد نقل المبعوث العراقي

هذا الكلام الى احمد حسن البكر الذي رد بدوره برغبة الحكومة العراقية ببقاء زعامة المرجعية الدينية في العراق(١٥).

مما لاشك فيه ان رغبة البكر ببقاء المرجعية العليا في النجف الاشرف ليس لأسباب دينية ، بل يندرج ذلك الموقف في اطار التنافس السياسي بين العراق وايران ، كما ان رغبة الشاه تدرج تحت نفس الموقف ، فضلا عن علاقتها بالشأن الداخلي الايراني لخلق منافس للمرجعية الدينية في ايران وخاصة مرجعية الامام الخميني الذي يعارض سياسات الشاه بشكل واضح.

بدليل استمرار سياسة الاضطهاد البعثي للمرجعية الدينية ، وقيام السفارة الايرانية في لندن بنشر رساله مزورة ومختومة بختم السيد الخوئي جاء فيها ان المدعو علي رضا(ايراني الجنسية ارسلته الحكومة العراقية) الى السيد الخوئي قد سأله عن علاقة الحكومة العراقية بشخص المرجع ، وأدعى علي رضا ان السيد ابلغه ان الحكومة العراقية لم تضايق طلبة الحوزة العلمية في النجف الاشرف او شخص المرجعية العليا ، فولدت تلك الرسالة صدمة كبرى لدى مقلدي السيد الخوئي في العراق وخارجه لانها توحي بارتباط المرجعية بالنظام البعثي ، ويبدو ان الشاه اراد تشويه صورة السيد الخوئي بسبب مواقفه من الاوضاع السياسية في ايران ، وكان السيد يقف دائما الى جانب الشعب العراقي ويؤيد القرارات التي تصب في صالحه ، فأرسل رسالة الى احمد حسن البكر أيد فيه قرار الحكومة العراقية تأمين النفط العراقي في الاول من حزيران ١٩٧٢ ، جاء فيه: ان الدفاع عن مواطن المسلمين وثروات ارضهم وفي مقدمتها حماية نفطهم من اهم الواجبات الشرعية واطورها وان الوقوف عند هذا الحق بصلاية وايمان ضد الاعداء من افضل ضروب الرعاية لمصالح المسلمين وامانيهم ونسأله تعالى ان يبارك جهدكم في حماية نفط هذا البلد الاسلامي من

جميع الطامعين ، كما نسأله ان يحقق مصالح الامة الاسلامية وان يوحد كلمة المسلمين على الحق ويؤيدهم بالنصر المؤزر وان يأخذ بأيديهم الى ما فيه خيرهم وصلاحهم والله الهادي الى سواء السبيل" ، لكن تلك الرسالة لم تعني تأييده التام للنظام البعثي ، وقد أبدى ذلك من خلال رفضه حضور المؤتمرات والمناسبات التي تقيمها الحكومة رغم دعوته لها وعدم ارساله مبعوث عنه ، ومنع وكلائه من الحضور فيها(١٦).

وفي أعقاب انتفاضة صفر عام ١٩٧٧ (١٧) ، قامت الحكومة العراقية باعتقال عدد كبير من الذين شاركوا في الانتفاضة ، فأرسل السيد ابو القاسم الخوئي وفدا لمقابلة رئيس الجمهورية احمد حسن البكر لغرض اطلاق سراحهم أو تخفيف الحكم عنهم ، وضم الوفد نجله السيد جمال الدين الخوئي والسيد مصطفى جمال الدين والشيخ محمد جواد الراضي والسيد عبد الرسول علي خان ، وقد وصف البكر المعتقلين بأنهم (مشاغبون وخارجون عن القانون) ، فأثار هذا الوصف حفيظة السيد جمال الدين : "أن هؤلاء اناس ذاهبون للزيارة وأنتم من غلق عليهم الطريق بالدبابات والطائرات" ، مما أدى الى حدوث مشادة كلامية بينهما ، فقام السيد مصطفى جمال الدين بتهدئة الوضع وتلطيف الاجواء ، وقد دفع نجل السيد الخوئي السيد جمال الدين ثمن ذلك الموقف الشجاع فتعرض لمحاولة اغتيال جعلته يغادر العراق الى سوريا ثم ايران حتى وفاته هناك عام ١٩٨٤ ، وقد طلب الوفد من البكر التدخل في الامر ، فوعدهم بذلك وألغيت بعض احكام الاعدام ، ومنها حكم الاعدام على السيد محمد باقر الحكيم الذي أصبح السجن المؤبد(١٨).

موقف السيد الخوئي من الحرب العراقية الايرانية

بدأت الضغوطات تزداد بشكل كبير على المرجعية الدينية والحوزة العلمية ، والاضاع العامة في العراق تسوء بشكل كبير بعد وصول صدام حسين الى السلطة ، وتم اعتقال عدد من أفراد حاشية السيد الخوئي وقطع خط الهاتف الخاص أكثر من مرة وجمدت مبالغ مالية تعود لمؤسسات الحوزة العلمية كانت مودعة في المصارف العراقية^(١٩) ، وفي عام ١٩٨٣ تعرض السيد الخوئي لمحاولة اغتيال من خلال القيام بهجوم بالقنابل اليدوية على سيارته اثناء توجهه من بيته في الكوفة الى جامع الخضراء لإداء فريضة الظهر وقد نجا السيد من تلك المحاولة^(٢٠) ، وفي ١٠ تشرين الثاني ١٩٨٤ قررت القيادة القطرية لحزب البعث تشكيل لجنة برئاسة عزت ابراهيم نائب رئيس الجمهورية وعضوية عدد من اعضاء قيادة حزب البعث وهم كل من حسن علي ونعيم حداد ومحمد حمزة الزبيدي وسعدون حمادي وكامل ياسين رشيد لإعداد دراسة عن الحوزة العلمية والطلبة العرب غير العراقيين والاجانب في المدارس الدينية ، وقد أرسلت اللجنة تقريرها الى صدام حسين في ٦ شباط ١٩٨٥ وتضمن توصيات عدة كان من ابرزها ارغام السيد الخوئي على اعلان موقفه الواضح من الحرب مع ايران ومن الامام الخميني ، وتسفير مساعديه الايرانيين خارج العراق ، ورفض تمديد اقامة طلبة العلوم الدينية الاجانب ، وكذلك إعداد شخصيات دينية من العراقيين ممن لديهم مؤهلات لزجهم داخل الحوزة العلمية كي يمثلوا او يكونوا ذراعا للسلطة داخل الحوزة العلمية ، وقد رفض السيد الخوئي طلب عزت ابراهيم باصدار بيان ضد ايران أو تأييد موقف النظام البعثي من الامام الخميني ، وقال له: "هل تريد مني ان اعطي تقييما عن الخميني؟ ، حسنا يجب أن اعطي تقييما بالعراق كذلك" على حد تعبير عزت ابراهيم ، لذا فان السيد لم يقف بالضد من الثورة

الاسلامية في ايران او الامام الخميني على الرغم من الضغوط التي مورست عليه من قبل النظام ، وكان يتخذ جانب الصمت في أغلب الاوقات ، ونتيجة لشدة مضايقات النظام البعثي للحوزة العلمية هدد السيد الخوئي بالسفر خارج العراق وتغيير محل اقامته مالم تكف الحكومة عن أفعالها تلك ، وجاء ذلك من خلال رسالة ارسلها السيد الى صدام حسين في ٥ كانون الثاني ١٩٨٧ وقد ورد فيها : " ان وجود الحوزة العلمية في النجف الاشرف مما لا يخفى على سيادتكم اهميتها في العالم الاسلامي في العالم الاسلامي كما ان دعوتكم لي بالرجوع الى النجف الاشرف عند سفري الى لندن تدل بوضوح على اهتمامكم بحفظها وقد بلغني المرسل من قبلكم الى لندن بانكم دعوتني الى العراق على ان اكون مستمرا في القيام بوظائفي الدينية ورعاية الحوزة العلمية وادارة شؤونها فلبيت دعوتكم وقدمتها على دعوة الشاه لذهابي الى ايران مع العلم بأنها كانت قبل وصول دعوتكم لي ، فرجعت الى النجف الاشرف وبعد مضي سنين أنقلب الامر وحدث التشويش والاضطراب في الحوزة العلمية حتى بلغ ما بلغ مما هي فيه الان بما هو غير قابل للتحمل ، فإن كنتم على العهد السابق كما هو المأمول فالمرجو اصدار الامر للمسؤولين بالاهتمام بشؤون الحوزة ورفع ما يوجب التشويش وان كان وجود الحوزة العلمية لا سمح الله يتنافى ومصالح الدولة فالمرجو اصدار أوامركم للدوائر المختصة بتسهيل مغادرتنا العراق مع من يتبعنا ، على أن يمهلونا شهرا واحدا لتصفية أمورنا هذا وقد راجعنا بعض المسؤولين في هذا الموضوع فلم نحصل على النتيجة المطلوبة والله ولي التوفيق" (٢١).

وقد اصدر السيد الخوئي لطلبة الحوزة الاجانب بعدم السفر إلا إذا تعرضوا الى ضغط شديد ، وكان يقول دائما : "لن أدع قائلا يقول : إن الشيخ الطوسي (قدس سره) أسس حوزة النجف ، والسيد الخوئي هدمها" ، وكان يقول كذلك : "أنا لن أترك

النجف إلى أن يوثقوا أيدي ويلقوني في سيارات التهجير" (٢٢) ، وقد أثار هذا الامر غضب النظام البعثي فبدأ بالاستهداف المباشر لعائلة السيد الخوئي ، ففي عام ١٩٨٥ أُغتيل صهر السيد الخوئي آية الله السيد نصر الله المستنيط (٢٣).

موقف السيد الخوئي من الغزو العراقي للكويت

أحتلت القوات العراقية الكويت في ٢٢ آب ١٩٩٢ ، ثم بدأت بعض الجهات بسلب ونهب ممتلكات ومحال المواطنين ودوائر الدولة هناك ، وقد عارض السيد الخوئي تلك الاعمال وأصدر فتوى تحرم تداول تلك الممتلكات الكويتية بيعا وشراء وعد الاراضي الكويتية مغصوبة لا يجوز للجندي وغيره الصلاة فيها (٢٤) ، وأمروكلاءه في كافة البلاد التي انتشر فيها اللاجئين الكويتيون بتوفير الرعاية لهم ولعائلاتهم (٢٥) ، وفي الوقت نفسه استنكر قيام قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية بالتحشيد العسكري لغزو العراق ، وقد أصدر السيد بيانا في ٢٣ كانون الثاني ١٩٩١ استنكر فيه قيام القوى الاجنبية بالاعتداء على البقاع المقدسة والمناطق السكنية وقتل العزل من الناس وقد ورد في البيان: "تمر الامة الاسلامية في هذه الايام وبسبب تفرق كلمتهم ظروف قاسية وفجائع مؤلمة ومحزن تحز في نفس كل غيور مما أدى الى اعتداء الكفار عليهم واراقة الدماء البريئة وانتهاك الحرمات والاعتداء على المقدسات ومما يزيد في النفس ألما ان يكون ذلك بفعل الاجنبي الكافر الذي ما أنفك يوما عن العمل جاهدا للوقعة بين المسلمين وتحطيم مبادئهم وطمس معالم حضارتهم ، ونهيب بأبنائنا المسلمين جميعا ان يرجعوا الى رشدهم ويعوا ظروفهم التي يمرون بها ، فيجمعوا شملهم ويوحدوا كلمتهم ويصونوا دماءهم ويحلوا مشاكلهم فيما بينهم غير مستعنيين بالكفار" (٢٦).

موقف السيد الخوئي من الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١

أفرز الاحتلال العراقي للكويت نتائج كثيرة من أبرزها تدمير مختلف جوانب الحياة في العراق ، وكرد فعل ازاء تلك الاوضاع ورفضاً للظلم والطغيان أنتفض الشعب العراقي فيما عرف بالانتفاضة الشعبانية ، ففي مدينة النجف الاشرف معقل المرجعية الدينية العليا والحوزة العلمية بدأت التظاهرات يوم ٣ آذار حيث تجمع حوالي ٥٠٠ شخص جالوا الشوارع بعضهم يحمل السلاح الخفيف ، وكان للجنود العائدين من حرب الكويت دور في إشعال فتيل الانتفاضة في النجف ، لكن ذلك الدور كان أقل من دور زملائهم في البصرة ، وقد اشترك الرجال والنساء والاطفال وكانوا يهتفون ضد صدام حسين ، ثم ازداد العدد وقاموا بمحاصرة البنايات الحكومية وسيطروا على أسلحة اضافية وحصل تبادل لإطلاق النار بين عناصر الامن وحزب البعث ، فقتل عدد منهم ومن استسلم أودع السجن ، ثم اندفع المنتفضون الى أبواب السجون الاعتيادية والسرية والمعتقلات ففتحوها وأطلقوا سراح من فيها بعد أن أرشدهم إليها البعثيون وعناصر الذين تم إلقاء القبض عليهم ، ومن جملة الذين أطلق سراحهم بعض الكويتيين الذين جلبوا من الكويت بعد احتلال بلدهم(٢٧).

هنالك أكثر من عامل مهم دفع السيد الخوئي الى التحرك ومساندة المنتفضين بعضها محلي والاخر أقليمي ودولي : لعل في مقدمة تلك العوامل الانتصارات التي حققها المنتفضون على النظام البعثي ، وظهور فراغ اداري في المدن المنتفضة ومنها النجف الاشرف ، الامر الذي دفع بكبار العلماء وزعماء العشائر المعروفة بالتوجه الى منزل السيد الخوئي وطالبوه بالتدخل وتنظيم الامور العامة في تلك المدن ، وكان السيد الخوئي يراقب الاوضاع بحذر خشية ان يكون انسحاب الحكومة من الشارع

مجرد مخطط جديد من مكائد الاجهزة الامنية ، وكذلك بعد تأكده من وجود فراغ اداري كان لابد من تدخله كحاكم شرعي لمعالجة الوضع وتنظيم الادارة العامة ، أما العوامل الاخرى فهي تعرض الانتفاضة الى التشويه من قبل الاعداء من خلال وصفها بالطائفية وانها تستهدف تقسيم العراق ، وانها حركة فوضوية تستهدف القتل والنهب ، وجاءت لمساندة الولايات المتحدة الامريكية لتلبية لنداء جورج بوش الرئيس الامريكي (٢٨).

أصدر السيد الخوئي بعد يومين من اندلاع الانتفاضة في النجف الاشرف (٢٩) ، وتحديدًا في ظهريوم الاحد ١٦ شعبان ١٤١١ الموافق ٣ آذار ١٩٩١ ، وفي ٥ آذار ١٩٩١ أصدر السيد الخوئي بيانًا جاء فيه :

”بسم الله الرحمن الرحيم

أبناءؤنا الاعزاء المؤمنون السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
الحمد لله على نعمة ولائه والصلاة والسلام على أفضل أنبيائه محمد وآله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وبعد لاشك ان الحفاظ على بيضة الاسلام ومراعاة مقدساته أمر واجب على كل مسلم وانني بدوري أدعوا الله تبارك وتعالى ان يوفقكم لما فيه صلاح الامة الاسلامية أهيب بكم ان تكونوا مثلاً صالحاً للقيم الاسلامية الرفيعة برعاية الاحكام الشرعية رعاية دقيقة في كل أعمالكم وجعل الله تبارك وتعالى نصب أعينكم في كل ما يصدر عنكم ، فعليكم الحفاظ على ممتلكات الناس وأموالهم وأعراضهم وكذلك جميع المؤسسات العامة لانها ملك الجميع والحرمان منها حرمان الجميع ، كما أهيب بكم دفن جميع الجثث الملقاة في الشوارع ووفق الموازين الشرعية لا المثلثة بها ، لانها ليست من أخلاقنا الاسلامية وعدم التسرع باتخاذ القرارات

غير المدروسة التي تتنافى والاحكام الشرعية والمصالح العامة .حفظكم الله
ورعاكم لما يحب ويرضى انه سميع الدعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو القاسم الموسوي الخوئي

١٨ شعبان ١٤١١ هـ .(٣٠)

وقد أيد المرجع الكبير آية الله العظمى السيد عبد الاعلى السبزواري(٣١) هذا الموقف
وأصدر بياناً جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

"أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير"(٣٢) ، أيها المؤمنون
الكرام :

مرت عليكم سنوات مريرة شاقة سيطر فيها الظالم وزمرته ، فأراق الدماء ، وهتك
الاعراض ، واهانة المقدسات ، وعطل الاحكام الشرعية ، كانوا كما قيل فيهم
:"ألم ترالى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلوها ويئس
القرار"(٣٣) ، فأستدرجهم عزوجل وأمهلهم فلم يتفطنوا ، بل كانوا كما أخبر تعالى
بقوله : "وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد"(٣٤) ،
فكان الضال المضل الفاسد ، قد سعى في الفساد فأهلك الحرث والنسل ، قال تعالى:"
وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد"(٣٥) ، فنحمد الله ونشكره جلت عظمته على ما من علينا بزوال الجور
والظلم ، ونبتهل إليه جل شأنه ان يبسط العدل والقسط إن شاء الله تعالى ، وأسأله
تعالى أن يوقظ المؤمنين ويسدد خطاهم ، قال تعالى : "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا"(٣٦) ، أيها المؤمنون : "ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون"(٣٧) ، والله معكم ،

وإني ادعو الله تعالى وأتضرع إليه أن ينظركم ويوفقكم لكل ما فيه الخير والصالح، فعليكم بالاستقامة في تبليغ أحكامه، والدعوة إليه عز وجل والمواظبة على دينكم، والسعي في تثبيت عزائمكم، قال تعالى: "الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور" (٣٨).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبارك خطاكم.

١٦ شعبان المعظم ١٤١١هـ.

عبد الاعلى السبزواري-النجم الاشرف (٣٩).

ثم صدر البيان الثاني من السيد الخوئي في ٢١ شعبان ١٤٤١هـ والذي عين فيها لجنة عليا لادارة شؤون مدينة النجم الاشرف جاء فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وبعد فإن البلاد تمر هذه الايام بمرحلة عصبية تحتاج فيها الى حفظ النظام واستتباب الامن والاستقرار والاشراف على الامور العامة والشؤون الدينية والاجتماعية تحاشيا من خروج المصالح العامة عن الادارة الصحيحة الى التسبب والضياع من أجل ذلك نجد ان المصلحة العامة للمجتمع تقتضي منا تعيين لجنة عليا تقوم بالاشراف على ادارة شؤونها كلها بحيث يمثل رأيها رأينا وما يصدر منها يصدر منا، وقد اخترنا لذلك نخبة من أصحاب الفضيلة العلماء المذكورة أسمائهم ادناه ممن نعتمد على كفاءتهم وحسن تدبيرهم أبنائنا المؤمنين اتباعهم وطاعتهم والانصياع لاوامرهم وارشادهم ومساعدتهم في انجاز هذه المهمة، نسأل الله عز وجل ان يوفقهم لاداء

الخدمة العامة التي ترضيه سبحانه وتعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) انه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١- السيد محي الدين الغريفي

٢- السيد محمد رضا الموسوي الخلخالي

٣- السيد جعفر بحر العلوم

٤- السيد عز الدين بحر العلوم

٥- السيد محمد رضا الخرسان

٦- السيد محمد السبزواري

٧- الشيخ محمد رضا شبيب الساعدي

٨- السيد محمد تقى الخوئي

ابو القاسم الخوئي

النجف الاشرف

٢١ شعبان ١٤١١هـ

وفيما بعد أضيف السيد محمد صالح السيد عبد الرسول الخرسان الى اللجنة المذكورة في ٢١ شعبان ١٤١١هـ.

لاشك ان وجود المرجع الديني الاعلى على رأس هذه الانتفاضة له تأثير كبير في استمرار حركتها وقدرتها على البناء والمواجهة^(٤٠) ، فقد أثرت تلك البيانات في نفوس الناس وخلقت استعدادا وهمة فتم علاج بعض المشاكل الميدانية كدفن الجثث ، وتأهيل المستشفيات ، وإعادة المواد المنهوبة الى اماكنها ، ونقل الجرحى ومعالجتهم ، فضلا عن الاستعدادات العسكرية للدفاع عن مدينة النجف^(٤١).

كان المنتفضون بحاجة الى الدعم والتوجيه الشرعي من قبل المرجعية الدينية العليا متمثلة بالسيد الخوئي ، كي تكتسب نشاطاتهم صفة الشرعية ، فضلا عن وجوب تنظيم الاوضاع العامة وعدم ترك المجال للعناصر غير المنضبطة التي قد تقوم بأعمال مخالفة للشرع وبالتالي تسيء للهدف السامي الذي ثار العراقيون من أجله ، ولكن مع الاسف هذا ما حصل.

لم ترق تلك الانتفاضة وأهدافها وخاصة التحرر من ظلم النظام البعثي لبعض الدول العربية والقوى الدولية ، فسمحت الولايات المتحدة الامريكية للحكومة العراقية رغم حالة الحرب بين الطرفين بضرب الانتفاضة ، حتى انها سمحت بتحليق طائرات الهليكوبتر التابعة للجيش العراقي بعد تزويدها بالوقود وقصف المدن المنتفضة (٤٢) ، في الـ ١٢ من آذار استطاعت بعض الدبابات والعربات المدرعة التابعة للحرس الجمهوري وقد كُتب عليها (لا شيعة بعد اليوم) (٤٣)، ولكنها أجبرت على التراجع ، ثم بدأ القصف العشوائي للاحياء السكنية حوالي الساعة الثامنة والربع مساءً حتى اليوم التالي في تعمد واضح لإرهاب السكان المدنيين ، وفي ١٣ آذار بدأت الدبابات بالنفوذ الى المدينة ، واستخدمت تلك القوات المدنيين كدروع بشرية ، ودارت حرب شوارع لم تستثني أحدا ، وتم اعتقال العائلات الهاربة بعد عودتها الى منازلها ، كما اقتحمت تلك القوات المستشفى العام في النجف وقتلى المرضى والاطباء رميا بالرصاص وبالحراب أيضا ، وكان نفس النهج الذي اتبعه الحرس الجمهوري مع باقي المدن أي البدء بقصف المدن عشوائيا بالمدافع والطائرات الهليكوبتر ، وفي الـ ١٧ من آذار طلب من الناس عن طريق مكبرات الصوت اخلاء المدينة خلال ٢٤ ساعة وإلا تعرضوا للموت ، لذا بدأ آلاف المواطنين من ضواحي النجف الشمالية بالتحرك ، وكانت الساعة حوالي الـ ٣ ظهرا ، وأغلبهم من النساء والاطفال ، وعند ذاك قامت

طائرات الهليكوبتر بمهاجمتهم وقتلت منهم حوالي ٣٠٠ ، بعد ذلك تعرضت العتبات المقدسة في النجف الى الاعتداء ، وخاصة ضريح الامام علي(عليه السلام) الذي قصفت إحدى الدبابات أحد أبوابه(٤٤) ، ثم بدأ إغلاق الاحياء في مدينة النجف الاشرف الواحد تلو الاخر واعتقال الشباب والرجال عشوائيا وقد استمرت تلك الاعتقالات حتى الـ ١٠ من نيسان(٤٥).

إعتقال السيد الخوئي

أمام الهجوم الشرس الذي شنته قوات الحرس الجمهوري بكافة الاسلحة ، لم تتمكن المقاومة من الصمود طويلا في مدينة النجف الاشرف ، ولم تبق سوى مجموعة من أهالي الرميثة والفاو والمشخاب والنجف تحيط بمنزل السيد الخوئي محاولة منع وصول تلك القوات إليه ، وكانت تلك القوة تحت أمره الرائد المتقاعد حميد كاظم علوان مظلوم الطائي من أهالي الرميثة ، والذي شارك في العديد من المعارك ضد قوات الحرس الجمهوري وقد أستشهد في معركة أم عباسيات في الكوفة(٤٦) ، وفي تلك الظروف عرض على السيد الخوئي مغادرة العراق أو الى منطقة آمنة مثل كردستان ، لكنه كان يرفض ويقول : " إما النصر أو الشهادة"(٤٧) ، وكان يقول كذلك : " بماذا أجيب سيد ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام وأنا أترك مدينته المقدسة نهبا للاحداث والكوارث"(٤٨) ، وبعد أن هددوا باستخدام الغازات السامة أمر السيد الخوئي بأن يتفرق المقاتلون المحيطون بمنزله ، وقال لهم : " اطلبوا النجاة لأنفسكم ، لا تربطوا مصيركم بمصيري عسى أن تصلوا الى أهلكم بسلام " ، وقد رفضوا ذلك ، فقال لهم : " هذا أمر أخرجوا ، أما أنا فسأبقى بجوار علي بن أبي طالب ولن أخرج " ، ولكن تثبيت سيطرة الحكومة على النجف الاشرف لن يتم إلا باعتقال المرجع الديني الاعلى القائد الروحي لهذه الانتفاضة ، لذا قامت قوات الامن باعتقال أعداد

كبيرة من طلبة الحوزة العلمية واساتذتها ، وفي مقدمتهم آية الله العظمى السيد علي السيستاني وآية الله الشيخ مرتضى البروجردى وآية الله الشيخ علي الغروي اللذان أعتيلا فيما بعد (٤٩) وقد سجنوا في فندق دار السلام (٥٠) في النجف أول الامر ثم فرقوا بين معسكر الرزااة ومعتقل الرضوانية (٥١) ، وتقدر أعداد المعتقلين بحوالي ١٠٥ من ضمنهم أفراد أسرته و٣٤ أستاذاً عراقياً و٢٨ إيرانياً والآخرين كانوا من لبنان والهند والبحرين وباكستان وأفغانستان ولم يطلق سراح إلا واحد منهم من باكستان.

أما السيد الخوئي فكان في مقدمة المعتقلين وكان عمره قد تجاوز الـ ٩٠ عاماً ، ففي الـ ١٩ من آذار أقدمت القوات الامنية التابعة للنظام البعثي على جريمة اعتقال السيد ابو القاسم الخوئي ، وكان معه مجموعة من السادة العلماء وهم : السيد محمود الميلاي ، السيد محمد رضا الخلخالي ، السيد عز الدين بحر العلوم ، السيد جعفر بحر العلوم ، السيد جواد بحر العلوم ، وعند اقتراب عناصر الامن من المنزل طلب السيد محمد تقى من السادة الموجودين الاستعداد لمواجهة الامور ، فتوضؤوا ولبسوا عمائمهم وجلسوا في غرفة الاستقبال منهم من يتلوا القرآن ومنهم من يسبح ويحمد الله ، وقد انتشرت القوات الخاصة العراقية في المنطقة المحيطة بمنزل السيد الخوئي ، ورغم ذلك لم يكونوا متأكدين من موقع بيت السيد ، وكان المدافعون عن السيد الخوئي قد حفروا خنادق استعداداً للدفاع ، ولكن قبل انسحابهم دفنوا أسلحتهم في تلك الخنادق ، وقد اهتدى إليها أحد الضباط صدفة بعد ان تعثرت قدمه بحمالة احدى البنادق الغير مدفونة بشكل صحيح ، فطلب تعزيزات عسكرية مكونة من ٢٠٠ جندي تقريبا ، وقاموا بتسليق أسطح المنازل ، كما تسلقوا سطح منزل السيد الخوئي دون أن يعلموا ذلك ، ولكن أحد الجنود لاحظ وجود سيارة تحمل الرقم (٢) داخل

المنزل فعرف الجميع ان هذا هو منزل السيد الخوئي ، فأقترحوا المنزل وخلال دقائق انتشرت أعداد كبيرة منهم ، وأطلقوا النار على الباب الداخلي حتى فتحوه ، وكان السيد محمد تقى يقف خلف الجدار ، فأخذ أحد الضباط ينادي : "على من في الدار ان يخرج رافعا يديه " ، فقال له السيد محمد تقى : "أنا في البيت" ، فقال الضابط : "من أنت" ، فقال : "أنا محمد تقى الخوئي" ، فقال الضابط : "نحن نبحث عنك وأنت هنا ، ألقى سلاحك وأخرج رافعا يديك للأعلى" ، فقال له السيد : "ليس لدي سلاح" . عندها أقبضوا القبض عليه واقتادوه الى سيارة خارج البيت بعد ضربه واهانته ، ثم أخذوا السيد ابو القاسم الخوئي ووضعوه في سيارة عسكرية ، وقد قال الضابط للسيد : "أنا عبد مأمور وعلي تنفيذ الاوامر" ، وكان بيد الضابط قائمة بأسماء الموجودين في المنزل ينادي بكل اسم ويقبض عليه ، وعندما رأى السيد محمد تقى حالة والده وعدم تمكنه من الصعود الى السيارة العسكرية ترجل من السيارة التي وضع فيها وجاء مهرولا وقال للضابط : "ان الوالد لا يستطيع ركوب السيارة لأنها عالية فإذا أمكن خذوه بسيارته ، وأنتم تولوا القيادة ، فقال له الضابط لا يمكن ذلك إلا في سيارتنا ، فكان اثنان من الجنود يسحبان السيد واثنان يدفعانه حتى أركبوه عنوة ، وأركبوا معه السيد عز الدين بحر العلوم ، والسيد محمد رضا الخلخالي ، ووضعوا السيد بحر العلوم والسيد ابراهيم الخوئي في سيارة أخرى ، والسيد جواد بحر العلوم والسيد محمود الميلاني في سيارة ثالثة ، وكل سيارة يحرسها ٨ من الجنود في سيارة مزودة بمدفع رشاش ثقيل ، وقد طلب السيد الخوئي من الضابط المسؤول عن اعتقاله ان يترك السيد الخلخالي عند العائلة لرعاية شؤونهم لكن الطلب رفض ، ولم يبق مع العائلة سوى السيد جواد ابن السيد محمد تقى البالغ من العمر آنذاك ١٢ عام و٣ شباب كانوا يقومون بخدمة السيد الخوئي ، وحتى بعد اعتقال السيد وابنه بقيت

عناصر الامت والاستخبارات تدهام البيت بين مدة واخرى واحيانا مرتين في اليوم الواحد بقصد ارباب عائلة السيد (٥٢) ، وقد وصف شاهد عيان آخر على اعتقال السيد الخوئي عملية الاعتقال بقوله: "قام عدد من الجنود باعتقال الامام ، وأربعة من القادة وعددا من المنتفضين ، وقد أجبروا الامام الذي يزيد عمره على التسعين عاما على السير بدون مساعدة ، ونظرا لعدم استطاعته المشي فقد سقط على الارض وعند ذلك ساعده أبنه على النهوض ، وتم أخذه الى مكان الاعتقال" (٥٣) ، وقد حملوا في سيارات عسكرية الى خارج النجف الى فندق دار السلام ، وعند المغرب التقى طه ياسين رمضان بالسيد ابو القاسم الخوئي ونجلاه السيد محمد تقى ، فسأل طه السيد محمد : " أنت شجاع لتذهب الى كربلاء ٥ مرات " ، فإجابه السيد: " من الواضح ان الانتفاضة قد أثرت في الاجهزة الامنية لأنني خرجت مرة واحدة الى الحرم الشريف ، وألقيت بيان السيد الخوئي ، ولم أذهب الى كربلاء المقدسة " ، فامتعض طه ياسين رمضان وبدا على وجهه الغضب وقال للسيد محمد تقى: " لسانك طويل يجب قطعه " ، فقال له السيد: " تسألني فأجيبك وإذا لم تسألني فلا أتكلم " ، جلس طه حوالي ٥ دقائق ساكتا ، ثم غادر القاعة غاضبا. وبعد دقائق معدودة جاء أحد الضباط ليلعب السيد بنقلهم إلى بغداد وقد رفض طلب السيد محمد تقى بالاستعانة ببعض الاشخاص لمساعدة السيد على الحركة لأنه غير قادر على ذلك ، يقول السيد محمد تقى في تلك اللحظة: " بدأت أفكر بالسيد الشهيد محمد باقر الصدر وأخته الشهيد بنت الهدى" (٥٤) ، ثم نقل السيد الخوئي وولده السيد محمد تقى الى مقر الاستخبارات العسكرية (٥٥) ، وهناك تم الفصل بينهما ، فقد وضع السيد محمد تقى في زنزانة انفرادية بينما أخذ السيد الخوئي الى مكان مجهول ، يقول السيد محمد تقى: " عند صلاة الفجر جاءني أحد الضباط وقال لي ان والدك يطلبك ، ثم أخذني في دهايز لا

حدود لها الى ان انتهى الى غرفة ادخلني فيها فرأيت السيد الوالد جالسا ، وكبار الضباط جالسين وعلى رأسهم المجرم صابر الدوري مدير الاستخبارات العسكرية وضباط آخرين أمثال وفيق السامرائي ، وكان بأيديهم البيان الاول للسيد الوالد ، فجلست إله جانبه وسألته: هل أعطوك شيئا؟ ، فقال: لا ، لكنهم يسألوني عن السيد مجيد. وكانوا يتناقلون بيان السيد الخوئي بين موافق ومخالف ، فبعضهم قال : ان السيد يدعو في بيانه إلى عدم الفوضى والتجاوز على حقوق الآخرين وعدم ترك الجثث في الشوارع الى غير ذلك من الامور التي نهى عنها الاسلام ، في حين رأى آخرون خلاف ذلك" ، ثم بدأ التحقيق مع السيد محمد تقي الذي استمر حوالي ٣ ساعات ، بعد ذلك أخذوا السجين إلى سجن آخر ، وقد عانى السيد الخوئي كثيرا نتيجة للمعاملة القاسية وتقدمه في السن ، فقد أحتجز السيد الخوئي في مكان لا توجد في مياه لقضاء الحاجة أو الوضوء ، ومنعوا عنه الطعام ولم يقدموا له سوى كوب من العصير خلال يومين ، وفيما بعد ظهر السيد الخوئي على شاشة التلفاز مع صدام حسين ، وبعدها أعيد الى النجف ووضع تحت الإقامة الجبرية في منزله (٥٦).

كان يراقب منزل السيد الخوئي عناصر الاستخبارات بشكل مستمر ، وقد حاولت الحكومة ابتزاز السيد الخوئي لغرض الحصول على بعض التصريحات التي تخالف الواقع ، كما حصل في زيارة المبعوث الخاص لحقوق الانسان في الامم المتحدة السيد صدر الدين آغا خان الى النجف الاشرف ولقائه السيد الخوئي وكان طبيعيا ان يحضر ممثلو الحكومة كالمحافظ كريم حسن رضا ومدير الامن ، وفيما بعد عين السيد فان دير شتويل في هذا المنصب وكان جريئا (٥٧) ، وفي احدى زياراته للسيد الخوئي وقبل ان يدخل البيت وكان يصحبه المحافظ ومدير الامن توقف قبل ان يدخل ومنعهما من الدخول وبعد ان دخل اغلق الباب ، ثم جلس الى جوار السيد الخوئي

وطلب منه الحديث بحرية ، فبدأ السيد بالحديث عن انتهاكات النظام وسجنه العلماء وإحراق المكتبات وهدم المدارس الدينية والحسينيات والمساجد وكم الافواه ، وطلب منه ايصال هذه المعلومات الى الامم المتحدة (٥٨) ، وقد وصف فيه أوضاع الحوزة العلمية بقوله : "تقلص عدد العلماء والطلبة فيها من حوالي ٨٠٠٠ قبل ٢٠ عاما الى حوالي ٨٠٠ قبل انتفاضة آذار ١٩٩١" (٥٩).

وعندما زار وزير الاوقاف عبد المنعم احمد صالح التكريتي النجف الاشرف والتقى الامام الخوئي ، انتقد السيد قيام الحكومة بهدم مدرسة الامام الحكيم (دار الحكمة) وعد هذا العمل اقلاب للتراث الاسلامي ، وقال للوزير : "بدلا من اقلاب اكثر من ٤٠٠٠ مخطوط كان بإمكانكم نقلها الى متاحفكم وتفتخرون بهذا الكم الهائل من المخطوطات الاسلامية النفيسة" ، كما تطرق السيد الى اقطاب الحوزة العلمية المسجونين (٦٠).

أهم النتائج التي تمخضت عنها الانتفاضة

١- اعتراف العالم بقضية الشعب العراقي ونضاله ضد النظام الدكتاتوري ، ولم يأت هذا الاعتراف عن طريق التوسل أو المناشدة لهذه الدولة أو تلك المنظمة ، بل جاء عن طريق التوضيحات التي قدمها الشعب العراقي والسيد الخوئي ومرجعياته ، فقبل الانتفاضة لم يكن هنالك بند مطروح على جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة بعنوان (القضية الشيعية) ، بل ان هنالك حصار مفروض على الشيعة وقضاياهم ، فضلا عن قيام أطراف اقليمية بالتحذير منهم وزرع الخوف منهم في قلوب الآخرين ، فكان ذلك بمثابة حجر عثرة يسد طريقهم على المستوى الدولي (٦١).

٢- رد الشعب العراقي من خلال الانتفاضة على الاسئلة التي تثار عن سبب سكوته على سياسات النظام البعثي وجرائمه ، وأثبتوا أنهم شعب لا يسكت عن الظلم.

٣- التأكيد على ولاء الشعب العراقي لآل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) والمرجعية الدينية التي هي امتداد لهذا الخط ، وفشل مخططات حزب البعث الهادفة الى ابعاد العراقيين عن دينهم وولائهم لأهل البيت (٦٢).

٤- ان الصراع في العراق تحول بعد الانتفاضة الشعبانية من صراع بين النظام البعثي والمعارضة والقوى السياسية النخبوية ، إلى صراع بين النظام وعامة الشعب العراقي الذي دخل بإمكانيات محدودة في قتال ضد قوات منظمة ومدربة وتمتلك أسلحة فتاكة (٦٣) .

وفاة السيد الخوئي واستمرار استهداف عائلته

تدهورت الحالة الصحية للسيد الخوئي ، فطلب السيد محمد تقى من مدير أمن النجف ان ينقل الى الاردن للعلاج ، إلا ان الاخير رفض بحجة ان السيد ممنوع من السفر خارج العراق ، ويمكن ان يعالج في بغداد ، فطلب منهم السيد محمد تقى ان تجلب الادوية والجهزة الطبية من الاردن فرفضوا وقالوا كل شيء موجود في بغداد ، وقد أجريت للسيد عملية جراحية ووضع له جهاز تنشيط القلب في مستشفى ابن النفيس وكان الفريق الطبي المشرف على الحالة الصحية للسيد الخوئي يتكون من ٩ أطباء كانوا يتناوبون على اعطائه العلاج ، وبعد اسبوع من اجراء العملية عاد السيد الى النجف ، وفي الـ ٧ من صفر ١٣٤١ هـ تدهورت حالته الصحية فوضعوا له الاوكسجين ، فتحسنت حالته ، وفي يوم السبت الموافق ٨ صفر ١٣٤١ هـ / ٨ آب ١٩٩٢ وبعد الاذان والاقامة كبر السيد تكبيرة الاحرام ، ثم رجع إلى الخلف ووقع على الارض وتوفي ، وبعد المغرب جلس في منزل السيد الخوئي السيد السيستاني والسيد علي بهشتي والشيخ محمد اسحاق الفياض وآخرين ، وكانوا راغبين بأخذ جنازة السيد الخوئي الى كربلاء المقدمة قبل دفنها في ضريح الامام علي (عليه السلام) (٦٤) ، وعند

انتشار الخبر اخذ الناس بالتوافد والتجمع حول منزل السيد الخوئي في الكوفة وأصبحت المدينة مزدحمة بالناس ، وقد قطعت الاتصالات الهاتفية في مدينة النجف الاشرف وعموم العراق ، وكذلك بين مكاتب العلماء المعتقلين وباقي الشخصيات المهمة التي تم اعتقالها ، حتى ان مؤسسة الامام الخوئي (٦٥) في لندن لم تتمكن من الاتصال بالسيد في ذلك اليوم ، وقد سمعت أنباء الوفاة أول الامر في جنوب العراق والكويت ، عندها بدأت الاتصالات من خارج العراق للتأكد من صحة الخبر (٦٦) ، وعند الساعة الرابعة عصرا انتشرت أفواج عدة من القوات الخاصة وأغلقت مداخل النجف والكوفة ، ثم أشيع خبر تأجيل التشييع الى صباح اليوم التالي لتفريق حشود الناس ، ثم أعلنت حالة منع التجوال في النجف والكوفة ومدن اخرى في الوسط والجنوب ، كما تمركزت نقاط تفتيش في شوارع المدينتين تحسبا لأي ردة فعل ، كما شملت تلك الاجراءات بعض مناطق بغداد كالشعلة والثورة والكاظمية ، وقد أذيع خبر وفاة السيد الخوئي عبر التلفاز الرسمي وان التشييع سيجري في صباح اليوم التالي الموافق ٩ صفر (٦٧) ، وعند منتصف الليل وقبل طلوع الفجر يوم الاحد ابلغت السلطات أسرة السيد الخوئي بوجود دفنه عند الساعة ١٢ ليلا ، فأعترض السيد محمد تقي الخوئي وقال لمدير الأمن: "ان السيد لم يغسل أو يكفن وتم الاعلان عن التشييع في الساعة ٩ من صباح الغد فلماذا هذا الاستعجال؟" ، فرد مدير الأمن "ان هذه هي الاوامر" ، فانفعل السيد محمد تقي ، فقال له مدير الأمن: "لا ترفع صوتك والدك قد مات" ، فتدخل الشيخ شريف كاشف الغطاء وقال للسيد محمد تقي: "ان هؤلاء ليس لديهم مانع لديهم من أخذ الجثمان ودفنه دعني أكلهمهم" ، وبعدها اتصل مدير الأمن ببغداد وعاد بتعليمات جديدة وقال: "هيا جوازكم الساعة ٣ ليلا والا سنتولى نحن دفنها" ، وبعد تغسيل السيد لم يعثروا على تابوت إلا بصعوبة ،

وفي الساعة الـ ٣:٣٠ صباحا جاء مدير الامن وقال لهم لا تسير في التشيع سوى ٣ سيارات وسط حراسة مشددة ، وكان يرافقهم مسؤول أمن الفرات الأوسط وهو فلسطيني(٦٨) ، ثم حملت جنازته على السيارة قاصدين ضريح الامام علي(عليه السلام) ، وقد صلى على جنازته تلميذه السيد علي السيستاني ودفن في مقبرته الى جوار مسجد الخضراء داخل ضريح الامام علي(٦٩).

لقد حاول الحكومة العراقية تلميع صورتها من خلال استغلال وفاة السيد الخوئي ، فأقامت وزارة الاوقاف العراقية مجلس الفاتحة على روح السيد في جامع الخضراء ، في حين منعت السلطات إقامة أي مجلس فاتحة آخر حتى من قبل أفراد عائلته لكنها لم تفلح في استقطاب المعزين الذين اتهموا الحكومة العراقية بأنها وراء وفاة السيد الخوئي من خلال حقنه بحقنة ذات سم بطيء في مستشفى ابن النفيس ببغداد(٧٠) ، ولم تتمكن السلطات الرسمية من اخفاء المأساة التي حلت بالسيد وعائلته ، فهو لم يحظ بعناية طبية لائقة خلال أكثر من عام من اشتداد مرضه الذي زاده الضغط والاضطهاد الذي مارسه البعثيون ومحاصرته في بيته وممنوعا من مواصلة دروسه ، وقد وصف السيد الشهيد محمد تقى الخوئي معاناتهم قائلا : " في تلك الايام ورغم صعوبة الوضع وشدة الحال وقسوة الزمان وتوتر الاعصاب ...وكانت الظروف والاجواء غير ملائمة للكتابة واستثنائية.." (٧١) ، فيما كان أفراد عائلته بين سجين أو مشرد ، وعند وفاته لم يحظ بالتشييع الذي يستحقه(٧٢) ، كما أطلقت الاذاعة والتلفاز على السيد الخوئي(لقب شهيد الامة والوطن) ، وادعت وكالة الانباء العراقية ان جثمان السيد شيع رسميا وشعبيا مهيبا، فيما لم يشيع السيد أكثر من ٦ أشخاص(٧٣).

كانت الظروف السياسية التي مر بها العراق تمنع السيد ابو القاسم الخوئي من ممارسة اي دور سياسي علني بسبب شراسة النظام البعثي الدكتاتوري وخاصة في تعامله مع علماء الدين وعلى الاخص المراجع منهم^(٧٤). بينما كان السيد الخوئي في حقبة الستينيات من القرن العشرين يمارس نشاطا سياسيا تجاوز حدود العراق وخاصة في مهاجمة شاه ايران محمد رضا بهلوي لان الظروف كانت تسمح بذلك^(٧٥) ، ولكن بعد امساك حزب البعث بزمام الامور في العراق ، فقد اختلفت الامور كثيرا ، لذا كان التحرك السياسي للسيد الخوئي هو التحرك الصامت كنتيجة حتمية لمتطلبات المرحلة الحساسة التي عاشها السيد بكل آلامها ومعاناتها ، لذا فإن الحكم على تلك المواقف يجب ان يكون ضمن مجمل الظروف السياسية والاجتماعية وغيرها والتي تفاعلت بدورها مع طبيعة المواقف السياسية التي تبناها السيد الخوئي ، فطبيعة مواقف المرجعية الدينية لا تأت من فراغ ، فمثل تلك الظروف فرضت على السيد الخوئي التحرك وعيا منه بخطورة الموقف وحذرا نافذا في أعماق الواقع السياسي الذي يمر به البلد ، فالحكومة تتربص بالشعب الذي يطيع مرجعيته الدينية من جهة ، وتتربص بالمرجعية هي الاخرى من جهة ثانية ، ولهذا جاء التحرك السياسي الصامت أسلوبا ونهجا استيعابيا علميا ينظر لمسألة إلتفاف الجماهير حول مرجعيتها ويمثل نظرة عميقة دقيقة أخذت بعين الاعتبار درجة الولاء وعمقه ونضجه ومدى الاستعداد وماهي امكانية الاستمرار في هذا الطريق (مقاومة النظام البعثي) ، وقد حاولت الحكومة العراقية مرارا ومنذ توليها السلطة في العراق عام ١٩٧٠ اخراج السيد الخوئي عن هذا النهج واستغلال ذلك في القضاء على المرجعية الدينية في العراق بشكل كامل ونهائي ، فالنظام البعثي كان في حالة صراع ضد المرجعية الدينية في النجف الاشرف لغرض انتزاع ولاء الجماهير لها ، لكن السيد

الخوئي ومن خلال سياسته ومواقفه أفضل خطط الحكومة إذ أبقى على ولاء الجماهير لدينها ومرجعيتها واستثمار ذلك الولاء في الوقت الذي تتوفر فيه الشروط الموضوعية للتخلص من الظلم والاستبداد (٧٦).

إن سياسة السيد الخوئي تلك التي يمكن وصفها بالبعيدة الامد ، فإنه ركز على العلم وبناء المؤسسات العلمية وقد أتت تلك السياسة ثمارها فكار مراجع النجف الاشرف من تلامذته وخاصة المرجع الديني الاعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني الى جانب آية الله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض ، وآية الله العظمى الشيخ بشير النجفي ، الى جانب المرجع الكبير آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم . ومما لاشك فيه ان تفاهم وتناغم مراجع الدين هو تخرجهم من مدرسة واحدة هي مدرسة السيد الخوئي وخاصة في المجال السياسي.

لم توقف وفاة السيد الخوئي الحوزة العلمية عن ممارسة نشاطاتها وخابت توقعات النظام البعثي ، فقد اتجهت الانظار الى السيد علي السيستاني أحد أبرز تلامذة السيد الخوئي كي يخلفه في زعامة المرجعية الدينية ، فتولى مجلس درسه وإمامة المصلين مكانه في جامع الخضراء حتى قبل وفاة السيد الخوئي ، كما تم الحفاظ على مكانة السيد الخوئي من خلال مؤسسة الامام الخوئي في لندن التي كان يديرها ولده السيد الشهيد محمد تقي الخوئي، وكان لهذه المؤسسة دور بارز في مجالات تقديم العون في العديد من المناطق داخل العراق وخارجه ، كما كان للمؤسسة دور مهم في مجال الدفاع عن حقوق الانسان في العراق ، فكانت الوسيلة التي بها تم ايصال صوت الشعب العراقي الى المنظمات الدولية ، كما اعتقد النظام البعثي ان وفاة السيد الخوئي ستنتهي تراثه الفكري وتمنع عطائه العلمي عن طلاب العلم والمعرفة ، وقد كان للسيد محمد تقي الخوئي أثر كبير في انتشار مؤلفات والده (٧٧) ، كما حمل هموم ومعاونة ضحايا الانتفاضة الشعبانية ، فكانت الصور والافلام

التي توثق بعض أحداث الانتفاضة والتي انتشرت في ارجاع واسعة من العالم قد حملها السيد محمد تقي الخوئي (٧٨).

لقد بدأ السيد محمد تقي بتمثيل والده الامام الخوئي في الكثير من المناسبات الدينية والاجتماعية على المستويات الشعبية والرسمية ، في داخل العراق وخارجه وبالاخص بعثا الحج الدينية التي كانت تفد الديار المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وكان يتولى متابعة شؤون الشيعة في كل أنحاء العالم ، ويقدم الخدمات للمؤمنين ولقلدي السيد الخوئي ، ويوفر التسهيلات لهم في أمرهم الدينية والدينية. وقد قام بالعديد من السفرات التفقدية الى مختلف بلدان العالم مثل الهند وباكستان وتايلند وماليزيا وبريطانيا وأمريكا وغيرها ، حيث كان يطلع خلالها على المشاريع الثقافية والاجتماعية والدينية ، ويبحث مع القائمين عليها في كيفية مساهمة مكتب سماحة المرجع الاعلى في سد الثغرات وتسهيل الصعوبات (٧٩).

لذا أثارت نشاطات السيد محمد تقي الخوئي خوف النظام البعثي حتى ان مدير أمن النجف عبر عن ذلك الخوف بقوله : " اننا لم نصدق موت الخوئي ، فظهر لنا خوئي آخر " ، وهنا بدأت التهديدات والمضايقات وحيانا الاعتداء على السيد محمد تقي أو عائلته ، فقد جرت محاولة اختطاف السيد جواد نجل السيد محمد تقي الخوئي من قبل سائق تكسي ، لكن تلك المحاولة فشلت ، الامر الذي جعل السيد محمد تقي يخرج ابنه الى ايران لأنه كان يعلم بأسرار العائلة ، وقد زاد نشاط مؤسسة الامام الخوئي والسيد محمد تقي مخاوف الحكومة ، فقال مدير الامن للسيد : " لا تحسبن المؤسسة والضغوط الدولية وبيانات مجلس الأمن تستطيع ان تحميك منا ، والله نستطيع قتلك بألف طريقة وطريقة دون علم أحد " ، وخلال الايام القليلة التي سبقت الاغتيال أستدعي السيد إلى مديرية الامن لمناقشة سفره لحضور اجتماع مجلس أمناء مؤسسة

الامام الخوئي في لندن وطلبوا منه بصفته الامين العام حل المؤسسة وتصفية أعمالها فرفضوا ذلك ، ثم وافقوا بشرط عدم منحه سمة عودة ومغادرة العراق إلى الأبد ، فرفض ذلك ، مفضلاً البقاء في العراق على أي خيار آخر ، ثم طلبوا منه استدعاء ابنه (جواد) إذا ما أصر على البقاء ، وقد تمكن السيد من ايصال فحوى النقاش هذا الى ولده^(٨٠) ، وبعدها بساعات قليلة وبتاريخ ١٢ صفر ١٣٤١ هـ / ٢٢ تموز ١٩٩٤ م تعرض السيد محمد تقى الخوئي إلى الاغتيال بواسطة حادث سير مدبر على طريق كربلاء النجف ، ففي طريق عودته الى النجف نصبت نقطة تفتيش ، وعندما وصلت سيارة السيد الخوئي الى تلك النقطة تظاهروا بالاحترام وسمحوا لها بالمرور ثم قطعوا الطريق على باقي السيارات ، فيما لاحقت سيارة السيد سيارة تابعة للأجهزة الامنية وبدأت بإطلاق النار ، فأسرع السائق وفجأة ظهرت أمامه شاحنة صدمت سيارته وقتل في الحال مع صهره السيد محمد أمين الخلخالي وطفله محمد وسائقهم مناف عسكور الذي كان يعاني بدوره من المضايقات المستمرة من قبل العناصر الامنية^(٨١).

كما منع أي من أهل الضحايا من رؤية الشهداء أو الاطلاع على أسباب الوفاة في المستشفى، وقد عجلت الحكومة بدفن الجثث في اليوم نفسه ، ومن دون تشييع أو أية مراسيم معروفة وكانت الفاجعة التي أودت بحياة العلامة الشهيد السيد محمد تقى الخوئي، وقعت في أيام الذكرى السنوية الثانية لرحيل الإمام السيد أبو القاسم الخوئي ، رضوان الله تعالى عليهما^(٨٢).

(١) شخص السيد محسن الحكيم طبيعة حزب البعث منذ سيطرته على مقاليد الامور في العراق بأنه حزب دكتاتوري لديه اطروحة فكرية تستهدف الاسلام ويجب الخلاص منه ، كما اراد حزب البعث السيطرة على الحوزة العلمية وجعلها أداة لتنفيذ مخططاته ، فعندما تولى عبد السلام عارف السلطة عام ١٩٦٣ بعد الانقلاب على عبد الكريم قاسم أرد البعثيون من السيد الحكيم اصدار بيان يؤيد فيه تولي عبد السلام عارف لكنه رفض ، كما رفض السيد لقاء عبد السلام في النجف الاشرف ، كما اصدر فتوى تحريم قتال الاكراد ، ورفض لقاء عبد الرحمن عارف الذي خلف عبد السلام في رئاسة الجمهورية ، وعندما حصل انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ كانت سياسة السيد الحكيم تقوم على الانتظار والمراقبة للسلوك او السياسة التي سيسير عليها النظام الجديد ، وعند تولي احمد حسن البكر رئاسة الجمهورية طلب لقاء السيد مهدي الحكيم لكن الاخير رفض ، كما رفض السيد محسن الحكيم طلبا مماثلا من قبل صدام حسين نائب رئيس الجمهورية آنذاك ، وكان الغرض من محاولات اللقاء تلك تلميع صورة حزب البعث واظهار انه يحترم الدين والعلماء ، لكنه فيما بعد كشف عن وجهه الحقيقي فقام بالغاء جامعة الكوفة الدينية ومصادرتها ، كما اتهم السيد مهدي الحكيم بالجاسوسية . للاطلاع على تفصيلات أكثر ينظر : مهدي الحكيم ، التحرك الاسلامي في العراق ، ط.بلا ، ت.بلا ؛ محمد باقر الحكيم ، الامام الحكيم ، ط.بلا ، ت.بلا.

(٢) اكااديمية الكوفة ، الامام الخوئي المرجع الشيعي الاكبر ، ط ١ ، هولندا ، ص ١٦٣

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٩ .

(٤) السيد حسن بن مهدي الحسيني الشيرازي (١٩٣٧-١٩٨٠) رجل دين ومفكر شيعي عراقي ، ولد في مدينة الاشرف في العراق سنة ١٩٣٧ ، وأغتيل سنة ١٩٨٠م. وأغتيل في بيروت على يد مجموعة مسلحة من عملاء النظام البعثيين بينما كان متوجها للمشاركة في مجلس الفاتحة الذي أقامه هو بمناسبة شهادة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر وشقيقته بنت الهدى على يد النظام البعثي إتخذ من لبنان مقرا له سنة ١٩٧٠ ، وقبل ذلك كان يتردد كثيرا على سوريا ، أسس جماعة عام ١٩٧٧ إلى جانب تبنيه لها ، كما أسس الكثير من المؤسسات التربوية والثقافية والدينية والاجتماعية في كل من العراق وسوريا ولبنان وأوروبا وأستراليا وساحل العاج وسيراليون ونيجيريا وكينيا ، وضع أول لبنة في تأسيس الحوزة العلمية الزينية في سوريا سنة ١٩٧٥ ، وقد خرجت هذه الحوزة منذ تأسيسها إلى اليوم المئات من الطلاب من مختلف الجنسيات وتعد اليوم أكبر وأهم الحوزات في هذه البلدة . وقد وضع أول لبنة فيما يتعلق بالعلاقات مع العلويين الشيعة في سوريا ولبنان واستطاع أن يزيل الأوهام التي تعلقت بمخيلات البعض عن هذه الفئة من المسلمين الشيعة ، دافع وبحماس عن كافة حركات التحرير في العالم

وخاصة حركات التحرير الإسلامية ، وقف بثبات ضد الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية ، ودافع عن قضايا لبنان وخاصة الجنوب في كل المحافل والمناسبات ، وأكد على وجوب تحقيق الوفاق الوطني ، كما قدم مساعدات مالية ومعنوية للجنوب اللبناني للكثير من العوائل التي شردت نتيجة الحملات الصهيونية . للاطلاع على تفصيلات أكثر ينظر : جاسب عبد الحسين ، عادل غانم حسن ، الفكر السياسي عند السيد حسن الشيرازي ، مجلة آداب الكوفة ، المجلد ١ ، العدد ١١ ، ٢٠١٢ .

(٥) وهم ثلاثة من أبناء الامام الحكيم وهم كل من : آية الله الشهيد السيد عبد الصاحب الحكيم ، حجة الاسلام الشهيد السيد علاء الدين الحكيم ، حجة الاسلام الشهيد السيد محمد حسين الحكيم ، أما الشهداء الباقيين فكانوا من أحفاده وهم : حجة الاسلام الشهيد السيد كمال الحكيم ، حجة الاسلام الشهيد السيد عبد الوهاب الحكيم ، الاستاذ الشهيد السيد أحمد الحكيم . وفي ١٩٨٨/١/١٧ أغتالت المخابرات العراقية السيد مهدي الحكيم اثناء حضوره احد المؤتمرات في السودان . للاطلاع على تفصيلات أكثر ينظر : أبو جهاد ، صدى جريمة اعدام الشهداء الستة من آل الرسول ، ط.بلا ، ١٤٠٤ هـ ؛ سليم العراقي ، لماذا قتلوه ، ط ١ ، ١٩٩٥ .

(٦) أقدمت الحكومة العراقية على إعدام حوالي ٤٧ عالماً وأستاذاً وخطيباً وأما جامع في عموم المدن العراقية خلال تلك الحقبة ، للاطلاع على اسماء الشهداء ينظر : محمد الاسدي ، موسى التميمي ، ابو اسراء ، دماء العلماء في طريق الجهاد ، ط بلا ، ١٩٨٤ ، ص ٥٦-٥٧ .

(٧) أكاديمية الكوفة ، الامام الخوئي....المصدر السابق ، ص ١٩١ .

(٨) المركز الوثائقي لحقوق الانسان في العراق ، لمحات من انتهاكات النظام العراقي لحقوق الانسان وحياته الاساسية ، ط ٢ ، طهران ، ١٩٩٦ ، ص ١٦ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ١٩١ .

(١٠) محمد حسين عبود ، الزعامة الدينية للسيد الخوئي اسبابها آثارها ، مجلة اهل البيت ، العدد ١٩ ، ٢٠١٦ ، ص ١٥١ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ١٥١ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .

(١٣) محمد جواد الجزائري ، السيد أبو القاسم الخوئي رؤاه ومواقفه السياسية ، ط ١ ، لبنان ، ٢٠١٧ ، ص ٤٣ .

(١٤) للاطلاع على تفصيلات أكثر حول التهجير في العراق في تلك المرحلة . ينظر : مصطفى الانصاري ، عمليات التهجير في العراق عرض وثائقي ، ط.بلا ، ١٩٩١ .

(١٥) محمد جواد الجزائري ، المصدر السابق ، ص ٦٨-٦٩ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٧٣-٧٤ .

(١٧) انتفاضة صفر، حدثت عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م في شهر صفر في النجف بوجه النظام البعثي الحاكم في العراق بعد أن بادر الأخير إلى منع العزاء الحسيني والمسيرات التي تتجه من مختلف مدن العراق إلى كربلاء سيرا على الأقدام. بدأت السلطة الحاكمة بسلسلة حملات تضييق الخناق على المواكب الحسينية منذ عام ١٩٦٩م فكانت ردود فعل الجماهير غاضبة تجاه إجراءات الحكومة، وبفعل إصرار الجماهير استمرت الشعائر الحسينية بالأعوام التالية إلا أنه في محرم ١٩٧٥ و ١٩٧٦ وبعد منع الحكومة خروج مواكب العزاء، خرجت مسيرات جماهيرية تحمل السلاح الأبيض متحدية به قرار السلطة، فاشتبكت مع عناصر الأمن التي عرقلت مسيرتهم، واعتقل خلالها العديد من المنتفضين آنذاك. وفي عام ١٩٧٧ م الموافق لشهر صفر عام ١٣٩٧هـ حدثت انتفاضة كبرى متحدية كل القرارات الحكومية لمنع الزوار والمسيرات الراجلة حتى أصدرت الجهات الأمنية أوامر لسحق الانتفاضة واعتقل فيها عدد كبير من المتظاهرين في السجن، وصورت الانتفاضة بأنها محاولة لقلب النظام مدفوعة من جهات أجنبية حيث إن وساطة بعض العلماء باتت غير نافعة فخضع المسجونون - وكان عددهم ما يقارب الـ ٣٠ ألف سجين- إلى صنوف التعذيب جراء انتزاع الاعتراف منهم وأخيرا أصدرت السلطات أحكاما قضائية منها تقضي بإعدام قادة الانتفاضة وحكمت على آخرين بالسجن المؤبد. وبعد أن استشاروا الشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر (قدس) بهذا الأمر كان الرأي أن تتاجل المسيرة إلى يوم أربعينية الإمام الحسين عليه السلام وذلك لأن التجمع البشري في هذا اليوم أفضل من غيره مما يعطي للمسيرة رونقا خاصا. وفعلا قام الشباب الحسيني بحملة إعلامية كبيرة على مستوى محافظة النجف الأشرف خصوصا وعلى مستوى المدن الشيعية الأخرى عموما، وذلك بالأعداد لتلك المسيرة الكبرى التي سوف تنطلق إلى مدينة كربلاء سيرا على الأقدام وفي هذا الاثناء كانت هنالك مجاميع جهادية حسينية أخذت توزع الاعلام الصغيرة التي كتب عليها (نصر من الله وفتح قريب). عند ذلك أغلقت مدينة النجف الأشرف محلاتها وأخذ اصحاب تلك المحلات يلتحقون بالمسيرة الحسينية، ثم دخلت الجموع الثائرة إلى الصحن العلوي الشريف، ثم إلى شارع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم رجعت إلى شارع الإمام الصادق (عليه السلام) فتحوّلت إلى زخم بشري لم تستطع أجهزة الأمن القمعية التصدي لهم. وكانت اللحظة الحاسمة حين وصلت المسيرة إلى منطقة الميدان حيث قامت الجموع المؤمنة بحمل الشهيد صاحب أبو كلل على الاكتاف حيث أخذ يردد شعارات تحث الناس على مقاومة كل من يقف بوجه هذه المسيرة الحسينية. ومرت المسيرة من أمام مبنى المحافظة والجماهير تهتف (يجاسم كله للبكر ذكر حسين ما يندثر). ثم اخترقت المسيرة منطقة وادي السلام حتى غدت مدينة النجف وكأنها خلت من أهلها. ولم تتمكن السلطات البعثية من منع الزحف البشري الهائل فحاولت منع سيارات الامدادات الغذائية عن المسيرة ولكن اصحاب تلك السيارات فروا منهم وسلوكوا طرق أخرى وعرة ليلتحقوا بالمسيرة. وفي هذا الاثناء حضر مسؤول كبير من القصر الجمهوري إلى مدينة النجف الأشرف والتقى بمحافظ النجف طالبا منه إيقاف المسيرة فورا. فقال له المحافظ المقبور: إننا سوف نسوي الأمر معهم، وما هم إلا مجموعة أطفال سوف

نقضي عليهم. ولكن موفد القصر الجمهوري أصر على أن يرى المسيرة بنفسه. ولما وصل الى موقع المسيرة شاهد مدينة النجف قد خرجت باكملها شبيا وشبابا، علماء وكسبة. فقال المسؤول البعثي لمحافظة النجف: أهولاء الاطفال الذين اخبرتنا عنهم؟ المسيرة تتجه الى كربلاء.. واصلت مسيرة المشاة الحسينية طريقها الى مدينة كربلاء حتى قطعت مسافة ١٨ كيلو من محافظة النجف الاشراف لتصل الى منطقة خان المصلى. حيث قرر الثائرون المبيت فيه للاستراحة. فتوزع الشباب في تلك المنطقة كل يأخذ موقعه على شكل مجاميع لحراسة المسيرة أثناء الليل. وفي صباح اليوم الثاني تهيأ المؤمنون للخروج من الخان تتقدمهم (راية يد الله فوق ايديهم) وقد شوهدت سيارة للشرطة البعثية على الشارع العام أخذت تهدد المسيرة وتامرهم بالرجوع الى مدينة النجف الاشراف تحت تهديد السلاح. ولكن الشباب الحسيني الثائر إنهال بالضرب بالحجارة على تلك السيارة حتى لاذت بالفرار. وفي الوقت نفسه وقفت سيارات الامن على حدود مدينة النجف الاشراف مع كربلاء لتلقي القبض على كل مسافر من الشباب يتوجه الى مدينة كربلاء بحجة انه يريد الالتحاق بالمسيرة. لكن المسيرة واصلت طريقها حتى وصلت الى المحطة الثانية وهي منطقة (خان النص) وقبل الوصول الى هذه المنطقة إعتضت المسيرة سيارة صغيرة من نوع تويوتا (مادية اللون) ونزل منها أحد ازام النظام البعثي وهو معاون مدير أمن النجف انذاك، فشه مسدسه واخذ يطلق منه الرصاص على الجموع الحسينية الزاحفة فانهاالت تلك الجموع عليه بالضرب بالحجارة مما أضطره للهرب بسيارته دون رجعة. ووصلت المسيرة الى منطقة خان النص عصرا، ونظمت الحراسات من قبل مجاميع الشباب، وكانت كلمة السرفيما بينهم هي (حيدر)، وكانوا كلما احسوا بوجود شخص مشبوه ومشكوك فيه تنطلق الاصوات عليه بكلمة (برغش) فيخرج هذا الشخص المشبوه بالركلات واللكمات. وهكذا ظل الشباب المؤمن في موضع الحراسة طوال الليل البارد حيث كانوا يعتلون سطح الخان العالي وهم يحملون ابواقا خاصة للتحذير في حالة أي اعتداء، حيث كانت الدوريات البعثية تجوب الشارع العام المؤدي الى كربلاء طوال تلك الليلة. وفي الصباح تحركت المسيرة من منطقة خان النص باتجاه كربلاء وهي تردد التهتافات الحسينية. وعند ابتعادها عن منطقة الخان إقتحمت قوات الامن الصدامية مؤخرة المسيرة فقامت باطلاق النار عليهم واعتقالهم، فوقع اشتباك بينهم وبين تلك الجموع الغاضبة أسفر عن سقوط أول شهيد حسيني وهو فتى في الرابعة عشر من عمره هو السيد (محمد الميالي) والذي أوصى قبل استشهاده بحمل قميصه الملطخ بالدماء مع المسيرة الى كربلاء على أن يوضع في قبر أبي الفضل العباس عليه السلام. بعد ذلك رجعت المسيرة ثانية الى منطقة الخان واقتحم رجالها الغاضبون مركز الشرطة الموجود هناك واخرجوا المعتقلين من المركز وانزل علم الدولة ووضعوا محله راية خضراء اللون. ثم رجعت المسيرة لمواصلة طريقها الى كربلاء. وصلت المسيرة الى مرحلة حساسة حيث تستعد للدخول الى كربلاء، وهنا لا بد من توجيه خاص لدخول المسيرة خوفا من إستغلال بعض ذوي النفوس الضعيفة للحالة وإبعاد المسيرة عن أهدافها المرسومة لها. لذا قررت المرجعية مساندة المسيرة، فارسلت مبعوثا منها إلى الثوار وهو اية الله السيد الشهيد السيد محمد باقر الحكيم (قدس). وعند

وصوله رحمه الله قال للثوار: "نحن أرسلتنا المرجعية لكم لتقف معكم وتضمن حقوقكم". فنهض إليه الشهيد يوسف الاسدي وأخذ يسرد هموم الثوار وما جرى عليهم من هولاء المرتزقة. ثم نهض الشهيد صاحب ابو كلل وقال للسيد الحكيم (قدس): "كلنا قررنا ان نموت في ضريح الامام الحسين (عليه السلام)". بعد ذلك اعلن السيد محمد باقر الحكيم (قدس) وبكل شجاعة ومتحديا السلطة قائلا: "أنا مستعد لان أكون بينكم واواصل المسيرة معكم الى كربلاء". فارتاح الجميع لكلامه واعطى حضوره للمسيرة كسبا وتأييدا من قبل المرجعية للثوار. وعندما قاربت المسيرة الوصول الى كربلاء وهي بكامل قوتها ومعنوياتها خصوصا بعد أن أعطت المرجعية الشرعية والمساندة لها. إشتاطت الحكومة في بغداد غضبا لما يجري هنا فأمرت اللواء المدرع العاشر بالتحرك الى طريق كربلاء لاعتراض المسيرة وايقافها من التقدم. ثم أرسلت الطائرات المقاتلة من نوع (ميغ ٢٣) لتحلق فوق المسيرة حيث قامت باطلاق أصواتا مزعجة بخرقها حاجز الصوت محاولة منها خلق الرعب في صفوف الثوار. ولكن الثوار الابطال كانوا قد صمموا على الوصول الى كربلاء مهما كلف الامر بذلك. لذا تقدمت الجماهير المؤمنة يوم التاسع عشر من صفر تتقدمهم الراية الخضراء وهم يهتفون (لو قطعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفا سيدي يا حسين) والطائرات البعثية تدوي فوقهم وتطير على إرتفاع منخفض محدثة عواصف ترابية، ولما وصلت المسيرة على مشارف مدينة كربلاء تقدمت الدبابات وعشرات المصفحات والعديد من سيارات الشرطة ومئات المسلحين وهم على أهبة الاستعداد وكأنهم يخوضون معركة عسكرية شرسة. عند ذلك اندفع الثوار أمام تلك الجيوش وهم يهتفون (يا حسين)، ثم خرج الشهيد يوسف الاسدي أمام المسيرة وهو يصرخ: "سوف نذهب الى الحسين مهما كان الثمن". فكمن له البعثيون واحاطوا به وألقوا القبض عليه. عند ذلك سلكت المسيرة طريقا ترابيا وابتعدت عن الشارع العام الى طريق فرعي يدعى (الرجبية) بعد أن ألقى السلطات الكافرة القبض على بعض الثوار من النساء وكبار السن حيث تم تطويقهم وانهالوا عليهم بالركلات والشتائم، ثم نقلوا بواسطة سيارات عسكرية إلى المعتقلات القريبة. واصل حملة الراية الخضراء ومن معهم طريقهم الى كربلاء. فبعد أن سلكوا طريقا ترابيا ثم اخر موحلا وصلت المسيرة الحسينية بعد تلك الصعوبات الى ضريح أبي الفضل العباس (عليه السلام). فقام حماة الراية برمي قميص الشهيد محمد الميالي الدامي على شباك أبي الفضل العباس ثم طافت المسيرة بالصحن الشريف، بعد ذلك توجهت الجماهير المؤمنة الى قبر أبي الاحرار وسيد الشهداء الامام الحسين (عليه السلام) لتصل المسيرة الى اهدافها المرسومة لها. ومن برز نتائج الانتفاضة: ١- كشفت القناع الاسلامي المزيف الذي كان يتقنع به الحزب الكافر. ٢- كسرت حاجز الخوف في العراق وحطمت الاسطورة العقلية. ٣- احدثت ثغرات وخلافات داخل الحزب، حيث تم طرد وزيريين من الحكم لرفضهما التوقيع على قرار الاعداء بحق الثوار الابطال. ٤- بينت الانتفاضة للاستبداد عملية تلاحم الامة مع مرجعيتها في إتخاذ القرار. للاطلاع على تفصيلات أكثر ينظر: رعد الموسوي، انتفاضة صفر الإسلامية، ط.بلا، قم، ١٤٠٢هـ

- (١٨) محمد جواد الجزائري ، المصدر السابق ، ص ٧٥.
- (١٩) احمد الواسطي ، سيرة حياة الامام الخوئي ، ط ١ ، ٢٠١٣ ، ص ١٠٠.
- (٢٠) جاسم محمد ابراهيم اليساري ، أثر السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية ١٨٩٩-١٩٩٢ ، مجلة جامعة كربلاء ، المجلد ١٢ ، العدد ٢ ، ٢٠١٤ ، ص ١١٣.
- (٢١) محمد جواد الجزائري ، المصدر السابق ، ص ٧٧-٧٨.
- (٢٢) جاسم محمد ابراهيم اليساري المصدر السابق ، ص ١١١.
- (٢٣) آية الله العظمى السيد نصر الله بن رضي الموسوي المستنيط ، ولد في تبريز سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م أخذ علومه الأولية فيها . ثم ذهب إلى مدينة قم المقدسة الإيرانية سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م حيث درس الفقه على يد الشيخ عبد الكريم اليزدي الحائري ، والاصول على السيد محمد حجت الكوهكمري ، ثم رحل إلى النجف سنة ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م ودرس الأبحاث العالية في الفقه عند السيد أبي الحسن الأصفهاني، والاصول عند الشيخ ضياء الدين العراقي ، ثم أصبح من كبار المدرسين التابعين والبارعين في الحوزة ، حيث تخرج على يديه العديد من العلماء. وكان إمام الجماعة في مسجد البهبهاني، وكان ينوب عن السيد أبي القاسم الخوئي ، زعيم الحوزة العلمية في النجف في إمامة الجماعة إذا تغيب ، ومن مؤلفاته: الاجتهاد والتقليد ، تعليقة العروة الوثقى ، ذخيرة المعاد وغيرها. وعند استشهاده دفن في الحجرة رقم ٣١ في ضريح الامام علي(عليه السلام) للاطلاع على تفصيلات أكثر ينظر: العتبة العلوية المقدسة ، الدليل المصور لاعلام دفناء العتبة العلوية المقدسة ، ط ١ ، النجف الاشرف ، ٢٠٠٩ ، ص ١١٨.
- (٢٤) محمد جواد الجزائري ، المصدر السابق ، ص ٨٠.
- (٢٥) جاسم محمد ابراهيم اليساري ، المصدر السابق ، ص ١١١.
- (٢٦) محمد جواد الجزائري ، المصدر السابق ، ص ٨٠.
- (٢٧) منظمة مراقبة الشرق الاوسط ، عذاب بلا نهاية انتفاضة آذار ١٩٩١ ، مراجعة صاحب الحكيم ، ط ١ ، لبنان ، ص ١٧٧-١٧٨.
- (٢٨) ذكر السيد الشهيد محمد باقر الحكيم ان العديد من الشخصيات السياسية العربية ، أبلغته عن انتهاكات المنتفضين خلال الانتفاضة الشعبانية ، فعلى سبيل المثال ذكر السيد الحكيم ان وزير الخارجية السعودي السابق سعود الفيصل ذكر له ان رجال الانتفاضة قتلوا كل الذين ينتمون الى السلطة والعاملين في ادارتها دون حساب ، فرد عليه السيد ان هذه الامور لا واقع لها وهذا تشويه لسمعة الانتفاضة ، بل ان الناس لاموا رجال الانتفاضة لانهم عفاوا عن الكثير من البعثيين الذين انضموا الى صفوف القوات القمعية بعد ان أطلق سراحهم ، وهذا هو الموقف العام ، أما من قتل على يد المنتفضين فكان من المجرمين وهذا ليس انتقاما ، ووقوع بعض الحوادث لا يمكن ان ينقاس عليها مجمل الانتفاضة ، كما كرر نفس الاتهامات راشد الغنوشي زعيم حركة النهضة

في تونس ، فذكر للسيد الحكيم ان المنتفضين هتكوا الاعراض ، وقد رد عليه بأن هذا الامر لا صحة له مطلقا . محمد باقر الحكيم ، انتفاضة الشعب العراقي (١٥ شعبان) تجسيد الولاء للاسلام ، ط.بلا ، قم ، ١٩٩١ ، ص ٣٨-٣٩ .

(٢٩) جاسم ابراهيم محمد اليساري ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٣٠) مكتبة الامام الخوئي العامة ، بيان السيد الخوئي بتاريخ ٥ آذار ١٩٩١ .

(٣١) السيد عبد الأعلى بن علي رضا بن عبد العلي الموسوي السبزواري (١٣٢٩-١٤١٤هـ/١٩١١-١٩٩٣ م) . هو مرجع ومفسر وفقه شيعي إيراني ، من سبزواري التي اكمل فيها دراسته الاولى ثم هاجر الى مشهد فالنجف الاشرف . يعد من كبار فقهاء الامامية وعلمائها المشهورين . كان يقيم بمدينة النجف العراقية ، تسم المرجعية العليا بعد وفاة آية الله العظمى السيد أبي القاسم الخوئي ، وأخذ كل الشيعة في العراق والكثير منهم في إيران وباقي البلدان الإسلامية يرجعون إليه في تقليدهم؛ إلا إن ذلك لم يدم طويلا لوفاته بعد مدة قليلة سنة وشهر . وقد ساهم السيد السبزواري خلال مرجعيته القصيرة في نشاطات اجتماعية ، وإصلاحية بمدينة النجف أواخر أيام حياته وكان من المراجع المحبوبين جدا لدى الشيعة . للاطلاع على تفصيلات أكثر ينظر : محمد أمين نجف ، علماء في رضوان الله ، ط ٢ ، ٢٠٠٩ ، ص ٥٦٩-٥٧٠ .

(٣٢) الحج (٣٩)

(٣٣) ابراهيم (٢٨)

(٣٤) البقرة (٢٠٦)

(٣٥) البقرة (٢٠٥)

(٣٦) العنكبوت (٦٩)

(٣٧) آل عمران (١٣٩)

(٣٨) الحج (٤١)

(٣٩) جاسم محمد ابراهيم اليساري ، دور السيد عبد الاعلى الموسوي السبزواري في الحياة العلمية والسياسية ١٩١١-١٩٩٣ ، مجلة جامعة كربلاء ، المجلد ١٢ ، العدد ٤ ، ٢٠١٤ ، ص ٥٩ .

(٤٠) محمد باقر الحكيم ، حوارات ، ج ١ ، ط ١ ، إيران ، ١٩٩٥ ، ص ٤٥ .

(٤١) جاسم محمد ابراهيم اليساري ، أثر السيد أبو القاسم الخوئي... ، مصدر سابق ، ص ١١٤ .

(٤٢) مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ، الكوكب الدري ، ط. بلا ، النجف الاشرف ، ٢٠٠٦ ، ص ٩٦ .

(٤٣) شهدت المحافظات العراقية التي يسكنها أبناء الطائفة السنية الكريمة تحركات واسعة للاجهزة الامنية وعناصر حزب البعث لتصوير الانتفاضة الشعبانية على انها جاءت لاستهدافهم وقتلهم ، من أجل خلق فتنة طائفية في البلاد ، كما كتب صدام حسين نفسه مقالات في صحيفة الثورة الصادرة في ٣٠ نيسان ١٩٩١ ضد الشيعة وعقائدهم ، وطعن في أصول قبائل الوسط والجنوب ، وأعد قوائم مزيفة بأسماء قتلى سنة في المحافظات الشيعية خلال الانتفاضة الشعبانية .

- للاطلاع على تفصيلات أكثر ينظر : محمد الحيدر ، المقومات الاساسية للبنية الشيعية في العراق ، ط.بلا ، ١٩٩٨ ، ص ٥٤-٥٧.
- (٤٤) سعيد السامرائي ، صدام وشيعة العراق ، ط.بلا ، لندن ، ص ١٠٢.
- (٤٥) منظمة مراقبة الشرق الاوسط ، المصدر السابق ، ص ١٨٢-١٨٣.
- (٤٦) مقابلة شخصية مع نجل الشهيد أسامة حميد كاظم علوان في مدينة السماوة ، بتاريخ ٢٠١٨/١٢/٥.
- (٤٧) جاسم محمد ابراهيم اليساري ، أثر السيد أبو القاسم الخوئي... ، المصدر السابق ، ص ١١٤.
- (٤٨) جواد الخوئي ، ذكريات مؤلمة ، مقالة منشورة في منتدى درر العراق ، <https://www.dorar-aliraq.net>
- (٤٩) اغتيال الشيخ البروجردي عام ١٩٩٨ ، فيما اغتيل الشيخ الغروي عام ١٩٩٩.
- (٥٠) تم إعدام العديد من الشهداء في الفندق ، ثم قامت العناصر البعثية الامنية بإحرقه ثم تفجيره ، وبعد سقوط النظام البعثي عام ٢٠٠٣ أكتشفت جثث العديد من الشهداء الذين تم اعدامهم هناك.
- للاطلاع على تفصيلات أكثر ينظر: حازم الجعفري ، موت في الرضوانية ، ط.بلا ، ت.بلا ، ص ٤١.
- (٥١) محمد حسين عبود ، المصدر السابق ، ص ١٦٢.
- (٥٢) جواد الخوئي ، ذكريات ... ، المصدر السابق .
- (٥٣) منظمة مراقبة الشرق الاوسط ، المصدر السابق ، ص ١٨٣.
- (٥٤) جواد الخوئي ، ذكريات ... ، مصدر سابق.
- (٥٥) جواد الخوئي ، مقابلة تلفزيونية أجرتها قناة B.B.C .
- (٥٦) منظمة مراقبة الشرق الاوسط ، المصدر السابق ، ص ١٨٣.
- (٥٧) جواد الخوئي ، ذكريات...، المصدر السابق.
- (٥٨) المصدر نفسه.
- (٥٩) احمد الواسطي المصدر السابق ، ص ١٠٠-١٠١.
- (٦٠) جواد الخوئي ، ذكريات ... ، المصدر السابق.
- (٦١) أبو ذر الخزرجي ، الشيعة والامم المتحدة ، ضمن سلسلة دراسات منشورة تحت عنوان (الشعائر الحسينية هوية ومرتكز بناء شيعة العراق) ، لجنة الدفاع عن الشعائر الحسينية في العراق ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ، ١٢٣-١٢٥.
- (٦٢) محمد باقر الحكيم ، انتفاضة الشعب العراقي...، المصدر السابق ، ص ٥١-٥٢.
- (٦٣) محمد باقر الحكيم ، حوارات ، ج ٢ ، ط ١ ، ايران ، ت.بلا ، ص ٢٥٣.
- (٦٤) جواد الخوئي ، ذكريات... ، المصدر السابق.

(٦٥) كان قرار إنشاء مؤسسة الامام الخوئي الخيرية، قرارا مرجعيا اتخذه الامام الراحل السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي عام ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م، وقد اتخذت المؤسسة من لندن مركزا لها، وتتمتع مع كافة فروعها الاخرى بكيان مستقل، تتخذ قراراتها من قبل هيئة مركزية تتألف من عدد من أصحاب الكفاءة والتجربة في التخصصات الادارية والمالية والدينية، تجتمع بصورة منتظمة كل ستة أشهر، أما فروع المؤسسة فتدار من قبل هيئات محلية، تشرف على شؤون ونشاطات الجالية في مناطق مختلفة من العالم وبعد العمل مضي فترة من التأسيس تحت إشراف السيد الشهيد محمد تقي الخوئي، وبعد استشهاده عام ١٩٩٣ لم تتوقف مسيرة المؤسسة بل تابعت خطواتها عبر السيد عبد المجيد الخوئي الذي انتقل بالمؤسسة إلى مراحل متقدمة من العمل المؤسساتي، وبعد استشهاده هو الآخر عام ٢٠٠٣ في ضريح الامام علي (عليه السلام)، انتقلت الأمانة بمسؤوليتها الى السيد عبد الصاحب الخوئي ويتولى الإشراف الدقيق والمتابعة الميدانية على المؤسسة تحت إشراف المرجع الديني الأعلى صاحب الصلاحية من خلال قانون تأسيس المؤسسة ممثلا بسماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دم ظله)، وتدعمه بذلك هيئة مركزية من وجوه المذهب ومن جنسيات مختلفة ما أمكنه أن ينهض بالمسؤولية في ظروف صعبة وأوضاع شديدة التعقيد وتمكن ليس فقط أن يحافظ على وجود المؤسسة بل ودفعه بخطوات جديدة إلى الأمام وذلك بمعاونة فريق عمل للاطلاع على تفصيلات أكثر ينظر: مؤسسة الامام

الخوئي الخيرية. <https://www.alkhoei.org>

(٦٦) اكاديمية الكوفة، المصدر السابق، ص ٣٠٠.

(٦٧) جاسم محمد ابراهيم اليساري، أثر السيد ابو القاسم الخوئي....، المصدر السابق، ص ١١٤.

(٦٨) جواد الخوئي، ذكريات ..، المصدر السابق.

(٦٩) جاسم محمد ابراهيم اليساري، أثر السيد أبو القاسم الخوئي...، المصدر السابق، ص ١١٤.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(٧١) محمد تقي الخوئي، الشروط أو الالتزامات في التبعية في العقود، المجلد الاول، ط.بلا، ت بلا

، ص ٧.

(٧٢) اكاديمية الكوفة، المصدر السابق، ص ٣٣٧.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ٣٠١.

(٧٤) حامد البياتي، ربع قرن مع شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم، ط ١، بغداد ٢٠٠٤،

ص ٧٥.

(٧٥) رسول جعفریان، التشيع في العراق وصلاته بالمرجعية وايران، ط ١، البحرين، ٢٠٠٨،

ص ١٤٩.

(٧٦) صحيفة بدر، الاثنين ١١ صفر ١٤١٦ هـ/ ١٠ تموز ١٩٩٥ م، السنة الرابعة، العدد ١٤٧.

(٧٧) اكاديمية الكوفة، مجلة الموسم، العددان ٢٣-٢٤، هولندا، ١٩٩٥، ص ٢٨-٢٩.

(٧٨) مقابلة شخصية مع السيد عيسى أبو طيخ أحد ثوار الانتفاضة الشعبانية بتاريخ الاول من كانون الاول ٢٠١٨ في مدينة السماوة.

(٧٩) مؤسسة الامام الخوئي الخيرية ، الشهيد السيد محمد تقي الخوئي ،
<https://www.alkhoei.org>

(٨٠) أكاديمية الكوفة ، مجلة الموسم ، العددان ٢٣-٢٤ ، المصدر السابق ، ص ٤٧-٤٨.

(٨١) جواد الخوئي ، مقابلة تلفزيونية... ، المصدر السابق.

(٨٢) مؤسسة الامام الخوئي... ، المصدر السابق.

المصادر:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الوثائق المنشورة:

١- المركز الوثائقي لحقوق الانسان في العراق ، لمحات من انتهاكات النظام العراقي لحقوق الانسان وحياته الاساسية ، ط ٢ ، طهران ، ١٩٩٦.

٢- مصطفى الانصاري ، عمليات التهجير في العراق عرض وثائقي ، ط.بلا ، المركز الوثائقي لحقوق الانسان في العراق ، ١٩٩١.

٣- مكتبة الامام الخوئي العامة ، بيان السيد الخوئي بتاريخ ٥ آذار ١٩٩١.

ثالثاً: الكتب العربية:

١- أبو جهاد ، صدى جريمة اعدام الشهداء الستة من آل الرسول ، ط.بلا ، ١٤٠٤ هـ.

٢- أبو ذر الخزرجي ، الشيعة والامم المتحدة ، ضمن سلسلة دراسات منشورة تحت عنوان (الشعائر الحسينية هوية ومرتكز بناء شيعة العراق) ، لجنة الدفاع عن الشعائر الحسينية في العراق ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ.

٣- احمد الواسطي ، سيرة حياة الامام الخوئي ، ط ١ ، ٢٠١٣.

٤- أكاديمية الكوفة ، الامام الخوئي المرجع الشيعي الاكبر ، ط ١ ، هولندا.

- ٥- العتبة العلوية المقدسة، الدليل المصور لأعلام دفناء العتبة العلوية المقدسة، ط ١، النجف الاشرف، ٢٠٠٩.
- ٦- حازم الجعفري، موت في الرضوانية، ط.بلا، ت.بلا.
- ٧- حامد البياتي، ربع قرن مع شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم، ط ١، بغداد ٢٠٠٤.
- ٨- رسول جعفریان، التشيع في العراق وصلاته بالمرجعية وايران، ط ١، البحرين، ٢٠٠٨.
- ٩- رعد الموسوي، انتفاضة صفر الإسلامية، ط.بلا، قم، ١٤٠٢هـ.
- ١٠- سعيد السامرائي، صدام وشيعة العراق، ط.بلا، لندن.
- ١١- سليم العراقي، لماذا قتلوه، ط ١، ١٩٩٥.
- ١٢- محمد الاسدي، موسى التميمي، ابو اسراء، دماء العلماء في طريق الجهاد، ط بلا، ١٩٨٤.
- ١٣- محمد الحيدر، المقومات الاساسية للبنية الشيعية في العراق، ط بلا، ١٩٩٨.
- ١٤- محمد امين نجف، علماء في رضوان الله، ط ٢، ٢٠٠٩.
- ١٥- محمد باقر الحكيم، الامام الحكيم، ط.بلا، ت.بلا.
- ١٦- _____، انتفاضة الشعب العراقي (١٥ شعبان) تجسيد الولاء للإسلام، ط.بلا، قم، ١٩٩١.
- ١٧- _____، حوارات، ج ١، ط ١، ايران، ١٩٩٥.
- ١٨- _____، حوارات، ج ٢، ط ١، ايران، ت.بلا.

١٩- محمد تقى الخوئي ، الشروط أو الالتزامات في التبعية في العقود ، المجلد الاول ، ط.بلا ، ت.بلا.

٢٠- محمد جواد الجزائري ، السيد أبو القاسم الخوئي رؤاه ومواقفه السياسية ، ط ١ ، لبنان ، ٢٠١٧ ، ص ٤٣.

٢١- منظمة مراقبة الشرق الاوسط ، عذاب بلا نهاية انتفاضة آذار ١٩٩١ ، مراجعة صاحب الحكيم ، ط ١ ، لبنان.

٢٢- مهدي الحكيم ، التحرك الاسلامي في العراق ، ط.بلا ، ت.بلا .

٢٣- مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ، الكوكب الدري ، ط . بلا ، النجف الاشرف ، ٢٠٠٦.

ثالثا: الصحف والمجلات:

-الصحف

١- صحيفة بدر، الاثنين ١١ صفر ١٤١٦ هـ/ ١٠ تموز ١٩٩٥ م، السنة الرابعة، العدد ١٤٧.

-المجلات:

١- اكااديمية الكوفة، مجلة الموسم، العددان ٢٣-٢٤، هولندا، ١٩٩٥.

٢- جاسب عبد الحسين ، عادل غانم حسن ، الفكر السياسي عند السيد حسن الشيرازي ، مجلة آداب الكوفة، المجلد ١ ، العدد ١١ ، ٢٠١٢.

٣- جاسم محمد ابراهيم اليساري ، أثر السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية ١٨٩٩-١٩٩٢ ، مجلة جامعة كربلاء ، المجلد ١٢ ، العدد ٢ ، ٢٠١٤.

٤- _____ ، دور السيد عبد الاعلى الموسوي السبزواري في الحياة العلمية والسياسية ١٩١١-١٩٩٣ ، مجلة جامعة كربلاء ، المجلد ١٢ ، العدد ٤ ، ٢٠١٤.

٥- محمد حسين عبود ، الزعامة الدينية للسيد الخوئي اسبابها آثارها ، مجلة اهل البيت ، العدد ١٩ ، ٢٠١٦.

رابعا: المقابلات الشخصية

١- مقابلة شخصية مع السيد عيسى أبو طيخ أحد ثوار الانتفاضة الشعبانية بتاريخ الاول من كانون الاول ٢٠١٨ في مدينة السماوة.

٢- مقابلة شخصية مع نجل الشهيد أسامة حميد كاظم علوان في ، بتاريخ ٢٠١٨/١٢/٥ ، في مدينة السماوة.

خامسا: الانترنت

١- جواد الخوئي ، ذكريات مؤلمة ، مقالة منشورة في منتدى درر العراق ، <https://www.dorar-aliraq.net>

٢- جواد الخوئي ، مقابلة تلفزيونية أجرتها قناة B.B.C.

٣- مؤسسة الامام الخوئي الخيرية ، الشهيد السيد محمد تقي الخوئي ،

<https://www.alkhoei.org>

مفهوم التسامح في فكر الإمام الشهيد محمد باقر الصدر (١٩٣٥-١٩٨٠)

أ.م.د. مشحن زيد التميمي / كلية الآداب / جامعة المستنصرية

م. حسام گصاي / كلية العلوم السياسية / جامعة تكريت

مقدمة

قدم الفكر السياسي والاجتماعي والديني للإمام الشهيد محمد باقر الصدر تصورات وطروحات هامة وشاملة لكثير من القضايا الإسلامية المعاصرة، الأبرز في ذلك أنه قدم رؤية واقعية ابتعدت عن الطوباوية والفوقية، خصوصا في مفهوم التسامح في الفكر الإسلامي، التجديد، النهضة، التصالح، وعن مفهوم الآخر في منظور الإطار الاجتماعي ودخل الدين الواحد انطلاقا من قاعدة احترام الآخر، والدعوة للوحدة ونبذ التفرقة والعفو والتعاطف والتآخي كأحد أهم مرتكزات التسامح التي جاء بها الإسلام، حيث تعمقت كتابات الإمام الشهيد في هذا المضمار، وعن عطائه العلمي، والثقافي، والروحي، والأخلاقي، والاجتماعي، وعن جهاده من أجل الإسلام والدين، والمسلمين بكل انتماءاتهم.

فهو داعية وحدة ومحبة وتسامح، كان في خطابه يقول دائما: (بذلت وجودي؛ من أجل السنّي، والشيعي معا)، وكذلك: (فأنا معك يا أخي وولدي السنّي بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي، وأنا معكما بقدر ما أنتما مع الإسلام) فهو لا يضع فواصل بين المسلمين دام تعلقهما بحب الإسلام وهذا قلما نجده عند مراجع دينية ومفكرين سياسيين، ومن هنا نلتمس التسامح وشغفه ودعوته لوطن واحد آمن ومستقر وهذا ما نتوق للاستفادة منه في تجربتنا للوحدة الوطنية والمصالحة حول إمكانيات تطبيق منهج الإمام الشهيد.

ولعل الندرة في التركيز على فكرة التسامح في فكر الإمام الشهيد هي أحد دوافع الكتابة عن الموضوع وحاجتها لحوار مذاهب حقيقي تحت خيمة العراق الواحد الموحد هو دافع آخر، ثم اهتمامه بمحور الأنا والآخر لكونها ذات صلة بالموضوع، ارتأت الدراسة هنا أن تناقش هذه الورقة تلك الفكرة انطلاقاً من تحديد إشكالية بحثية والتي تتمحور حول ما هي مرتكزات التسامح في فكر الإمام الشهيد، وتنبثق عنه أسئلة فرعية أخرى من قبيل: ما هي شروط التسامح في فكر الإمام الشهيد، ما هي الرؤية العلمية للتسامح في فكر الشهيد، وكيف يمكن استقاء التجربة وتطبيقها على ضوء الواقع من أجل عراق واحد وموحد وأمن ومستقر.

أما منهج البحث فسوف تركز الدراسة على منهج تحليل الخطاب إضافة لمنهج التحليل النقدي، أما أهداف البحث فهي: ١_ محاولة توضيح فكر التسامح عند الإمام الشهيد، ٢_ محاولة الاستفادة من تجربة الإمام بتطبيقها في ضوء الواقع الراهن، ٣_ أن الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية يتحتم التأكيد على فكرة التسامح خصوصاً في تجربة الإمام الشهيد.

أما محاور الدراسة فقسمت إلى خمسة محاور، المحور الأول: الإمام الشهيد: حياته ونشأته وظروفه، المحور الثاني: الفكر السياسي للإمام الشهيد، والمحور الثالث: مفهوم التسامح في فكر الإمام الشهيد، والمحور الرابع: إمكانية تطبيق منهج الإمام الشهيد على الوضع الراهن ومحاولة الاستفادة منه لبناء دولة مواطنة حقيقية. كلمات مفتاحية: التسامح، الأنا، الآخر، الوحدة، المواطنة، الشهيد الصدر.

المحور الأول: الإمام الشهيد: حياته ونشأته وظروفه

ولد الإمام الشهيد محمد باقر الصدر في العراق/ بمدينة الكاظمية _ ذات الطابع المقدس _ ببغداد في ٢٥ ذو القعدة من العام ١٣٥٣ هـ المصادف ١٩٤٣، أخته بنت الهدى

الصدر ووالد زوجة الزعيم المعروف مقتدى الصدر، وابن عمه محمد صادق الصدر وإمام موسى الصدر، وهو مرجع ديني ومفكر وفيلسوف إسلامي عراقي مثلما كان والده حيدر الصدر رجل دين رفيع المستوى.

بدأ الدراسة في سن الخامسة من عمره وبدأت علامات النبوغ والعبقريّة عليه مبكراً، أّتجه إلى الدراسات الدينية في الحوزة العلمية، ثم ما لبث أن أخذ يدرس بدون استاذ أو موجه، درس الأسفار والفلسفة، وكذلك درس المنطق في سن الحادية عشرة، وفي سن الثانية عشرة شرع بدراسة كتاب معالم الأصول لأخيه أسماعيل الصدر.

وعند بلوغ الرابعة عشرها جر إلى مدينة النجف الأشرف قاصدا حضور دروس البحث عند خاله محمد رضا آل ياسين، والسيد الخوئي، برز أسما لامعا في الحوزة حتى حصل على الاجتهاد في سن الثامنة عشر، ويقال إنه حصل على الاجتهاد قبل بلوغه ولهذا لم يكن مقلدا لأي أحد من المراجع الدينية.

بدأ يلقي دروسه وهو لم يتجاوز عمره الخامسة والعشرون، حتى تسنم ذرى المرجعية في منتصف السبعينات في الأربعين من عمره الذي أفناه في سبيل العلم والبحث والدراسة.

أستطاع الإمام الشهيد أن يعيش العصر ويضع لنفسه حضورا في قمة العلم والثقافة^١ حمل فكرا نيرا تجاوز حالة الجمود والانغلاق التي اتسم بها عصر الصحوة الدينية والمد الإسلامي _ ذلك ما قبلها _ التي غزت العالم العربي والإسلامي بعد نكبة ١٩٦٧، قدم رؤى وطروحات المفكر السياسي والمصلح الديني شأن المجال الذي برع به الإمام جمال الدين الأفغاني، وتنوعت أفكار الإمام الشهيد بين التجديد، النهضة، الإصلاح، التغيير، حملت طابع إنساني نابع عن مرجعية آل البيت الأطهار(عليهما السلام) حيث مثل هذه المنهج أيما تمثيل كأعلى قمة في منظومة الفكر الإسلامي

قد تمكننا من تحقيق التسامح ونبذ التطرف والكراهية خدمة لهذا الوطن الواحد الموحد.

قد لعبت عائلة الشهيد الصدر دورا بارزا في المعارضة ضد النظام القمعي السابق وضد دمويته ورفضه المعلن لسياسات صدام حسين، حصل الإمام على شهرة واسعة بواسطة كتبه: فلسفتنا (١٩٥٩)، اقتصادنا (١٩٦٠)، وغيرها، وأبرز تأكيدات الإمام كان يقول دائما عن قضية الفكر والطروحات بأن الإسلام لا يحتاج إلى أفكار وإنما بحاجة إلى قائد^٢ كان أحد أبرز المفكرين الإسلاميين الذين كرسوا فهما خاصا وموضوع بحثي ذو طابعا نوعيا خاصا للاقتصاد الإسلامي في النصف الثاني من القرن العشرين، دون إدراجه في مصنفات القانون والفقه العامة^٣ أعطى له خصوصية فريدة حول ما يسمى بـ "الاقتصاد الإسلامي".

وبسبب مواقف الإمام السياسية الصارمة والرافضة للسلطة والنظام السياسي حينذاك، أعدم الإمام في إبريل/ نيسان ١٩٨٠ مع اخته بنت الهدى^٤ بعد إدانته نظام البعث علنا والذي اعتبره نظاما كافرا^٥ وبذلك يكون الإمام قد دون الكثير من نصوص التشيع الثوري الرئيسية في الستينات^٦ حتى يومنا هذا ظل الإمام منارة استلهم للفكر الثوري من أجل النهضة والتغيير وتحسين ظروف العيش وإقرار مبادئ التسامح والتعاون والدعوة لنبذ العنف والتطرف، والتأكيد على أن المسلمين أمة واحدة، وشعب واحد لا فرق بين سني ولا شيعي أو غيرهم.

فكان الإمام الشهيد حقا مفكر الإسلام وفيلسوفه، ومفجر الثورة الإسلامية في العراق أثرى المكتبات العربية والإسلامية كمفكر، والعقول كثائر وقائد.

سوف نسلط الضوء في المحور التالي الفكر السياسي للإمام لتوضيح ماهية مفهوم التسامح كإشكالية دراسة.

المحور الثاني: الفكر السياسي للإمام الشهيد

يمتاز فكر الإمام الشهيد محمد باقر الصدر بالتنوع من حيث الموضوعات التي تناولها، سياسية، دينية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، موسوعة شاملة، والتي قدم لها معالجات حقيقية تقترب من طروحات ابن خلدون من حيث واقعيتها، صلاحيتها وقدرتها على التماشي مع معطيات العصر والمرحلة، حتى غدت تلك الأفكار مقدمة للاستقامة والنهضة والنجاح حال الأخذ بها على محمل الجد والسعي الحقيقي بعيداً عن منطق الإيديولوجيات والطروحات السياسية المصلحية.

فما تحمله ذاكرة الثقافة الفكرية للإمام الشهيد ليست مجرد فكر سياسي أو ديني وحسب؛ بل هو فكر سياسي؛ ديني؛ اجتماعي، اقتصادي؛ ثقافي متعدد؛ أستطاع أن يؤسس لمشروع نهضوي إسلامي كبير؛ كان ولا زال بحاجة إلى اهتمام بالغ في هذه العقلية الكبيرة؛ ومن الضروري أن تتحول مؤلفاته إلى مناهج دراسية يسترشد بها الباحثين والكتاب والمهتمين بالشأن العربي والإسلامي في بناء منظومة قيم تصلح لتكون "حجر الأساس" لمشروع إسلامي حضاري يسعى لتحقيق النهضة والتنمية المستدامة؛ وخلص الأمة من كهوف الفكر الظلامي الذي يطيح بمكتسبات الأمة التاريخية ومقدراتها، وهذا لا يتم إلا بتحقيق قيم الإنسانية التي ركز عليها فكر الإمام الشهيد^٧.

مثل كتابه "الأسس المنطقية للاستقراء" رغم أنه الأقل شهرة إلا أنه من أكثر مؤلفات الشهيد الصدر التي برزت عبقريته العلمية^٨ ووضعت في مصاف مفكري الأمة العربية والإسلامية أشار له الكثير من المؤرخين والباحثين بالبنان وصفو الفكر ونقاء الطرح.

حيث لفت حنا بطاطو الانتباه إلى أهمية الإمام الشهيد في دعم وتنامي حركة المقاومة الإسلامية السرية في العراق، واستحالة تجاهل أهميته في انبعاث الحركة

السياسية في العراق^٩ فالإسلام الثوري الداعي للتغيير والإصلاح ومقارعة الجور والظلم لا يمكن أن يتجاهل الدور الحيوي للإمام الشهيد.

فيما تغيرت صورة الدكتور شبلي الملاط* الذي تعرف على الشهيد بعد تعليق صورته في بيروت بين عام ١٩٨١ _ ١٩٨٢ _ أي بعد إعدامه _ بأنه كشف الوجه الفكري والفلسفي للإمام غطت شهرته السياسية بسرعة وجيزة تزايدت بعد استشهاد^{١٠} وعن كتاب "اقتصادنا" الشهير قال الدكتور أحمد كمال أبو المجد بأنه من أشهر الكتب الشيعية في الاقتصاد الإسلامي^{١١} وأضاف الدكتور الملاط بأنه كتاب فريد بغياب أي نعة طائفية على تحليله ومصادره^{١٢}، وأشار لهذا المصنف الكثير من الباحثين العرب والمسلمين المهتمين بالشأن الإسلامي.

فيما يقول الكاتب زكي الميلاد: بأن كتاب الإمام الشهيد: "معالم في الأصول" الصادر في ١٩٦٥ بكونه أول من حمل في عنوانه التجديد^{١٣} الذي وجد الدكتور حسن حنفي في هذا المصنف "الإحساس بالجدة" والواقعية. بينما رصد الدكتور عبد الله النفيسي فكر الإمام الشهيد الصدر كمرشد روحي لحزب الدعوة الإسلامية لأهم كتبه التي عدت دليل نظري لكل مقولاته وطروحاتها وهي^{١٤}:

١ _ لمحة فقهية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية.

٢ _ التركيب العقائدي للدولة الإسلامية.

٣ _ صورة عن اقتصاد المجتمع الإسلامي.

صار من الصعوبة البالغة الحديث عن مشروع إسلامي متكامل ما لم يؤخذ على محمل الجد طروحات الإمام وفلسفته في الاقتصاد، المنطق، والاجتماع، والدين، والسياسة.

إذ ينطلق فكر الإمام من النظرة الكلية الشاملة بدل عن النظرة التجزيئية، الاجتزائية، كان تقديمه لكتاب فلسفتنا بمثابة نقطة الانطلاق الفلسفي لإقامة فلسفة متماسكة عن الكون والعالم، خصوصاً في الفلسفة الحديثة^{١٥} لها صلات بالفقه وأثر على التسامح والصلاح الديني والسياسي على حد سواء.

فبمجرد الحديث عن الفقه والاجتهاد ودعوات الإصلاح تتضح لنا صورة الدور الريادي للإمام في بث روح التسامح الديني والسياسي، فالاجتهاد يعني هنا الدعوة للنظر في المختلفات في الأمور والتي تحتاج لإصلاح وتعاون، والنتيجة المترتبة لذلك هو التأخي والرحمة والسلام والتناصح، والتصالح، فكان الإمام أول من تحدث عن علاقة الفقه والاجتهاد بالمستقبل من خلال نشره موضوع "الاتجاهات المستقبلية لحركة الاجتهاد" عبر فيه عن رؤية تنويرية شديدة الوعي والإدراك الانكماش والتراجع الذي حصل لحركة الاجتهاد وتحول الفقه من فقه الأمة والمجتمع إلى فقه الفرد والأحوال الشخصية، وهيمنة النزعة الفردية على ذهنية الفقيه، وعلى التفكير الفقهي بصفة عامة^{١٦}.

إذ أكد الإمام على مبدأ عدم المباداة بالقتال^{١٧} الذي انتهجه الإمام علي (عليه السلام) وهو أحد ركائز التسامح التي انطلق منها فكر الإمام الشهيد، وتتدخل قضية الوحدة بين المذاهب على الفور في بطانة التسامح، وتنتهي بأن تكون نتيجة حتمية لها، ويشهد للإمام الشهيد _ إضافة للإمام محمد محسن الحكيم، والشيخ محمد مهدي القاصفي، والشهيد الصدر نفسه _ بأنهم كانوا من كبار العاملين لتوحيد السنة والشيعة^{١٨} إلى جانب محاولات تقريب سابقة ولاحقه، وهي إشارة واضحة لفكرة التسامح في فكر الإمام الشهيد الذي قال قولته المشهورة: السنة أخوتنا ومنا وحين يخاطب السني فهو بنفس العبارات والسياقات التي يخاطب بها الشيعي بأقواله الماثورة

والخالدة للتاريخ: (بذلت وجودي؛ من أجل السُّنيِّ، والشَّيعيِّ معاً)، وكذلك: (فأنا معك يا أخي وولدي السُّني بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشَّيعي).

المحور الثالث: مفهوم التسامح في فكر الإمام الشهيد

يعرف التسامح من المفاهيم المهملة والتي لم تنال نصيب من الحديث حيث غالباً ما يتطرق الباحثون عن التطرف، العنف، التعصب كنقائض للتسامح ولم يتبادر لأحد الالتفاتة لهذا الخطأ العلمي، وننوه هنا دعوة للتركيز على التسامح وجعله الأصل في البحوث والمؤتمرات وأوراق العمل بدل التطرف، أي جعل التسامح ثابتاً والتطرف هو المتغير في معادلة البحث العلمي (مؤلفات، بحوث، مؤتمرات، ندوات، حلقات نقاشية، ورش عمل، وغيرها).

حيث يعرف التسامح بأنه إقامة تعايش سلمي لمختلف العقائد داخل الدولة نفسها^{١٩}، وبكونه القدرة على تحمل الرأي الآخر والصبر على أمور لا يستسيغها أو يرغب بها، وهو محطة لتجاوز حالة التشردم والانقسام القائم على أساس الدم أو القومية أو الدين أو الطائفة أو القبيلة وغيرها^{٢٠} وقد وردت كلمة التسامح في القرآن بمعان أخرى كالصفح والإحسان، وهما ضد التعنت والتطرف والغلو، أي بمعنى أن التسامح يعطي دلالة للصفح والعفو والإحسان^{٢١} وهو إشارة بالغة إلى أن الإسلام دين رحمة وتسامح، وهذا هو منطلق الإمام الشهيد "منطلق قرآني".

وإن تحقيق شرائط التسامح بحاجة لإطار ضابط يحققها، وهذا الإطار هو الدولة التي عرفها الإمام بأنها ظاهرة اجتماعية أصيلة في حياة الإنسان وأن الناس كانوا أمة واحدة في مرحلة تسودها الفطرة ويوجد بينها تصورات بدائية للحياة وهموم محددة وحاجات بسيطة^{٢٢}.

بينما يقوم التسامح على أسس ثابتة لتأهيل المجتمع ونبذ الاحتراب وأبرز تلك الأسس هي: حقوق المواطنة، سيادة القانون، إعادة تشكيل قيم التفاضل، إطلاق

الحريات العامة^{٢٣} وهذه هي تأكيدات الإمام الشهيد على حق المواطنة وتعزيزها وسيادة القانون لرفضه أو نفيه، وإطلاق الحريات الطبيعية والسياسية بما يتناسب مع الإطار والذوق العام، حيث لا وحدة وطنية ولا نظام سياسي ناجح ومتعايش سلمياً بدون تلك الأسس.

فيما يعتقد الإمام إن هدف الدولة هو تحقيق الحرية والسلامة والأمن والاستقرار والتعايش لمواطنيها، أذن فمهمة الدولة وغايتها عند الإمام هو "إيجاد موازين تحدد الحق وتجسد العدل"^{٢٤} وهي دلالة واضحة على تأكيد التسامح في فكره الديني والسياسي والاجتماعي، بمعنى أدق إن التسامح في فكر الإمام متلازم، وثابت، وأصيل، وليس متغير، أو ثانوي أو هامشي على الطرح، فالحق والدعوة إليه، والعدل تجسيده ما هو إلا أرضية لإقامة منهج التسامح عند الإمام، وهذا يتطلب الاجتهاد في النص، والإمام أجاد في ذلك من خلال التأكيد على التجديد في الفكر الإسلامي، حيث يوصف أحد الباحثين بأن كتاب الإمام الشهيد: "معالم في الأصول" الصادر في ١٩٦٥ بكونه أول من حمل في عنوانه التجديد^{٢٥} الذي وجد الدكتور حسن حنفي في هذا المصنف "الإحساس بالجدّة"^{٢٦} وهذا له صلة بقضية التسامح والسعي للتعاون والتناصح والتآخي.

ولضمان ذلك الحق داخل إطار الدولة وبروازها، فهو أكد على المبدأ "المونتسيكوي" أي مبدأ الفصل بين السلطات بحيث تحد كل سلطة، أخرى (التشريعية، التنفيذية، القضائية)، الغاية منه عند الإمام هو إحداث التوازن داخل نية الدولة الإسلامية^{٢٧} فالتوازن والإقرار وعدم الهيمنة هو منهج قرآني أولاً، ومدخل للتسامح ثانياً، لهذا كانت جهود الإمام تنطلق من فكر القرآن، ومن فقه الواقع المستجيب للنوازل والمستجدات التي تطرأ على العصر ومتغيراته، فهو كان واقعياً في طروحاته مؤكداً

على ضرورة أن تستجيب الدولة للتنوعات، بل مؤكداً أن التنوع حق قرآني، وفكر آل البيت عليهما السلام، في التعامل مع الآخر وقبوله وعدم تنفيره، أو إلغائه، منهج الأطهار السليم، فالإمام لا يخشى على التوازن ما دامت السلطة مصدرها الله (عز وجل) والشريعة الإسلامية هي التعبير الموضوعي لها.

يمكن القول هنا إن الإسلام في الفكر الصدري هو دعوة تسامحية أخوية تدعو للوحدة الوطنية والتآلف بين الأطياف المختلفة وللم شمل والتكاتف والمواخاة وعدم التنازع، تأكيداً منه على إن الإسلام دين رحمة يدعو للتناصر والتناصح لا البغض والكراهية وهذا ما أعطى لفكر الإمام بعداً عالمياً أشمل، وهذا هو جل ما نحتاجه اليوم من الانتهاز من قيم الإمام الشهيد، والسير على خطاه من أجل مجتمع حضاري متقدم^{٢٨} فكراً واقعياً يستجيب لمتطلبات العصر ونواضله.

المحور الرابع: إمكانية تطبيق منهج الإمام الشهيد على الوضع الراهن. انطلاقاً من الواقعية التي امتاز بها فكر الإمام الشهيد ونزولها لمطالب الجماهير لا الترفع عليها أو تجاوزها، هذه الفلسفة التي تنظر للواقع بدل السطحية، التمني، وجملته مفاهيم: "الينبغي"، "اليجب"، "التمني"، كان فكر الإمام فكر جمهور، فكراً متجاء لمعالجة هموم الناس والتعايش معهم، ومن هنا يمكن أن يفيد تجربتنا السياسية في العراق من حيث تدعيم ركائز النظام السياسي، المصالحة الوطنية، التعايش السلمي خصوصاً لمجتمعات ما بعد النزاع، نبذ التطرف والتكفير المتشدد، بناء وحدة وطنية رصينة، وتحقيق السلم الأهلي والتجانس الاجتماعي.

حيث كان ولا زال الشهيد الصدر يمثل رمزاً للوحدة الوطنية والأخوة الإنسانية، والمحافظ على تراب الوطن وصون حدوده السياسية وسيادة نظامه، والذائد بفكره النير عن مقدسات الأمة الإسلامية وكرامتها الذي قدم روحه فداءً للكلمة الحرة

والفكر النوراني، فكان مثال التضحية الانسانية الجليلة، والمنبر الذي ظل يصحح _ حتى آخر حياته _ بالحق والعدالة والأخوة الإنسانية والسلام والأمن ورفاهية الفرد والمجتمع^{٢٩} والفائدة عظيمة من فكر الإمام الذي شدد على قول الإمام الكاظم (عليه السلام) على الوالي _ في حال عدم كفاية الزكاة _ أن يمؤن الفقراء من عنده بقدر سعتهم حتى يستغنوا وهو هدف ثابتا لولي الأمر في سياسته الاقتصادية والاجتماعية وهو أن يسعى لتأمين حد الكفاية في المجتمع حتى يتحقق غناهم (أي استغنائهم عن الناس)^{٣٠} أي ربط الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية بالتسامح ووثق بينهما، حيث التمكين والرفاهية هي الأخرى منطلق ينحو إلى التقارب، التعاون، عكس الفقر والجوع والفاقة التي تساعد على التفكك والتنازع والتناحر وعدم التجانس، والفائدة هنا لتجربتنا هو استقاء هذا المبدأ والأساس التعويل على النظام السياسي ككل في تحقيق ذلك المبدأ باعتباره هو ولي الأمر اليوم المنتخب برضا شعبي.

حيث ينبري التوازن في فكر الإمام بخصوص الدولة إنه يريد لها دولة تتسم بشائية (الإلهي البشري) أعتقد أنه يؤكد هنا على ضرورة الالتزام المعياري بأخلاقيات القرآن الكريم من جانب (الإلهي)، وترك التعاطي والاستجابة وتقرير المستقبل السياسي بكل حرية للشعب، وهذه قلما نجدها في فكر معاصر نحن أحوج إليه اليوم.

فمنطلق الإمام يؤكد على ضرورة قيام الدولة ولكنه يؤكد بالوقت نفسه إعطاء العقل السلطة الكاملة لتقرير ما يمكن أن ينفعهم ويرشدهم نحو المزيد من التقدم والاستقرار السياسي وتقريب وجهات النظر بين الفرقاء والمختلفين، وهو بذلك يؤكد على إن لآبناء الشعب العراقي الحق في ممارسة حقوقهم المشروعة بكفاءة وشجاعة لتقرير حق إقامة الدولة الإسلامية هنا^{٣١} ولا فرق بين المواطنين،

الكل سواسيه وهذا هو منهج الإمام الشهيد، ومنهج الإسلام والقرآن وآل البيت الأطهار (عليهما السلام).

الخاتمة

تبقى القيم الروحية في فكر الإمام الشهيد منارة ومدرسة تحذو بها الأجيال إذا ما رغبت في تأكيد النهضة والتقدم والتأسيس لدولة وطنية ذات فلسفة اقتصادية إسلامية ونظام سياسي يصلح لمجتمعات عصرية، أجد طروحات الإمام الشهيد مقاربة بطروحات عبد الرحمن ابن خلدون من حيث واقعيتها، صلاحيتها لأزمان لم يعيشها المفكرين، وبالتالي فهي أفكار لا تتصف بالمثالية الطوبائية بقدر ما تقترب من الواقع وتعيشه وتتعامل مع معطياته، وتحاول معالجة إشكالياته، أما لو افترضنا اخفاقنا في الأخذ بتجربة الإمام، فالعلة في سوء تقديرنا، أو تجاهلنا لذلك الفكر المعطاء، وما علينا إلا التمسك بفكرة التعاون، التناصح، التأخي بين الطوائف طبقا لمنهج الإمام، وعودة لمدرسة آل البيت الأطهار (عليهما السلام).

إذ كان استشهاد الإمام الصدر حدثا مصدقا لأفكاره وشاهدا عليها وعلى الفكر الإسلامي، وكان إعدامه من أعظم فواجع الفكر الإسلامي، فقد توج الإمام الصدر عظمته بتلك الشهادة وبعث في الأمة روحا وصحوة ويقظة حيث كان رسوليا في فكره وحسينيا في شهادته^{٣٢}.

ختاما فقد أدى الإمام الشهيد مهمته ورسالته للبشرية أجمع، ونحن الذين لم نؤد مهمتنا ورسالتنا لأننا لم ننجب صدرا بعد الصدر.

- ^١ زكي الميلاد، من التراث إلى الاجتهاد الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد ، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٤)، ص ١٥٩.
- ^٢ السيد صدر الدين القبانجي، المذاهب السياسية في الإسلام، ط ٢، (بيروت: دار الأضواء للنشر، ١٩٨٥)، ص ٩.
- ^٣ أوليفيه روا، تجربة الإسلام السياسي، نصير مروه، ط ٢، (بيروت: دار الساقى للنشر، ٢٠١٦)، ص ١٢٨.
- ^٤ التي كانت كاتبة مشهورة.
- ^٥ هانيس هالم، الشيعة، ترجمة: محمود كيببو، (بغداد: دار الوراق للنشر، ٢٠١١)، ص ١٧١.
- ^٦ أوليفيه روا، مرجع سابق، ص ١٧٩.
- ^٧ حسام كصاي، "الفكر الإنساني للشهيد الصدر: مشروع حضاري كبير من أجل الإصلاح والتهضة"، موقع الاجتهاد الإلكتروني، بغداد، على الرابط التالي:
^٨ زكي الميلاد، من التراث إلى الاجتهاد، مرجع سابق، ص ١٥١.
- ^٩ راجع: مقال نشره بطاطو في "ميدل إيست جورنال"، واشنطن، ١٩٨٢.
- * صاحب كتاب: "تجديد الفقه الإسلامي ... محمد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم"، ترجمه: غسان غصن، في بيروت عن دار النهار للنشر، ١٩٩٨.
- ^{١٠} زكي الميلاد، من التراث إلى الاجتهاد، مرجع سابق، ص ١٥٦.
- ^{١١} المرجع نفسه، ص ١٦٤.
- ^{١٢} المرجع نفسه، ص ١٦٥.
- ^{١٣} زكي الميلاد، تجديد أصول الفقه، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٣)، ص ٢٦٠.
- ^{١٤} د. عبد الله النفيسي، الفكر الحركي للتيارات الإسلامية، ط ٢، (الكويت: مكتبة أفاق للنشر، ٢٠١٤)، ص ٦٧.
- ^{١٥} الشهيد السيد محمد باقر الصدر، فلسفتنا، (بيروت: دار التعارف للنشر، ١٩٨٢)، ص ٥٧.
- ^{١٦} زكي الميلاد، من التراث، مرجع سابق، ص ١٦٠.
- ^{١٧} الشهيد السيد محمد باقر الصدر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، تحقيق: عبد الرزاق الصالحي، ط ٢، (قم: دار الهدى للنشر، ٢٠٠٦)، ص ٤٠٤.
- ^{١٨} منير سفيق، الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات، ثورات، حركات، كتابات، (بيروت: الناشر للطباعة والنشر، ١٩٨٦)، ص ٧٧.

- ١٩ فريديريك وورم، الفلسفة في ١٠٠ كلمة، ترجمة: د. محمد جديدي، (الرباط: دار الأمان للنشر، ٢٠١٥)، ص ٩١.
- ٢٠ د. شعبان، عبد الحسين، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي: الثقافة والدولة، ط ٢، (أربيل: دار أراس للنشر، ٢٠١١)، ص ٧٥.
- ٢١ شوقي أبو خليل، ص ٤٥.
- ٢٢ د. عبد الله النفيسي، مرجع سابق، ص ٧٠ _ ٧١.
- ٢٣ أنظر: ماجد الغرباوي، التسامح ومنابع اللا تسامح فرص التعايش بين الأديان والثقافات، (بغداد: مرز دراسات فلسفة الدين، ٢٠٠٦)، ص ٨٢ وما بعدها.
- ٢٤ د. عبد الله النفيسي، مرجع سابق، ص ٧١.
- ٢٥ زكي الميلاد، تجديد أصول الفقه، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٣)، ص ٢٦٠.
- ٢٦ المرجع نفسه، ص ٢٦٢.
- ٢٧ د. عبد الله النفيسي، مرجع سابق، ص ٧١.
- ٢٨ حسام كصاي، مرجع سابق.
- ٢٩ المرجع نفسه.
- ٣٠ د. محمد شقير، فلسفة الدولة في الفكر السياسي الشيعي: ولاية الفقيه نموذجاً، (بيروت: دار الهادي للنشر، ٢٠٠٢)، ص ٦٤ .. أنظر: محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، (بيروت: دار التعارف للنشر)، ص ٥٤ _ ٥٥.
- ٣١ د. عبد الله النفيسي، مرجع سابق، ص ٧١.
- ٣٢ زكي الميلاد، من التراث، مرجع سابق، ص ١٧٠.
- قائمة المراجع
- _ أوليفيه روا، تجربة الإسلام السياسي، نصير مروه، ط ٢، (بيروت: دار الساقى للنشر، ٢٠١٦).
- _ حسام كصاي، "الفكر الإنساني للشهيد الصدر: مشروع حضاري كبير من أجل الإصلاح والتنهضة"، موقع الاجتهاد الإلكتروني، على الرابط التالي: _
- _ زكي الميلاد، تجديد أصول الفقه، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٣).
- _ زكي الميلاد، من التراث إلى الاجتهاد الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٤).

- _ شعبان، عبد الحسين، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي: الثقافة والدولة، ط ٢، (أربيل: دار أراس للنشر، ٢٠١١).
- _ صدر الدين القبانجي، المذاهب السياسية في الإسلام، ط ٢، (بيروت: دار الأضواء للنشر، ١٩٨٥).
- _ عبد الله النفيسي، الفكر الحركي للتيارات الإسلامية، ط ٢، (الكويت: مكتبة أفاق للنشر، ٢٠١٤).
- _ فريديريكوورم، الفلسفة في ١٠٠ كلمة، ترجمة: د. محمد جديدي، (الرياض: دار الأمان للنشر، ٢٠١٥)، ص ٩١.
- _ ماجد الغرباوي، التسامح ومنابع اللاتسامح فرص التعايش بين الأديان والثقافات، (بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين، ٢٠٠٦).
- _ محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، (بيروت: دار التعارف للنشر).
- _ محمد باقر الصدر، فلسفتنا، (بيروت: دار التعارف للنشر، ١٩٨٢).
- _ محمد باقر الصدر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، تحقيق: عبد الرزاق الصالحي، ط ٢، (قم: دار الهدى للنشر، ٢٠٠٦).
- _ محمد شقير، فلسفة الدولة في الفكر السياسي الشيعي: ولاية الفقيه نموذجا، (بيروت: دار الهادي للنشر، ٢٠٠٢).
- _ منير سفيق، الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات، ثورات، حركات، كتابات، (بيروت: الناشر للطباعة والنشر، ١٩٨٦).
- _ هاينس هالم، الشيعة، ترجمة: محمود كيببو، (بغداد: دار الوراق للنشر، ٢٠١١).

الملخص:

قدم الفكر السياسي والاجتماعي والديني للإمام الشهيد محمد باقر الصدر رؤية واقعية مفهوم التسامح في الفكر الإسلامي وعن مفهوم الآخر في منظور الإطار الاجتماعي وداخل الدين الواحد إنطلاقاً من قاعدة احترام الآخر والدعوة للوحدة ونبتذ التفرقة والعفو والتعاطف والتآخي التي هي واحدة من أهم مرتكزات التسامح التي جاء بها الإسلام، حيث تعمقت كتابات الإمام الشهيد في هذا المضمار، وعن عطائه العلمي، والثقافي، والزوجي، والأخلاقي، والاجتماعي، وعن جهاده من أجل الإسلام والدين، والمسلمين بكل انتماءاتهم.

فهو داعية وحدة ومحبة وتسامح، كان في خطابه يقول دائماً: (بذلت وجودي؛ من أجل السنّي، والشيعي معاً)، (فأنا معك يا أخي وولدي السنّي بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي، وأنا معكم بقدر ما أنتما مع الإسلام)، ومن هنا نلتمس التسامح وشغفه ودعوته لوطن واحد وأمن ومستقر.

ولعل الندرة في التركيز على فكرة التسامح في فكر الإمام الشهيد هي أحد دوافع الكتابة عن الموضوع، ثم اهتمامه بمحور الأنا والآخر لكونها ذات صلة بالموضوع، ارتأت الدراسة أن تناقش هذه الورقة تلك الفكرة ابتداءً من إشكالية بحثية تتمحور حول ما هي مرتكزات التسامح في فكر الإمام الشهيد، وتنبتق عنه أسئلة فرعية أخرى من قبيل: ما هي شروط التسامح في فكر الإمام الشهيد، ما هي الرؤية العلمية للتسامح في فكر الشهيد، وكيف يمكن استقاء التجربة وتطبيقها على ضوء الواقع من أجل عراق واحد وموحد وأمن ومستقر.

أما منهج البحث فسوف تركز الدراسة على منهج تحليل الخطاب إضافة لمنهج التحليل النقدي، أما أهداف البحث فهي: ^١ - محاولة توضيح فكر التسامح عند الإمام

الشهيد، ٢_ محاولة الاستفادة من تجربة الإمام بتطبيقها في ضوء الواقع الراهن، ٣_ أن الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية يتحتم التأكيد على فكرة التسامح خصوصاً في تجربة الإمام الشهيد.

أما محاور الدراسة فقسمت إلى خمسة محاور، المحور الأول: الإمام الشهيد: حياته ونشأته وظروفه، المحور الثاني: الفكر السياسي للإمام الشهيد، والمحور الثالث: مفهوم التسامح في فكر الإمام الشهيد، والمحور الرابع: الأنا والآخر في فكر الإمام الشهيد، والمحور الخامس: إمكانية تطبيق منهج الإمام الشهيد على الوضع الراهن ومحاولة الاستفادة منه لبناء دولة مواطنة حقيقية.

كلمات مفتاحية: التسامح، الأنا، الآخر، الوحدة، المواطنة، الشهيد الصدر.

The concept of tolerance in the thought of Imam martyr Mr. Sadr
Prof. Dr.Mshhin Zaid Al-Tamimi, University of Mustansiriya
M. Hossam Gassay / University of Tikrit

The political, social and religious thought of Imam Mohammed Baqir al-Sadr presented a realistic vision of the concept of tolerance in Islamic thought and the concept of the other in the perspective of the social framework and within the one religion based on the basis of respect for the other and the call for unity and renunciation of discrimination and pardon and sympathy and brotherhood which is one of the most important pillars of tolerance, , Where the writings of the martyred Imam deepened in this regard, and his scientific, cultural, spiritual, moral, social, and his struggle for Islam and religion, and Muslims of all affiliations.

He is an advocate of unity, love and tolerance. In his speeches, he always says: "I have made my presence, for the sake of the Sunnis and the Shi'ites together." (I am with you, my brother and my son, as much as I am with you, my brother and my Shiite child. Here we seek tolerance, passion and a call for a secure and stable homeland.

السياق القرآني وأثره في كتاب منة المنان للسيد محمد الصدر

أ.م.د. خليل خلف بشير

جامعة البصرة - كلية الآداب - قسم اللغة العربية

الملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم الأمين محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد فالشهاد السعيد آية الله العظمى السيد محمد محمد صادق الصدر (قدس سره) جهز من جهابذة الفكر والتفسير والفقه والأصول وقد عكفت على قراءة كتابه (منة المنان في الدفاع عن القرآن)، وأعجبت بطريقته في مناقشة الأفكار والآراء، ووجدته مطلعاً على الأفكار والنظريات الحديثة ومنها نظرية السياق وهذا يدل على مواكبة السيد الشهيد للعصر الحديث، وإطلاعاً على أغلب الرؤى والأفكار الحديثة لاسيما التي تمت إلى الدين والإسلام والقرآن بصلته على أن تطبيق نظرية السياق على النص القرآني أمر له خصوصيته؛ لأن النص القرآني حمّال أوجه إذ تتعدد الوجوه بتعدد السياقات فيكون له أثر في توجيه الدلالة وتنويعها. وقد جاءت هذه الدراسة لتعطي صورة واضحة عن نظرية السياق القرآني في كتابه الموسوم (منة المنان في الدفاع عن القرآن)، لاسيما في مقدمة كتابه فهي بمثابة نظرية رائدة في المنهج السياقي فلم نعهد ذلك في كتب التفسير السابقة للسيد ولا في الكتب التي تعنى بالقرآن الكريم،

على أنه (قدس سره) قد ألف كتابه للنخبة الواعية في المجتمع الإسلامي فقد حدد قارئ كتابه بطبقتين هما طلبة الجامعات، والأوساط الحوزوية، وقد بناه على أسلوب الأطروحات (الأسئلة والأجوبة)، واتخذ طريقة في التفسير ذكية ومختلفة

عن سائر المفسرين فبدأ من نهاية المصحف الشريف؛ لأنه يرى أن هذه السور لم تعط حقها من التفسير فالمفسرون يجهدون أنفسهم في السور الطوال وأمثالها، وحينما يصلون إلى السور القصار يأتي تفسيرهم لها مقتضبا وموجزا، وتوصل وفقا لأسلوب اللاتفريط أن في القرآن أمورا كثيرة منها: الكمال والنقص، والخير والشر، والقليل والكثير، واللعن بالقواعد العربية، واللغات الأجنبية. وقد توصل السيد الشهيد في هذه المقدمة إلى أن السياق اللفظي أهم وألزم في العلوم اللغوية، والسياق المعنوي ألزم في الأصول والفقه.

وللسيد محمد الصدر (قدس سره) جهود واضحة في نظرية السياق تطرق إليها هذا البحث.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم الأمين محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد فهذا بحث تناولت فيه جهبا من جهابذة الفكر والتفسير والفقه والأصول هو الشهيد السعيد آية الله العظمى السيد محمد محمد صادق الصدر (قدس سره) وقد عكفت على قراءة كتابه (منة المنان في الدفاع عن القرآن)، وقد أعجبت بطريقته في مناقشة الأفكار والآراء، ووجدته مطالعا على الأفكار والنظريات الحديثة ومنها نظرية السياق، وهذا يدل على مواكبة السيد الشهيد للعصر الحديث، وإطلاعه على أغلب الرؤى والأفكار الحديثة لاسيما التي تمت إلى الدين والإسلام والقرآن بصلة على أن تطبيق نظرية السياق على النص القرآني أمر له خصوصيته؛ لأن النص القرآني حمال أوجه إذ تعدد الوجوه بتعدد السياقات فيكون له أثر في توجيه الدلالة وتنويعها. وقد جاءت هذه الدراسة لتعطي صورة واضحة عن نظرية السياق ومحاولة تطبيقها على النص القرآني في كتاب قيم لعالم جليل من علماء الإمامية أفنى عمره المبارك لخدمة

الدين والعلم والوطن عسى الله أن ينفعنا بهذه الدراسة في الدنيا والآخرة والله ولي التوفيق.

نظرة في منة المنان

المطالع لكتاب (منة المنان في الدفاع عن القرآن) للسيد الشهيد محمد الصدر (قدس سره) يجد ما يأتي:

١- إن كاتبه قد ألفه للنخبة الواعية في المجتمع الإسلامي إذ يقول في ذلك: ((ينبغي الالتفات سلفاً إلى أنني لم أكتب هذا الكتاب لكل المستويات، ولا يستطيع الفرد المتدني الاستفادة الحقيقية منه، وإنما أخذت بنظر الاعتبار مستوى معيناً من الثقافة، والتفكير لدى القارئ))^١، وقد حدد ثقافة قارئ كتابه بمستويين هما: طلبة الكليات أو ما شاكلهم، وطلبة الحوزة العلمية، وإن لم يكن من هذين المستويين فمن الصعب عليه فهم هذا الكتاب بل لم يجوز شرعاً لمن لم يكن على أحد هذين المستويين معللاً ذلك بكونه قد يقهم السؤال ولا يفهم الجواب فتعلق الشبهة بجوابه في ذهنه ضد القرآن الكريم فيقوده هذا إلى الضرر، وهو يريد النفع، وفي ذلك يقول: ((وأهمها أن يكون في الثقافة العامة على مستوى طلاب الكليات ونحوه، وأن يكون من الناحية الدينية قد حمل فكرة كافية، وإن كانت مختصرة عن العلوم الدينية المتعارفة كالفقه والأصول والمنطق وعلم الكلام والنحو والصرف ونحوها مما يدرس في الحوزة العلمية الدينية... فإن اتصف الفرد بمثل هذه الثقافة كان المتوقع منه أن يفهم كتابي هذا وإلا فمن الصعب له ذلك... فإن لم يكن على أحد هذين المستويين فلا يجوز شرعاً أن يقرأ هذا الكتاب؛ لأنه يوجد احتمال راجح عندئذ أن يفهم السؤال، ولا يفهم الجواب فتعلق الشبهة في ذهنه ضد القرآن الكريم مما قد يكون غافلاً عنه أساساً فيكون هذا الكتاب قد أدى

به إلى الضرر بدل أن يؤدي به إلى النفع، وبالتالي يكون قد ضحى بشيء من دينه في سبيل قراءة الكتاب»^٢.

٢- في تأليفه الكتاب انتقى طريقة الأسئلة والأجوبة، والأسئلة المعروضة في الكتاب ((إنما هي بالمباشرة والدلالة المطابقة تعتبر ضد القرآن الكريم، وتحتاج إلى ذهن صاف وبيان كاف لرفعها ودفعها، ويجب على القارئ الكريم أن يواكب النص، وأن يعطي وقته ونفسه ليصل إلى النتائج لحاسمة، وإلا فخير له الإعراض عن هذا الكتاب بكل تأكيد))^٣، وفي جواب الأسئلة يعتمد أسلوب الأطروحات أي أنه يطرح عدة احتمالات ولا يعطي رأياً قطعياً ((بل يبقى الأمر قيد التفلسف في الأطروحات، والمفروض أن أيا منها كان صحيحاً كان جواباً كافياً عن السؤال، ويبقى اختيار الأطروحة الواقعية منها موكولاً ظاهراً إلى القارئ اللبيب، وواقعاً إلى المقاصد الواقعية للقرآن الكريم))^٤، ويبدو أن رأي السيد في تفسير الآيات مغيب فهو يهدف بذلك إلى اشتراك القارئ في عملية التفسير باختيار الأطروحة الواقعية، وهذا بدوره يشكل نقطة قوة في بحثه التفسيري^٥.

وقد عرف الأطروحة تعريفين، يرى الثاني أدق من الأول، وهما:

أ- ((فكرة محتملة تعرض عادة فيما تعذر البت فيه من المطالب، ويحاول صاحبها أن يجمع حولها أكبر قدر ممكن من القرائن والدلائل على صحتها لكي يجح بالتدريج على أنه الجواب الصحيح))^٦.

ب- ((الاحتمال المسقط للاستدلال المضاد من باب القاعدة القائلة: إذا دخل الاحتمال بطل الاستدلال))^٧، وهذا لا يعني - كما يرى السيد - ((تحول معنى الأطروحة إلى مجرد الاحتمال بل تبقى الأطروحة هو ذلك الاحتمال المحترم الذي يمكن أن نجمع حوله أقصى مقدار متيسر من الدلائل والإثباتات))^٨ لذا كل وجه من الوجوه

التفسيرية يمكن أن يطلق عليه عنوان الأطروحة إذا كان يمتلك دليلاً أو شاهداً بحيث يجعله قراءة محتملة أو وجهاً محتملاً يصلح أن يكون تفسيراً معتبراً يطرح إلى جانب التفسيرات المحتملة الأخرى^٩ فهو يلمع إلى أن كل ما أطلق عليه وجه أو احتمال أو مناقشة يمكن أن تسميته بـ (الأطروحة) سواء سمي فعلاً بالأطروحة أم لا.^{١٠}

وثمة أطروحة أخرى أشار إليها السيد الشهيد، وقد أطلق عليها (الأطروحة الشاذة)، وأراد بها القراءة المحتملة للنص التي لم يتوصل إليها أحد من المفسرين القدماء والمعاصرين مع توفر القرائن اللفظية والسياقية الدالة عليها فليس المقصود من الأطروحة الشاذة تلك التي تفتقر إلى دليل أو شاهد يرفعها إلى أن تكون وجهاً محتملاً من وجوه التفسير فهي شاذة؛ لأنه لم يقل بها أحد أو أنها مخالفة للمشهور العظيم في عالم التفسير^{١١}، وستكون ((شاذة ومثيرة للاستغراب، وأما إذا لوحظت بدقة وموضوعية فستكون كسائر الأطروحات الصالحة للجواب عن السؤال التي هي بصدد))^{١٢}.

ومن أطروحاته الشاذة أو النادرة طرحه معنى نادراً للكنود في قوله تعالى (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ - العاديات/٦) إذ فسره تفسيراً إيجابياً لم يلتفت إليه المفسرون، وهو الإنسان الولي الذي يزهد بزخارف الدنيا ويزارحها قربة إلى الله تعالى ذاكراً عدداً من القرائن والشواهد التي تدل على ذلك المعنى، وقد أراد المفسرون شراً وأراد السيد الشهيد خيراً^{١٣}، وكذا في العاديات في قوله تعالى (والعاديات ضَبْحًا - العاديات/١) فقد فسرها بالعدو المعنوي الذي ينطبق على كل ذي هدف كطالب العلم وطالب الشهرة وطالب المال وأمثالهم^{١٤}.

وكذا في معنى (القارعة) في قوله تعالى (القارعة) ❀ ما القارعة ❀ وما أدراك ما القارعة القارعة ١/ -٣) التي فسرها بكل بلاء من مصائب الدنيا والآخرة فهو ليس اسما من أسماء يوم القيامة فحسب^{١٥}.

٣- مناقشته النظريات العلمية لتجديدها أو تغييرها: لعل الفائدة من طرحه للأطروحات ((فتح عين القارئ اللبيب، وإفاته إلى مكان تجاوز الفكر التقليدي أو المتعارف في كثير من أبواب المعرفة لا في جميعها بطبيعة الحال بل في تلك النظريات المشهورة التي تعصب لها الناس وأخذ بها المفكرون بدون أن تكون ذات دليل متين أو ركن ركين))^{١٦} فهو ينبه القارئ إلى وجوب احترام ما يكتب لا تقديسه فعلى القارئ أن يعمل فكره في ما يقرأ لا أن يكون ببغايا يردد ما يقرأ دون أعمال فكر^{١٧} إذ إن أمثال ((هذه العلوم مشحونة بالنظريات احترامها أصحابها وأخذوها كأنها مسلمة الصحة وبنوا عليها نتائج عديدة في حين يبدو للمتأمل زيفها وبطلانها مع شيء من التدقيق، ويكفي من أطروحاتنا هذه أن تكون صالحة لإسقاط الاستدلال بأمثال تلك النظريات والأفكار))^{١٨}.

٤- تميزه في تناوله القرآن ابتداء من آخره فقد ابتدأ بسورة الناس وبعكسه كان المفسرون يبتدئون بسورة الفاتحة وينتهون بسورة الناس، وقد علل فعله هذا بعاملين هما:^{١٩}

أ- العامل النفسي لتقديم الطريف في الأسلوب، وترك التقليد للأمور المشهورة.
ب- العامل العقلي فالمفسرون يجهدون أنفسهم في السور الطوال ما بعدها من السور وحينما يصلون إلى السور القصار يقل جهدهم فيأتي كلامهم مختصرا ومقتضبا، ولو فعلوا العكس فبدأوا من السور القصور لأشبعوها بحثا وتنقيبا، وهو في هذا قد جنح إلى التجديد، وابتعد عن التقليد.

٥- اعتماده أسلوب اللاتفريط مستفيدا من قوله تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون - الأنعام/٣٨)، ويرى السيد الشهيد أن أسلوب اللاتفريط ((باب واسع يمكن على أساسه صياغة كثير من الأطروحات لكثير من المشاكل التي قد تثار في عدد من المواضيع أو المواضيع، وينسد الاعتراض عليها بأن فيها اعترافا بنقص القرآن العظيم))^{٢٠}. فالكون كما يحتوي على الكمال كذلك يحتوي على النقص إذ فيه الخير والشر، والقليل والكثير، ... الخ لاحتواء القرآن على كل ما في الكون بما فيه من النقائص والحدود فكما يحتوي القرآن على الفصاحة والبلاغة - وهي الصفة الأساسية كذلك يحتوي على ضدها، وكما يحتوي على اللغة العربية كذلك ينبغي أن يحتوي على لغات أخرى، وكما يحتوي على الظاهر العرفي ينبغي أن يحتوي على الباطن الدقي وهكذا^{٢١}.

يتبين مما سبق أن في القرآن أمورا كثيرة وفقا لأسلوب اللاتفريط منها: الكمال والنقص، والخير والشر، والقليل والكثير، واللعن بالقواعد العربية، واللغات الأجنبية.

٦- على الرغم من تناوله دلالة السور القرآنية وتفسيرها إلا إنه ليس كتاب تفسير بيد أنه ركز عنه على المشكلات الدلالية واللغوية والأسرار البيانية والبلاغية فهو يقول: ((... ولا ينبغي أن يلحق هذا الكتاب بكتب التفسير العام، فإنه ليس كذلك إطلاقا، وقد تجنبت فيه عن عمد كل ما يرتبط بالتفسير المحض...))^{٢٢}.

٧- مما يدل على شمولية كتاب منة المنان هو إحالته القارئ على تفاسير القرآن الكريم، وقد حصر اتجاهات التفسير بثلاثة هي:^{٢٣}

أ- التفسير الباطني: كتفسير ابن عربي.

بد التفسير بالحديث (بالسنة): كالبرهان في تفسير القرآن للبحراني.
تد التفسير بالرأي.

وقد أفاد من عدد كبير من المصادر يمكن تصنيفها على الآتي^{٢٤}:

أ- كتب التفسير: منها تفسير الميزان للطباطبائي، والبيان للسيد الخوئي، ومفاتيح الغيب للرازي.

ب- كتب إعراب القرآن الكريم منها اثنان هما: إملأ ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات لأبي البقاء العكبري، والملحة في إعراب القرآن لمحمد جعفر الكرباسي.

ت- كتب للدفاع ضد إشكالات أوردت ضد الدين أو القرآن نحو كتاب الأمالي للسيد الشريف المرتضى، وما وراء الفقه للسيد محمد الصدر نفسه، وتنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار، وتلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي.

ث- معجمات قرآنية ولغوية: نحو مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ومجمع البحرين للطريحي، ولسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، وتاج العروس للزبيدي، وغيرها.

ج- كتب علوم القرآن والإعجاز والقراءات والتجويد نحو كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، وغيرهما.

ح- كتب لفهم الطبيعة القرآنية نحو تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي، والآيات الكونية لحفني أحمد، والطبيعة في القرآن الكريم للدكتور كاصد ياسر الزبيدي، وغيرها.

خ- كتب التاريخ الديني وقصص الأنبياء.

د. كتب الأخلاق: مثل إحياء علوم الدين للغزالي، وجامع السعادات للنراقبي، وفقه الأخلاق للسيد نفسه.

السياق: معناه، وأنواعه

ترد لفظة "السياق" في اللغة بمعانٍ مختلفة، منها: جلب الإبل وطردها^{٢٥} والمهر، ونزع الروح. قال ابن منظور: ((السوق معروف. ساق الإبل وغيرها يسوقها سياقاً، وهو سائق وسواق... وساق فلان من امرأته أي أعطاه مهرها. والسياق: المهر، وساق بنفسه سياقاً: نزع عند الموت... والسياق نزع الروح...))^{٢٦}، وسياق الكلام: ((تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه))^{٢٧}.

أما في الاصطلاح فهو - السياق - ((ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى))^{٢٨} بوساطة ((بناء كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة، وهو ما يسمى بالقرينة الحالية))^{٢٩}، ولذا نجد جون لاينزيشبه علاقات السياق بنسيج العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد يمثل كل خيط فيه إحدى هذه العلاقات، وتمثل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة^{٣٠}.

وهذه العلاقات التي سماها الجرجاني "التعليق"^{٣١} تتمثل بالقرائن اللفظية مثل قرينة (العلامة الإعرابية، والرتبة، والنغمة...)، والقرائن المعنوية مثل قرينة (الأستاذ، والتخصيص، والنسبة...) ^{٣٢} وتؤدي هذه القرائن دوراً في إبراز أهمية الألفاظ في الجملة، وفي ضوء تلك القرائن تتحدد نوع العلاقة وأثرها في صياغة الجملة القرآنية^{٣٣}، فلا معنى لكلمة دون أن توضح في نص أو سياق إذ إن الكلمة ((تكتسب قيمتها من مجاورتها للكلمات السابقة واللاحقة لها في أي تركيب أو نص ويحدد السياق نوع هذه العلاقة))^{٣٤}، لذا لا يمكن استبعاد السياق من الدراسة

الدلالية خلافا لما يراه بعض اللسانيين مبريين ذلك بالمصاعب العملية والنظرية البالغة التعقيد في معالجة السياق بشكل مرض متناسين أنه لا يمكن التعرف على معنى جملة ما بمعزل عن السياق^{٣٥}.

ويشغل السياق حيزا واسعا في البحث اللغوي المعاصر، ويستحوذ دوره في تحديد الدلالة ويستأثر بعناية الدارسين حتى يصير نظرية متكاملة ترتبط بجهود علماء كثيرين في مقدمتهم رائد النظرية السياقية الغربية - العالم الانكليزي جون فيرث^{٣٦} - الذي اقتات على جهود علمائنا العرب في هذا الصدد أمثال: سيبويه، والجرجاني، والسكاكي، والجاحظ، وابن قتيبة، وغيرهم^{٣٧}.

ولعل أقدم عبارتين جمعتا فكرة السياق هما اللتان نادى بهما البلاغيون العرب بقولهم: "كل مقال مقام" و"كل كلمة مع صاحبها مقام" وقد عدتا من نتائج المغامرات الفكرية في دراسة اللغة في الفكر المعاصر^{٣٨}، مما حدا بالمحدثين أن يفيدوا من هذه الفكرة في تقسيم السياق على أنواع كثيرة منها: السياق العاطفي، وسياق الموقف، والسياق الاجتماعي، والسياق الداخلي، والسياق الخارجي، وغير ذلك^{٣٩}، ولعل جميع هذه التقسيمات تنحصر في نوعين رئيسيين هما:

١- السياق اللغوي "الداخلي": ويشمل السياق الصوتي، والسياق الصرفي، والسياق النحوي، والسياق المعجم.

٢- السياق غير اللغوي "الخارجي": ويشمل سياق الموقف، والسياق الاجتماعي، وسياق الحال، وسياق المقام.

ولمعرفة سياقات القرآن الكريم لابد من الإلمام بنظمه الإعجازي، وأسلوبه البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته، ومعرفة خصائص هذا الأسلوب فضلا عن معرفة الأغراض والمقاصد الكلية والاتجاهات العامة الثابتة في النص القرآني الكريم^{٤٠}،

ومن هنا بدأت محاولات المفسرين والمؤولين من الصحابة والتابعين والعلماء بتلقي النص القرآني واستيعاب ((مرامييه ومقاصده من خلال معرفتهم بظروف التنزيل ومناسباته وبسياق أحكامه ونصوصه...))^{٤١}.

والسيد الشهيد محمد الصدر (قدس سره) واحد من هؤلاء المفسرين الذين عنوا بفكرة السياق، ولازمته في أثناء دفاعه عن الشبهات التي أثرت على القرآن الكريم لما لها من اثر كبير في الوقوف على معاني الآيات، والكشف عن مرادها، إذ ((لا ينبغي لمفسر أن يقتطع آية من القرآن ويفسرها بمعزل عن ظروفها الزمنية وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من الآيات))^{٤٢}، والنص القرآني وإن كان سهلاً لكنه ممتنع، وأداته اللغة ((لكنه تنزيل من حكيم حميد، لذا فإن أدوات فهمه مزيج من العوامل الصناعية المكتسبة، والعوامل الفطرية الموهوبة، والفيض الإلهي، فعلى المرء أن يكون حذراً عندما يستأذن للدخول إلى حماء "سياق النص" وإلا رُدَّ على عقبيه خائباً، ولم يظفر منه بطائل))^{٤٣}.

وقد تجلت جهود السيد الصدر في نظرية السياق القرآني في مقدمة كتابه (منة المنان) من خلال الآتي:

١- تقسيمه السياق على قسمين معرفاً وحدة السياق في أثناء التقسيم فالسياق المعنوي يمثل الاتصال والتماثل في مقاصد المتكلم والمعاني التي يريد بيانها والإعراب عنها فإذا شككنا في أي مقصود من مقاصده أمكنة جعل المقاصد الأخرى دليلاً عليه كقرينة متصلة عرفية وصحيحة، وهذه هي وحدة السياق، والسياق اللفظي هو التناسق العرفي في الذوق واللفظ بحيث لو زاد شيئاً أو نقص كان ذلك إخلالاً به، ومن ثم يكون قرينة كافية على عدم وجوده وعدم قصده من المتكلم^{٤٤}.

وقد ضرب مثالين للخلل في السياق اللفظي هما: زيادة الواو في قوله تعالى (قل أعوذ بربّ الناس ﴿١﴾ ملك الناس ﴿٢﴾ إله الناس - الناس / ١-٣) فلو وجدت الواو لاختل السياق اللفظي بالتأكيد، وعدم وجود الواو في البسملة، ولو وجدت الواو في البسملة لاختلف السياق، وهو أوضح من المثال الأول. كما ضرب مثالا لعدم الاختلاف مع تبدل الألفاظ كما لو تبدلت الفاء بالواو في قوله تعالى (والعاديات صَبَحًا ﴿١﴾ فالمُوريات قدحا ﴿٢﴾ فالمُغِيرَات صَبَحًا ﴿٣﴾ فأثّرَن به نَقَعَا - العاديات / ١-٤) فإن الجمال اللفظي يبقى مستمرا بحسب الذوق اللغوي العرفي، وتوصل إلى أن نوعي السياق يمكن استعماله في أبحاثنا إلا إن السياق اللفظي أهم وألزم في العلوم اللغوية كما يكون السياق المعنوي أهم وألزم في العلوم الأصولية والفقهية^{٤٥}.

٢- المعنى أو الهدف العام المفهوم من السور القرآنية المرتبطة بالسياق العام تساءل عما إذا كان لكل سورة على الإطلاق غرض معين أو لبعضها ذلك أو لا يوجد لأي منها أي غرض، وإنما مجموعة ألفاظ لمجموعة معانٍ لا ترتبط في ما بينها، وقد أجاب السيد عن تساؤله في أن لنزول القرآن الكريم غرضا عاما هو الهداية والإنذار بالعذاب لمن يعصيه والتبشير بالثواب لمن يطيعه، وأن لكل سورة غرضا خاصا، وهو جزء من الغرض العام، وهذا الغرض واضح بلا شك في بعض السور كما في سورة الحمد والتوحيد والكافرون والواقعة وغيرها بيد أن كثيرا من السور الطوال وغيرها مما لا يفهم منها غرض محدد، وربما يكون لسورتين غرض محدد أو معنى واحد فسياق سورة الفيل يرتبط بسياق سورة قريش لاسيما وأنهما سورة واحدة، وكذا الحال في سياقي سورة الفلق وسورة الناس المتشابهين لاسيما وقد سميتا بالمعوذتين، على أنه لا يوجد دليل عقلي أو نقلي على وجود مثل هذه الأهداف لكل واحدة من السور بل إن بعض الآيات قد تعرضت إلى معانٍ متباينة وأهداف متعددة^{٤٦}.

٣- اختيار المبدع ألفاظه المعبرة بأسلوبه الخاص بحيث تتسق مفرداته في تراكيب وأساليب ليوصل المعاني إلى ذهن السامع من دون أن يعترض عليه معترض بأن اختيارها لا مسوغ له^{٤٧} فمعه لا يمكن ((السؤال بأن الله تعالى لماذا قال: كذا، ولم يقل: كذا؛ لأنه سبحانه إنما يريد أن يوصل المعاني إلينا لا أكثر، واختياره لهذه الألفاظ يوافق الحكمة والفصاحة والمصلحة التي هي في عمله، وبذلك يندفع كثير من الأسئلة التي يمكن إثارتها عن التعبير القرآني؛ لأن جوابها أن الله تعالى أراد هذا التعبير اختياراً وليس لنا أن نناقش فيه))^{٤٨}.

٤- لعل قصور اللغة يمكن أن يكون المسؤول عن كثير من الظواهر الكلامية في حين أن التوسع في اللغة هو الحاجة الضرورية لكثير من الأمور كالقوافي الشعرية والسجع ولزوم ما لا يلزم فإذا لم يجد المتكلم في سياق معين ثلاث كلمات أو أربع اضطر إلى حصر حديثه في نطاق ضيق أو إلى تكرار العبارات نفسها لإتمام مقصوده، وهذا ما يفسر لنا عدداً من ظهور النسق القرآني كتكرار لفظ (الناس)، والتكرار في سورة (ق) وسورة (ص)، وتغير النسق في سورة مريم بمقدار ست آيات، وأن قصور اللغة ولاسيما في القرآن الكريم لا يضر بقدرة الله تعالى؛ لأن القدرة، وإن كانت تامة عنده تعالى لكنها تتعلق بالممكن المقدور أما المستحيلات فلا تتعلق بها القدرة لقصور الموضوع لا لقصور الفاعل^{٤٩}.

٥- وقصور اللغة من جملة قصور الموضوع إذ ليس فيها ما يكفي لأجل سد الحاجة، ولا يمكن اختيار الكلمات إلا تماشياً مع المجتمع وما يفهمه الناس، ولا يمكن التكلم بكلام غير مفهوم باعتبار إتمام السجع أو النسق فلو تأملنا مخلوقات الخالق في هذا الكون لوجدناه مشحوناً بالذوق الجمالي من جميع النواحي نحو شكل الورد وأجنحة الفراشات وأصوات العصافير وجمال البشر وتناسق أوراق النباتات وغير

ذلك، ومن موارد وجود هذا الذوق الفني والأدبي في القرآن الكريم التناسق في نهايات الآيات وقد سماه السيد (النسق)، ورفض أن يسميه (السجع)^{٥٠}.

٦- ومما يتصل بالسياق حديثه عما يسميه علماء الأصول (الجري والتطبيق) إذ قال: ((إن كل آية من آيات الكتاب الكريم تعد قاعدة عامة ومنهج حياة وأسلوب سلوك، قابل للانطباق على جميع المستويات، وعلى جميع المجتمعات بل على جميع الأجيال بل كل الخلق أجمعين فإن القرآن هو خلاصة القوانين والمعارف المطبقة فعلا في الكون والموجودة في أذهان الأولياء والراسخين في العلم. وهذا واضح من جميع القرآن وظهور القرآن حجة غير أننا لا نستطيع بهذا الصدد الاستدلال بالأخبار الدالة على أن القرآن يجري في الناس مجرى الشمس والقمر، وأنه لو نزل بقوم ومات أولئك القوم مات القرآن، ولكنه حي لا يموت؛ لأنه نازل من الحي الذي لا يموت))^{٥١}. ويبدو أنه (قدس سره) قد المع إلى أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ومنها حديث الإمام الباقر (عليه السلام) ((عن الفضيل بن يسار: قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع، ما يعني بقوله: لها ظهر وبطن؟ قال: ظهره وبطنه تأويله، منه ما مضى، ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء منه شيء وقع...))^{٥٢}.

وحديث آخر أيضا للإمام الباقر (عليه السلام) في هذا الصدد مفاده أن ((القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقيين كما جرت في الماضين))^{٥٣}.

ومثله للإمام الصادق (عليه السلام) إذ قال: ((إن القرآن حي لم يمت وأنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا)) ٥٤.

وروى أن رجلاً سأل الإمام الصادق (عليه السلام): ((ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غصاصة؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غرض إلى يوم القيامة)) ٥٥.

الخاتمة

١- إن مؤلف كتاب (منة المنان) السيد الشهيد الصدر الثاني (قده) قد ألفه للنخبة الواعية في المجتمع الإسلامي فقد حدد قارئ كتابه بطبقتين هما طلبة الجامعات، والأوساط الحوزوية، وقد بناه على أسلوب الأطروحات (الأسئلة والأجوبة)، واتخذ طريقة في التفسير ذكية ومختلفة عن سائر المفسرين فبدأ من نهاية المصحف الشريف؛ لأنه يرى أن هذه السور لم تعط حقها من التفسير فالمفسرون يجهدون أنفسهم في السور الطوال وأمثالها، وحينما يصلون إلى السور القصار يأتي تفسيرهم لها مقتضبا وموجزا، وتوصل وفقا لأسلوب اللاتفريط أن في القرآن أمورا كثيرة منها: الكمال والنقص، والخير والشر، والقليل والكثير، واللحن بالقواعد العربية، واللغات الأجنبية.

٢- تقسيمه السياق على قسمين معرّفا وحدة السياق في أثناء التقسيم فالسياق المعنوي يمثل الاتصال والتماثل في مقاصد المتكلم والمعاني التي يريد بيانها والإعراب عنها فإذا شككنا في أي مقصود من مقاصده أمكنة جعل المقاصد الأخرى دليلا عليه كقرينة متصلة عرفية وصحيحة، وهذه هي وحدة السياق، والسياق اللفظي هو التناسق العرفي في الذوق واللفظ بحيث لو زاد شيئا أو نقص

لكان ذلك إخلالا به، ومن ثم يكون قرينة كافية على عدم وجوده وعدم قصده من المتكلم، وتوصل السيد الشهيد إلى أن نوعي السياق يمكن استعماله في أبحاثنا اللغوية إلا إن السياق اللفظي أهم وألزم في العلوم اللغوية كما يكون السياق المعنوي أهم وألزم في العلوم الأصولية والفقهية.

٣- المعنى أو الهدف العام المفهوم من السور القرآنية المرتبطة بالسياق العام تساءل عما إذا كان لكل سورة على الإطلاق غرض معين أو لبعضها ذلك أو لا يوجد لأي منها أي غرض، وإنما مجموعة ألفاظ لمجموعة معانٍ لا ترتبط في ما بينها، وقد أجاب السيد عن تساؤله في أن لنزول القرآن الكريم غرضا عاما هو الهداية والإنذار بالعذاب لمن يعصيه والتبشير بالثواب لمن يطيعه، وأن لكل سورة غرضا خاصا، وهو جزء من الغرض العام، وهذا الغرض واضح بلا شك في بعض السور كما في سورة الحمد والتوحيد والكافرون والواقعة وغيرها بيد أن كثيرا من السور الطوال وغيرها مما لا يفهم منها غرض محدد، وربما يكون لسورتين غرض محدد أو معنى واحد فسياق سورة الفيل يرتبط بسياق سورة قريش لاسيما وأنهما سورة واحدة، وكذا الحال في سياقي سورة الفلق وسورة الناس المتشابهين لاسيما وقد سميتا بالعمودتين، على أنه لا يوجد دليل عقلي أو نقلي على وجود مثل هذه الأهداف لكل واحدة من السور بل إن بعض الآيات قد تعرضت إلى معانٍ متباينة وأهداف متعددة.

٤- اختيار المبدع ألفاظه المعبرة بأسلوبه الخاص بحيث تتسق مفرداته في تراكيب وأساليب ليوصل المعاني إلى ذهن السامع من دون أن يعترض عليه معترض بأن اختيارها لا مسوغ له فمعه لا يمكن السؤال بأن الله تعالى لماذا قال: كذا، ولم يقل: كذا؛ لأنه سبحانه إنما يريد أن يوصل المعاني إلينا لا أكثر، واختياره لهذه الألفاظ يوافق الحكمة والفصاحة والمصلحة التي هي في عمله، وبذلك يندفع كثير من

الأسئلة التي يمكن إثارتها عن التعبير القرآني؛ لأن جوابها أن الله تعالى أراد هذا التعبير اختياراً وليس لنا أن نناقش فيه.

٥- لعل قصور اللغة يمكن أن يكون المسؤول عن كثير من الظواهر الكلامية في حين أن التوسع في اللغة هو الحاجة الضرورية لكثير من الأمور كالقوافي الشعرية والسجع ولزوم ما لا يلزم فإذا لم يجد المتكلم في سياق معين ثلاث كلمات أو أربع اضطر إلى حصر حديثه في نطاق ضيق أو إلى تكرار العبارات نفسها لإتمام مقصوده، وهذا ما يفسر لنا عدداً من ظهور النسق القرآني كتكرار لفظ (الناس)، والتكرار في سورة (ق) وسورة (ص)، وتغير النسق في سورة مريم بمقدار ست آيات، وأن قصور اللغة ولاسيما في القرآن الكريم لا يضر بقدرة الله تعالى؛ لأن القدرة، وإن كانت تامة عنده تعالى لكنها تتعلق بالممكن المقدور أما المستحيلات فلا تتعلق بها القدرة لقصور الموضوع لا لقصور الفاعل.

٦- وقصور اللغة من جملة قصور الموضوع إذ ليس فيها ما يكفي لأجل سد الحاجة، ولا يمكن اختيار الكلمات إلا تماشياً مع المجتمع وما يفهمه الناس، ولا يمكن التكلم بكلام غير مفهوم باعتبار إتمام السجع أو النسق فلو تأملنا مخلوقات الخالق في هذا الكون لوجدناه مشحوناً بالذوق الجمالي من جميع النواحي نحو شكل الورد واجنحة الفراشات وأصوات العصافير وجمال البشر وتناسق أوراق النباتات وغير ذلك، ومن موارد وجود هذا الذوق الفني والأدبي في القرآن الكريم التناسق في نهايات الآيات وقد سماه السيد (النسق)، ورفض أن يسميه (السجع).

٧- حديثه عما يسميه علماء الأصول (الجري والتطبيق) مرتبط بالسياق الكلي في أن كل آية من آيات الكتاب الكريم تعد قاعدة عامة ومنهج حياة وأسلوب سلوك، قابل للانطباق على جميع المستويات، وعلى جميع المجتمعات بل على

جميع الأجيال بل كل الخلق أجمعين فإن القرآن هو خلاصة القوانين والمعارف المطبقة فعلا في الكون والموجودة في أذهان الأولياء والراسخين في العلم. وهذا واضح من جميع القرآن وظهور القرآن حجة غير أننا لا نستطيع بهذا الصدد الاستدلال بالأخبار الدالة على أن القرآن يجري في الناس مجرى الشمس والقمر، وأنه لو نزل بقوم ومات أولئك القوم لمات القرآن، ولكنه حي لا يموت؛ لأنه نازل من الحي الذي لا يموت، ويبدو أنه (قدس سره) قد المع إلى أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام).
الهوامش:

- ١- منة المنان في الدفاع عن القرآن / السيد محمد الصدر ٩.
- ٢- منة المنان، ٩.
- ٣- المصدر نفسه ١٠-١١.
- ٤- المصدر نفسه ١١.
- ٥- ينظر: قراءة النص القرآني عند السيد محمد الصدر (قدس)، رسالة ماجستير، علي جاسب عبد الله الخزاعي، كلية التربية، جامعة البصرة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٦- منة المنان ١٢.
- ٧- المصدر نفسه ١٣.
- ٨- المصدر نفسه، المكان نفسه.
- ٩- ينظر: السيد الشهيد محمد الصدر بحوث في فكره ومنهجه وإنجازاته العلمي / نخبة من الباحثين والمفكرين ١٥/٢ ضمن البحث الموسوم: منهج الأطروحة في تفسير منة المنان (تأصيل وتطبيق)، السيد عبد السلام زين العابدين.
- ١٠- منة المنان ١٢.
- ١١- ينظر: السيد الشهيد محمد الصدر بحوث في فكره ومنهجه وإنجازاته العلمي ١٧/٢ ضمن البحث الموسوم: منهج الأطروحة في تفسير منة المنان (تأصيل وتطبيق)، السيد عبد السلام زين العابدين.
- ١٢- منة المنان ١٦.
- ١٣- ينظر: المصدر نفسه ٣٠٢-٣٠٣.
- ١٤- ينظر: المصدر نفسه ٣٠١.

- ١٥- ينظر: المصدر نفسه ٢٦١.
- ١٦- منة المنان ١٥.
- ١٧- ينظر: السيد الشهيد محمد الصدر بحوث في فكره ومنهجه وإنجازاته العلمي / نخبة من الباحثين والمفكرين ١٤٩/٣ ضمن البحث الموسوم (منة المنان في الدفاع عن القرآن جرأة وتجديد / د. عهود عبد الواحد العكيلي.
- ١٨- منة المنان ١٥.
- ١٩- المصدر نفسه ١٨-١٩.
- ٢٠- منة المنان ١٥.
- ٢١- المصدر نفسه ١٤.
- ٢٢- المصدر نفسه ١٧.
- ٢٣- ينظر: منة المنان ٢٩.
- ٢٤- المصدر نفسه ٣٠-٣١.
- ٢٥- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، (ساق): ٤٣٦.
- ٢٦- لسان العرب، ابن منظور، (سوق): ١٠/١٦٦-١٦٧.
- ٢٧- المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، (سوق): ٤٦٥.
- ٢٨- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. محمد أحمد أبو الفرج: ١١٦.
- ٢٩- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه وكامل المهندس: ٢٨٨.
- ٣٠- ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز: ٨٣.
- ٣١- ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٥٣.
- ٣٢- لمزيد من التفصيل ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ١٩١-٢٠٤، ٢٠٥-٢٦٠.
- ٣٣- ينظر: العلاقة السياقية في بناء الجملة القرآنية (سورة هود نموذجاً)، (بحث) د. عبد الكريم ناصر محمود، مجلة آداب البصرة، ع ٣٤، ٢٠٠٢، ص: ٢٠.
- ٣٤- الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوش المصطفى: ٢٣٠.
- ٣٥- ينظر: علم الدلالة، بالمر: ٥٧.
- ٣٦- ينظر: السياق في الفكر اللغوي عند العرب، (بحث) د. صاحب أبو جناح، مجلة الأقلام، ع ٣-٤، نيسان ١٩٩٢، ص: ١١٦-٣٤. ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠-٢١.
- ٣٧- ينظر: السياق اللغوي في النص القرآني، (بحث) خليل خلف بشير، مجلة دراسات نجفية، جامعة الكوفة، ع ٤، س ٢، ٢٠٠٥، ص: ٢٤١.

- ٣٨- اللغة العربية معناها ومبناها ٢٠-٢١.
- ٣٩- الدلالة السياقية عند اللغويين: ٥٢.
- ٤٠- ينظر: دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب أبو صفية الحارثي: ٨٨-٨٩.
- ٤١- السياق في الفكر اللغوي عند العرب: ١١٩.
- ٤٢- الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان، علي الأوسي: ١٤٤.
- ٤٣- دلالة السياق: ١٢٢.
- ٤٤- ينظر: منة المنان ٢٨.
- ٤٥- ينظر: المصدر نفسه ٢٨-٢٩.
- ٤٦- ينظر: منة المنان ٢٣-٢٥.
- ٤٧- ينظر: دراسات وبحوث مؤتمر الشيخ البلاغي الثالث ١٥٨ بحث (منهج السياق النحوي القرآني عند السيدين الطباطبائي والصدر الثاني) لد. صالح كاظم الجبوري.
- ٤٨- منة المنان ٢٥.
- ٤٩- ينظر: المصدر نفسه ٢٦.
- ٥٠- ينظر: منة المنان ٢٦-٢٧.
- ٥١- ينظر: المصدر نفسه ٢١.
- ٥٢- تفسير العياشي/ محمد بن مسعود العياشي: ٨٦/١-٨٧.
- ٥٣- بحار الأنوار ٣٥/٣-٤٠٤.
- ٥٤- ينظر: المصدر نفسه ٣٥/٤٠٤.
- ٥٥- المصدر نفسه ٢/٢٨٠.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- تفسير العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود العياشي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط/١، مؤسسة البعثة- قم، ١٤٢١هـ.
- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ط/٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

- دراسات وبحوث مؤتمر الشيخ البلاغي الثالث، قسم الدراسات والبحوث في دائرة الشؤون القرآنية، مؤسسة شهيد المحراب، ط ١، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف الأشرف، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه: الدكتور محمد التنجي، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، الدكتور عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، ط ١، عمان، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- الدلالة السياقية عند اللغويين، أ.د: عواطف كنوش المصطفى، ط ١، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، ٢٠٠٧م.
- السياق في الفكر اللغوي عند العرب، الدكتور صاحب أبو جناح، مجلة الأقلام، ع ٣ - ٤، نيسان، ١٩٩٢م.
- السياق اللغوي في النص القرآني، خليل خلف بشير، مجلة دراسات نجفية، جامعة الكوفة، ع ٤، س ٢، ٢٠٠٥م.
- السيد الشهيد محمد الصدر بحوث في فكره ومنهجه وإنجازاته العلمي، نخبة من الباحثين والمفكرين، ط ١، منشورات المحبين للطباعة والنشر، مطبعة: بيشرو، الملتقى الفكري والثقافي الخاص بالمرجع الديني السيد الشهيد محمد الصدر، قم المقدسة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- العلاقات السياقية في بناء الجملة القرآنية، (سورة هود نموذجاً)، د. عبد الكريم ناصر محمود، مجلة آداب البصرة، ع ٣٤، س ٢٠٠٢م.

- الطباطبائي ومنهجه في تفسيره "الميزان"، علي الأوسي، ط١/، معاونة الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامية، سبهر، طهران، الجمهورية الإسلامية في إيران، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- علم الدلالة، بالمر، ترجمة مجيد الماشطة، مطبعة الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥.
- قراءة النص القرآني عند السيد محمد الصدر (قدس سره)، رسالة ماجستير، علي جاسب عبد الله الخزاعي، كلية التربية، جامعة البصرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، ط٣/، دار صادر بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان، ط٤/، عالم الكتب، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، ط١/، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧م.
- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، الدكتور محمد أحمد أبو الفرج، ط١/، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٦م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ط٢/، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢/، منشورات ذوي القربى، مطبعة أميران، ١٤٢٣هـ.
- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وحامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات ومحمد علي النجار، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات، إحياء التراث، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني تح/ صفوان عدنان داوودي: ط٤، دار القلم-دمشق، الدار الشامية-بيروت، مطبعة كيميا، ١٤٢٥هـ.
- منة المثنان في الدفاع عن القرآن، آية الله العظمى السيد محمد الصدر، ط١، مطبعة: كوثر، الناشر: ذوي القربى، محرم الحرام ١٤٢٦هـ.

Ment Mannan and the theory of context

Assistant Professor Dr. Khalil Bashir behind

Teaching in the Department of Arabic Language -

Faculty of Arts - University of Basra

Hamad , who guided us to this and we have been guided to not be guided God , prayer and peace envoy mercy to the worlds , Habib god worlds Mohamed Lamine , and The God of the good and virtuous and after Valshahyd happy Ayatollah Mohammed Mohammed Sadiq al-Sadr (Jerusalem secret) Jhbz of the geniuses of thought and interpretation and jurisprudence the assets have been trying to read the book (Mena Mannan in the defense of the Qur'an) , and I was impressed by his own way in the discussion of ideas and opinions , and found it to be familiar with the ideas and theories of modern theoretical context, and this shows to keep up with Mr. martyr of the modern era , and brief him on most of the visions and ideas of modern , especially that has to religion , Islam and the Koran irrelevant that the application of the theory of context on the text of the Quran is his privacy ; because the

Quranic text Porter aspects as multiple faces multiple contexts shall be an impact in guiding significance and diversification. came this study was to give a clear picture of the theory of context Quranic in his book (Menna Mannan in the defense of the Qur'an) , especially in the introduction to his book , it serves as a pioneer in the theory of contextual approach did not entrust it in the books of the previous interpretation of the master is not in the books that deal with the Qur'an ,

On it (Jerusalem secret) may thousand book for the elite conscious in the Muslim community has identified reader book two layers are university students , and the community seminary , was built on the style theses (questions and answers) , and took the method of interpretation is smart and different from the rest of the commentators began from the end of the Holy Quran ; because he sees that the wall did not give the right of interpretation Vamufsrn straining themselves in the fence sleepless and the like , and when they reach the fence Kassar comes interpret the short, concise , and reached according to the method of Allatafrat that in the Qur'an many things including: perfection and shortages , and good and evil , and a little and a lot , the melody and the rules of Arab and foreign languages. has reached Mr. martyr in this introduction to the context of verbal and committed the most important in the science of language , and the context of moral committed in assets

and jurisprudence. And Seyed Mohammad Sadr (Jerusalem secret) efforts and clear in theory context dealt with this search.

الشيرازي ودوره في تأسيس حوزة سامراء العلمية

أ.م.د. ريم هادي مرهج الذهبي

م.د. غفران محمد عزيز الدعيمي

جامعة ميسان / كلية التربية / قسم التاريخ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وعلى آله المنتجبين الغر الميامين.

لا يخفى علينا ما للحوزة العلمية من دور كبير على مستوى التاريخ، في معالجة جميع المشاكل الحياتية، وإيجاد الحلول المناسبة للوقائع المختلفة، ومن بين تلك الحوزات حوزة سامراء العلمية التي لها دور ريادي كبير في معالجة العديد من الأزمات التي مرت بالأمة الإسلامية، فضلا عن دورها في الجوانب العلمية والثقافية والمسائل الفكرية والعقائدية والعبادية والأخلاقية، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتي يرجع الفضل في وضع البذرة الاولى للحوزة في سامراء ، المجدد الميرزا محمد حسن الشيرازي (أعلى الله مقامه) الذي هو مؤسسها .

تنطلق الدراسة من الوقوف على الاسباب والنتائج وراء قدوم المجدد الشيرازي الى حوزة النجف المقدسة والانتقال الى سامراء ثم الاستقرار فيها وتأسيس الحوزة فيها واصدار الاحكام والفتاوي منها .

وتصب الدراسة في عرض موضوع المجدد الشيرازي ودوره في تأسيس حوزة سامراء واشتمل البحث على مطلبين تعلق المطلب الاول حول سيرته الشخصية والعلمية والعملية. اما المطلب الثاني تناولنا فيه ، تأسيس حوزة سامراء ، منطلقين من اهم

الاسباب والدوافع التي كان لها الاثر في الانتقال من مدينة النجف الى مدينة سامراء والاستقرار فيها والقيام باعمال عديدة على الجانب الاقتصادية والثقافي والعمراني في مدينة سامراء كما كان له ايضا مواقف كبيرة في المجالين الاجتماعي والسياسي ، ثم خاتمة البحث التي نعرض فيها ما توصلنا له من نتائج، ثم قائمة المصادر المعتمدة لدينا.

المجدد الشيرازي سيرته الشخصية والعلمية والعملية

لسيرته الشخصية

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

السيد أبو محمد معز الدين الميرزا محمد حسن بن ميرزا محمود بن محمد إسماعيل بن فتح الله بن عابد بن لطف الله بن محمد مؤمن الحسيني ، المنتهي نسبه إلى الإمام الحسين (عليه السلام) (١) .

لقبه :

وقد اشتهر بالميرزا الشيرازي (٢) ، كما عرف بالمجدد الشيرازي (٣) .

مولده ونشأته:

ولد محمد حسن الشيرازي في مدينة في مدينة شيراز (٤) في ١٥ جمادى الأولى عام (١٢٣٠ هـ) ، فيما يتعلق بنشأته ، لم تعطينا المصادر معلومات وافية في مرحلة الطفولة واكتفت بالاشارة الى انه كان يتيما ، وتولى رعايته خاله المرحوم السيد ميرزا حسين الموسوي ، الذي كان بمثابة والده ، لأنه فقد والده المرحوم السيد محمود وهو طفل صغير (٥) وكان بيته معروفا بشيراز ، وله في ديوان دولة شيراز شأن (٦) .

أسرته:

لم تسعفنا المصادر كثيرا عن أسرته سوا ما وقع بين أيدينا بان والده السيد محمود الشيرازي الذي كان من رجال الدين، وانه توفي فتولى تربيته خاله الميرزا حسن الموسوي المعروف بمجد الأشرف. (٧)، وتزوج ببنت عمه، فأنجبت له ولدا باسم علي وبنتا، توفيت زوجته الأولى سنة ١٣٠٣ للهجرة، وكان له زوجة أخرى، وله منها ابنا باسم محمد وبنتا (٨).

سيرته العلمية

بداية تحصيله العلمي:

نشأ المجدد الشيرازي نشأة علمية منذ نعومة أظافره فقد كان خاله الميرزا حسين الموسوي شديد الحرص في توجيه الوجهة الصحيحة حيث أراد خاله ان ينشئه خطيبا ، فوجهه إلى ذلك ، فدخل الكتاتيب لتعلم القرآن الكريم، ودرس الأدب الفارسي في الرابع من عمره وخلال سنتين أتم ذلك، ثم انكب على دراسة الصرف والنحو، وفي الثمانية أكمل دروس مقدمات الحوزة. (٩) والظاهر أن السيد كان يتمتع بقابلية جيدة من الذكاء والفتنة، مما ساعده على تقبل هذه العلوم وتلقيها بصورة أهله لدراسة كتاب شرح "اللمعة الدمشقية" وهو في الخامسة عشرة من سنيه (١٠)

ثم بدأ بدراسة الفقه وأصوله، وفي الثانية عشر من عمره حضر درس الشيخ محمد تقي الشيرازي، وكان من كبار شراح اللمعة في شيراز، كما وبوصية من أستاذه توجه لتكميل دراسته إلى أصفهان (١١) وهو حينذاك عمره الثامنة عشر، (١٢). حتى إذا أكمل دراسة الكتب الأولية المقررة للدراسة الحوزوية وهي ما تسمى بـ «السطوح» انتقل إلى أصفهان عام ١٢٤٨ هـ ، لأنها كانت مركزا مشهورا لدراسة علوم الشريعة - حينذاك - لما تضم من أعلام الفقه ومدرسي الأصول ، وقد وصفها

المصادر- حينذاك- بـ «دار العلم» (١٣). فقرأ- هناك- على الشيخ محمد تقي، مؤلف حاشية «المعالم»، ثم حضر على مير السيد حسن البیدآبادي الشهير بالمدرس حتى حصلت له الإجازة منه قبل بلوغه العشرين من العمر (١٤). كما حضر درس الشيخ محمد إبراهيم الكلباسي فترة من الزمن. (١٥). وبعد ان قد أكمل الدراسات الأولية للعلوم الإسلامية، خاصة المتعلقة بالفقه والأصول، أصبح مؤهلاً لتحصيل الدراسات العليا، والتي تعتمد التلقي المباشر من الأستاذ دون واسطة كتاب، فقرر الانتقال إلى الجامعة النجفية، ففي عام ١٢٥٩ هـ- انتقل من أصفهان إلى النجف الأشرف متبركاً بالتشرف بزيارة مرقد الإمام علي (عليه السلام)، ثم التحق عند بدرس الشيخ محمد حسن النجفي (١٦) صاحب كتاب جواهر الكلام، والشيخ حسن كاشف الغطاء ابن الشيخ جعفر (١٧) مؤلف كتاب "أنوار الفقاهة"، كما تتلمذ لفترة قصيرة على السيد إبراهيم بن محمد القزويني الحائري (١٨) المقيم في كربلاء، صاحب كتاب "ضوابط الأصول"، غير أنه استقر على ملازمة درس الشيخ مرتضى الأنصاري (١٩)، كان المجدد من خواص تلامذة الشيخ الأنصاري، وفي خلال ملازمته لدرس الشيخ الأنصاري توطدت العلاقة بين الأستاذ وتلميذه إلى درجة أن أخذ الشيخ يعظمه بمحضر طلابه، وينوه بفضله، ويعلي سمو مرتبته في العلم، كما أشار إلى اجتهاده أكثر من مرة، في حين لم يشر إلى اجتهاد أحد من قبل (٢٠).

فقد اشار الى ذلك الشيخ الأنصاري ما ذكر أنه قال مرارا : بأني أباحث لثلاثة (أشخاص) المجدد حسن الشيرازي والميرزا حبيب الله الرشتي ، والآغا حسن الطهراني (٢١) وبعد وفاة الشيخ الأنصاري .اجتمع تلامذة الشيخ الأنصاري في دار الشيخ الميرزا حبيب الله الرشتي، وكان ممن حضر الميرزا حسن الأشتياني، وحسن نجم آبادي وعبد الرحيم النهاوندي، وتدارسوا أمر المرجعية العامة، وترشيح من هو أهل لها،

وافقت كلمتهم على تقديم المجدد الشيرازي لرئاسة المرجعية لما له من المؤهلات والخصائص التي تجعله أن يكون المرشح الأكثر قبولا لدى الأمة، وكان ذلك باقتراح من الميرزا حسن الأشتياني وكان المجدد الشيرازي في بداية الأمر مخالفا لهذا الاختيار مقدما حسن نجم آبادي لهذا المنصب، وكان يرى أنه أهل لذلك، ولكن في النهاية وبالحاح من العلماء والفقهاء تسلم مرجعية الشيعة (٢٢).

مؤلفاته:

من أشهر مؤلفات المجدد الشيرازي هي :

١- تحريرات في الاصول .

٢- تحريرات في الفقه .

٣- كتاب الطهارة .

٤- كتاب الصلاة .

٥- رسالة الاجتماع في الأمر والنهي .

٦- كراريس فيها السؤالات بخط سماحته .

٧- حاشية على نجاة العباد .

٨- رسائل عملية أخرى ، إضافة الى مجموعة من التقارير (٢٣).

مكانته العلمية وتلامذته:

ليس من شك في ان ما بذله المجدد الشيرازي من جهد علمي وسعي دؤوب في طلبه للعلم واللقاء بالعلماء والشيوخ والانتفاع بهم من معارف وعلوم عديدة لاسيما علوم القرآن وعلوم الحديث النبوي الشريف والفقه والادب، فقد وقال المرحوم الحجة المحقق السيد حسن الصدر عنه : "أفضل المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء والمحدثين ، والحكماء والمحققين من الأصوليين ، وجميع المتفنيين حتى النحويين والصرفيين

فضلا عن المفسرين والمنطقيين" (٢٤) ويتحدث المرحوم الحجة المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني عن المجدد الشيرازي ، فيقول : "أعظم علماء عصره وأشهرهم ، وأعلى مراجع الإمامية في سائر الأقطار الإسلامية بوقته" (٢٥).

اما تلامذته فقد ذكر اغابزرك الطهراني عدد أسماء (٣٧٢) شخصا ممن تتلمذ على السيد الإمام الشيرازي سواء في النجف الأشرف ، أو سامراء (٢٦). ومن أشهرهم:

- ١- السيد إبراهيم الدامغاني الخراساني المتوفى عام ١٢٩١ هـ .
- ٢ - السيد إبراهيم بن مير محمد علي الدرودي الخراساني الكاظمي المتوفى عام ١٣٢٨ هـ - وكان من الملازمين لدرس السيد حتى آخر عمره ، وأقام أخيرا في الكاظمية.
- ٣ - الميرزا إبراهيم الشيرازي.
- ٤ - الميرزا إبراهيم بن مولى محمد علي بن أحمد المحلاتي الشيرازي المتوفى بعد عام ١٣١٦ هـ - من العلماء الأجلاء.
- ٥ - ملا أبو طالب كزافي السلطان آبادي ، المتوفى عام ١٣٢٩ هـ ، وصف بأنه عالم فاضل متقي.
- ٦ - ميرزا أبو الفضل ابن ميرزا أبو القاسم ، المعروف بـ كلان تري نوري طهراني ، من أهل الفضل والعلم والتاريخ والرجال والأدب ، توفي عام ١٣١٧ هـ -
- ٧ - الشيخ إسماعيل الترشيدي المشهدي ، المتوفى بعد عام ١٣٢٠ هـ - من العلماء الأجلاء.
- ٨ - السيد إسماعيل السيد رضي الحسيني الشيرازي ، المتوفى عام ١٣٠٥ هـ ، ابن عم سيدنا المترجم من العلماء الأجلاء ، وكان من مستشاري السيد الشيرازي ، وكان له درس خاص عنده.

٩- الشيخ إسماعيل بن الملا محمد علي المحلاتي النجفي المتوفى عام ١٣٤٣ هـ ، وبعد وفاة السيد الشيرازي أقام في النجف وهو من العلماء الأجلاء.

١٠- الشيخ محمد باقر بن عبد الحسن الإصطهباناتي الشيرازي استشهد عام ١٣٢٦ هـ- في شيراز من أكابر وأعلام شيراز ، ومن مبرزى طلاب السيد جامع العلوم العقلية والنقلية.

تأسيس حوزة سامراء

فلما وصلت إليه زعامة المذهب واستقر به المقام في النجف الأشرف، قرر التوجه إلى مدينة سامراء التي تضم مرقد الإمامين : علي الهادي والحسن العسكري(عليهما السلام)، وفيها غيب الإمام محمد المهدي الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، ويقصدها على مدار السنة عدد غير قليل من المسلمين الإمامية من داخل العراق وخارجه لزيارة الإمامين العسكريين (عليهما السلام)، والتبرك بمرقدهما الطاهر، وسكان هذه المدينة من المسلمين السنة منذ عهد العباسيين الذين أسسوها واعتبروها عاصمة لهم في عهد من عهودهم.وعندما رسخت مرجعية الإمام المجدد الشيرازي في الأقطار الإسلامية قرر الانتقال من النجف إلى سامراء، ولم يعلن عن تصميمه في بداية الأمر لأنه كان يخشى ضغط العلماء وهيجان الجماهير عليه مما يضطره لترك الفكرة، وهو مصمم على إنجازها لما فيها من مصلحة للأمة، وفي عام ١٢٩١ هـ تشرف السيد المجدد الشيرازي إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في النصف من شعبان ، وبعد الزيارة توجه إلى الكاظمية لزيارة الإمامين : موسى بن جعفر ، ومحمد الجواد عليهما السلام ، ثم توجه إلى سامراء فوردها أواخر شعبان ، ونوى الإقامة فيها لأداء فريضة الصيام ، ولئلا يخلو الحرم الطاهر للإمامين العسكريين من الزوار في ذلك الشهر- فإن الحرم يغلق إذا جاء الليل ولم يكن فيه

أحد من أمثاله ويحرم منه سائر الزوار ، وكان يخفى قصده ، ويكتم رأيه ، وبعد انقضاء شهر الصيام كتب إليه بعض خواصه من النجف الأشرف يستقدمه ويسأله عن سبب تأخره ، فعند ذلك أبدى لهم رأيه ، وأخبرهم بعزمه على سكنى سامراء ، فبادر إليه العلامة ميرزا حسين النوري ، وصهره الشيخ فضل الله النوري ، والمولى فتح علي السلطان آبادي ، وبعض آخر ، وهم أول من لحق به ، وبعد أشهر اصطحب الشيخ جعفر النوري عوائل هؤلاء إلى سامراء أوائل عام ١٢٩٢ هـ ثم لحق بهم سائر الأصحاب والطلاب والتلاميذ ، فعمرت به سامراء ، والكثير من المسلمين الشيعة الذين يرغبون في البقاء إلى جنب زعيمهم الديني المجدد الشيرازي ، والتشرف بمجاورة مرقد الإمامين العسكريين (عليهما السلام) ، والاستفادة من فضله وتوجيهه والانضواء ضمن مرجعيته والانتظام بحوزته درسا وتديسا ومتابعة. (٢٧)

فعندما نقل المرحوم الشيرازي الكبير مقر زعامته وحلقة درسه إلى سامراء ، كان لابد أن تزدهر الحركة العلمية في هذه المدينة ، وأن يتوفر لها جاذب قوي لكبار العلماء وأساتذة أجلاء ، الذين بدؤوا يتوجهون إلى سامراء تباعا ، ويقيمون فيها حلقات دروسهم وأبحاثهم. واخذت الاموال تتدفق عليه من جميع الاقطار الاسلامية (٢٨) فقد ذكر بعض الفقهاء أقوال كثيرة في سبب هجرته الى مدينة سامراء منها :

يرى البعض أن السبب رغبته في الاعراض عن الرئاسة ، وتخلصا من قيودها ، وطلبا للانزواء والعزلة عن الخلق (٢٩) وقيل أن سبب ذلك أنه لما صار الغلاء في النجف سنة ١٢٨٨ هـ - وصار يدر العطاء على أهلها ، ثم جاء الرخاء عن قريب جعل الناس يكثرون الطلب عليه ، وجعل بعض أعيان النجف يفتل في الذروة والغارب لينفر الناس منه ، فتضايق من ذلك ، وخرج إلى كربلاء في رجب سنة ١٢٩١ هـ ، ثم توجه إلى

الكاظمية فسامراء ، ودخلها في شعبان من تلك السنة ، وأقام فيها أياما ، ثم عزم على الإقامة فيها، وأرسل على كتبه ، وأثاثه ، وتبعه أصحابه (٣٠).

أنه تضايق من وجود بعض الفرق الجاهلة فيها (٣١).

أن الباعث على الهجرة هو إرادة الإنفراد لانحياز سامراء وبعدها عن مجتمع العلماء ومن يدعي العلم، فيتم له فيها ما لا يتم له في غيرها. قد يكون العزم على الهجرة إرادة عمران البلد وتسهيل أمور الزائرين الوافدين إليها، ورفع ما كان يقع عليهم من المشقات، حيث كان في عهده قبل سكناه فيها بمنزلة قرية صغيرة، فلما سكنها عمّرت عمراناً فائقاً وبُنيت فيها الدور والأسواق وسكن فيها الغرباء ومن يطلب المعاش وكثر إليها الوافدون وصار فيها عدد من طلاب العلم والمدرسين لا يستهان به (٣٢). إن للشخصيات الكبيرة الدور المهم في صنع التاريخ، وكلما كان نفوذ وتأثير الشخص قوي في أتباعه وأنصاره ومقلديه سيؤدي لا محالة إلى ازدهار الحركة العلمية وتوفر الجذب القوي لكبار العلماء، وكان ذلك متمثلاً بتوجه الميرزا الشيرازي المجدد الكبير إلى سامراء، حيث كان ذلك عصر ازدهار الحركة العلمية في حوزة سامراء. وصار ينفق الأموال الطائلة في سامراء، وكسب قلوب شيوخ العشائر في المدينة، فقد شيد أكبر مدرسة دينية في العراق تعرف باسم (مدرسة الميرزا) كما بنى سوقاً كبيراً ودوراً وجسراً (٣٣).

ولم يقتصر على الجانب الاقتصادي والثقافي فحسب بل كان له مواقف كبيرة في المجالين الاجتماعي والسياسي إذ امتنع المجدد الشيرازي من استقبال الشاه ناصر الدين القاجري (٣٤) عند زيارته للعبات المقدسة في العراق ثم أرسل الشاه إلى العلماء مبالغ نقدية ، فقبلت منه ، إلا السيد الشيرازي فقد رفض قبولها مما اضطر الشاه أن يرسل وزيره حسن خان إليه معاتباً ، وطالبا منه ان يزوره ، فأبى السيد -

رحمه الله - وبعد الإلحاح الشديد عليه والوسائط المتعددة ، قبل السيد أن يلتقي به في الحضرة الشريفة العلوية، وتم الاجتماع بينهما ولم يطلب السيد من الشاه شيئاً (٣٥). وبذلك فقد كسر التقاليد السائدة لرجال الدين للخروج لاستقبال حكام المسلمين (٣٦).

اخمد الفتنة الطائفية:

كان البريطانيون يتحنون الفرص لإيجاد موطئ قدم لهم في العراق الذي كان تحت الهيمنة العثمانية، وكانت ملامح الأيدي البريطانية تبين واضحة في أي نزاع طائفي، حتى وإن كان بين شخصين وسط السوق أو في أي مكان آخر. ومن جملة النزاعات التي كانت تحصل بين الشيعة والسنة، ما حصل بين من شجار بين رجل سني وعالم دين شيعي في سامراء، ولم تنته المشكلة بسهولة، إنما تطورت وجرت أعوان وأنصار من الجانبين، حتى بلغ الأمر لأن يقوم بعض المغرر بهم لأن يرشقوا بيت المجدد الشيرازي بالحجارة والإساءة اليه، فشاع الخبر في انحاء البلاد وكاد أن يتطور الموقف الى نزاع مسلح وفتنة طائفية خطيرة، لولا حكمة وتبصر السيد الشيرازي وقيامه بتطويق الازمة وتهذئة الخواطر بحنكة القائد والأب المصلح الذي يضع مصلحة الامة والدين فوق كل اعتبار. فكان أول المتدخلين؛ البريطانيون، فسارع القنصل البريطاني في بغداد للسفر الى سامراء بمعية القنصل الروسي، لإعلان تأييد حكومتيهما للمجدد الشيرازي، بيد أنهما لم يكسبا سوى الخيبة، لان السيد المجدد رفض استقبالهما وأبلغهما بالواسطة أن ليس هناك ما يدعو للقلق لقد حصل شيء ما بين ابنائنا ونحن قادرون على تجاوزه بالحسنى ولسنا بحاجة لمساعدة أحد (٣٧).

وبغض النظر عن حجم التفاعل لدى أهالي سامراء مع مشروع التعايش الذي طرحه المجدد الشيرازي، فإن المبادرة بسمتها الحضارية تحسب للحوزة العلمية، وتمثل نقطة مضيئة في التاريخ، كما يمثل التنكّر لها وصمة عار وبداية انحراف خطير. تحريم التنباك:

هذه القضية من أهم القضايا الساخنة التي تعرضت لها مرجعية الإمام الشيرازي ، وكان موقفه الجريء يمثل انتفاضة عارمة ضد السلطة حينذاك ، وأكدت أن (سلطان الدين أقوى من كل سلطان) (٣٨).

ذكرت المصادر بأن ناصر الدين شاه القاجاري عقد اتفاقية مع شركة إنجليزية باحتكار (التبغ الإيراني) ، وأثر هذا الامتياز للشركة الأجنبية على الحركة التجارية الداخلية والسوق المحلية ، وكلما حاول الأهالي انشاء الشاه عن عقد هذه الاتفاقية لم يجد نفعا ، وأصر على إبرامها وتنفيذها. وتنص هذه الاتفاقية على أن تتولى الشركة زراعة التبغ وبيعه وتصديره لمدة خمسين عاما بدءا من سنة ١٨٩٠ م ، كما حدث في الهند (٣٩).

وعلى أثر ذلك اندلعت انتفاضة شعبية عام ١٨٩٠ م بقيادة العلماء في إيران ، وكان من أبرز المجتهدين في طهران الذين قادوا الانتفاضة آية الله الميرزا محمد حسن الآشتياني - قدس سره - ، وأدرك علماء إيران أن توفير فرصة أكبر لنجاح الانتفاضة الشعبية من أجل إلغاء الاتفاقية يتطلب دعم وتأيد المرجع الأعلى للشيعة السيد الشيرازي ، فأرسل عدد منهم برقيات إليه طالبين منه دعمهم ، فرد عليهم طالبا منهم توضيحا أكثر لمطالبهم (٤٠).

كما أرسل السيد الشيرازي - في الوقت نفسه - رسائل عديدة إلى الشاه يطالبه فيها بـ (الاستجابة للرعية في إلغاء الاتفاقية) (٤١) . غير أنه عند ما يئس من إقناعه بالغائها ، أصدر فتواه الشهيرة (٤٢) . والتي كان نصّها :

بسم الله الرحمن الرحيم

« استعمل التنباك والتتن حرام بأي نحو كان ، ومن استعمله كمن حارب الإمام عجل الله فرجه . محمد حسن الحسيني الشيرازي » (٤٣) ، وتحدثنا المصادر بأن هذه الفتوى كانت بمثابة (القبلة) من حيث تأثيرها على المجتمع الإيراني فقد تم استنساخها بمائة ألف نسخة ، وزعت في مختلف أنحاء إيران وتليت من على المنابر في المساجد والحسينيات (٤٤) :

إن جميع أهالي إيران تركوا التدخين ، وكسروا (النارجيلات) وكل آلة تستعمل للتدخين في بلاد إيران ، حتى أن نساء قصر الشاه كسرن آلات التدخين في القصر ، وعرف الشاه هذه الحقيقة التي لم يتصورها لحظة ما ، بأن قوة المرجع الديني أقوى من سلطته . إن ملايين من المتعاطين للتنباك - حينذاك - في إيران تركوا التدخين امتثالاً لأوامر الإمام الشيرازي ، وكانت النتيجة المباشرة للفتوى والانتفاضة إرغام حكومة الشاه على إلغاء الاتفاقية ، فإن نتائجها الفكرية والسياسية في إيران والعراق كانت بعيدة الأثر ، وادرك شاه خطورة الموقف الذي هدد عرشه الى الاعلان رسمياً عن إلغاء الامتياز في ٢٦ كانون الثاني ١٨٩٢ ، واعلن انتهاء المناورات بين الحكومة والمعارضة (٤٥) ودفع ناصر الدين شاه خسارة الشركة (٤٦) .

وبالرغم من أن قضية (التنباك) ، قد حصلت في إيران ، وأن ما أسفر عنها من تفاعلات ونتائج أثرت بشكل أساسي في المجتمع الإيراني ، فقد كان لها صدى قويا في العراق ، ولا سيما في المناطق والمدن الشيعية ، الذي كانت من بين أسبابه تشابك

العلاقات بين هذه المناطق والمدن وإيران ، وانعكاس الأحداث عليها ، وكذلك بسبب التدخل للمرجع الأعلى- الذي مقره في العراق- في القضية ، وتزعمه للانتفاضة وقد تابع العراقيون ، وخاصة في المناطق الشيعية تلك الأحداث باهتمام كبير. وأما داخل الحوزات والحلقات والمدارس العلمية فانها أثارت جدلا فكريا وسياسيا عاما (٤٧).

وهكذا مثلت الفتوى التي أصدرها الإمام الشيرازي ، وتدخله المباشر في قضية التنبأ ، والانتفاضة المتولدة عنها ، إحدى أهم المواقف والنشاطات الفكرية والسياسية للعلماء المسلمين الشيعة في العراق في أواخر القرن التاسع عشر ، وشكلت مظهرا رئيسيا من مظاهر الاتجاه الثقافي الفكري السياسي الإسلامي الذي مهد لقيام الحركة الإسلامية في العراق أوائل القرن العشرين (٤٨).

ونستنتج من ذلك مهما كان دوافع واسباب المجدد الشيرازي الانتقال الى سامراء استطاع وبفترة وجيزة ان يجعل سامراء من قرية صغيرة الى مدينة عامرة ومزدهرة فمدينة سامراء بتعدد طوائفها أعطت صورة واضحة للوحدة الإسلامية والتكاتف بين أبناء الطوائف الإسلامية وهذا ما يمثل نقطة قوة للإسلام والمسلمين. فقد استطاع المجدد الشيرازي أن يجعل من مدينة سامراء، مدينة العلم والتعلم، ومهبط أفئدة العلماء والدارسين. وكان لوجود المرجعية الدينية في مدينة سامراء الأثر الواضح في جميع المجالات العلمية منها والسياسية والاقتصادية والوحدة الوطنية. واستطاع المجدد الشيرازي أن يثبت لجميع العالم كيف يستطيع الإسلام أن يبني من مدينة بائسة - حين رحيله إليها - مدينة العلم والحضارة، ونشط فيها الدراسة الحوزوية ومنحها بعدا جغرافيا واسعا.

توفي المجدد الشيرازي الكبير في مدينة سامراء المقدسة، عام (١٣١٢) للهجرة النبوية المقدسة. وقد طيف بجثمانه الطاهر حول ضريح الإمامين العسكريين صلوات الله عليهما، وجدد به العهد بالسرداب المقدس لمولانا بقيّة الله الإمام المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف، ثم حمل جثمانه على الأيدي والأكتاف من

سامراء المقدسة ومشيا على الأقدام إلى مدينة الكاظمية المقدسة. (٤٩)

ثم شيع جثمانه الشريف عبر بغداد إلى مدينة كربلاء المقدسة، ثم إلى مدينة النجف الأشرف على الأيدي والأكتاف ومشيا على الأقدام، ووري الثرى في الصحن ال وبعد موت المجدد الشيرازي الكبير، ومضي ٢١ سنة له في سامراء، انتقل ثقل الزعامة الدينية من جديد إلى النجف الأشرف، وكان طبيعيا أن تعقد الرئاسة والمرجعية الكبرى لزميله العالم الشيخ حبيب الله الرشتي، لكنه هو الآخر توفي في نفس السنة، ومن هنا تحولت الرئاسة والمرجعية العلمية لجملة من العلماء المجتهدين الكبار، منهم: العلامة محمد الشرياني، والعلامة الشيخ حسن المامقاني، وغيرهم (٥٠) وحيث لا يوجد من يقوم مقام المجدد الكبير في إدارة شؤون المدينة فضلا عن الحوزة العلمية، تعطلت على أثرها المدرسة، ولعل في السنين الأخيرة أشرفت على الخراب (٥١)

الخاتمة

الميرزا محمد حسن الشيرازي الملقب بالشيرازي الأول، وبالمجدد الشيرازي (قدس سره) ، كان يتمتع بقابلية جيدة من الذكاء والفطنة، إذا أكمل دراسة الكتب الأولية المقررة للدراسة الحوزوية ثم انتقل إلى أصفهان لاكمال دراسته الدينية وكان عمره ٢٩ ، وفي سنة (١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م) قرر اكمال دراسات عليا والتي تعتمد

التلقي المباشر من الأستاذ دون واسطة كتاب، وهي ما تسمى في عرف الحوزويين بـ (بحث الخارج) فانتقال إلى حوزة النجف الاشرف، والتي كانت تزخر بأعلام الفقه والأصول .

وبعد ان اتفقت كلمة العلماء والفقهاء على تقديم الميرزا الشيرازي لرئاسة المرجعية لما له من المؤهلات والخصائص التي تجعله أن يكون المرشح الأكثر قبولاً لدى الأمة، تزعم الحوزة العلمية في النجف الاشرف ثم نقل المجدد الشيرازي مقر زعامته وحلقة درسه من النجف إلى سامراء، كان لابد أن تزدهر الحركة العلمية في هذه المدينة، وأن يتوفر لها جاذب قوي لكبار العلماء وأساتذة أجلاء، الذين بدؤوا يتوجهون إلى سامراء تباعاً، و يقيمون فيها حلقات دروسهم وعمر البلاد وسهل أمور الزائرين الوافدين إليها، ورفع ما كان يقع عليهم من المشقات، حيث كان في عهده قبل سكناه فيها بمنزلة قرية صغيرة، فلما سكنها عمّرت عمراناً فائقاً وبُنيت فيها الدور والأسواق وسكن فيها الغرباء ومن يطلب المعاش وكثر إليها الوافدون وصار فيها عدد من طلاب العلم والمدرسين لا يستهان به ، حيث ازدهرت على يده الحركة العلمية، وتوافدت إليها العلماء والطلبة، وعمّرت فيها المدارس الدينية، واستمرت إلى قرابة عشرين سنة، وهي في أوج حركتها العلمية في مختلف العلوم الدينية واستطاع اخماد الفتنة الطائفية و اعلان الوحدة الاسلامية مع مشروع التعايش الذي طرحه المجدد الشيرازي، فان المبادرة بسمتها الحضارية تحسب للحوزة العلمية، وتمثل نقطة مضيئة في التاريخ.

كما استطاع ان يوقف التدخل الاجنبي في شؤون البلاد لاسيما بعد اعلان فتوى تحريم التنباك إحدى أهم المواقف والنشاطات الفكرية والسياسية للعلماء المسلمين الشيعة في العراق في أواخر القرن التاسع عشر ، وشكّلت مظهرها رئيسياً من مظاهر

الاتجاه الثقافي الفكري السياسي الإسلامي الذي مهد لقيام الحركة الإسلامية في العراق أوائل القرن العشرين ضد التدخل الاجنبي.

وبعد وفاته سنة (١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م) نقلت الزعامة الدينية إلى حوزة النجف الأشرف. الهوامش:

١ () آغا بزرگ الطهراني، محمد محسن، ميرزا شيرازي، ط ٢، طبع وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران ١٣٦٣ هـ، ص ٢٢.

٢ () العاملي، محسن الأمين، أعيان الشيعة، بيروت لبنان، دار التعارف، ١٤٠٣ هـ، ج ٥، ص ٣٠٤.

٣ () الشيخ آغا بزرگ الطهراني - نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة)، مطبعة سعيد، مشهد، ١٤٠٤ هـ، ج ١، ص ٤٣٦.

٤ () شيراز: قسبة بلاد فارس، شبهت بجوف الاسد لانه لا يحمل منها شي الى جهة من الجهات ويحمل اليها لذلك سميت شيراز. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)، معجم البلدان، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ج ٣، ص ٣٨٠-٣٨١.

٥ () آغا بزرگ الطهراني، ميرزا شيرازي، ٣٠.

٦ () العاملي، أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٠٤.

٧ () آغا بزرگ الطهراني، ميرزا شيرازي، ٣٠.

٨ () المدني، السرى محمود، الميرزا الشيرازي؛ احيى اكر قدرت فتوا، التعريب: محيي قدرة الفتوى، ط ١، مركز الاعلام الإسلامي للنشر والطباعة، قم، ١٣٧١، ص ٣٨.

٩ () آغا بزرگ الطهراني، الميرزا الشيرازي، ص ٢٧.

١٠ () م. ن، ج ١، ص ٣٧٤؛ الروزدری، علي، تقريرات آية الله المجدد الشيرازي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، الطبعة الأولى، د ت، ج ١، ص ١٥.

١١ () اصفهان: وهي مدينة عظيمة مشهورة من اعلام المدن واعيانها، وهي اسم للاقليم باسره، وهي مننواحي الجبل لافي اخر الاقليم الرابع. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٠٦-٢١٠.

١٢ () آغا بزرگ الطهراني، نقباء البشر، ج ١، ص ٣٧٤.

١٣ () العاملي، أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٠٤.

١٤ () م. ن، ج ٥، ص ٣٠٤.

١٥ () م. ن، ج ٥، ص ٣٠٤.

^{١٦} () الشيخ محمد حسن النجفي الاصفهاني العاملي من مراجع الشيعة و مجتهديه في القرن الثالث عشر بعد الهجرة. و عرف بصاحب الجواهر. ن أعلام الطائفة الإمامية وفقهاء الاثني عشرية. نبغ في النجف الأشرف، وانتهت إليه مرجعية الشيعة ورئاسة الطائفة. ولد الشيخ (صاحب الجواهر) حدود سنة (١١٩٢ هـ) في دار والده المجاورة للصحن الحيدري الشريف. توفي صاحب الجواهر في غرة شعبان يوم الأربعاء عند زوال الشمس سنة (١٢٦٦ هـ) في النجف الأشرف ودفن في مقبرته المعروفة والمجاورة لمسجده المشهور. للمزيد ينظر: أغابزرگ الطهراني؛ الذريعة الى تصانيف الشيعة ، بيروت، دارالاضواء، ١٤٠٣، ج٥، ص٢٧٥؛ ج١١، ص٢١٤؛ ج١٢، ص٤٣؛ ج٢٤، ص٥٩.

^{١٧} () السيد حسن ابن الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر كاشف الغطاء، وهو النجل الثالث للشيخ جعفر الكبير. ولد عام ١٢٠١ هـ بمدينة النجف الأشرف، فكان إماما رئيسا فقيها زاهدا صالحا صدوقا طاهر القلب، له نوادر ومداعبات، مواظبا على السنن والآداب، أديبا شاعرا، وجيها عند الولاية، توفي (قدس سره) في الثامن والعشرين من شوال أو ذي القعدة ١٢٦٢ هـ، ودفن بجوار مرقد أبيه في مقبرة الأسرة بالنجف الأشرف. العاملي، أعيان الشيعة، ج٥، ص٣٥.

^{١٨} () السيد إبراهيم بن محمد باقر الموسوي القزويني المعروف بصاحب الضوابط ١٥ - ١٧٩٩ سبتمبر ١٨٤٨ هـ فقيه شيعي، ويعد من أشهر أعلام أسرة آل القزويني العلمية في كربلاء ولد في ذي الحجة ١٢١٤ هـ بمدينة قزوین في إيران. درس العلوم الدينية في كربلاء المقدسة، ثم سافر إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته الحوزوية، ثم عاد إلى كربلاء واستقر بها، فتصدى للتدريس والتأليف، وصار من العلماء البارزين بها. توفي (قدس سره) عام ١٢٦٢ هـ بكربلاء المقدسة، ودفن في داره فيها. الخوانساري، محمد باقر الموسوي (١٣١٣ هـ/ ١٨٩٥ م)، الروضات الجنات في احوال العلماء والسادات، بيروت، د.ت، ج١، ص٣٨؛ حرز الدين، محمد حسين، معارف الرجال في تراجم العلماء و الادباء، د.م، د.ت، ج١، ص١٨.

^{١٩} () مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى بن شمس الدين بن محمد شريف الأنصاري (المعروف بالشيخ الأنصاري) من كبار علماء الشيعة في القرن الثالث عشر. استلم المرجعية العامة بعد محمد حسن النجفي صاحب كتاب جواهر الكلام هو رجل دين وفقيه ومرجع شيعي إثني عشري. لقب الشيخ الأنصاري بـ خاتم الفقهاء والمجتهدين، و ايضا يعرف الأنصاري في الأوساط الشيعية بلقب الشيخ الأعظم، وهو ممن قل له نظير وشبيه في دقته وبعد نظره، كما أن تجديده لبعض نواحي التفرعات في علم الأصول أدى إلى تطور في علم الفقه، ويعتبر كتاباه: الرسائل والمكاسب من الكتب الأساسية في دراسة طلاب العلوم الحوزوية. والفقهاء الذين أتوا بعده تلامذته ومطورون لمنهجه، ولأهمية آثاره؛ تم إضافة حواش وتعليقات عليها، كان يضرب به المثل في الزهد والتقوى. توفي سنة ١٢٨١ ق، ودفن في النجف الأشرف. مطهرى، مرتضى، مجموعة

آثار، د.م، د.ت، ج١، ص٤٣٧؛ https://ar.wikipedia.org/wiki/مرتضى_الأنصاري

- ٢٠) (العالمي، اعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٠٤؛ اغا بزرك الطهراني، نقباء البشر، ج ١، ص ٤٨٣.
- ٢١) (م.ن، ج ١، ص ٤٨٣.
- ٢٢) (م.ن، ج ١، ص ٤٨٣.
- ٢٣) (العالمي، اعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٠٥؛ اغا بزرك الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ج ٤، ص ٣٧٢؛ ج ٦، ص ٢٢٧.
- ٢٤) (اغابزرك الطهراني، نقباء البشر، ج ١، ص ٤٤٠.
- ٢٥) (م.ن، ج ١، ص ٤٣٦.
- ٢٦) (العالمي، اعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٠٨؛ اغا بزرك الطهراني، ميرزا شيرازي، ٩٥-٢١٢.
- ٢٧) (اغابزرك الطهراني، نقباء البشر، ج ١، ص ٤٣٩.
- ٢٨) (م.ن، ج ١، ص ٤٣٩.
- ٢٩) (م.ن، ج ١، ص ٤٣٩.
- ٣٠) (العالمي، اعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٠٥.
- ٣١) (م.ن، ج ٥، ص ٣٠٦.
- ٣٢) (م.ن، ج ٥، ص ٣٠٦.
- ٣٣) (م.ن، ج ٥، ص ٣٠٦.
- ٣٤) ناصر الدين شاه تولى العرش (١٨٤٨-١٨٩٦) بلغت فترة حكمه ٤٨ عاما شهدت فترة حكمه العديد من الازمات الاقتصادية وبالتالي تزايد نفوذ الدول الكبرى في ايران لاسيما بريطانيا وروسيا، وحاول اجراء بعض الاصلاحات الا انها فشلت في تحقيق اهدافها. ينظر: المشايخي، علي خضير عباس، ايران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨-١٨٩٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٧ م.
- ٣٥) (العالمي، ج ٥، ص ٣٠٦.
- ٣٦) (الرهمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، طبع الدار العالمية، بيروت ١٩٨٥، ص ١٢٧؛ الروزدي، التقارير، ج ١، ص ٢٣.
- ٣٧) (للمزيد ينظر: الرهمي، تاريخ الحركة الإسلامية، ص ١٢٩؛ لروزدي، التقارير، ج ١، ص ٢٣؛ الباركان، علي، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، ١٩٥٤، ص ٤؛ حرز الدين، معارف الرجال، ٢٣٥.
- ٣٨) (العالمي، ج ٥، ص ٣٠٦.
- ٣٩) (حرز الدين، معارف الرجال، ٢٣٥.
- ٤٠) (الرهمي، تاريخ الحركة الإسلامية، ١٢٩؛ المحلاتي، ذبيح الله، مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، النجف، ١٣٦٨ هـ، ج ٢، ص ٧٧.
- ٤١) (علي الوردي، لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث ١٨٧٦-١٩١٤، د.م.د.ت، ج ٣، ص ٥٩.

- ٤٢) (اغا بزرك الطهراني، ميرزاى شيرازي، ص ٢٢٥؛
E.G.Brown, the Persia REVOLUTION ١٩٠٥-١٩٠٩, New
Impression, London, ١٩٦٦, p. ١٥.
٤٣) (الرهيمي، تاريخ الحركة الاسلامية، ١٢٩.
٤٤) (علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج ٣، ص ٥٩.
٤٥) (البديري، خضير مظلوم، ايران في ظل انتفاضة التبغ والتبناك، ١٨٩٠-١٨٩٢، دراسة في
السياسة الداخلية، دار الضياء، النجف، ٢٠٠٩، ص ١٤٣.
٤٦) (العالمي، اعيان الشيعة، ج ٥، ص ٣٠٧؛ المشايخي، ايران، ص ١٣٠.
٤٧) (الروزدري، التقارير، ج ١، ص ٣٩.
٤٨) (الرهيمي، تاريخ الحركة الاسلامية، ١٣٠-١٣١.
٤٩) (العالمي، ج ٥، ص ٣٠٥.
٥٠) (العالمي، ج ٥، ص ٣٠٥.
٥١) (موقع: شبكة كربلاء المقدسة
<http://www.holykarbala.net/books/tarikh/haraka-ealmiya/١١.html>

قائمة المصادر العربية والأجنبية:

- آغا بزرك الطهراني، محمد محسن

الذريعة الى تصانيف الشيعة، بيروت، دارالاضواء، ١٤٠٣.

ميرزا شيرازي، ط ٢، طبع وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران ١٣٦٣ هـ.

نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) ، مطبعة سعيد، مشهد
١٤٠٤ هـ.

- البازركان، علي

الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، ١٩٥٤،

- البديري، خضير مظلوم

ايران في ظل انتفاضة التبغ والتبناك، ١٨٩٠-١٨٩٢، دراسة في السياسة الداخلية
، دار الضياء، النجف، ٢٠٠٩.

-حرز الدين،محمد حسين

معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء،د.م.د.ت.

-الخوانساري،محمد باقرالموسوي (١٣١٣هـ/١٨٩٥م)

الروضات الجنات في احوال العلماء والسادات،بيروت،د.ت.

-الرهيمي،عبد الحليم

تاريخ الحركة الإسلامية في العراق،طبع الدار العالمية، بيروت ١٩٨٥

-علي الوردي

لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث ١٨٧٦-١٩١٤،د.م.د.ت.

-العاملي، محسن الأمين

أعيان الشيعة، بيروت-لبنان، دار التعارف، ١٤٠٣هـ.

المحلاتي، ذبيح الله

مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، النجف، ١٣٦٨هـ.

مطهرى، مرتضى

مجموعة آثار،د.م.د.ت.

المدني، السيد محمود

الميرزا الشيرازي؛ احيى اكر قدرت فتوا، التعريب: محيي قدرة الفتوى، ط ١، مركز

الإعلام الإسلامي للنشر والطباعة، قم، ١٣٧١.

ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)،

معجم البلدان، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.

سلطان الرسائل الجامعية

المشايخي،علي خضير عباس

ايران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨-١٨٩٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية
الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٧م.

سلطان المصادر الاجنبية

E.G.Brown, the Persia REVOLUTION ١٩٠٥-١٩٠٩, New

Impression, London, ١٩٦٦, p. ١٥. سلطان

سلطان الشبكة الالكترونية

موقع: شبكة كربلاء المقدسة

<http://www.holykarbala.net/books/tarikh/haraka-ealmiya/١١.html> =

<https://ar.wikipedia.org/wiki->

Abstract

Al-Mirza Muhammad Hassan Al-Shirazi, known as the first Shirazi, and the Majid Al-Shirazi (Qods Sarra), had a good ability of intelligence and discernment, if he completed the study of the primary books for the study of Al-Hawzawi and then moved to Isfahan to complete his religious studies. He was ٢٩ years old and in ١٢٥٩ AH / The completion of postgraduate studies, which depend on the direct receipt of the professor without the status of the book, which is called in the custom of the hawazis B (search abroad) moved to the estate of Najaf, which was full of flags of jurisprudence and assets.

After the scholars and jurists agreed to provide Mirza Shirazi to head the reference because of his qualifications and characteristics

that make him the candidate most acceptable to the nation, claims the scientific estate in Najaf and the transfer of the Majid al-Shirazi headquarters of his leadership and a lesson from Najaf to Samarra, In this city, and to have a strong attraction to the great scholars and professors evacuated, who began to go to Samarra successively, and stay in the seminars and the age of the country and facilitate the things of visitors coming to it, and raise what was the hardship, where he was in his reign before living there as well A small village. When it was inhabited, it was built by a distinguished age. The houses and markets were built in it. The foreigners lived there, and those who sought to live there, and many of them came to them, where there were a number of students of science and teachers, not insignificant, where the scientific movement prospered and the scholars and students came to it. To the end of twenty years, at the height of its scientific movement in various religious sciences and was able to quell the sectarian strife and the declaration of Islamic unity with the project of coexistence, which was introduced by the renewed Shirazi, the initiative of its cultural value is calculated for the scientific estate, and represents a bright spot in history.

He also managed to stop foreign interference in the affairs of the country, especially after the fatwa forbidding tabnak, one of the most important positions and intellectual and political activities of

Shiite Muslim scholars in Iraq in the late nineteenth century. It was a major manifestation of the Islamic political and intellectual trend that paved the way for the early Islamic movement in Iraq ٢٠th century against foreign intervention.

After his death in ١٣١٢ AH / ١٨٩٤ AD, the religious leadership was transferred to the Najaf Al-Ashraf estate.

نظرية القدوة في الفكر الإسلامي مراجع الشيعة انموذجا

١. م. د. منذر عبيس متعب

كلية الامام الكاظم عليه السلام

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين الذي انعم على عباده بنعم لا تحصى واغدق عليهم بالخيرات التي لا تبلى ، ومن اعظم نعمه ان ارسل رسله للناس هداة وقادة تقتفي اثارهم الناس لتسير في طريق الحق والسعادة ، وصلى الله على رسوله الطاهر الأمين محمد واله الاطهار الهداة الميامين .

لما كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه واله الاطهار هم الهداة للناس في اخر الرسالات الإلهية ، فقد كانوا نعم القدوة والاسوة في حياتهم الطاهرة ، ومن جميل صنعهم وادائهم لامانتهم التي ائتمنهم الله تعالى انهم ارشدوا الناس من بعدهم الى من يخلفهم في تسيير أمور دينهم ودنياهم .

لقد امر الرسول واهل بيته الاطهار الناس بالرجوع الى القدوة الصالحة - كما ستبين ذلك الروايات - وحددوا للناس صفات هذه القدوة . وامروا بالرجوع اليهم واوصوا خلفائهم بما يجعلهم هداة صالحين ومثلاً يقتدي اثره المؤمنون .

فكان خلفائهم من اتباع مدرسة اهل البيت صلوات الله عليهم نعم القادة الهداة الذين فاز من اقتدى بهم ، ونجى ، فهم العباد الزهاد المتواضعون المجاهدون القادة الغيارى العلماء الاعلام الذين ملات علومهم اركان الأرض .

والشواهد على ذلك كثيرة لا يحصيها بحث او كتاب او كتب . وهذه الورقات إشارات سريعة تتبع فيها منزلة المرجعية الدينية في فكر اهل البيت صلوات الله

عليهم ، ونظرية القدوة في الفكر الإسلامي وتأكيد الشريعة الإسلامية على إيجاد القدوة الصالحة وضرورة الاقتداء بها .

ثم ذكرت بشكل مختصر جدا نبذ يسيرة من مواقف ثلاثة من أعمدة المرجعية الدينية المعاصرة والذين شملتنا اللطاف الإلهية بان عشنا في زمانهم ، وهم السيد الامام محسن الحكيم قدس سره والسيد الامام الخوئي قدس سره والسيد الامام محمد باقر الصدر قدس سره ، فقد كان هؤلاء مثال القدوة الحسنة في كل تفاصيل حياتهم الطاهرة من العلم والفضل والعبادة والتواضع والزهد .

ومن العجيب ان الباحث لا يجد كتباً ومؤلفات تشفي غليله وهو يبحث عن هذه الاعلام والرموز العظيمة وهو من مظاهر زهدهم ونكران ذاتهم اذ انهم لم يكونوا يوماً دعاة لانفسهم وانما دعاة الى طريق محمد واله الاطهار .

اساله تعالى ان يوفقنا وجميع المؤمنين للاقتداء بسيرهم والهدي بهديهم ، والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد واله الطاهرين
التمهيد :

المرجعية في فقه اهل البيت صلوات الله عليهم :

المطلب الأول

مفهوم المرجعية :

في اللغة من الرجوع والعودة ، قال ابن منظور : (رجع : رجع يرجع رجعا ورجوعا ورجعي ورجعانا ورجعا ومرجعة : انصرف . وفي التنزيل : إن إلى ربك الرجعى ، أي الرجوع والمرجع ، مصدر على فعلى ، وفيه : إلى الله مرجعكم جميعا ، أي رجوعكم ، حكاية سيئويه فيما جاء من المصادر التي من فعل يفعل على مفعول ، بالكسر^(١))
اما في الاصطلاح فهو لا يبتعد عن المعنى اللغوي فالمرجعية الدينية في رأي العلماء هي رجوع عامة الناس الى المرجع (المجتهد) الجامع للشرائط الشرعية المنصوص عليها

في رسائلهم العملية ، وبالاستناد الى قول الإمام المعصوم الحجة (عج) { أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا } (٢).

قال الدكتور أحمد فتح الله : (مرجع التقليد: المجتهد الذي يرجع إليه الناس للفتوى في عباداتهم ومعاملاتهم) (٣).

وقد عرفت المرجعية الدينية منذ الصدر الأول للإسلام عن طريق رجوع الناس الى العلماء من الصحابة الذين عينوا من قبل الرسول الأعظم (صلوات الله عليه واله الاطهار) وأئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ، وتضمنت النصوص الشريفة تصدي بعض علماء الشيعة لذلك مثل أبان بن تغلب، الذي قال له أبو جعفر الباقر (عليه السلام) (اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فاني أحب أن يرى في شيعتي مثلك ، فجلس) (٤).

وفي صحيح شعيب العرقوفي : (قلت لأبي عبد الله الصادق (ع) ربما احتجنا أن نسأل عن شيء فمن نسأل ؟ قال (ع) : عليك بالإسدي يعني أبا بصير) (٥)

المطلب الثاني

مشروعية اتباع العلماء:

رجوع الجاهل الى العالم من الاحكام التي يقول بها العقل ، ومع ذلك وردت الكثير من النصوص الشريفة من الكتاب والسنة ترشد الى هذا الحكم العقلي. سنتناول في هذا المطلب باختصار بيان اقوال علماء المسلمين في مسألة التقليد وعرض بعض ادلتهم النقلية .

أولا ، حكم التقليد في اقوال الفقهاء

١- عند الامامية:

قال الامام الخميني : (أما في زمان الغيبة ، فالولاية والحكومة وإن لم تجعل لشخص خاص ، لكن يجب بحسب العقل والنقل أن تبقىا بنحو آخر؛ لأنهما مما تحتاج إليه الجماعة الإسلامية). (٦)

واضاف : (وقد دلت الأدلة على عدم إهمال ما يحتاج إليه الناس ، كما تقدم بعضها(٤) ، ودلت على أن جعل الإمامة لأجل لم الفرقة، ونظام الملة، وحفظ الشريعة وغيرها، والعلّة متحققة في زمن الغيبة، ومطلوبية النظام وحفظ الإسلام معلومة، لا ينبغي لذي مسكة إنكارها)(٧).

وقال السيد الكلبيكاني : (وجوب اطاعة في كل شيء، كما ان اطاعته تعالى فيه واجبة. ويدل على ما ذكرنا بعض النصوص الواردة في موارد خاصة، كرواية عمر بن حنظلة، ومشهورة ابي خديجة، عن ابي عبد الله عليه السلام: ففى الاولى بعد الامر بالرجوع إلى الفقهاء، قال عليه السلام فانى جعلته قاضيا وفى الثانية فانى قد جعلته عليكم حاكما، إذ يعلم ان جعله شخصا حاكما، وتعيينه مرجعا، مما يجب على الناس اطاعته فيه، ولا يجوز رده ومخالفته، ولذا اكده بقوله فهو حجتى عليكم وانا حجة الله عليهم، وبالجملّة المستفاد من الروايتين، ان جميع اوامر اولى الامر واجب اطاعة والامتثال)(٨)

بـ عند العامة :

اما عند العامة فقد اعتبره ابن عربي من أصول الدين ، بقوله : (تعلق قوم بهذه الآية في ذم التقليد وقد ذكر الله سبحانه ذم الكفار باتباعهم لأبائهم بالباطل واقتدائهم بهم في الكفر والمعصية في مواضع من القرآن وأكد النبي ذلك وإنما يكون كما فسرناه في الباطل فأما التقليد في الحق فأصل من أصول الدين وعصمة من عصم المسلمون يلجأ إليها الجاهل المقصر عن درك النظر)(٩)

وأضاف مؤكدا وجوبه في الفروع، قائلا : (وقد اختلف العلماء في جوازه في مسائل الأصول فأما جوازه بل وجوبه في مسائل الفروع فصحيح وهو قبول قول العالم من غير معرفة بدليله) (١٠).

واليه ذهب القرطبي أيضا ، بقوله: (تعلق قوم بهذه الآية في ذم التقليد لزم الله تعالى الكفار باتباعهم لأبائهم في الباطل، واقتدائهم بهم في الكفر والمعصية. وهذا في الباطل صحيح ، أما التقليد في الحق فأصل من أصول الدين ، وعصمة من عصم المسلمين يلجأ إليها الجاهل المقصر عن درك النظر . واختلف العلماء في جوازه في مسائل الأصول على ما يأتي ، وأما جوازه في مسائل الفروع فصحيح) (١١) .

ثانيا ، ادلة الفقهاء في التقليد :

استدل فقهاء الامامية بالسنة المطهرة للمعصومين صلوات الله عليهم ، فقد ذكروا روايات قد تبلغ حد الاستفاضة في مشروعية الرجوع للعلماء ؛ منها :

ما رواه الشيخ الصدوق : (قال رسول الله " صلوات الله عليه وآله الاطهار " اللهم ارحم خلفائي ثلاث مرات قيل له ومن خلفائك قال الذين يأتون من بعدي ويروون أحاديثي وسنتي فيعلمونها الناس من بعدي) (١٢) ؛ وروى ابن ابي جمهور الاحسائي: عنه (صلى الله عليه وآله) ، مثله ، وزاد في آخره " أولئك رفقائي في الجنة) (١٣) .

كموثقة السكوني ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا) . قيل : يا رسول الله ، وما دخولهم في الدنيا ؟ قال : اتباع السلطان ، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم) (١٤) . ونقلها في المستدرک عن نوادر الراوندي، قائلا : بإسناده الصحيح عن موسى بن جعفر (عليه السلام) (١٥) .

وبين الامام الخميني وجه الاستفادة من الرواية بقوله: (وكيف كان ، قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « أمناء الرسل » بالتقريب المتقدم ، يفيد كونهم أمناء لرسول

اللّٰه (صلى الله عليه وآله وسلم) في جميع الشؤون المتعلقة برسالته ، وأوضحها زعامة الأمة ، وبسط العدالة الاجتماعية ، وما لها من المقدمات والأسباب واللوازم (١٦). ومنها : التوقيع المبارك المنسوب إلى صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه ، نقله الصدوق ، عن محمد بن محمد بن عصام ، عن الكليني ، عن إسحاق بن يعقوب قال : سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتابا قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي . فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه : (أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك ... إلى أن قال : وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواية حديثنا؛ فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله ...) (١٧).

وقال الامام الخميني مبينا دلالة الرواية : (وتقريبها : أن الظاهر أنه ليس المراد بها أحكامها ، بل نفس الحوادث ، مضافا إلى أن الرجوع في الأحكام إلى الفقهاء من أصحابهم (عليهم السلام) ، كان في عصر الغيبة من الواضحات عند الشيعة ، فيبعد السؤال عنه . والمظنون أن السؤال كان بهذا العنوان ، فأراد السائل الاستفسار عن تكليفه أو تكليف الأمة في الحوادث الواقعة لهم ، ومن البعيد أن يعد السائل عدة حوادث في السؤال ، ويجب (عليه السلام) : بأن الحوادث كذا ، مشيرا إلى ما ذكره . وكيف كان : لا إشكال في أنه يظهر منه أن بعض الحوادث التي لا تكون من قبيل بيان الأحكام ، يكون المرجع فيها الفقهاء (١٨) .

الامام الخميني (١٩) : (ومنها : مقبولة عمر بن حنظلة قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجلين من أصحابنا ، بينهما منازعة في دين أو ميراث ، فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة ، أيحل ذلك ؟ قال : من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت ، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتا وإن كان حقا ثابتا له ؛ لأنه أخذه بحكم الطاغوت ، وقد أمر الله أن يكفر به ، قال تعالى : (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) (٢٠) . قلت : فكيف يصنعان ؟

قال : ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا ، وعرف أحكامنا ، فليرضوا به حكما ، فإني قد جعلته عليكم حاكما ، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه ، فإنما استخف بحكم الله ، وعلينا رد ، والراد علينا الراد على الله ، وهو على حد الشرك بالله... (٢١) .

ومنها : صحيحة القداح ؛ عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) : ... وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، ولكن ورثوا العلم ، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر (٢٢) .

يقول الامام الخميني في بيان مضمون هذا الحديث المبارك : (فحينئذ يكون قوله) عليه السلام) : فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ؛ فإن فينا أهل البيت ... ، أمرا متوجها إلى العلماء ؛ بأن علمهم لا بد وأن يؤخذ من معدن الرسالة ، حتى يصير العالم بواسطته وارثا للأنبياء ، وليس مطلق العلم كذلك ، أو متوجها إلى الأمة بأن يأخذوا علمهم من ورثة الأنبياء ؛ أي العلماء . وكيف كان : لا شبهة في أن المراد بهم فقهاؤنا رضوان الله عليهم ، وأعلى الله كلمتهم (٢٣) .

وعن عبد الواحد الأمدي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : (العلماء حكام على الناس) (٢٤)

وعن سيد الشهداء ، عن أمير المؤمنين (عليهما السلام) وفيها : (مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله ، الأمناء على حلاله وحرامه) (٢٥) .

وهي وإن كانت مرسلة ، لكن اعتمد على الكتاب صاحب الوسائل (قدس سره) (٢٦) ، ومتنها موافق للاعتبار والعقل . وقد يقال : إن صدر الرواية وذيلها شاهد على أن المراد بالعلماء بالله الأئمة (عليهم السلام) (٢٧) . وأنت إذا تدبرت فيها صدرا وذيلا ، ترى أن وجهة الكلام لا تختص بعصر دون عصر ، وبمصر دون مصر ، بل كلام صادر لضرب دستور كلي للعلماء قاطبة في كل عصر ومصر ؛ للحث على القيام

بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر في مقابل الظلمة ، وتعيرهم على تركهما ؛ طمعا في الظلمة ، أو خوفا منهم .

الطبرسي : قال الإمام الحسن العسكري نقلا عن آبائه عن الإمام الصادق (عليه السلام) إنه قال : فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا لهواه مطيعا لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه ، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم... الخ (٢٨).

المبحث الأول

مفهوم القدوة الصالحة وأهميتها:

قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ {الأحزاب: ٢١} ، ثم أمره بأن يقتدي بمن سبقه من الأنبياء ،
قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ﴾ {الأنعام: ٩٠} .
حياة المسلمين في مختلف بلدانهم تتطلب وجود القيادات والقدوات التي تكون
نموذجا حيا بحيث يرى الناس فيهم كل معاني الخير والصلاح قولاً وفعلاً ،
فينجذبون إليهم ويتأثرون بهم ، لأن التأثير بالأفعال أبلغ بكثير من التأثير بالكلام
وحده ، فقد جاء على لسان شعيب عليه السلام قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ
إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ﴾ {هود: ٨٨} .

سنتناول في هذا المبحث مشروعية اتخاذ القدوة وأهمية القدوة في مطالب.

المطلب الأول

مفهوم القدوة:

أولا ، القدوة لغة :

القدوة هو الذي يقتدى ويحتذى به من حيث جعله أسوة ومثالا ونموذجا لسلوكيات وتصرفات الآخرين. وفي لسان العرب : يقال قدوة لما يقتدى به. وقال أيضا: والقدوة ما تسنتت به (٢٩).

وقال الفيروز ابادي : (ويقال القدوة والقدوة لما يقتدي به الإنسان ويستن بسنته ، فيقال : فلان قدوة يقتدى به ، والقدوة : المثال الذي يتشبه به غيره ، فيعمل مثل ما يعمل ، ويحذو حذوه في كل صغيرة وكبيرة) . (٣٠)

القدوة اصطلاحاً :

عرفت القدوة بأنها : (إحداث تغيير في سلوك الفرد في الإتجاه المرغوب فيه، عن طريق القدوة الصالحة ، وذلك بأن يتخذ شخصا أو أكثر يتحقق فيهم الصلاح ، ليتشبه به، ويصبح ما يطلب من السلوك المثالي أمرا واقعا ممكن التطبيق) (٣١)

كما عرفت بأنها : (الانسان الذي يقتدي به ويتأسي به في جميع أحواله) (٣٢) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية القد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله في أقواله ، وأفعاله ، وأحواله (٣٣)

والقدوة مثل الأسوة ، ويقال : تأسيت به إذا اقتديت به ، واتبعته في جميع أفعالي وأقوالي ، قال تعالى : ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ {الأنعام: ٩٠} ، تعني أولئك الذين قبلوا هدى الله فاقتد بطريقهم في التوحيد وتبليغ الرسالة وتطبيق الأحكام الشرعية ، وقال تعالى : ﴿وإننا على آثارهم مقتدون﴾ (٣٤) ، أي سائرون على منوالهم ومنهجهم وطريقتهم في هذه الحياة (٣٥)

المطلب الثاني

أنواع القدوة :

إذا نظرنا في كتاب الله وسنة المعصومين الاطهار وفي أوضاع الناس وأحوالهم يتضح لنا أن القدوة تنقسم إلى نوعين قدوة حسنة وهي محل بكلامنا وقدوة سيئة نهى الله تعالى عنها وحذرنا منها .

أولا ، القدوة الحسنة :

مفهومها : وهي التي تتخذ الاقتداء برسول الله منهجا وسلوكا وتتأسى به (صلى الله عليه واله وسلم) في تطبيقها العملي في واقع الحياة ، وهذا النوع إنما يسلكه ويوفق إليه من كان يرجو الله واليوم والآخر ، ودخل الإيمان قلبه ، فعمل بالتنزيل وخشي من الجليل واستعد ليوم الرحيل رجاء الثواب الجزيل وخوف العقاب الشديد (٣٦) .

ويقول النحلاوي : (القدوة الحسنة لها أهمية كبرى في تربية الفرد وتنشئته علي اساس سليم في مرحلة النضج والبلوغ ، والقدوة ذات أثر كبير في سلوك الناشئين والشباب ، وقد يكون أثرها هذا إيجابا أو سلبيا ، وكثيرا ما تشكو معظم المجتمعات اليوم من مظاهر الانحراف وتلوم الشباب وتلح عليهم بالزر والوعيد ، ولكن هذه الأساليب لا توصل إلى غايتها إذ إفتقد هؤلاء الشباب القدوة الحسنة في الآباء والمعلمين والمربين) . (٣٧)

بـ صورها : أما القدوة الصالحة فهي أيضا تنقسم إلى قسمين :

١- القدوة المطلقة :

وهـ رسول الله صلوات الله عليه واله الاطهار في سائر أعماله وتصرفاته وذلك لأنه بعث ليقتدى به وليطاع بإذن الله فهو لا ينطق عن الهوى وإنما يوحى إليه ، قال تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (٣٨) .

والاقتداء به والسير على نهجه هو النجاة الحقيقية للإنسان في الدنيا والآخرة ، فهو القدوة الحسنة في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته لكي يستلهم الناس سلوكهم من هذه القدوة ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٣٩) .

لهذا أمر الله المؤمنين باتباع الرسول وطاعته ، وجعل هذا من مؤشرات الحب في الله (٤٠) ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٤١) .

٢- القدوة المقيدة :

القدوة المقيدة ، الالتزام بقول غير المعصوم بما هو صالح بدون الوصول الى مستوى الاقتداء بالمعصوم ، كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد الله وتتمثل في الاقتداء بالعلماء والاقتداء بالوالدين وبالمعلم في المدرسة والجامعة والسبب في ذلك أنهم ليسوا معصومين من الخطأ فهم بشري يصيبون ويخطئون والمسلم يقتدي بهم عندما يصيبوا الحق ، ويجتنب الاقتداء عند مجانبتهم للصواب ، قال رسول الله صلوات الله عليه واله الاطهار : (من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) (٤٢) .

ج ، تأثيرها :

القدوة الصالحة المتحلية بالقيم والمثل العليا الحميدة تعطي للناس قناعة بأن بلوغ هذا المستوى الرفيع من الأمور الممكنة وأنها في متناول قدرات الإنسان وطاقاته . (٤٣)

إن واقع الناس اليوم يشكو القصور والانحراف رغم انتشار العلم ، ما لم يقيم بذلك العلم علماء وقادة عالمون مخلصون يصنعون من أنفسهم قدوات في مجتمعاتهم ،

يترجمون ذلك العلم إلى واقع عملي يفهمه الجميع ، وهذا يسهل في إيصال المعاني الأخلاقية ويحدث التغيير المنشود إلى الأفضل . (٤٤)

إن القدوة الصالحة سبب في دخول الإنسان ضمن الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يوم القيامة ، وهي ضمان لاستمرار الصحة ، (٤٥) قال تعالى : ﴿الْأَخْلَاءِ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ سُلْطَانُ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٤٦) .
التربية بالقدوة تعمل على تربية الناس خلقيا وروحيا وتربطهم بالله رب العالمين ، كما أنها تقوي المجتمع من الناحية الإرادية ؛ لأن الجميع تربى على الصبر والمصابرة وتحمل الصعاب من أجل المبدأ والفكر الذي آمن به . (٤٧)

ثانيا ، القدوة السيئة :

وهي على عكس ذلك تماما ، فهي لا تتأسى برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ولا تتشرف بحمل الإسلام ، بل إنها تعتز بانتسابها لغيره ، كقول المشركين حين دعتهم الرسل للتأسي بهم ، قال تعالى : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ {الرُخْف: ٢٣} ، فقولهم هذا عين التقليد والمحاكاة يكون ضارا ومفسدا وطريقا للوصول للمقلدين إلى دركات النقص التي انحدرت إليها أسوتهم السيئة .
ولقد عرف دعاة الشر والفساد ما للقدوة الصالحة من أثر محمود بين الناس ، لذلك أخذوا يصنعون أمثلة ونماذج بشرية على طريقتهم ذات مفاهيم وعقائد باطلة وأعمال ضالّة فاسدة ومفسدة وأحاطوها بالأصباغ والألوان الخداعة وسلطوا عليها الأضواء الإعلامية لإثارة الإعجاب بها في نفوس الجماهير حتى تكون أسوتهم التي تقتدون بها .

(ومن هذه الأمثلة البشرية المصطنعة شخصيات ذات مذاهب هدامة وآراء باطلة ، أحاطها المفسدون بعبارات التمجيد والإكبار ليتخذها الناس أسوة لهم يقتدون بها

في آرائها وأفكارها ، وخير دليل على ذلك ما يسمى بنجوم الفن والأناقة والغناء الماجن من رجال ونساء، ليكونوا أسوة للناس يقتدون بهم في تفاهاتهم وسلوكهم المنحرف حتى أمست هذه الأمثلة الساقطة هي القدوة التي تقلدها الأجيال) (٤٨).

المطلب الثالث

مشروعية القدوة وأهميتها

أولا ، مشروعية اتخاذ القدوة

أ - القدوة في القرآن الكريم :

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اقْتَدِهِ﴾ (٤٩) .

الآية المباركة تجعل منهاج الأنبياء العظام قدوة ترافقها الهداية لا بل هي من لوازمها غير المنفكة. يقول صاحب تفسير الأمثال: (تؤكد هذه الآية مرة أخرى على أن أصول الدعوة التي قام بها الأنبياء واحدة، بالرغم من وجود بعض الاختلافات الخاصة والخصائص اللازمة التي تقتضيها الحاجة في كل زمان ومكان، وكل دين تال يكون أكمل من الدين السابق... ولكن ما المقصود من أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يهتدي أولئك الأنبياء. يقول بعض المفسرين إن المقصود قد يكون هو الصبر وقوة التحمل والثبات في مواجهة المشاكل ويقول بعض آخر انه التوحيد وإبلاغ الرسالة ولكن يبدو أن للهداية معنى واسعا يشمل التوحيد وسائر الأصول العقائدية كما يشمل الصبر...) (٥٠)

وحث الله سبحانه الأمة على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٥١) .

يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره: (والمعنى من حكم رسالة الرسول وإيمانكم به أن تتأسوا به في قوله وفعله وانتم ترون ما يقاسيه في جنب الله وحضوره في القتال وجهاده في الله حق جهاده...) (٥٢)

وقال صاحب تفسير الأمل (٥٣): (فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خير نموذج لكم ، لا في هذا المجال وحسب ، بل وفي كل مجالات الحياة كما حث الله تعالى الناس على الاقتداء بالأنبياء والرسل وطلب إيتابهم: ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برأؤا منكم ومما تعبدون من دون الله ﴾ (٥٤).

يعتمد القرآن الكريم أسلوب التربية بالقُدوة حينما أمر الله سبحانه نبيه بالاقْتداء بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين ، فقال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (٥٥) بمعنى أيها الرسول اتبع ملتة هؤلاء الأنبياء الأخيار ، وقد امتثل فاهتدى بهدي الرسل من قبله وجمع كل كمال فيهم فاجتمعت لديه فضائل وخصائص فاق بها جميع العالمين (٥٦) .

وأكد على أسلوب التربية بالقُدوة فطلب من المؤمنين اتخاذ الرسول (صلوات الله عليه واله الاطهار) القدوة والأسوة الحسنة وطالب المؤمنين بطاعته فيما أمر ونهى طاعة مطلقة ، قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (٥٧) .

قال الشيخ الطبرسي : (فقال : (لقد كان لكم) معاشر المكلفين (في رسول الله أسوة حسنة) أي : قدوة صالحة) (٥٨)

اعتبر ابن كثير هذه الآية أصلاً كبيراً في التأسى برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في أقواله وأفعاله وسائر أحواله ، ولهذا أمر الحق تبارك وتعالى الناس جميعاً بالاقْتداء بالنبي الكريم في غزوة الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته

وانتظاره الفرج من ربه ، سواء وهو مكروب ومحروب فهو يصبر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي (٥٩) .

وحذر القرآن الكريم من يحيد عن القدوة الصالحة ويتبع الظالمين ، قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (٦٠) .

يقول ابن كثير : (إن الله يخبر عن ندم الظالم الذي فارق طريق رسول الله والذي جاء به من الحق المبين وسلك طريق غير سبيل المؤمنين ، فإنه يوم القيامة يندم حيث لا ينفعه الندم ويعض على يديه حسرة وأسفا) (٦١) .

الفيض الكاشاني : (يقدم قومه يوم القيمة : يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه ، كما كان لهم قدوة في الضلال في الدنيا) (٦٢)

الفيض الكاشاني : ((فجعلناهم سلفا) : قدوة لمن بعدهم من الكفار) (٦٣)

الفيض الكاشاني : (قد كانت لكم أسوة حسنة) : قدوة (٦٤)

الفيض الكاشاني التفسير : (يقدم قومه يوم القيامة : بتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه كما كان لهم قدوة في الضلال في الدنيا . فأوردتهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه) (٦٥) .

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : (من ذهب إلى أن الإمامة هي " أن يكون الفرد لائقا ونموذجيا " فقط ، ما فهم أن هذه الصفة كانت موجودة في إبراهيم (عليه السلام) منذ بداية النبوة . ومن قال إن المقصود من الإمامة " أن يكون الفرد قدوة " ، فاته أن هذه صفة جميع الأنبياء منذ ابتدائهم بدعوة النبوة ، ولذلك وجب أن يكون النبي معصوما لأن أعماله قدوة للآخرين) (٦٦) .

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : (كان إبراهيم (عليه السلام) قائداً وقودة حسنة ومعلماً كبيراً للإنسانية ، ولذلك أطلق عليه أمة لأن " أمة " اسم مفعول يطلق على الذي تقتدي به الناس وتنصاع له) (٦٧) .

القرطبي : (التقليد عند العلماء حقيقته قبول قول بلا حجة ، وعلى هذا فمن قبل قول النبي صلى الله عليه وسلم من غير نظري معجزته يكون مقلداً ، وأما من نظرها فلا يكون مقلداً . < صفحة ٢١٢ > وقيل : هو اعتقاد صحة فتيا من لا يعلم صحة قوله . وهو في اللغة مأخوذ من قلادة البعير ، فإن العرب تقول : قلدت البعير إذا جعلت في عنقه حبلاً يقاد به ، فكأن المقلد يجعل أمره كله لمن يقوده حيث شاء ، وكذلك قال شاعرهم : وقلدوا أمركم لله دركم سلطان ثبت الجنان بأمر الحرب مضطلعا) (٦٨)

القرطبي : (فرض العامي الذي لا يشتغل باستنباط الاحكام من أصولها لعدم أهليته فيما لا يعلمه من أمر دينه ويحتاج إليه أن يقصد أعلم من في زمانه وبلده فيسأله عن نازلته فيمثل فيها فتواه ، لقوله تعالى : " فاسئلو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " ، وعليه الاجتهاد في أعلم أهل وقته بالبحث عنه ، حتى يقع عليه الاتفاق من الأكثر من الناس) (٦٩) .

القرطبي : (قال ابن عطية : أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد . وذكر فيه غيره خلافاً كالقاضي أبي بكر بن العربي وأبي عمرو عثمان بن عيسى بن درباس الشافعي . قال ابن درباس في كتاب " الانتصار " له : وقال بعض الناس يجوز التقليد في أمر التوحيد ، وهو خطأ لقوله تعالى : " إنا وجدنا آباءنا على أمة " . فذمهم بتقليدهم آباءهم وتركهم اتباع الرسل ، كصنيع أهل الأهواء في تقليدهم كبراءهم وتركهم

اتباع محمد صلى الله عليه وسلم في دينه ، ولأنه فرض على كل مكلف تعلم أمر التوحيد والقطع به ، وذلك لا يحصل إلا من جهة الكتاب والسنة (٧٠) .

ب، القدوة في السنة الطاهرة

وقد تناولت العديد من الروايات مسألة القدوة لناحية أهميتها ودورها، عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: " من سن سنة حسنة فله أجرها واجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شئ" (٧١). وقريب منه رواه مسلم (٧٢)

وروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال أيضا: " في القلوب نور لا يضيء إلا من إتباع الحق وقصد السبيل وهو نور من المرسلين الأنبياء مودع في قلوب المؤمنين" (٧٣) عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: " لا طريق للأكياس من المؤمنين اسلم من الاقتداء لأنه المنهج الأوضح والمقصد الأصح. قال الله عز وجل لأعز خلقه محمد (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (٧٤) فلو كان لدين الله تعالى عز وجل مسلك أقوم من الاقتداء لندب أنبياءه وأوليائه إليه.

(قال الصادق ع ليس الاقتداء إلا بصحة قسمة الأرواح في الأول وامتزاج نور الوقت بنور الأزلي و ليس الاقتداء بالتوسم بحركات الظاهرة و النسب إلى أولياء الدين من الحكماء والأئمة قال الله عز وجل يوم ندعوا كل أناس بإمامهم أي من كان اقتدى بمحق فهو زكي وقال الله عز وجل فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال أمير المؤمنين ع الأرواح جنود مجندة مصباح الشريعة ص : ١٥٧ فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقيل لمحمد بن الحنفية من أدبك فقال أدبني ربي في نفسي فما استحسننت من أولي الألباب والبصيرة تبعتهم به واستعملته وما استقبحت من الجهال اجتنبته وتركته مستقرا فأوصلني ذلك إلى طريق العلم و

لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء لأنه المنهج الأوضح و المقصد الأصح قال الله عز وجل لأعز خلقه محمد ص أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال عز وجل ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا فلو كان لدين الله تعالى عز وجل مسلك أقوم من الاقتداء لندب أنبياءه وأوليائه إليه قال النبي ص في القلوب نور لا يضيء إلا من اتباع الحق وقصد السبيل وهو من نور الأنبياء مودع في قلوب المؤمنين (٧٥)

ثانيا : أهمية القدوة الصالحة :

لقد أعطى الإسلام جانب القدوة الحسنة اهتماما كبيرا حيث لم يقف الأمر عند إنزال الكتاب على الرسل الكرام والحديث عن قصصهم وعرض سيرتهم، بل أمر باتباعهم والاقتداء بهم ، فقال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ {الأنعام: ٩٠} .

تظهر أهمية القدوة ، وعظم خطرهما في التربية والتوجيه من حيث كونها من أكبر العوامل البيئية المؤثرة في شخصية المتربي علي الإطلاق ، لأنها تربية بالعمل والواقع والمثال الحي المشاهد (٧٦)

" فالجانب السلوكي العملي أوقع في النفس وأكثر طمأنينة لها من القول في كثير من الأحيان " (٧٧)

وأرسل الله محمدا (صلى الله عليه واله وسلم) قدوة للناس يترجم الشريعة إلى واقع الحياة ، فيرى الناس في سلوكه وتصرفاته أوامر القرآن ونواهيه ، وهو بشر مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتمثل هذه الأخلاق ويعمل بهذه التوصيات ، سهل عليهم الاقتداء والمتابعة له حتى أصبح يعتقد كل واحد أنه مخاطب بهذا القرآن ومأمور باتباعه .

ولذلك فإن حاجة المسلمين في مختلف بلدانهم تتطلب وجود القيادات والقدرات التي تكون نموذجاً حياً بحيث يرى الناس فيهم كل معاني الخير والصلاح قولاً وفعلاً ، فينجذبون إليهم ويتأثرون بهم ، لأن التأثير بالأفعال أبلغ بكثير من التأثير بالكلام وحده (٧٨)، فقد جاء على لسان شعيب عليه السلام قوله تعالى : ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ (٧٩).

ويمكن الإشارة الى بعض الثمار المتحققة من وجود القدوة في عدة نقاط:
إن القدوة الصالحة تثير في نفوس الآخرين الإعجاب والمحبة التي تتهيج معها دوافع التنافس المحمود فيتولد لديهم حوافز قوية لأن يتمثلوا بأخلاق وأفعال قدوتهم .
القدوة الصالحة المتحلية بالقيم والمثل العليا الحميدة تعطي للناس قناعة بأن بلوغ هذا المستوى الرفيع من الأمور الممكنة وأنها في متناول قدرات الإنسان وطاقاته .
إن غياب القدوة الصالحة من المجتمع عامل رئيس في انتشار المنكرات واستفحالها وإفشاء الجهل بين الناس ، ومن هنا تكمن أهمية القدوة الصالحة ، فكلما ازدادت القدوات انتشر العلم واختفت المنكرات ، لذلك فنحن نحتاج إلى قدوات يدعون الناس بأفعالهم لا بأقوالهم ، قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون سلطان كبير مقتدا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (٨٠) .

والقدوة الصالحة أعظم من المناهج الدراسية والقوانين الجامعية أو الأبنية الفخمة لأن للأستاذ الجامعي أثراً كبيراً على طلابه في علمه وأدبه وعمله ومهارته التدريسية وسائر أخلاقه وتصرفاته (٨١) .

ولم تصل التربية الحديثة إلى أبدع من اتخاذ القدوة الصالحة وسيلة إلى بناء الجيل الطلابي ، فالمعلم القدوة هو الذي يرتقي بالأمة إلى أسمى درجات الحضارة والمدنية ، وبالمدرسين المخلصين تنهض الأمة من كبوتها وتنتصر على أعدائها .

والإسلام لا يعرض هذه القدوة من أجل الإعجاب السالب والتأمل التجريدي في سبحات الخيال ، وإنما يطلب منها أن تظل شاخصة ماثلة أمامنا تتدفق في حيوية وعمل يحقق الخير الوفير للمجتمع (٨٢) .

مميزات القدوة الصالحة :

لابد من توفر صفات وشرائط في شخص المتصدي لمهمة القدوة الصالحة يتميز بها لكي يمكن للآخرين الاقتداء به والعمل بمنهجه ، ومن هذه الصفات :
ان يكون على يقين وصبر :

القران الكريم والسنة حثت والزمت باتباع الامام ، والامام في اقوال المفسرين هو القدوة ، ففي تفسير قوله تعالى ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ ، ذهب المفسرون الى ان معنى اماما هو القدوة ، فقد الشيخ الطبرسي : (إماما : مؤتما به في الدين قدوة فيه) (٨٣) ، وقال ابن كثير : (وعن قتادة : كان إمام هدى قدوة يؤتم به) (٨٤) ، وقال عبد الرحمن السعدي في تفسيرها (أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصديقين والكمال من عباد الله الصالحين وهي درجة الإمامة في الدين وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم يقتدى بأفعالهم، ويطمئن لأقوالهم ويسير أهل الخير خلفهم فيهدون ويهتدون) (٨٥).

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾ قال الشيخ الطبرسي: اختلف في معناه ، ف قيل : قدوة ومعلما للخير (٨٦) .

وأستفاد السعدي من شروط الامام في : (ومن المعلوم أن الدعاء ببلوغ شيء دعاء بما لا يتم إلا به، وهذه الدرجة -درجة الإمامة في الدين- لا تتم إلا بالصبر واليقين كما قال تعالى: ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صَبَرُوا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ فهذا الدعاء يستلزم من الأعمال والصبر على طاعة الله وعن معصيته وأقداره المؤلمة ومن

العلم التام الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين، خيرا كثيرا وعطاء جزيلا وأن يكونوا في أعلى ما يمكن من درجات الخلق بعد الرسل (٨٧).

ب - ان يكون معلما لنفسه قبل غيره:

قال الشهيد حسن معن : (وقد اكد الاسلام تأكيداً بالغاً على من نصب نفسه للناس هادياً ، واماماً أن يلتزم بما يقول ، ويعلم نفسه قبل تعليم غيره بنحو شمول المسؤولية ، لا تقييدها بالمطيعين والملتزمين فقط (٨٨).

وقد تحدث القرآن الكريم حول أهمية الموافقة بين القول والعمل موجهاً خطابه إلى المؤمنين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٨٩) وقد توجه النبي شعيب عليه السلام إلى قومه كما يحدثنا القرآن الكريم : ﴿ وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ (٩٠).

وعن الإمام علي (عليه السلام) : (من نصب نفسه للناس إماماً فعليه ان يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره . وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه) (٩١) وروى الشيخ الطوسي عن رسول الله صلوات الله عليه واله الاطهار قوله : (يا أبا ذر ، يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون : ما أدخلكم النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ! فيقولون : إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله) (٩٢).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) : (كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الورع ، والاجتهاد ، والصلاة ، والخير ، فإن ذلك داعية) (٩٣)

المبحث الثاني

المرجعية الدينية مصداق القدوة الصالحة

على طول تاريخ مدرسة اهل البيت صلوات الله عليهم كانت المرجعية الدينية تمثل القدوة الصالحة للمجتمع الذي تتوطنه صغرا او توسع مجال تأثيرها ، والحديث في هذا الجانب واحضار الأمثلة لا يسعه بحث او كتاب ، ولغرض إعطاء صورة مصداقية لما اعتبرناه مميزات الشخصية القدوة سنعرض في هذا المبحث بعض الشواهد من مرجعيتنا المعاصرة ، في مطالب.

المطلب الأول

الامام السيد محسن الحكيم (قدس سره):

يتضح مدى قوة يقين الانسان من التزامه الدقيق بما امن به وظهور ذلك في سلوكه وصبره على تحمل المشاق المترتبة عليه فقد عاش مراجعنا العظام عيشة الزهد والكفاف مع ان بإمكان أي منهم ان يعيش عيشة رغيدة بما وهبهم الله من موارد كثيرة لكنهم ابوا الا ان يكونوا ثابتين على ما عاهدوا عليه ائمتهم الاطهار صلوات الله عليهم بأن يكونوا أمناء على حمل رسالتهم والتحلي باخلاقهم. وسنعرض شذرات من اتصاف اعلام منهم باليقين والصبر .

أولا، عبادته :

يقول ولده السيد محمد باقر : (التزامه الدائم منذ صغره ببعض المستحبات الشرعية، والتي لا يكاد يتخلف عنها، كالتزامه بصلاة الليل، والتعقيب بعد الصلاة، والصلاة تحية للمسجد، كلما دخله للدرس أو للعبادة، والاهتمام بالمؤمنين، خصوصا كبار السن، وأولاد الرسول، وطلبة العلوم الدينية، بالقيام لهم وتحيتهم... الخ) (٩٤).

(كما كان يحث على بعض الالتزامات الشرعية، منذ الصغر وقبل سن العاشرة، كصلاة الجماعة، وزيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك حضور المجالس

الحسينية، والاجتماعات العامة النزيهة، حيث كان يرى ذلك مما يحقق مناعة ذاتية، وينمي روح التقوى والمعرفة (٩٥).

يقول الشهيد حسن معن : (ونلاحظ أيضا ان زيارة المشاهد ليست فقط محاولة لخلق جو ايماني . . وانما هي أيضا استشعار لوجود القدوة . . وتمثل معانيها الخيرة في الفكر ، والروح ، والسلوك ، وفي العطاء والجهاد ؟ تأكيداً للشعور بالانتماء والاقتداء . .) (٩٦)

ثانيا ، عزوفه عن لذائذ الدنيا :

قال السيد محمد باقر الحكيم : (الزهد ، والالتزام بالمستوى المعيشي البسيط ، والمتواضع ، والمهذب من التشريفات والتزيينات إلى اخر عمره ، سواء في سلوكه الشخصي في المأكل ، والملبس ، والمسكن ، والمركب ، أم في سلوكه العائلي ، أم في سلوكه الاجتماعي ، حيث كان الفراش الذي يستعمله يمتد به العمر أكثر من ثلاثين إلى خمسين عاما ، ويكتفي به هو وزوجه أن يكون نظيفا طاهرا ، وفي الملابس سواء في شكلها ، أم محتواها ، واسلوب تقمصها ، بقي يباشر نفس المستوى والطريقة التي كان عليها في شبابه دون تغيير ، وهكذا في مأكله ومسكنه ، حتى ان البيت الذي بناه في أواخر أيامه أحد المؤمنين في الكوفة ، لم يكن يختلف في بساطته عن بيوت الطبقة دون المتوسطة من الناس في كل شؤونه . وفي ديوان الاستقبال كان يجلس للناس متواضعا على البسط الخفيفة الافغانية ، والفرش الرخيص ، وفي الغرفة الضيقة ذات الجدران العادية ومن دون طلاء ، والاشباب المتواضعة جدا ، وفي طريقة استقبال الناس ولقائهم ، والحديث إليهم ومجالستهم ، كل ذلك كان يعبر بوضوح عن هذا المستوى المعيشي المتواضع ، الذي يدنو في مجمل تفاصيله من الفقراء ، ويبتعد عن الابهة ، والفخامة ، والكبرياء . كل ذلك

والاموال تجرى بين يديه، والظروف مواتييه، والمقام رفيع، والانفاق على الآخرين واسع، وفرص الانتفاع أو الاستمتاع متوفرة دون حرج، بل كان بعض حاشيته أو متعلقيه أو الطلبة والافاضل أو مؤسساته، تحصل على مستوى أعلى بكثير من هذا المستوى من العيش^(٩٧).

وأضاف : (لقد كان (زهدا) دون تكلف، حتى تحس بأن الزهد تحول إلى طبع عادى له، يمارسه بين الناس وكأنه ليس منهم، ودون أن يشعروا بانفصاله عنهم، ويلتزم به دون أن يشعر الآخرون بالحرج من هذا الالتزام، ويربي عليه أهل بيته، لانه خلق رفيع دون أي ضغط أو عنت. وهذا هو الزهد الاسلامي، حيث يسير على حياة الانسان في تفاصيل كثيرة، ودائرة شاملة، دون تكلف أو عناء، وذلك عندما يتخلق الانسان به يصبح ملكة له، فالزهد ليس مجرد مظهر من مظاهر الانسان، أو مجرد عزلة وعزوف عن الدنيا والحياة الاجتماعية، وانما هو خلق انساني رفيع يتعامل به الانسان إيجابيا مع الحياة الدنيا، يحولها إلى مزرعة مثمرة للأخرة).^(٩٨)

المطلب الثاني

الامام السيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره) :

بعد رحيل الامام الحكيم قدس سره آلت المرجعية العليا الى الامام السيد الخوئي قدس سره ، في ظرف عصيب قاهر تعرض خلاله سماحته الى ضغوط هائلة من اطراف كثيرة اشدّها حقدا وجورا ما قام به النظام الاجرامي امتدادا لسياسته العدائية ضد الامام الحكيم قدس سره ، فضلا عما تعرض له من اذى من الاقربين وكييل التهم ، ومن مظاهر مظلوميته المستمرة ان الباحث في سيرة شخصية عظيمة محورية كشخصيته لا يجد كتبا متخصصة لها قيمة علمية تبحث في اسرار هذه الشخصية ومواقفها التفصيلية .

أولا ، ظروف مرجعيته :

يقول احمد الواسطي: (حينما أستلم السيد الخوئي(رض) مقاليد المرجعية كانت الإجراءات الحكومية تطال الحوزة، فقد بدأت هذه الإجراءات القاضية بتفريغ الحوزة العلمية في النجف الأشرف من طلاب العلوم الدينية، وشملت إخراج الطلبة غير العرب من إيرانيين وباكستانيين وهنود وأفغانيين، ثم طالت العرب من غير العراقيين كالخليجيين واللبنانيين وبعدها تم تنفيذ مخطط إفراغ المدن العراقية من علمائها أما بالسجن او القتل او التشريد) (٩٩)

ويقول مرتضى الحكمي: (وقد عاش الإمام الخوئي ظروفًا عصيبة ، متشعبة الاتجاهات والنزعات ، وهو يريد للامة عزتها ، ومنعتها ، وعودتها إلى نهجها الاسلامي القويم ، لتكون كلمة الله هي العليا) (١٠٠) .

قال احمد الواسطي: (وجاء الأمتحان الأخير بالحرب التي شنها النظام العراقي على إيران عام ١٩٨٠ وكان موقف السيد الخوئي يتسم بالشجاعة والصمود فهو لم يؤيد النظام المعتدي ولم يوافق على إبداء رأيه رغم شدة الضغوط والمحاولات) (١٠١).

وعن سيره على نهج الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم ، قال الحكمي : (وكان الإمام الخوئي : زعيما حكيما ، حديد النظر ، عالما بزمانه ، يترسم خطى الأئمة الهداة (عليهم السلام) واحدا بعد آخر ، فيما يشبه زمانه بزمانهم ، يتصرف في الامور وفق تصرفهم حراسة على حياة المسلمين العقلية والثقافية والعقيدية) (١٠٢) .

وأضاف : (وعندما انتهت إلى الإمام الخوئي هذه المرجعية العليا - بكل معضلاتها وثقلها - في جيل مثقل بالضغوط والإعصار والملابسات ، أخذ يتابع في خطواته سيرة الأئمة المجاهدين ، وسياستهم في مختلف أدوار حياتهم وإمامتهم في إدارة هذه المرجعية ، والنهوض بها ، لهدف حاكمية الاسلام ذاتها) (١٠٣).

(ولقد أستفاد السيد الخوئي من الموقف الحرج لنظام بغداد وتمكن من المحافظة على الحوزة بعد تقلص حجمها كثيرا، فقد أشار التقرير الصادر عن الأمم المتحدة تحت عنوان حقوق الإنسان في العراق كتبه(ماكس فان ديرشتوتيل وصدر في ١٨ شباط ١٩٩٣) الى ان عدد علماء الشيعة في النجف كان يتراوح بين ثمانية وتسعة آلاف رجل قبل عشرين عاما أنخفض إلى الفين بعد عشر سنين وصل إلى ٨٠٠ عالم قبل أنتفاضة شعبان ١٤١٣ هـ/ آذار ١٩٩١) (١٠٤)

وأضاف قائلا : (إن مرجعية السيد الخوئي كانت مرجعية أحاطتها المنغصات ولفت بها المحن والمأسي من كل مكان... وكانت سفينة هذه المرجعية تسير في بحر شديد متلاطم الأمواج ولكن قائدها وهو المشهور بالحنكة والذكاء المفرط كان يسير دفتها بحذر وحكمة رغم هذه الأمواج المتلاطمة والرياح العاتية العاصفة) (١٠٥).

ثانيا، صفاته الشخصية :

أ- علو منزلته وكرم اخلاقه : يقول مرتضى الحكمي : (كان يترفع عن طلب الجاه ، وحب الرئاسة، لا يستسيغ لنفسه أن يجري وراء الرعامة، تلك التي انتهت إليه ، وأتته منقادة طائعة ، وهو راغب عنها ، تعشقا للعلم ، وتفرضا للعبادة ، وتقشفا في العيش ، وزهدا في الحياة ، وإيثارا للناس .

وأضاف (وهكذا عرفته الأوساط العلمية نادرة من نوادر العلم والتقوى والإيثار ، وقائدا فذا من قادة الرأي ، يمتاز بقوة الابتكار ، وعمق التفكير ، وتوقد الذهن ، ودقة الإحساس ، وهي العوامل التي كونت منه الشخصية الموهوبة ، والرعيم الملمهم - كما أسلفنا - . وكان علما من أعلام الإسلام يخفق على قمة الحوزة العلمية في

النجف الأشرف ، تدور على حوزته الدراسية رعى التحصيل ، فكان صاحب الآراء القيّمة ، والنظريات العلمية الحديثة (١٠٦) .

ومن الأعلام الذين أشادوا بشخصيته العلمية والتعليمية ، فقيه أهل بيت العصمة ، بقوله ، (فكم ربّى بها أعلما ، نَمَى جوانب عالية في طاقاتهم الراقية ، فرجعوا إلى مقاعدهم المشيدة ، مبشّرين ومنذرين بحقائق الشرع ، وتعليم جوامع الفروع ، أو بقوا إلى حين مدرّسين في جوامع الحوزة ، أو مصابيح رواق الروضة) (١) .

وقد بين السيد الشهيد الصدر - مكانة استاذة ، قائلا عن علاقاته معه : (.... هي من أشرف وأطهر وأقدس العلاقات في حياتي ... هذا الاستاذ الذي بصرت نور العلم في حوزته ، وذقت معنى المعرفة على يده . وإن أعظم ما ينعم الله على الانسان - بعد الإيمان - العلم ، ولئن كنت قد حصلت على شيء من هذه النعمة ، فإن فضل ذلك يعود إليه . فلست إلا ثمرة من ثمرات جهوده ، وفيضه الشريف ، وولدا من أولاده الروحانيين) (١٠٧) .

وتحدث الامام السيد السيستاني عن شخصيته قائلا : (وكان - أعلى الله مقامه - نموذج السلف الصالح ، لعبقريته الفذة ، ومواهبه الكثيرة ، وملكاته الشريفة ، التي أهلته لأن يعد من الطليعة من علماء الامامية ، الذين كرسوا حياتهم لنصرة الدين والمذهب) (١٠٨) .

بد حرصه على المال العام :

يروي ولده السيد عبد المجيد : (عندما بدا دراسة للعلوم الدينية وسط والدقة لكي يحصل على راتب شهري من والده كطالب في الحوزة العلمية، وكان جواب سماحتة(رض) انه قال: إذا كان طالبا بالفعل فليذهب ليمتحن مثل غيره في

(اليراني) حيث ينعقد المجلس الذي يختبر فيه طلبة العلوم الدينية قبل تعيين رواتبهم (١٠٩).

ويضيف قائلا: (يقول نجله لقد ذهبت يوم الخميس (يوم انعقاد لجنة الإمتحانات) وكنت خائفا أن لا ينجح بدرحة تريح سماعة السيد الوالد، فأمتحنت لدى الشيخ مصطفى الهرندي في الشرائع وألفية ابن مالك، وفي المساء أخبروا السيد الوالد بأنني قد اجتزنا الإمتحان، فنظر سماعته إلى النتيجة وعين لي راتبا كما يعين لباقي الطلبة غير المتزوجين، ثم جئته بعد مدة اطلب منه زيادة في الراتب لمساواتي بباقي الطلبة الذين يتقاضون رواتبا إضافية من حوزات أخرى، حيث كانوا يستلمون رواتبا من بقية المراجع الآخرين بينما لم أكن أقتاضى إلا من حوزة السيد الوالد.

فكان رد الإمام: إن مصاريفك الأخرى (من لباس ومأكل مكفولة) وعلى أي حال فقد زاد في عطائي قليلا بعد أن قام بعملية حسابية دقيقة حول احتياجاتي. وهذه الحادثة التي يرويها السيد عبد المجيد ماهي إلا مؤشر على طريقة تعامل الإمام الراحل مع الأموال العامة، فلم يكن يصرف على نفسه وبيته من الحقوق الشرعية أبدا (١١٠).

ج - محبته للجميع وابوته :

يقول الواسطي: (كان رحمة الله يمنع المحيطين به عن مجابهة أعدائه بالشدة حيث كان يكرمهم كثيرا ويدعو لهم بالتوفيق والهداية عندما يأتون اليه ويستضيفونه سألهم يوما أحد أبنائه: هل ترجو لهم الهداية حقا يا أبي، أم أنك تجاملهم لكونهم ضيوفا؟ فكان رده واضحا وقويا: أبدا يا بني أني أدعولهم بصدق أن يهديهم الله ليكفي المؤمنين شرهم) (١١١).

ولم يحمل في لبه حقدا على احد ولا يرد على من يتطاول على مقامه ، يقول الواسطي : (فلم يحمل سماحته في قلبه بغضا على أحد، حتى لو كان من الحادقين الذين كانوا يرسلون رسائل الشتم والسباب له. ويمنع من حوله من الرد عليهم قال له أحد أبنائه يوما: يتهمونك بالبهتان والزور!! فكان رده: إذا كان الحق لي فأنا أبرى ذممهم. فقال أبنته: وماذا عن حقنا نحن أبنائك؟ إليس من واجبنا الرد على هؤلاء والدفاع عندك؟ فكان جوابه: انتم لكم حق في ذلك، ولكني مادمتم حيا فأنا صاحب الحق والرد. أما انتم فلا تردوا عليهم) (١١٢).

وعن تعلقه بشعائر الامام الحسين صلوات الله عليه ، يقول الواسطي: (كان رضوان الله عليه رقيق القلب، كثير البكاء، كثير الذكر لمصيبة جده الحسين عليه السلام وكان يقيم في مجلسه العزاء كل أسبوع ويأمر بأقامة المأتم والاطعام لزوار جده الحسين في أيام الزيارات في كربلاء المقدسة كما وأنه كان ملتزما بزيارة سيد الشهداء في الزيارات المخصوصه الواردة) (١١٣).

وخلاصة القول انه : (كان فقيها كبيرا وأبا حنونا ومربيا ومرشدا أمضى عمره الشريف في خدمة الإسلام والعلم والإنسانية وقد عانى في سبيل ذلك اللوان العذاب وتحمل شتى المصائب وتعرض لكثير من البهتان واللغو من قبل من لهم مصلحة في تشويه سمعته المرجعية الرشيدة حتى قضى نحبه في ضل أحلك الظروف القاسية مظلوما صابرا محتسبا) (١١٤)

ثالثا، جهاده السياسي:

كان الجو العام الذي عاصر حياته رضوان الله تعالى عليه مشحونا بالمواقف السياسية المتغيرة والتي تتطلب موقفا ازاءها مع ما يتسبب باضرار كبيرة ، سنعرض بعض مواقفه رضوان الله تعالى عليه في بعض القضايا التي عاصرتها.

أد موقفه من الانتفاضة الشعبانية : (واجهت مرجعية السيد الخوئي امتحانا صعبا بعد توقف حرب الخليج الثانية فقد أسفرت هذه الحرب عن إنتفاضة شعبية عراقية بدأت في مدينة البصرة وانتشرت في جنوب ووسط العراق وكانت المدن المقدسة مثل النجف وكربلاء المقدسة وغيرها من أوائل المدت العراقية التي استجابت للإنتفاضة). وتولى علماء النجف قيادة الثورة وحاولوا ترشيدها بعد أن أتخذت طابع الإنتقام من عناصر السلطة في بداية الأمر وكان للإمام الخوئي(رض) دور هام في ذلك، فقد أمر بتشكيل لجنة من ثمانية علماء تتولى أمور إدارة النجف الإشراف، وتشرف على تطبيق الأحكام والأخلاق الإسلامية في التعامل مع عناصر السلطة. وتم من خلالها ضبط الأمن في المدينة المقدسة(١١٥).

قال مرتضى الحكمي : (وكان يرى : أن من أهم مسؤولياته في هذه المرجعية : التصدي للأحداث التي تنتاب حياة المسلمين ، وتعارض سبيلهم . يناضل خصوم الاسلام ، ويدعم الحركات الاسلامية السليمة التي تؤمن بالمرجعية ، وتلوذ بها . كما شدد النكير على السياسات المناوئة في العراق قياما بالولاية الحسينية ، ومسؤوليات النيابة العامة ، تلك التي أوجبت عليه هذه الحماية في الثورة الشعبانية ، التي أعلن عنها : (لا شك أن الحفاظ على بيضة الاسلام ، ومراعاة مقدساته ، واجب على كل مسلم ، وأهيب بكم أن تكونوا مثالا صالحا للقيم الاسلامية الرفيعة ، فعليكم الحفاظ على ممتلكات الناس وأموالهم وأعراضهم . وكذلك جميع المؤسسات العامة ، لأنها ملك الجميع- في ١٨ شعبان المعظم سنة ١٤١١ هـ- النجف الأشرف- الخوئي)(١١٦).

وبعد انتهاء الانتفاضة المباركة دفع سماحته ثمنا قاسيا جدا وعاش ظروفًا اعاناه الله عليها لا تطيقها الجبال ، يقول احمد الواسطي: (لم يجرؤ النظام العراقي على قتل

الأمام الخوئي(رض) كما قتل الشهيد الصدر من قبل ولكن الأمام(رض) عانى كثيرا خلال السبعة عشر شهرا التي عاشها بعد ضرب وتحجيم الإنتفاضة، فقد تعرض لضروب المحن والالام وعاش مع أبناء شعبه وأتباعه فترة عسيرة لم يتعرض العراق لمثلها من قبل، فهو ينظر الى تدمير التراث الذي أرسى قواعده الأف الصالحين والعلماء على مدى قرون طويلة ويشاهد الدمار الذي حل بالمدن المقدسة. وينظر الى عشرات الالاف من الضحايا والمفقودين والمسجونين ولا يستطيع فعل شي، فقد قضى الأشهر المريعة سجين داره لايعرف عن أفراد أسرته وتلاميذه ومريديه شيئا. وتم عزله عن العالم...وكانت صحته قد ساءت وتدهورت حالته الصحية حتى سلم الأمانة واسلم الروح إلى بارئها(رحمة الله عليه)(١١٧)

بد موقفه من القضية الفلسطينية :

كباقي مراجع الشيعة العظام كانت مواقفه قدس سره في نصرة القضايا الإسلامية واضحة بينة لكل متابع منصف ، فلم يمنعهم موقف بقية المسلمين من الشيعة وتكفيرهم أحيانا والإساءة لكل مقدساتهم من نصرة قضاياهم والتضحية من اجلها بالارواح والأموال والدعم المعنوي الهائل ، فقد اصدر (قدس) بيانا لوكالات الانباء الإسلامية حول القضية الفلسطينية ، قائلا : (ان النكبة التي اصابتنا في صراع المسلمين مع اليهود والقوى الكافرة المتعاونة معهم قد ادمت قلوبنا وان هذا الحق المغتصب يجب ان يسترد على ايدي المسلمين بمختلف قومياتهم وان يكونوا يدا واحدة في رد كيد اليهود وحرهم متمسكين بقوله تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ (١١٨) وكما نوصي حكام البلاد الاسلامية جميعا بنبذ خلافاتهم ، واتخاذ موقف حازم موحد تجاه اعداء الاسلام وليدعوا المسلمون العرب اخوانهم المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ان يقفوا جنبا الى جنب في معركتهم

هذه وعليهم الدفاع عن انفسهم وكرامتهم وينبغي ان نجاهد جميعا بالمال والنفيس للدفاع عن كيان الاسلام والقضاء على اسرائيل الكافرة .. ان القضية هي قضية المسلمين عامة بل قضية البشرية بأسرها لأن الخطر اليهودي المستشري بفساده وشروره انما يهدد العالم اجمع ، فليست للصهيونية رسالة الا الفساد في الارض والاستعلاء فيها كما قال تعالى: ﴿ لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ (١١٩)..... (١٢٠)

ج. موقفه من الحرب العراقية الإيرانية:

عاصر الإمام الخوئي مرحلة حرجة من تاريخ العراق الحديث منذ بداية السبعينات وبعد قيام الثورة الإسلامية في إيران بقياد الإمام الخميني (قدس سره) وتحول الأوضاع السياسية في العراق بشكل كبير.

وعند قيام الحرب العراقية – الإيرانية عام ١٩٨٠ م كانت الحكومة العراقية تسعى الى إستحصال تأييد من القيادة الدينية المتمثلة بمرجعية الإمام الخوئي إلا انه فوت عليهم ما أرادوا ولم يتدخل في الوضع السياسي القائم بين البلدين وبقي محتفظا باستقلالية الحوزة العلمية في النجف. وقد تحمل من جراء موقفه هذا ضغوطا من جانب الحكومة العراقية ولم تنته هذه الضغوط بقتل صفوة ليست بالقليلة من تلامذته الروحانيين إلا أن موقفه لم يتغير وبقي ثابتا في عدم إدانة الثورة الإسلامية في إيران وزعيمها الكبير آية الله الخميني (رض)، أو حتى إصدار فتوى تتعلق بالقتال الدائري بين الطرفين (١٢١).

المطلب الثالث

الإمام السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)

أولا ، زهده بالدنيا :

ينقل خادمه عن ملبسه ومأكله فيقول: «دخلت عليه صباح احد الايام لآتيه بفطوره فرأيته يأكل صمونة يابسة كنت قد جلبتها منذ اسبوع، فلما رأيته استحي وأراد وجهه الشريف. واما اثاث البيت وفراشه فلا يوجد شيء جديد الا ما كان موجودا في ايام زواجه رضي الله عنه. وتلاحظ عباءته فهي الاخرى قديمة مضت عليها السنون(١٢٢).

كما ينقل خادمه ايضا: (انه حضر في يوم زفافه ومعه تلاميذه فتكلم الامام بالمندعوين قائلا: انني مبتهج بهذا الزواج وكأنه زواج ابني(١٢٣).
ثانيا، أقواله هي أفعاله:

يقول النعماني : (اهتم الشهيد الصدر بتجسيد أقواله بأفعاله، فلم ينفصل سلوكه عن قناعاته وأقواله مثلما ابتلي به بعض من ينبغي ان يكونوا في مقام القدوة والاسوة، من هنا حرص على ان يبقى نمط معيشتة مماثلا لعيش الطبقة الفقيرة، فمثلا كان يمتنع عن شراء الفواكه لعائلته مطلقا حتى يتمكن جميع الناس من شرائها، وكان يقول: (يجب علي وانا في هذا الموقع - يعني المرجعية - ان أكون في مستوى العيش بمستوى الطلبة الاعتيادي(١٢٤).

أما الاموال الوفيرة التي تصل اليه كحقوق شرعية، فقد كان يبادر الى انفاقها في مصارفها الشرعية على المحتاجين، وتنبه الى تثقيف ابنائه على ان هذه الاموال ليست ملكا شخصا لهم، ولذا يجب ان يبتعدوا عن العبث بها. يقول بهذا الصدد: (اني فهمت ابنتي مرام ان هذه الأموال الموجودة لدينا ليست ملكا لنا، فكانت هذه الطفلة البريئة تقول أحيانا: ان لدى والدي الاموال الكثيرة ولكنها ليست له، ذلك لكي لا تتربى على توقع الصرف الكثير في البيت بل تتربى على القناعة وعدم النظر الى هذه الأموال كأموال شخصية(١٢٥). وعندما تحدث معه الشيخ النعماني في فترة الاحتجاز عن امكانية الفرار والخلاص من سطوة الجلادين أجابه قائلا: (حتى لو أن

السلطة فكت الحجز فسوف أبقي جليس داري ، فليس منطقيا أن أدعو الناس الى مواجهة السلطة حتى لو كلفهم ذلك حياتهم، ثم لا أكون أو لهم سبقا الى الشهادة في الوقت الذي يستشهد فيه الشاب اليافع والشيخ الكبير من أمثال الشهيد المرحوم السيد قاسم شبر الذي جاوز التسعين من عمره) (١٢٦).

استعداده وتهيئته نفسه للاستشهاد :

من حديث له في الدعوة الى الاستعداد للآخرة وعدم الغرور بالدنيا وطول الامل فيها قال : (فليكن همنا ان نعمل للآخرة، ان نعيش في قلوبنا حب الله سبحانه وتعالى بدلا من حب الدنيا، لأنه لا دنيا معتدا بها عندنا.

الائمة عليهم السلام علمونا بأن تذكر الموت دائما يكون من العلاجات المفيدة لحب الدنيا. ان يتذكر الانسان الموت. كل واحد منا يعتقد بأن «كل من عليها فان». لكن القضية دائما وابدا لا يجسدها بالنسبة الى نفسه. من العلاجات المفيدة ان يجسدها بالنسبة الى نفسه. دائما يتصور بأنه يمكن ان يموت بين لحظة واخرى. كل واحد منا يوجد لديه اصدقاء ماتوا، اخوان انتقلوا من هذه الدار الى دار اخرى. ابي لم يعيش في الحياة اكثر مما عشت حتى الآن. انا الآن استوفيت هذا العمر. من المعقول جدا ان اموت في السن الذي مات فيه اخي) (١٢٧).

ثالثا ، ثباته واصراره على رفض الظلم :

بعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران وتشديد نظام الاجرام الإجراءات القاسية جدا والالسانية على المؤمنين الملتزمين كان السيد الشهيد الصدر من أوائل المستهدفين ، فقد مورست بحقه كل إجراءات التعذيب والإرهاب والاذى ، ولكنه كان كابائه الاطهار صلبا راسخ اليقين ، يقول احمد كبة : (وضع السيد الصدر تحت الإقامة

الجبرية وقطعت عنه جميع الاتصالات الخارجية وابقوا خطأ واحدا مفتوحا معه من خلال بعض علماء الدين الموالين للسلطة لغرض الحصول على بعض التنازلات منه. في البداية طلبت السلطة منه الاستسلام التام لمطالبها من ضمنها ما قدمه مدير الامن العام فاضل البراك اثناء استجوابه للسيد الصدر في رجب ١٤٠٠ هجرية وهو ان يوقف السيد دعمه للثورة الايرانية ويعلن تأييده لسياسة النظام تجاه ايران (١٢٨).

وعندما وجد النظام عدم استعداد الصدر الانصياع لطلباته خفف من لهجته وطلباته وارسل وسيطه للتباحث مع السيد الصدر ... وقد عرض الاخير على السيد الصدر خمسة طلبات ليختار واحدا منها لينقذ نفسه من موت محقق وهذه النقاط هي:

- ١ - وقف تأييده للامام الخميني والثورة الاسلامية في ايران.
 - ٢ - اصدار بيان يؤيد احدى سياسات الحكومة مثل تأميم شركات النفط الاجنبية او قرار منح الحكم الذاتي للاكرد.
 - ٣ - اصدار فتوى تحرم الانتماء لحزب الدعوة.
 - ٤ - الموافقة على اجراء مقابلة صحفية مع صحيفة عراقية او اجنبية يتحدث فيها بصورة محددة عن امور دينية بحتة.
 - ٥ - اصدار فتوى جديدة تنسخ الفتوى السابقة التي تحرم الانتماء لحزب البعث.
- وقد رفض هذه المطالب واستعد للشهادة وقد توارد عنه قوله : لا يستنهض كل الناس بالافكار وانما تحتاج الغالبية الى دماء لتحفيزهم (١٢٩) .

النتائج :

بعد ان تعرفنا على مفهوم القدوة وأهميتها في حياة الانسان ، وعرضنا لنموذج من قدوات المرجعية ، نسجل النتائج الاتية:

• ان اتباع المرجعية الدينية الصالحة مما يحكم به العقل وارشد اليه النقل المستفيض

• إن التربية بالقدوة من أفضل الأساليب التربوية وأكثرها انتشارا قديما وحديثا .

• إن القدوة الصالحة تعمل على تهذيب الأفراد وإصلاحهم كما تجعل من المجتمع وحدة مترابطة عقائديا وشعوريا واجتماعيا وتعمق مفهوم الأخوة بين المؤمنين.

• القدوة الصالحة تولد القناعة التامة بما يطرحه على الناس ويدعو إليه من إصلاحات في المجتمع .

• ان مرجعية الشيعة سيما من عاصرناهم ومن اتخذنا سيرتهم المباركة نموذجا لهذا البحث قد كانوا مصاديق حقيقية للقدوة الصالحة التي امر الله تعالى باتباعها والالتزام بهديها.

• عاش المراجع العظام الذين ذكرهم البحث عيشة الزهد مع الإمكانيات الهائلة المتوفرة لهم ، لكنهم ابوا الامواساة الفقراء من اتباع اهل البيت صلوات الله عليهم.

• ان المراجع الطاهرين كانوا المثل الصالح للمؤمن الصابر امام طغيان وجبروت الحكام الظالمين ، فلم تزعزع شدة الظلم يقينهم ابدا.

الهوامش:

١) ابن منظور لسان العرب نشر أدب الحوزة محرم ١٤٠٥ ، قم، ايران : ١١٤ ؛ الفيروز آبادي ،

القاموس المحيط ٣: ٢٨

٢) وسائل الشيعة ١٨ : ١٠١

٣) معجم ألفاظ الفقه الجعفري ١ : ٣٨٠

٤) الفهرست: ١٧

٥) معرفة الرجال ١ : ٤٠٠ .

٦) كتاب البيع ٢ : ٦٢٢

- (٧) كتاب البيع ٢: ٦٢٢-٦٢٣
- (٨) الهداية: ٢٦
- (٩) أحكام القرآن ٢: ٢٢٤
- (١٠) أحكام القرآن ٢: ٢٢٤
- (١١) تفسير القرطبي ٢: ٢١١
- (١٢) الفقيه ٤: ٤٢٠ ح ٥٩١٩؛ عيون أخبار الرضا (ع) ١: ٤٠ ح ٩٤؛ وسائل الشيعة ٢٧: ٩٢ ح ٥٣ (٣٣٢٩٨)
- (١٣) عوالي اللآلي، انتشارات سيد الشهداء (ع) قم، سنة الطبع: ١٤٠٥ هـ: ٦٥؛ وسائل الشيعة ٢٧: ٩١ ح ٥٣ (٣٣٢٩٨)
- (١٤) الكافي ١: ٤٦ ح ٥.
- (١٥) النوادر، الراوندي: ٢٧، مستدرک الوسائل ١٣: ١٢٤، كتاب التجارة، أبواب ما يكتسب به، الباب ٣٥، الحديث ٨، وفيه: «على أديانكم»، بدل «على دينكم».
- (١٦) كتاب البيع ٢: ٦٣٤
- (١٧) كمال الدين ٢: ٤٨٣ ح ٤، وسائل الشيعة ٢٧: ١٤٠، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١١، الحديث ٩.
- (١٨) كتاب البيع ٢: ٦٣٥-٦٣٦
- (١٩) كتاب البيع ٢: ٦٣٨
- (٢٠) النساء: ٦٠.
- (٢١) الكافي ١: ٦٧ ح ١٠، الكافي ٧: ٤١٢ ح ٥؛ تهذيب الأحكام ٦: ٢١٨ ح ٥١٤ و ٣٠١ ح ٨٤٥.
- (٢٢) الكافي ١: ٣٤ ح ١.
- (٢٣) كتاب البيع ٢: ٦٤٧-٦٤٨
- (٢٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٧ ح ٢٠٥.
- (٢٥) تحف العقول: ٢٣٨.
- (٢٦) وسائل الشيعة ٣٠: ١٥٦.
- (٢٧) هداية الطالب: ٣٢٩.
- (٢٨) الاحتجاج ٢: ٢٦٣
- (٢٩) ابن منظور، لسان العرب، الناشر ادب الحوزة، قم، ايران، ١٤٠٥ هـ: ١٥: ١٧
- (٣٠) الفيرزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس: ١٣٢٣
- (٣١) عبد الرحمن النحلوي أصول التربية الاسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع: ٢٥٧

- (٣٢) أحمد محمود، تربية الطفل في الاسلام،: ١٨٥
- (٣٣) تفسير ابن كثير: ٣: ٤٨٣
- (٣٤) الزخرف: ٢٣
- (٣٥) ينظر: تفسير القرطبي ١٤: ١٠٢؛ تفسير مفردات القرآن الكريم: ٧٧.
- (٣٦) تفسير السعدي ٤: ١٥٣.
- (٣٧) عبد الرحمن النحلاوي أساليب التربية الإسلامية: ٤٩
- (٣٨) النجم: ٣-٤
- (٣٩) الأحزاب: ٢١
- (٤٠) ينظر: محمد قطب، منهج التربية الإسلامية ١: ١٨٢.
- (٤١) آل عمران: ٣١
- (٤٢) مسلم ٣: ١٦٩١.
- (٤٣) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية: ٢٣٢
- (٤٤) محمد الإبراهيمي، التربية الإسلامية وفلاسفتها: ٢٩٤.
- (٤٥) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية ١: ٢٢٨.
- (٤٦) الزخرف: ٦٧-٦٨
- (٤٧) أمال المرزوقي، النظرية التربوية الإسلامية: ١٠٨؛ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية ١: ٢٢٨
- (٤٨) عبد الرحمن حبنكة الميداني، غزوفي الصميم: ١٥٢-١٥٣
- (٤٩) الأنعام: ٩٠
- (٥٠) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٤: ٣٧٣-٣٧٤
- (٥١) الأحزاب: ٢١
- (٥٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم ١٦: ٢٨٨
- (٥٣) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٣: ١٩٧
- (٥٤) المتحنة: ٤
- (٥٥) الأنعام: ٩٠
- (٥٦) تفسير السعدي ٢: ٤٩.
- (٥٧) الأحزاب: ٢١
- (٥٨) تفسير مجمع البيان ٨: ١٤٤
- (٥٩) تفسير ابن كثير ٣: ٥٢٢.

- (٦٠) الفرقان: ٢٧-٢٨
- (٦١) تفسير ابن كثير ٣: ٣٤٨-٣٤٩.
- (٦٢) التفسير الأصفي ١: ٥٥٤
- (٦٣) التفسير الأصفي ٢: ١١٤٥
- (٦٤) التفسير الأصفي ٢: ١٢٩١
- (٦٥) الصافي ٢: ٤٧١
- (٦٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١: ٣٧٢
- (٦٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٨: ٣٦٤
- (٦٨) تفسير القرطبي ٢: ٢١١-٢١٢
- (٦٩) تفسير القرطبي ٢: ٢١٢
- (٧٠) تفسير القرطبي ٢: ٢١٢
- (٧١) الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق، الكافي، مطبعة حيدري، طهران، ط الخامسة، ١٣٦٣ هـ ش ٥: ٩
- (٧٢) صحيح مسلم ٣: ١٦٩.
- (٧٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م ٢: ٢٦٥
- (٧٤) الكاشاني، محمد محسن الفيض، التفسير الأصفي، مركز الابحاث والدراسات الاسلامية، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ١٣٧٦ هـ ش، ج ١، ص ٣٣٢
- (٧٥) مصباح الشريعة: ١٥٦ الباب الرابع والسبعون في الاقتداء
- (٧٦) تربية الأطفال في ضوء الكتاب والسنة، يوسف بدوي ومحمد قاروط ١: ٣٠٤
- (٧٧) أصول التربية الاسلامية، أيمن أبولاوي: ٣٧
- (٧٨) مسؤولية الاسرة في تحقيق الأمن التربوي، رسالة ماجستر، رشدي مامون أوان طاهر فتاني، الجامعة الاسلامية بالمدينة، ١٤٣٣_١٤٣٤ هـ
- (٧٩) هود: ٨٨
- (٨٠) الصف: ٢-٣
- (٨١) محمد الإبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها: ٢٩٤.
- (٨٢) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية: ٢٣١.
- (٨٣) تفسير جوامع الجامع ٢: ١٦٠
- (٨٤) في تفسيره ٢: ٥٧١.

- (٨٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ١ : ٥٨٧ ؛ فيض الرحمن تفسير جواهر القرآن ٢ : ٣١١
- (٨٦) تفسير مجمع البيان ٦ : ٢٠٨
- (٨٧) تفسير السعدي ١ : ٥٨٧
- (٨٨) النظرات حول الإعداد الروحي : ٢٢٦
- (٨٩) الصف : ٢-٣
- (٩٠) هود : ٨٨
- (٩١) الحر العاملي محمد بن الحسن (ت سنة ١١٠٤ هـ) ، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ١٦ : ١٥١ ؛ بحار الأنوار ٢ : ٥٦
- (٩٢) الأمالي: ٥٢٧
- (٩٣) الكليني، الكافي ٢ : ١١٨ ح ١٤
- (٩٤) مقدمة كتاب دليل الناسك للامام الحكيم بقلم نجله السيد الشهيد محمد باقر : ١٧
- (٩٥) المصدر نفسه : ٢٣
- (٩٦) النظرات حول الإعداد الروحي : ٣٠٧
- (٩٧) مقدمة كتاب دليل الناسك للامام الحكيم بقلم نجله السيد الشهيد محمد باقر : ٢٧
- (٩٨) دليل الناسك : ٢٦-٢٧
- (٩٩) احمد الواسطي ، سيرة الامام الخوئي ، الطبعة الأولى ١٤٣٤-٢٠١٣ م : ٩٩
- (١٠٠) المصدر نفسه ١ : ٢٣
- (١٠١) احمد الواسطي ، سيرة الامام الخوئي ، الطبعة الأولى ١٤٣٤-٢٠١٣ م : ١٠٠
- (١٠٢) المصدر نفسه : ١٩
- (١٠٣) مقدمة بحث السيد الخوئي التنقيح في شرح العروة الوثقى، تقريرات الشيخ علي الغروي التقليد بقلم مرتضى الحكمي ١ : ١٧.
- (١٠٤) احمد الواسطي ، سيرة الامام الخوئي ، الطبعة الأولى ١٤٣٤-٢٠١٣ م : ٩١٠١
- (١٠٥) المصدر نفسه : ١٠٦
- (١٠٦) التقليد ١ : ٢٦
- (١٠٧) مجلة الموسم اللبنانية، العدد ١١ ، سنة ١٤١٢-١٩٩٦ م.
- (١٠٨) آية الله العظمى السيد السيستاني، مجلة النور، العدد ١٧ ، السنة ١٤١٣ هـ .
- (١٠٩) الواسطي : ٥٣
- (١١٠) الواسطي : ٥٣

- (١١١) حياة السيد الخوئي : ٥٨
- (١١٢) المصدر نفسه : ٦٠
- (١١٣) المصدر نفسه : ٦٠
- (١١٤) المصدر نفسه : ٦٢
- (١١٥) احمد الواسطي ، سيرة الامام الخوئي ، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م : ١٠٣
- (١١٦) مجلة الموسم اللبنانية ، العدد ١١ ، المجلد الثالث ، سنة ١٤١٢ / ١٤١٨ - ٩٩٩ .
- (١١٧) احمد الواسطي ، سيرة الامام الخوئي ، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م : ١٠٥
- (١١٨) ال عمران : ١٠٣ .
- (١١٩) الاسراء : ٤ .
- (١٢٠) هاشم فياض الحسيني ، لمحات من حياة الامام المجدد السيد الخوئي : ٥٤ .
- (١٢١) ينظر : احمد الواسطي ، حياة السيد الخوئي : ٥١
- (١٢٢) الامام الشهيد : ٧٢ .
- (١٢٣) المصدر نفسه : ٨٠
- (١٢٤) ينظر : محمد رضا النعماني ، الشهيد الصدر أيام الحصار والمحنة : ١١٤ - ١١٥ .
- (١٢٥) السيد كاظم الحائري ، مباحث الاصول : ٤٩ .
- (١٢٦) النعماني ، المصدر السابق : ١٠٤ .
- (١٢٧) المدرسة القرآنية : محاضرات سماحة الامام محمد باقر الصدر . بيروت ١٤٠٠ - ١٩٨٠ ص ٢٥٧
- ٢٥٨ . والكتاب مجموعة محاضرات مسجلة على اشرطة كاسيت دوت بعد استشهاده وطبعت في كتاب مجموعها اربع عشرة محاضرة القاها بين ١٧ جمادى الاولى ١٣٩٩ و ٥ رجب ١٣٩٩ هـ .
- (١٢٨) كتاب محمد باقر الصدر .. دراسات في حياته وفكره نخبة من الباحثين ، مقالة ملا اصغر علي محمد جعفر (الحياة السياسية للامام الصدر) نسخة الكترونية .
- (١٢٩) المصدر السابق بتصرف
- المصادر :

- ابن ابي جمهور احسانى عوالي اللآلي ، انتشارات سيد الشهداء (ع) قم ، ١٤٠٥ هـ
- ابن العربي (٥٤٣هـ) ، أحكام القرآن ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، لبنان ، دار الفكر للطباعة والنشر .
- ابن شعبة الحراني ، تحف العقول تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري
- ابن منظور ، لسان العرب ، الناشر ادب الحوزة ، قم ، ايران ، ١٤٠٥ هـ

- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المحقق: محمد حسين شمس الدين
- أحمد فتح الله (الدكتور) معجم ألفاظ الفقه الجعفري الطبعة الاولى
- أحمد محمود الحمد ، تربية الطفل في الاسلام أحمد محمود، ٢٠٠٣م، الناشر: دار النشر الدولي.
- أحمد محمود، تربية الطفل في الإسلام، مركز الرسالة ، ط الأولى ١٤١٨هـ ، مطبعة مهر - قم.
- أمال المرزوقي ، النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي. جدة: دار تهامة، ١٩٨٢م.
- الامام الخميني ١٤١٠هـ، كتاب البيع، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني، ط الأولى ١٤٢١هـ.
- الامام محسن الحكيم، دليل الناسك، تحقيق السيد محمد القاضي الطباطبائي، مؤسسة المنار
- أيمن أبو لاوي ، أصول التربية الإسلامية، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٩٩٩م.
- حسن معن (الشهيد) النظرات حول الإعداد الروحي الناشر: مؤسسة العارف للمطبوعات، ط الثانية ١٩٩٢
- رشدي مامون أوان طاهر فتاني ، مسؤولية الاسرة في تحقيق الأمن التربوي ، رسالة ماجستير ، الجامعة الاسلامية بالمدينة ، ١٤٣٣-١٤٣٤هـ
- الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا (ع)، تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي ١٤٠٤م - ١٩٨٤م، مطابع مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان.

• الشيخ الطبرسي (٥٤٨هـ)، تفسير مجمع البيان، تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان

• الشيخ الطبرسي (٥٤٨هـ)، تفسير جوامع الجامع، مؤسسة النشر الإسلامي، ط الأولى ١٤٢٠ هـ، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

• الشيخ الطوسي (٥٤٦هـ)، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، ط الأولى ١٤١٤ هـ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم

• الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،

• عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تحقيق :

عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

• عبد الرحمن حبنكة الميداني ، غزو في الصميم

• عبد الرحمن النحلاوي أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع

• الفيض الكاشاني (١٠٩١هـ)، التفسير الأصفي، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، محمد حسين درايقي، محمد رضا نعمتي، ط الأولى ١٤٢٠ هـ

• الفيض الكاشاني (١٠٩١هـ)، التفسير الصافي، ط الثانية، رمضان ١٤١٦ هـ، نشر مؤسسة الهادي - قم المقدسة، مكتبة الصدر - طهران.

• القرطبي (٦٧١هـ)، تفسير القرطبي، تصحيح : أحمد عبد العليم البردوني ١٤٠٥ م ١٩٨٥ م دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان مؤسسة التاريخ العربي.

- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط
- محمد الإبراهيمي، التربية الإسلامية وفلاسفتها. القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٦
- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م
- محمد بن الحسن الحر العاملي (١٠٤١هـ)، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة مهر-قم.
- محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي، الكافي، مطبعة حيدري، طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣هـ ش
- محمد حسين، الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.
- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية الناشر: دار الشروق الطبعة: الرابعة
- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- يوسف بدوي ومحمد قاروط ، تربية الأطفال في ضوء الكتاب والسنة ، دار المكنبي، دمشق، ط الثانية ١٤٢٣ هـ.

قرينة التخصيص بمتعلقات الجملة في تفسير التبيان للشيخ الطوسي

(دراسة نحوية دلالية) .

م.د. هاشم جبار الزرقي / كلية الشيخ الطوسي الجامعة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تحصى والصلاة والسلام على نبيه نبي الهدى وعلى آله المستكملين الشرفا ..

يعد تفسير الشيخ الطوسي المسمى بـ (التبيان في تفسير القرآن) من أوائل التفاسير المنهجية في تاريخ المذهب الإمامي وفيه مادة غنية من نحو وصرف وبلاغة وقراءات وفقه وأصول وغيرها من العلوم ، ولاريب في ذلك ، فمؤلف الكتاب هو الشيخ أبو جعفر الطوسي أحد أكابر علماء الإمامية بل هو شيخ الطائفة فعنده بدأت العلوم تتضح وعلى يديه انبثقت المدرسة الإمامية في العصر الحديث فكان تفسيره موسوع متكاملة تستدعي الباحث الوقوف عليها وتمحيصها ، وقد انعمت النظر في تفسير الشيخ الطوسي واستقيت منه عنوانا لبحثي ألا وهو قرينة التخصيص بمتعلقات الجملة .

وقد قسمت البحث على فقرات مسبقة بمدخل لدراسة متعلقات الجملة والوقوف على قرينة التخصيص بها ثم كان موضوع البحث فابتدأت بقرينة التعدية بالمفعول به قرينة التقييد بالنعته وقرينة الملابس بالحال وقرينة الغائية بالمفعول معه وقرينة التفصيل بالبدل ثم ختمت البحث بخاتمة أبانت أهم النتائج التي توصلت إليها . وكانت قائمة البحث حاضنة لمظان كثيرة استقى منها البحث .

وأخيرا فإني أرجو أن يلاقي بحثي قبولا من لدن القارئ الكريم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

مدخل لدراس قرينة التخصيص بمتعلقات الجملة

النظام النحوي شبكة من القرائن المرتبطة بعضها ببعض ، وتكون هذه القرائن حركة المعاني وخصوصية الجملة العربية (١) ، وقد تنبه النحاة إلى هذه القرائن وارتباطها في تكوين التركيب واستقامة الكلام ، فيرى سيبويه أن الجملة لا بد لها من مسند ومسند إليه ((وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا)) (٢) ، فكلاهما مرتبط بقرينة الإسناد ، ويؤكد المبرد الأثر الذي يؤديه الارتباط بين العناصر اللغوية ؛ لإفادة المعنى قائلا : ((اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئا ، وإذا قرنتها بما يصلح حدث معنى ، واستغنى الكلام)) (٣) ، وأكد أبو بكر بن السراج ارتباط عناصر الجملة من الاسم والفعل وإنهما لا يستغنى واحد منهما عن صاحبه (٤) ، وهذه الإشارات المبثوثة في كتب التراث النحوي عن القرائن الدلالية والربط بينها كان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد بسط القول فيها بالاعتماد على النحو ومعانيه ؛ ليؤسس نظريته في التعليق قائلا : ((أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب ، حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك)) (٥) ، فالتعليق هو إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية ، وأن هذه العلاقات هي التي تحدد المعنى الوظيفي للتركيب (٦) .

وتنقسم القرائن (العلاقات) على قسمين هما :

الأول: القرائن اللفظية (العلاقات اللفظية) ، وهي التي يستدل بها على الوظائف النحوية ، ومثلها كمثل معالم الطريق الذي يهتدى به المرء إلى المكان الذي يقصده ، فيعرف بها الفاعل ، والمفعول ، والحال وغيرها وتندرج تحتها قرينة البنية ، والإعراب ، والربط ، والرتبة ، والتضام ، ولا تدل واحدة من هذه القرائن على المعنى النحوي ، بل تشترك معها عصبية من القرائن المتضافرة.

الثاني : القرائن المعنوية (العلاقات المعنوية) ، وهي القرائن التي تربط بين عناصر الجملة وبقية العناصر مثل قرينة الإسناد ، وقرينة التخصيص ، وغيرها ، وهذه القرائن تتضافر مع القرائن اللفظية فيتضح المعنى بمجموعها^(٧) وقد اقتصر البحث على القرائن اللفظية بحسب ورودها في تفسير التبيان للشيخ الطوسي رحمه الله تعالى، كالتخصيص ، بمتعلقات الجملة فقد عرف ابن مالك المتعلقات بأنها : ((عبارة عما زاد على ركني الإسناد كالمفعول والحال والتمييز))^(٨) ، وسماها النحاة الفضلات^(٩) وكان سبب التسمية أن النحاة نظروا إلى معيار المسند والمُسند إليه في الجملة ، فعدوهما عمدة لا يستغنى عنه ، وما عداها يكون فضلة جاءت لتكملة المعنى في الجملة ، فهي ليست من عمدة الجملة وأركانها فيجوز الاستغناء عنها إن لم يضر^(١٠) ، فالتسمية جاءت للتفريق بين الأهم والمهم ، وقد نقد الدكتور مهدي المخزومي على النحاة إطلاقهم مصطلح (الفضلات) ، على (المتعلقات) ؛ لأن مصطلح (الفضلات) يشعر بتفاهتها ومن ثم قلة شأنها في تأدية المعاني والأغراض^(١١) ، ولذلك اقترح استعمال مصطلح البلاغيين ، وهو (المتعلقات) أو مصطلح (التكملات) - وهي التسمية التي انتهت إليها لجنة التبسيط في القاهرة - فاستعمل ذينك المصطلحين بدلا من مصطلح الفضلات^(١٢) .

وقد قسم الأستاذ محمد الأنطاكي المتعلقات (التكملات) على قسمين : قسم يكمل الفعل فأطلق عليها تكملات الفعل ، وهي المفاعيل بأنواعها والجار والمجرور ، وقسم يكمل الاسم فأطلق عليها تكملات الاسم وهي المضاف إليه والنعت والحال والتمييز والبدل وعطف البيان^(١٣) .

وتؤدي المتعلقات وظيفتها النحوية والدلالية بقرينة التخصيص التي نبه عليها الدكتور تمام حسان ، وقد وصفها بأنها قرينة كبرى ، وذكر سبب تسميتها قائلا : ((وانما سميت هذه القرينة الكبرى قرينة التخصيص لما لاحظته من أن كل ما

تفرع عنها من القرائن قيود على الإسناد بمعنى أن هذه القرائن المعنوية المتفرعة عن التخصيص يعبر كل منها عن جهة خاصة في فهم معنى الحدث الذي يشير إليه الفعل أو الصفة^(١٤) ، وهنا تتفرع عنها قرائن معنوية هي : التعديّة بالمفعول به ، والتقيد بالنعته ، والملازمة بالحال ، والغائية بالمفعول له ، والتوكيد بالمفعول المطلق ، والتفسير بالتمييز ، والتفصيل بالبدل^(١٥) .

وقد انتشرت قرين التخصيص بتلك العناصر في تفسير الشيخ الطوسي حتى أضحت ظاهرة تستحق الوقوف والدراسة .

أولاً: قرينة التعديّة بالمفعول به.

عرّف الزمخشري المفعول به أنه ((هو الذي يقع عليه فعل الفاعل))^(١٦) ، وحقه أن يكون منصوباً ، بل هو الأصل في المنصوبات^(١٧) ، وفي ناصبه مذاهب شتى ذكرها أبو البركات الأنباري ، أحدها مذهب البصريين أن الفعل وحده عامل في الفاعل والمفعول ، ويرى جمهور الكوفيين أن الفعل والفاعل هما عاملا التصب فيه ، وهو عند خلف الأحمر^(ت ١٨٠هـ) منصوب على معنى المفعولية ، وذهب هشام بن معاوية^(ت ٢٠٩هـ) إلى أن عامله الفاعل^(١٨) .

ويظهر المفعول منتصباً بعد تمام الجملة بشرط أن يكون الفعل متعدياً^(١٩) ، ومن ثم يكون معنى الجملة ناقصاً من دونه ، ويأتي المفعول به لمعان مقصودة في ذاتها ، ومن تلك المعاني : تخصيص الدلالة ، وقد تحدث سيبويه عن قرينة التخصيص بالمفعول به في كتابه^(٢٠) .

وقد جاء التخصيص بالمفعول به في مواضع كثيرة عند الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان كما في قوله تعالى : ((وَقد كَانَ فريق مِثْهم يَسْمَعُونَ كلامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) (البقرة ٧٥) ، فقد قال الشيخ الطوسي إن

المقصود بكلام الله هو القرآن الكريم رداً على اليهود الذين نزلت هذه الآية فيهم (٢١) ، ووقع المفعول به (كلام الله) ؛ ليدل على انغلاق الدلالة المفتوحة لو لم يكن هنالك مفعول به ، فقرينة التخصيص بالمفعول به قيد على قرينة الإسناد ، وهي تحد من وطأة الإطلاق في فعل السمع من هؤلاء اليهود ، وقد جاء المفعول به مركباً من (كلام) مضاف إلى لفظ الجلالة ، وأرى أن هذه الإضافة أيضاً قيد للكلام يتميز بها مفهومه وتبرز دلالاته ، وعبرة (كلام الله) لا يراد بها أنه تبارك تعالى يتكلم على وجه الحقيقة ، وسماع اليهود ذلك منه ، كما يسمع الكلام من أفواهنا نحن البشر وإنما المراد على رأي الشيخ الطوسي أنهم ((سمعوا ما يضاف الى كلامه بضرب من العرف دون حقيقة الوضع. وحقيقة الوضع هي: المعنى الوضعي او الأصلي للفظ، فجاءت هذه العبارة لتدل على الذين سمعوا كلام الله الذي أوحى الله الى موسى (عليه السلام). او بمعنى التوراة التي علمها علماء اليهود)) (٢٢) ،

فكلام الله تعالى هو القرآن ، أضيف الى لفظ الجلالة ؛ لأنه كلام أوجده الله عز وجل ؛ ليدل على مراده من الناس فلم يكن من تأليف مخلوق ولكن الله أوجده بقدرته (٢٣) .

وجاء التخصيص بالمفعول به في قوله تعالى : ((ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون)) (القصص ٥١) ، فقد تعدى الفعل (وصلنا) إلى المفعول به (القول) ونرى أن (اللام) الجارة الداخلة على الضمير (هم) قد عملت على زيادة التخصيص وتضافرت مع التخصيص بالمفعول به بقرينة التعديّة ، قال الشيخ الطوسي : إن المقصود بالقول هنا القرآن (٢٤) ، وقد سمي القرآن هنا قولاً لغرض دلالي مقصود ؛ لأنّ القول يدل على السرعة والطلاقة قال أبو الفتح عثمان بن جني ((إن معنى (ق ول

اين وجدت ، وكيف وقعت ، ومن تقدم بعض حروفها على بعض ، وتأخره عنه ، إنما هو للخفوف والحركة» (٢٥).

وتأسيسا على هذا يكون التخصيص بالمفعول به له دلالة الخاصة في وصف القرآن وعلو كعبه وسمو معانيه ، وتدفق ألفاظه بصورة لا يشوبها انقطاع أو وهن أو فتور ، أي : ان القرآن أتاهم متتابعاً متواصلاً وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ، إرادة أن يتذكروا فيفلحوا ، أو : نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في إثر بعض ، وهذا غاية في إيصال الحجج والدلائل إلى المشركين ، من الفعل المتعدي وتسمية القرآن باسم مناسب في السياق .

إن تخصيص الوصف بالمفعول به قد قيد الإطلاق الحاصل في الجملة لو لم يكن هناك مفعول به ، ولأصبح الإيصال شيئا مطلقا لا تعرف له حدود ، أو يكون فعل الإيصال مبهما فيحار المتلقي بما هو الموصل من الله تعالى ؟ ، فيأتيه الجواب بأن الموصل هو القول لا غير ، حتى يدركوا الدلالة جيدا ويندمج الإيصال الحقيقي للقول مع إيصال الدلالة التي تتحلّى بها الجملة الواصفة بوجود المفعول به.

ثانيا: قرينة التقييد بالنعته.

عرف ابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) النعت بأنه : ((اسم أو ما هو في تقدير اسم ، يتبع ما قبله لتخصيص نكرة أو لإزالة اشتراك عارض في معرفة أو مدح أو ذم أو ترحم أو تأكيد ، مما يدل على حليته أو نسبه أو فعله أو خاصته من خواصه)) (٢٦) ، فنجد من هذا التعريف أن النعت يأتي لتخصيص الدلالة ؛ لكونه أداة لتقييد المنعوت للإبانة عنه ، ويسمى النعت أيضا صفة ووصفا ، وجميعها مصطلحات بصريّة استعملها سيبويه في الكتاب (٢٧) ، وعليه لا صحة لما ذكره بعض النحويين كالسيوطي والخضري والدكتور شوقي ضيف والدكتور مهدي المخزومي من أن النعت مصطلح كوفي ،

وأن الوصف والصفة من مصطلحات البصريين^(٢٨). قال تعالى : ((تلك آيات الكتاب الحكيم)) (يونس ١) فقد نعت الله تعالى كتابه بأنه حكيم وأنه بحسب رأي الشيخ الطوسي دليل على الحق كالناطق بالحكمة، ولأنه يؤدي إلى المعرفة التي يميز بها طريق الهلاك من طريق النجاة ونقل الطوسي رأيا لأبي عبيدة وقال أبو عبيدة : حكيم ههنا بمعنى محكم^(٢٩) ، وإن تخصيص النعت بـ(الحكيم) جاء لمعان أدتهما هذه اللفظة ، أما بمعنى (مفعول) بفتح العين، أي : (محكم) ، وأما بمعنى : (ذي حكمة) لاشتماله على الحكمة والحق وأما أن يكون وصف يوصف منزلة المتكلم به^(٣٠) ، ؛ ليوضح الدلالة بهذا النعت ، وذكر ابن يعيش والرضي أن المقصود بالتوضيح هو إزالة الاشتراك العارض في المعارف ، فإذا قلنا : جاءني زيد العاقل ، فوضحنا بهذا الوصف زيد وفصلنا به عن أخريس بعاقل ، وأزلنا عنه الشركة العارضة^(٣١) ، وإن السبب في كون الاشتراك عارضا ، هو أن المعرفة إنما تكون موضوعة لتخص مسماهما بخلاف النكرة^(٣٢) وقال أبو الحسن الوراق (ت٣٢٥هـ) : إن الأصل في المعارف ألا توصف ؛ لأنها وضعت لتدل على اسم لا يشاركها فيه غيره^(٣٣) ، فالمعرفة توصف لغرض إزالة اللبس ، أو توصف تحلية كما يرى سيبويه إذ مثل على ذلك بقوله : ((وقد تقول : كان زيد الطويل منطلقا ، إذا خفت التباس الزيدين))^(٣٤) ، وعلى هذا تكون دلالة التوضيح لرفع الاحتمال في المعارف ، ودلالة التخصيص لتقليل الاشتراك في النكرات وهو ما عليه أغلب النحويين^(٣٥) ، ولولا وجوده لكانت الدلالة مطلقة ، ولذهب الذهن في وصف القرآن مذاهب شتى ، فحذف النعت من الجملة يعني الإطلاق ووجوده تقييد للدلالة ، وهو المطلوب في هذا الموضع ، وقد أدى النعت معنى حركيا يكسرقود الجمود ويحاول أن يرتقي بالنص إلى قمة الحركة الدلالية باجتماع المعاني في كلمة واحدة

واستدعاء المتلقي لتمحيصها، فالقرآن كتاب حكيم من رب حكيم، وقد عمل التقييد بالنعته على تخصيص الوصف وحده في ذهن المتلقي لأن دلالة الحكمة مطلوبة في هذا السياق ولا يراد غيرها.

وقال تعالى: ((إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً)) (المزمل ٥)، فالقول: هو احد أوصاف القرآن، وقد نعت بـ(ثقيلاً)؛ في قوله تعالى: ((قولاً ثقيلاً)). قال الشيخ الطوسي: ((اخبار من الله تعالى لنبيه أنه سيطرح عليه قولاً ثقيلاً. وقال الحسن وقتادة: إنه يثقل العمل به لمشقة فيه. وقال ابن زيد: معناه العمل به ثقیل في الميزان والاجر، ليس بشاق. وقيل: معناه قول عظيم الشأن، كما تقول هذا الكلام رزين، وهذا قول له وزن إذا كان واقعا موقعه)) (٣٦)

وللسيد قطب رأي في وصف القرآن الكريم بـ(القول الثقيل)، يقول: ((هو هذا القرآن، وما وراءه من التكاليف، والقرآن في مبناه ليس ثقيلاً، فهو ميسر للذكر، ولكنه ثقیل في ميزان الحق، ثقیل في أثره في القلب. قال تعالى: ((لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله)) (الحشر ٢). فأنزل الله على قلب أثبت من الجبل يتلقاه)) (٣٧).

وقيل: حين وصف القول بالثقیل، لا يقصد به الثقل في التلفظ والنطق، بل وعورة فهم معنى ما يشتمل عليه القرآن من علم (٣٨)، فجاء قول: مفعولاً به، وثقيلاً نعت له (٣٩)، وهو ((ثقل مجازي لا محالة، مستعار لصعوبة حفظه لاشتماله على معان ليست من معتاد ما يجول في مدارك قومه فيكون حفظ ذلك القول عسيراً على الرسول الأمي تنوء الطاقة عن تلقيه)) (٤٠)، ومن هنا تتضح الدقة الفائقة في اختيار الكلمات القرآنية والتعبير بها مما يعني التمكن الدلالي المتولد بالتأثير في المتلقي الذي يعي المقصود من هذه الكلمات في كل من هذه التراكيب.

ثالثا: قرينة الملابس بالحال.

عرّف أبو الفتح عثمان بن جني وبعض التحويين الحال ، بأنه : ((وصف هيئة الفاعل أو المفعول به)) (٤١) ، وعرّفه ابن عصفور ، بقوله : ((هو كل اسم أو ما هو في تقديره منصوب لفظا ، أو نيّة، مفسّر لما انبهم من الهيئات أو مؤكّد لما انطوى عليه الكلام)) (٤٢) ، وإن الغالب فيه عند جمهور التحويين ، أن يكون اسما أو وصفا فضلة نكرة صالحا للوقوع في جواب (كيف) (٤٣) ، ولا يراد بـ (الفضلة) صلاحية حذف الحال من غير تأثير في المعنى قال ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) : ((وإنما المراد بذلك شيان: أحدهما: أنّ الحال حكمها أن تأتي بعد كلام تام لو سكت عليه المتكلم لاستقل بنفسه. والثاني: أنّ الحال لا تستقل بنفسها ولا يسند إليها وإنما تكون أبدا تابعة لغيرها)) (٤٤) ، وتكمن وظيفة الحال في تخصيص عموم الدلالة في الإسناد وتوضيح قرينة ذلك الإسناد وأنها تساعد في الكشف عن الحدث وبيانه (٤٥) . ومن مواضع قرين الملابس بالحال في تفسير الشيخ الطوسي كما جاء في تفسير قوله تعالى: ((وإذا قيل لهم ءامتوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا و يكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين)) (البقرة ٩١) ، فقد نص الشيخ الطوسي على أن الحال (مصدقا) هي حال مؤكدة لصاحبها المبتدأ (هو) (٤٦) ، وذكر الطوسي أن الكوفيين نصبوا (مصدقا) على القطع ويعنون به الحال (٤٧) ، وقد استفاد بعضهم من كلام سيبويه وما استشهد به من كلام العرب ، قال ابن عطية (ت ٥٤١هـ) : ((و ((مصدقا)) حال مؤكدة عند سيبويه ، وهي غير منتقلة ، وقد تقدم معناها في الكلام ولم يبق لها هي إلا معنى التأكيد)) (٤٨) ، فهي تفيد تأكيد المعنى عند سيبويه وتابعة ابن عطية في كلامه . والظاهر أن الحال المؤكدة هنا أفادت تخصيص الدلالة بقرينة

الملايسة بصاحبها الضمير (هو) فالتصديق يلتبس بالقرآن الكريم ولا ينفك عنه ، وفي هذا غاية التوكيد للمعنى ، وعليه فالحال المؤكدة أفادت التوكيد أيضا ثم خصصت الدلالة المطلقة ، ونجد أن الحال (مصدقا) بهذه الصورة وبهذه القرينة قد أضافت للآية معنى جديدا لا نكاد نحصل عليه من فقدانها ، وقد فطن أبو اسحاق الزجاج إلى المعنى الجديد الذي أعطته الحال (مصدقا) عند تعرضه لتبيان المعنى الذي يكمن وراءها ، وقد أفاد من كلام الخليل وسيبويه ، قال: ((زعم سيبويه و الخليل و جميع النحويين الموثوق بعلمهم أن قولك (هو زيد قائما) خطأ ، لأن قولك هو زيد كناية عن اسم متقدم فليس في الحال فائدة ، لأن الحال توجب هاهنا أنه إذا كان قائما فهو زيد ، و إذا ترك القيام فليس بزيد ، وهذا خطأ ، فأما قولك هو زيد معروفا ، وهو الحق مصدقا ، ففي الحال فائدة ، كأنك قلت أثبتته له معروفا ، وكأنه منزلة قولك هو زيد حقا ، فمعروفا حال لأنه إنما يكون زيدا لأنه يعرف بزيد و كذلك (الحق) القرآن هو الحق إذا كان مصدقا لكتب الرسل)) (٤٩) ، فقد اشترط الخليل وسيبويه وضع الحال بكلمة (معروف) أو ما يشبه المعروف حتى يكون الكلام له معنى جديد للسامع، فيصير الشيء متمثلا بصفة المعروف وكأنه هو متلايس فيه (٥٠) ، فالحال أسست معنى جديدا للآية متلايسا مع صاحب الحال (وهو الضمير) (هو) ؛ وهذا ما أكدته الرضي الاسترابادي بأن دلالة الحال مصدقا ((لازم في الأغلب لمضمون الجملة ، فإن التصديق لازم لحقية القرآن ، فصار كأنه هو)) (٥١) .

إن جملة (وهو الحق) المتكونة من المبتدأ والخبر تبقى تفتقر إلى ضميمة أو إلى شيء يوضح إسنادها ؛ إذ لا تكفي علاقة الإسناد بين المبتدأ والخبر في توضيح المراد من هذا الحق ، لذلك جاءت الحال لتؤدي عملا لم تؤده العمدة في تخصيص الدلالة المطلقة بكون القرآن هو الحق بلا منازع ، وهو المصدق الوحيد للكتب السماوية

التي جاءت قبله، وفي ذلك حجة بالغة على أهل الكتاب على وجوب التصديق بالقرآن الكريم الذي جاء مصدقا كتبهم .

وقال تعالى : ((وإن كان رجلٌ يورثُ كلالةً أو امرأةً وله أخٌ)) (النساء ١٢) فقد ذكر الشيخ الطوسي أن : ((كلالة) نصبه يحتمل امرين : أحدهما : على أنه مصدر وقع موقع الحال ، وتكون كان تامة وتقديره : يورث متكلل النسب كلالة. والثاني : بأن يكون خبر كان ، ذكره الرمانى والبلخي ، وتقديره «فان كان» ، رجلٌ : اسم كان ويورث : صفته ، وكلالة : خبره)) (٥٢). وهنا يتقدم الطوسي برأيه فيقول : ((والأول هو الوجه ، لأن (يورث) هو الذي اقتضى ذكر الكلالة ، كما تقول : يورث هذا الرجل كلالة ، بخلاف من يورث ميراث الصلب ويورث كلالة عصبية وغير عصبية)) (٥٣) فالشيخ الطوسي يرجح النصب على الحال ، وقد ذكر معاني عدة للكلالة فقال : ((واختلفوا في معنى الكلالة، فقال أبو بكر وعمر، وابن عباس، وابن زيد، وقتادة، والزهرى، وابن اسحاق: هو ما عدا الوالد والولد وروي عن ابن عباس في رواية أخرى، أن الكلالة ما عدا الولد، وورث الاخوة من الام السدس مع الابوين، وهذا خلاف إجماع أهل الاعصار. وقال ابن زيد: الميت يسمى كلالة. وقال جابر، وابن زيد: من عدا الوالد والولد من الورثة يسمى كلالة، فعلى هذا يسمى الزوج والزوجة كلالة، وقال قوم: الكلالة هو الميت الذي لا ولد له، ولا والد. وعندنا أن الكلالة هم الاخوة والاخوات، فمن ذكر في هذه الآية هو من كان من قبل الام، ومن ذكر في آخر السورة فهو من قبل الاب والام، أو من قبل الاب)) (٥٤). إن تخصيص الجملة بالحال كلالة بهذا الكم من المعاني جعل المتلقي يعمل ذهنه حتى يلتقط الدلالات المركزة في هذه اللفظة لاسيما أنها جاءت في موضع مهم وهو موضوع الإرث .

ومما جاء من قرينة الحال في تفسير الشيخ الطوسي في تفسير قوله تعالى: ((أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)) (الأنعام ١١٤) ، فقد جاء الوصف بالحال (مفصلاً) قال الشيخ الطوسي : ((وانما مدح الكتاب بأنه مفصل، لان التفصيل تبين المعاني بما ينفي التخليط المعمي للمعنى، وينفى ايضا التداخل الذي يوجب نقصان البيان عن المراد. وانما فصل القرآن بالآيات التي تفصل المعاني بعضها من بعض وتخليص الدلائل في كل فن. وقيل: معنى (مفصلاً) أي بما يفصل بين الصادق والكاذب من أمور الدين. وقيل: فصل فيه الحرام من الحلال، والكفر من الايمان، والهدى من الضلال)) (٥٥) ، فالشيخ الطوسي يؤكد أن الحال هنا أفادت تخصيص الدلالة ؛ بأن هذا الكتاب وقع مفصلاً لكل شيء وإن عدم وجود هذه الحال تجعل من دلالة الجملة عامة ومطلقة ، وقد تلبست الحال بصاحبها فكأنما أصبح المصدق هو الكتاب والكتاب هو المصدق ، ونلاحظ أن الحال جاءت من صاحبها المعرفة وهو (الكتاب) المعروف برال) وقد أفاد التعريف لصاحب الحال دلالة العهد إذ إن هذا الكتاب معهود بين القارئ وبين الله ، وإن صفة التفصيل لاتكاد تنفك عن هذا الكتاب الذي هو القرآن الكريم ، ويبدو أن الحال المؤكدة قد أعطت معنى إضافيا للآية ؛ فالآية تؤكد أن هذا الكتاب مصدر التشريع والقوانين وفيه من الأحكام الشرعية ما لا يحصى ، فمن الطبيعي أن ينسجم معنى التفصيل لتلك الآيات بقدر ما يحتاج إليه العباد ، فالقرآن فيه تفصيل لكل شيء في هذا الوجود ، وإن ذكر الحال يؤكد معنى ذلك التفصيل وإن مجي الحال بكونه وصفا للقرآن له انعكاساته على المتلقي أيًا كان ، فالتصدي لصفة التفصيل من هذا الكتاب تحث المتلقي على التدبر في آيات الله البينات ، ومعرفة حجم التفصيل الذي تتحلى

به ، وهذا يزيد المؤمن بالنص القرآني إيمانا ، ويحث المعرض على التفكير لعله يرتشف من نمير الإيمان ، وكل ذلك يصب في مصلحة النص القرآني بوصفه كتابا مفصلا لكل شيء في هذا الوجود .

رابعا: قرينة الغائية بالمفعول له:

عرف ابن الخشاب (ت ٥٦٧هـ) المفعول له بقوله : ((والمفعول له عذر وعلة لوقوع الفعل ، ويسمى غرض الفاعل ، ويعتبر بأنه يقع جوابا لمن قال : لم فعلت كذا ؟ ويكون أبدا مصدرا منصوبا ، ناصبه فعل من غير لفظه ويقع معرفة ونكرة ، والمثال فيه قولك : جئتك ابتغاء لخيرك وقصدتك طمعا في معروفك وضريته تأديبا له)) (٥٦) ، ويسمى المفعول له أيضا بالمفعول لأجله وكلاهما مصطلح بصري (٥٧) يؤديان معنى واحدا أي : المفعول الذي من أجله كان الفعل (٥٨) ، الذي يفيد التعليل من المصادر على وفق شروط معينة (٥٩) ، وقد عقد له سيبويه في كتابه بابا خاصا (٦٠). وللمفعول له وظيفته المعنوية التي يؤديها فهو يقيد الإسناد ويخصص الدلالة ويفسر ما قبله (٦١) ، وقد جاء في قوله تعالى : ((وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)) (النحل ٦٤) في هذه الآية المباركة ذكر الله تعالى العلة من إنزال القرآن باللام الداخلة على الفعل المضارع (لتبين) واللام هنا جاءت لغرض بيان العلة وهي ناصبة للفعل المضارع بمعنى (كي) (٦٢) وأنها خاصة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ لأنه هو الذي يقوم بعملية التبيين (٦٣) قال الشيخ الطوسي : ((هدى ورحمة "نصب على انه مفعول له))) (٦٤). فقد أدى المفعول لأجله بقرينة الغائية السبب الذي نزل من أجله القرآن الكريم ، فقد نزل من أجل الهداية والرحمة للمؤمنين به ، وإن كان هو حجة للجميع ، وليس المعنى أن القرآن كان مقتصرًا على الهداية والرحمة فحسب ، بل يتعداه إلى غيرهما من

الصفات الحميدة ، ولكن التخصيص الدلالي بالهدى والرحمة جاء للمؤمنين خاصة لانتفاعهم به ، ويرى الشيخ الطوسي أن هذا التخصيص يعم البشر جميعا والدليل قوله تعالى : ((هَدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ)) (البقرة ٢)، وقوله تعالى : ((إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا)) (النازعات ٤٠)، فليس المقصود أن القرآن هدى للمؤمنين حصرا ، ولا أن الرسول ينذر المؤمنين فقط بل يتعداه إلى كافة الناس (٦٥) ، كذلك الهدى والرحمة ، جاءت على صورة المفعول لأجله ؛ لتبيننا أن الغاية من إنزال القرآن هو الهداية والرحمة لكافة الناس ويذكر الشيخ الطوسي : ((إنما أضافه إلى المؤمنين خاصة لانتفاعهم بذلك، وإن كان دليلا وحجة للجميع)) (٦٦) ، وما هذا إلا للمرونة التي يمتاز بها التعبير القرآني ، وأن وصف القرآن بالهدى والرحمة و تخصيصه للمؤمنين يحث المؤمن ليزداد إيمانا ، ويدعو المعرض ليؤمن قبل فوات الأوان ، بكونه نزل لأجل هذه الخصال الحميدة ، وأن تخصيص الدلالة بهذين المفعولين يؤكد هذه الدلالة ويثبتها في ذهن السامع ، ليكشف زيف المرجفين والحاquدين منذ عهد الإسلام الأول إلى أن يرث الله الأرض ويؤكد أن القرآن هو كتاب هداية ورحمة لجميع الناس.

خامسا :قرينة التفصيل بالبدل.

وأعني بالتفصيل البيان وإزالة التوهم عن الجملة ، وهي قرينة خاصة بالبدل الذي يؤتى به لهذا الغرض (٦٧)، وعرف ابن مالك البدل بأنه ((التابع المقصود بالحكم بلا واسطة)) (٦٨)، فالواسطة هنا هي أداة العطف، وعلّة إسقاط الواسطة تكمن في أصل وظيفة البدل في الكشف عن الإبهام الذي ينطوي عليه المبدل منه ثم تخصيص الدلالة المطلقة (٦٩) ولهذا سماه الكوفيون والأخفش بـ(التبيين)، أما تسميته بـ(البدل) فهو اصطلاح البصريين(٧٠) ، والبدل أربعة أقسام هي: بدل الكل، وبدل البعض، وبدل الاشتمال، والبدل المباين (٧١) .

قال تعالى : ((الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد)) (الزمر ٢٣) ، قال الشيخ الطوسي : ((أحسن الحديث " يعني القرآن كتابا متشابها)) (٧٢) ، ويرى الشيخ الطوسي أن لفظة (كتابا) قد وقعت بدلا من أحسن الحديث (٧٢) ، ودلالة كونه كذلك ؛ لما ((فيه من الحجج والمواعظ والاحكام التي يعمل عليها في الدين وصلاح التدبير يشبه بعضه بعضا لا تناقض فيه)) (٧٤) ، وأن وقوع القرآن بالبدل (كتابا) جاء منسجما مع سياق الآية الكريمة ودلالاتها ، فبعد هذا الوصف البليغ للقرآن الكريم بكونه (أحسن الحديث) ، أراد الباري عز وجل أن يصرف ذهن المتلقي إلى حقيقة كون هذا الحديث هو مجموع في كتاب ، منذ نزوله على قلب النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأظن أنه جاء بالبدل (كتابا) حتى لا ينصرف الذهن إلى أن القرآن جمع بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأن وصف القرآن بالبدل (كتابا) جاء لتفصيل الدلالة في الوصف حتى لا تبقي في ذهن المتلقي حجة في خدش القرآن الكريم كونه غير محفوظ أو أن بعض آياته تعرضت للضياع ، ولقد تعزز البدل بتدقيق الصفات للقرآن الكريم والإشادة به بكونه (أحسن الحديث) وبكونه (كتابا متشابها) و(مثاني) ، فهو ((مطلق في مشابهة بعضه بعضا ، فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والإحكام ، والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق ، وتناسب ألفاظه وتناسفها في التخير والإصابة ، وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكي)) (٧٥) ، و(مثاني) صفة للكتاب أو حال منه (٧٦) ، وهو جمع مثني بمعنى مكرر ؛ لأنه يثني من قصصه وأنبيائه وأحكامه وأوامره ونواهيهِ ووعدهِ ووعدِهِ

ومواعظه . وقيل أيضا إنه يثنى في التلاوة (٧٧) ، كل هذه الصفات المتدفقة جاءت معززة دلالة التفصيل بالبدل ومتناغمة مع دلالاته في التخصيص الدلالي .

الخاتمة ونتائج البحث

توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

١- يعد تفسير التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي أول تفسير ناضج في مسيرة المذهب الإمامي .

٢- يعد تفسير التبيان مادة غنية بمستويات اللغة كافة نحوا ودلالة وصرفا وغيرها .

٣- كانت عناية الشيخ الطوسي بالجانب النحوي كبيرة فقد طغت تلك الظاهر في التفسير .

٤- إن قرينة التخصيص بمتعلقات الجملة مهمة في التقييد الدلالي واستنطاق الدلالات المرجوة من الآيات المباركة .

٥- ينبغي أن يدرس تفسير التبيان من الناحية النحوية دراس أكاديمية معمقة لما فيه من مادة غنية للبحث والدراسة .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهريين

- (١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٧٨، ١٨٩.
- (٢) كتاب سيبويه (هارون): ٢٣/١.
- (٣) المقتضب: ١٢٦/٤.
- (٤) ينظر: الأصول في النحو: ٥٨/١.
- (٥) دلائل الإعجاز: ٥٥.
- (٦) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٩٠.
- (٧) ينظر: البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني: ١٠١-١١.
- (٨) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ: ٤١٧.
- (٩) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٤٩٢/٤.
- (١٠) ينظر: المصدر والجزء والصفحة أنفسها.
- (١١) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٩٣.
- (١٢) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٩٩.
- (١٣) ينظر: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: ٩١/٢، ١٥٦.
- (١٤) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩٥.
- (١٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٤.
- (١٦) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٦٥.
- (١٧) ينظر: أسرار النحو: ١١٧.
- (١٨) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ٧٨/١-٧٩.
- (١٩) ينظر: المرتجل: ١٥١.
- (٢٠) ينظر: كتاب سيبويه (هارون): ٣٤/١.
- (٢١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣١٤/١.
- (٢٢) التبيان في تفسير القرآن: ٣٣٧/٢-٣٣٨.
- (٢٣) ينظر: التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور: ٥٥٠/١.
- (٢٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٦١/٨.
- (٢٥) ينظر: الخصائص: ٥/١.
- (٢٦) شرح جمل الزجاجي: الشرح الكبير: ١٩٣/١.
- (٢٧) ينظر: كتاب سيبويه (هارون): ٤٢٩/١، ٤٢١، ٥/٢، ١٣، ١٩٢، ١٩٣.
- (٢٨) ينظر: همع الهوامع شرح جمع الجوامع: ١٥٣/٢.

- (٢٩) ينظر: التبيان في تفسير القرآن : ٣٣٢ / ٥.
- (٣٠) ينظر: التبيان في تفسير القرآن : ٩ / ١١.
- (٣١) ينظر: شرح المفصل : ٤٧ / ٣.
- (٣٢) ينظر: شرح المفصل : ٤٧ / ٣.
- (٣٣) ينظر: علل النحو (ابن الوراق) : ٣٨٠.
- (٣٤) كتاب سيبويه (هارون) : ٤٨ / ١.
- (٣٥) ينظر: شرح جمل الزجاجي: الشرح الكبير : ١٩٣ / ١.
- (٣٦) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ١٠ / ١٦٢.
- (٣٧) ينظر: في ظلال القرآن : ٦ / ٣٧٤٥.
- (٣٨) ينظر: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٢٥.
- (٣٩) ينظر: من بلاغة القرآن : ١٠ / ٣٦٩.
- (٤٠) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور :
- (٤١) اللمع في العربية : ١٣٤.
- (٤٢) المقرب : ١ / ١٤٥.
- (٤٣) ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى : ٢٣٤.
- (٤٤) كتاب الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل : ١٤٣.
- (٤٥) ينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه : ٢٣٩.
- (٤٦) ينظر: التبيان في تفسير القرآن : ١ / ٣٩١.
- (٤٧) ينظر: التبيان في تفسير القرآن : ١ / ٣٩١.
- (٤٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ١ / ١٧٩.
- (٤٩) معاني القرآن وإعرابه : ١ / ١٥٥، وينظر: كتاب سيبويه : (هارون) ١٧٢ / ٩٢.
- (٥٠) ينظر كتاب سيبويه : (هارون) : ٨٨ / ٢.
- (٥١) شرح الرضي على الكافية : ٥١ / ٢.
- (٥٢) التبيان في تفسير القرآن ، ج ٣ ، ص ١٣٥.
- (٥٣) التبيان في تفسير القرآن ، ج ٣ ، ص ١٣٥.
- (٥٤) التبيان في تفسير القرآن ، ج ٣ ، ص ١٣٥.
- (٥٥) التبيان في تفسير القرآن : ٤ / ٢٤٥.
- (٥٦) المرتجل : ١٥٨-١٥٩.
- (٥٧) ينظر: مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها : ٣٤٦.
- (٥٨) ينظر: شرح المفصل : ٥٢ / ٢، وشرح قطر الندى وبل الصدى : ٢٢٦.
- (٥٩) ينظر: معاني النحو : ١٩٤ / ٢.

- (٦٠) ينظر: كتاب سيبويه (هارون) : ١/ ٣٦٧-٣٦٩.
- (٦١) ينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه: ٢٤٠.
- (٦٢) ينظر: كتاب اللامات: ١٥٠، والبحر المحيط: ٥٠٧/٥.
- (٦٣) ينظر: البحر المحيط : ٥٠٧/٥.
- (٦٤) التبيان في تفسير القرآن: ٢٩٨/٦.
- (٦٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٦٧/٨.
- (٦٦) التبيان في تفسير القرآن: ٢٩٨/٦.
- (٦٧) ينظر: شرح المفصل: ٦٤/٣-٦٣، وجمع الهوامع شرح جمع الجوامع: ١٢٥/٢.
- (٦٨) شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: ٣٩٣.
- (٦٩) ينظر: شرح المفصل: ٦٤/٣-٦٣، وجمع الهوامع شرح جمع الجوامع: ١٢٥/٢.
- (٧٠) ينظر: جمع الهوامع شرح جمع الجوامع: ١٢٥/٢.
- (٧١) ينظر: الأصول في النحو ٤٦/٢-٤٨، واللمع في العربية: ١٦٩.
- (٧٢) التبيان في تفسير القرآن: ٢١/٩.
- (٧٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢١/٩.
- (٧٤) التبيان في تفسير القرآن: ٢١/٩.
- (٧٥) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ١٢٣/٤.
- (٧٦) ينظر: إعراب القرآن (النحاس): ٨١٦/٢.
- (٧٧) ينظر: تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٣٨٩/٥.

قائمة المصادر والمراجع

خير ما نبدأ به القرآن الكريم.

- ❖ أسرار النحو ، لشمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا ، تحقيق الدكتور أحمد حسن حامد ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ت).
- ❖ الأصول في النحو ، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي (د.ت).
- ❖ إعراب القرآن : لأبي جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد. مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

❖ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، تأليف الشيخ كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت ٥٧٧هـ)، ومعه كتاب الإنتصاف من الإنصاف ، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد ، ١٩٨٢م.

❖ البحر المحيط ، أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف الغرناطي الجياني الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

❖ البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، الدكتور تمام حسان، طبعة خاصة تصدرها عالم الكتب، ٢٠٠٣م.

❖ التبيان في تفسير القرآن : لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرستين ، الطبعة الأولى ، قم، ١٤١٧هـ.

❖ التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، تأليف الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ ، بيروت - لبنان، (د.ت) .

❖ تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - القاضي أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي (ت ٩٥١هـ) وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن ، الطبعة الأولى ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

❖ الخصائص ، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، الطبعة الرابعة، مشروع النشر العربي المشترك : الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ١٩٩٠م.

❖ دلائل الإعجاز ، تأليف الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي(ت ٤٧١هـ) أو (ت ٤٧٤هـ) ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر ، الطبعة الخامسة ، الناشر مكتبة الخانجي ، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

❖ شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق :محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة السابعة، منشورات ناصر خسرو، ١٤٢٤هـ.

❖ شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك ، تأليف ابن الناظم أبي عبد الله بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٨٦هـ) ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، الطبعة الثانية، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ٢٠١٠م.

❖ شرح جمل الزجاجة : الشرح الكبير، ابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٦٩هـ) ، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة، جامعة الموصل، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

❖ شرح الرضي على الكافية، تأليف محمد بن الحسن الرضي الأسترابادي (ت ٦٨٦هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، الطبعة الثانية، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ١٣٨٤هـ.

❖ شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، لجمال الدين محمد بن مالك ، تحقيق : عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

❖ شرح قطر الندى وبل الصدى ، تصنيف أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري ومعه كتاب (سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى) ، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى ١، المطبعة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م.

❖ شرح المفصل ، للشيخ موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ)، الطبعة الأولى، منشورات ذوي القربى ، مطبعة سليمان زادة ، قم، ١٣٩٢هـ.

❖ علل النحو، لأبي الحسن محمد بن عبد الله الوزاق (ت ٣٢٥هـ) ، تحقيق محمود جاسم محمد الدرويش، الطبعة الاولى، الناشر مكتبة الرشد ، الرياض — السعودية، ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م.

❖ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الطبعة الرابعة والعشرون ، دار الشروق ، بيروت — لبنان ، ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م

❖ في النحو العربي نقد وتوجيه ، الدكتور مهدي المخزومي ، الطبعة الثانية ، دار الرائد العربي ، بيروت — لبنان ١٩٨٦ .

❖ كتاب الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل . لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) ، تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، بغداد، ١٩٨٠م.

❖ كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون الطبعة الرابعة، الشركة الدولية للطباعة ، القاهرة — مصر ، ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م.

- ❖ كتاب اللامات ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) ، تحقيق مازن المبارك ، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت ، ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م.
- ❖ الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، الدكتور المهندس محمد شحرور ، الطبعة الرابعة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. بيروت، لبنان ١٩٩٤م.
- ❖ الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت — لبنان ، ١٣٦٦هـ — ١٩٤٧م.
- ❖ اللغة العربية معناها ومبناها ، الدكتور تمام حسان، مطابع الهيئة المصرية العامة. القاهرة ١٩٧٣م.
- ❖ اللمع في العربية ، تأليف أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق حامد المؤمن ، الطبعة الأولى، منشورات منتدى النشر النجف الأشرف ، مطبعة العاني ، بغداد ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م.
- ❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، الطبعة الأولى ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م.
- ❖ المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها ، محمد الأنطاكي ، الطبعة الرابعة، دار الشرق العربي ، بيروت ، (د.ت) .
- ❖ مدرسة البصرة التحوية نشأتها وتطورها الدكتور عبد الرحمن السيد الطبعة الأولى، توزيع دار المعارف بمصر ، مطابع سجل العرب ، ١٣٨٨هـ — ١٩٨٦م.

❖ المرتجل، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد ابن الخشاب (ت ٥٦٧هـ)، حققه وقدم له علي حيدر، دمشق، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

❖ معاني القرآن، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، الجزء الأول تحقيق احمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م. والجزء الثاني تحقيق ومراجعة الأستاذ محمد علي النجار، ٢٠٠٠م، والجزء الثالث تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ومراجعة الأستاذ علي النجدي ناصف، ٢٠٠١م.

❖ معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، الطبعة الخامسة، دار الفكر ناشرون وموزعون، الأردن — عمان، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

❖ المفصل في صنعة الإعراب. تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور أميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

❖ المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

❖ المقرب، علي بن عبد المؤمن المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق الدكتور احمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦م.

❖ من بلاغة القرآن، تأليف أحمد أحمد بدوي، الطبعة الثالثة، ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م.

❖ المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، الدكتور نوزاد حسن أحسن، الطبعة الأولى، منشورات دار دجلة ناشرون وموزعون، الأردن — عمان، ٢٠٠٧م.

❖ همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، عني تصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (د. ت).

ملخص البحث

لقد انعمت النظر في تفسير الشيخ الطوسي واستقيت منه عنوانا لبحثي ألا وهو قرينة التخصيص بمتعلقات الجملة وقد قسمت البحث على فقرات مسبقة بمدخل لدراسة متعلقات الجملة والوقوف على قرينة التخصيص بها ثم كان موضوع البحث فابتدأت بقرينة التعديّة بالمفعول به قرينة التقييد بالنعته وقرينة الملازمة بالحال وقرينة الغائية بالمفعول معه وقرينة التفصيل بالبدل ثم ختمت البحث بخاتمة أبانت أهم النتائج التي توصلت إليها. وكانت قائمة البحث حاضرة لمطالع كثيرة استقى منها البحث.

Abstract

I have considered the interpretation of Sheikh al-Tusi, and I have drawn from it a title for my research, namely, the presumption of personalization with the contents of the sentence. The research was divided into paragraphs preceded by an introduction to the study of the contents of the sentence and the basis of the appropriateness

of the subject. Then the subject of the research started with the presumption of infringement by effect. With him and the evidence of detail in the allowance and then concluded the research conclusion I showed the most important findings. The search list was incubator for many of the objects derived from the research

وظيفة الحاكم الشرعي ودوره في الحفاظ على ممتلكات الدولة السيد

الخوئي (قدس) خلال الانتفاضة الشعبانية أنموذجاً

م. د. فاضل عاشور عبد الكريم

كلية الامام الكاظم عليه السلام للعلوم الاسلامية الجامعة/ اقسام النجف الاشرف
المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين
الطاهرين .

تعد المرجعية الدينية الامتداد الحقيقي اللازم للإمامة التي تشكل بدورها الامتداد
الطبيعي للنبوّة في أبعادها المختلفة وخاصة في بعديها العقائدي والسياسي ، وقد
رسم هذا الإمتداد للمرجعية الطريقة التي تنتهجها وتسلكها للتعامل مع جميع
الظروف والأوضاع بما فيها الأوضاع والظروف السياسية ، وحسب الشروط والخطوط
التي وضعها آل بيت العصمة (ع) ، فقد مرّ أهل البيت (ع) بمراحل وأدوار ذات ظروف
وعوامل مختلفة جعلتهم يتصرفون مع تلك الظروف بما يتلائم مع شروط كل
مرحلة ودور .

لقد تقلدت المرجعية الدينية وظائف وواجبات عديدة جعلتها تحمل أمانة الرسالة
المحمدية و مارست الأدوار والمواقف والمراحل ضد حركة الانحراف والتدهور مثلما
مارسها أئمة أهل البيت
مشكلة البحث:

وعلى أساس ذلك فإن هذا البحث يقوم بدراسة دور المرجعية الدينية من خلال احدى
وظائف المرجعية الدينية الأوهي (الحاكمية الشرعية)، وقد ادى هذا الدور في احدى
المراحل الخطيرة التي مرت على الأمة خلال فترة الانتفاضة الشعبانية وتمثلت في

مرجعية السيد الخوئي (قدس) ، وبيان الموقف الفقهي لدور الحاكمية ومشروعيتها وآثار هذا الدور في تحقيق الحفاظ على ممتلكات الدولة وامنها ونتائجها على المجتمع الإسلامي، وهل هذا الدور ضمن الولاية العامة ام على مبناه على الولاية الحسبية.

خطة البحث: ولغرض تحقيق هذه الادوار وبيان الموقف الفقهي من الحاكمية فقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى مبحثين:

المبحث التمهيدي: نبذة تاريخية عن السيد الخوئي (قدس)

المطلب الأول: ولادته، نشأته، دراسته، شيوخه وتلامذته ووفاته.

المطلب الثاني: المطلب الثاني: اسباب الزعامة الدينية للسيد الخوئي (قدس).

المبحث الأول: تحديد المفاهيم:

المطلب الاول: مفهوم الحاكم الشرعي والالفاظ ذات الصلة.

المطلب الثاني: المرجعية الدينية مفهومها ، واهميتها في المجتمع الاسلامي.

المبحث الثاني: مناصب الحاكم الشرعي عند الفقهاء.

المطلب الاول: منصب الافتاء:

المطلب الثاني: منصب القضاء:

المطلب الثالث: منصب الولاية ودائرة ولاية الفقيه:

المطلب الرابع: السيد الخوئي وموقفه من الانتفاضة الشعبانية بين منصب الحكومة

ومنصب الولاية المطلقة.

المبحث التمهيدي

نبذة تاريخية عن السيد الخوئي (قدس)

المطلب الأول: ولادته، نشأته، دراسته، أساتذته وتلامذته ووفاته.

أولاً: نسبه وولادته ونشأته:

ينتهي نسب السيد الخوئي (قدس) الى الإمام موسى بن جعفر (ع)^(١) وهو السيد أبو القاسم ابن آية الله السيد علي أكبر الخوئي بن السيد هاشم بن السيد علي أصغر والواقع أن من يروم أن يقف على أعتاب هذا العلم العيلم، لا يحتاج لكثير عناء، أو عظيم جهد، إذ يكفيه أن يتصفح سفره الجليل (معجم رجال الحديث) في الجزء الثالث والعشرين، ليأخذ بيده السيد الخوئي نفسه، ليحدثه عن نفسه، بعد أن يصل في فهرس المعجم المذكور الى اسمه فيقول: "ولدت في بلدة (خوى) من بلاد أذربيجان في الليلة الخامسة عشر من شهر رجب سنة (١٣١٧ هـ)، وبها نشأت مع والدي وأخوتي، وأتقنت القراءة والكتابة وبعض المبادئ، حتى حدث الاختلاف الشديد بين الأمة، لأجل حادثة المشروطة، فهاجر المرحوم والدي من اجلها الى النجف الأشرف سنة (١٣٢٨ هـ)، والتحقت به في سنة (١٣٣٠ هـ) برفقة أخي الأكبر المرحوم السيد عبد الله الخوئي، وبقية أفراد عائلتنا (٢)

وحين وصل السيد الى النجف الاشرف، وحل في عرين جده أمير المؤمنين (ع)، ابتدأ رحلته العلمية بقراءة العلوم الأدبية والمنطق.

ثانياً: أساتذته : قرأ السيد الخوئي الكتب الفقهية والأصولية لدى طائفة واسعة من أعلام حوزة النجف الاشرف العلمية .على رأسهم والده العلامة (قد) ، وحضر الدروس العليا (المبحث الخارج) عام (١٣٣٨ هـ) على أكابر علماء زمانه آنذاك وهم (٣):

• آية الله فتح الله المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني (ت ١٣٣٩ هـ).

• آية الله الشيخ مهدي المازندراني (ت ١٣٨٥ هـ).

• آية الله الشيخ ضياء الدين العراقي (ت ١٣٦١ هـ).

• آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني (ت ١٣٦١ هـ)

• آية الله الشيخ محمد حسين النائيني (ت ١٣٥٥ هـ).

• آية الله السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠ هـ)، وغيرهم من جهابذة الفقه، وكان قد

تتلمذ على الأصفهاني و النائيني في الفقه والأصول، أكثر من غيرهما.

فقد حضر على كل منهما دورة كاملة في الأصول، وعدة كتب في الفقه، كما

انه قرر بحث كل منهما، وقد بزغ نجم السيد الخوئي في سماء الحوزة العلمية في

النجف الاشرف، فحاز في الرواية - بعدة طرق - إجازة جملة من الفقهاء العظام، ومن

تلك الطرق، ما رواه عن شيخه النائيني عن شيخه النوري بطرقة المحررة في كتابه

(مستدرك الوسائل) المعروفة بـ (مواقع النجوم)، المنتهية الى أهل البيت (ع)، تميز بحثه

بالعذوبة والبيان، والقدرة على إيصال المطلب الأصولي الى طلابه بكل يسر

وسهولة (٤)، وبلغ من المكانة العلمية السامية ما جعله المرجع العام، وزعيم الحوزة

العلمية في النجف الاشرف. والشيعية في أنحاء العالم، فتأتى له بذلك مالم

يتأت للسابقين له والمتأخرين عنه "بوصفه الأستاذ الأكبر والمرجع الديني

الأكثر" (٥) تقليدا في العالم الإسلامي.

ثالثا: تلامذته: أكثر السيد الخوئي من التدريس في الحوزة العلمية، وألقى

محاضراته في الفقه (البحث الخارج)، وأتم دورتين كاملتين لمكاسب الشيخ

الأنصاري (قد) (٦) (ت ١٢٨١ هـ)، كما درس جملة من الكتب الأخرى، ودورتين

كاملتين لكتاب الصلاة، وشرع في ٢٧ ربيع الأول عام (١٣٧٧ هـ) في تدريس فروع

(العروة الوثقى) للسيد اليزدي فبدأ بكتاب الصلاة (٧).

ولعل مما يميز شخصيه السيد العلمية هو انفراده عن غيره من المراجع، وانصرافه الى

تدريس تفسير القرآن الكريم، وقد استمر على ذلك برهة من الزمن، غير أن ظروفًا

حالت دون تحقيق رغبته في إتمامه (٨).

وقد أثمر تدريسه في الحوزة عن بروز جمع غفير من طلبة العلوم الدينية (٩) أضحوا فيما بعد ما بين مجتهد ومرجع، انتشروا في أصقاع الأرض، لنشر فقه المصطفى (قد) وأهل بيته الطاهرين (ع)، والدعوة الى الخير والفضيلة، لعل من أبرزهم :

• آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قد) (ت ١٤٠٢ هـ)

• آية الله العظمى السيد على السيستاني .

• آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم .

• آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفياض .

• آية الله الشيخ باقر الايرواني .

• السيد الشهيد عبد الصاحب الحكيم بن محسن الحكيم، والسيد عبد العزيز الطباطبائي، والشيخ عبد الهادي الراضي النجفي، والسيد عبد الكريم الاردبيلي الموسوي، والشيخ ميرزا جواد التبريزي .

وغيرهم مما قد يطول المقام بذكرهم، وقد انبرى جمع كبير من تلامذته لتقرير أبحاثه، والتعليق على فتاواه كالشيخ الفياض (١٠)، والميرزا جواد التبريزي والسيد محمد الروماني (١١)، والسيد علي الشاهرودي (١٢)، والسيد علاء الدين بحر العلوم (١٣)، وغيرهم.

رابعا: مؤلفاته وآثاره: ترك السيد إرثا علميا ثرا تقاسمته علوم الفقه والأصول والتفسير والرجال، تحكيه المصنفات والمؤلفات المتناثرة في القضاء المعرفية الإسلامية، لعل من أبرزها (١٤)

• البيان في تفسير القرآن: وهو كتاب واحد في التفسير، أجود التقارير (١٥) (تقرير بحث أستاذه النائيني) في جزآن في الأصول، تكملة منهاج الصالحين: كتاب واحد في الفقه، مباني تكملة منهاج الصالحين: جزآن في الفقه، تهذيب وتتميم منهاج

الصالحين: جزءان في الفقه ، المسائل المنتخبة: كتاب واحد في الفقه ، مستحدثات المسائل :كتاب واحد في الفقه، تعليقة على العروة الوثقى (١٦): جزء واحد في الفقه ، وغيرها من المؤلفات التي جاء بها فكر السيد الخوئي (قد.)

خامسا: وفاته: لم يترك السيد الخوئي مجلس الإفتاء، حتى في مرضه الذي توفي فيه، كما انه لم يترك البحث، مع ما الم به من الضعف والهزال، وكان ألقه العلمي وهمة لاتفارقاه، حتى أيامه الأخيرة، التي أصيب فيها بنكسة في قلبه، وكان ذلك في أوائل عام (١٩٩٣ م)، ونقل على أثرها إلى مستشفى ابن النفيس في بغداد ، ولم يعيش بعدها طويلا ، فلبى نداء ربه في صفر من نفس العام ، ودفن بجوار جده أمير المؤمنين (ع) .

المطلب الثاني: اسباب الزعامة الدينية للسيد الخوئي (قدس).

تميز عصر السيد الخوئي (قد) بميزة يمكن عدها من أهم الأسباب التي منحتة الانفراد عن سائر الاعتصار التي مرت بها حوزة النجف الاشرف العلمية، وهي تولي السيد الخوئي زعامة الحوزة العلمية، على نحو لم يكن لغيره، ممن سبقه، أو خلفه من المراجع، فقد كان زعيم الشيعة في العالم، ودان له أبناء المذهب في كل أصقاع المعمورة بالولاء والطاعة.

من هنا فان زعامته في الواقع -ظاهرة تستدعي الإعجاب والتأمل والبحث، وهذا مادعى الباحث لغور أسرارها، وسير أغوارها، واستظهار الأسباب الكامنة وراءها، والتي تتبلور في تقدير الباحث في أبعاد ثلاث هي:

أولا: البعد العلمي : فمكانة السيد الخوئي العلمية ونشاطها الحوزوي الدؤوب طيلة توليه لمنصب الزعامة الدينية يكشفان عن جانب مهم من جوانب شخصية

، التي أهله لهذه المكانة ، ولكي نلم بجوانب هذه البعد ينبغي لنا التعرض له على محاور ثلاث.

المحور الأول :اجتهاد: انتقل السيد الخوئي من اذربايجان الى النجف الاشرف وله من العمر ثلاث عشر سنة وانخرط في السلك الحوزوي متنقلا بين دروس البحث الخارج وهو لما يزل شابا يافعا ، فكان لذلك أثرا بالغا في نبوغه العلمي في وقت مبكر قياسا لأقرانه ، وكان لتعدد المناهج الأصولية – آنذاك – في حوزة النجف مدخلة كبيرة في صقل هذا النبوغ ، فقد أفاد السيد الخوئي من مدارس ثلاث^(١٧)، كان أربابها من أساتذة السيد الخوئي ، تباينت فيما بينها بالرؤى الأصولية فمدرسة الأصفهاني كانت متأثرة بالمنهج الفلسفي ، لأنها تعكس توجه الشيخ الأصفهاني ، إذ كان فيلسوفاً أو حكيماً متالهاً كما يعبر عنه البعض.

أما مدرسة آقا ضياء العراقي فكانت تعتمد المنهج العلمي الخالص ، المتجرد من الآراء الفلسفية ، فيما كانت مدرسة الشيخ النائيني جامعة للمنهجين لذا فقد غطت مدرسة النائيني على مدرسة العراقي والأصفهاني ، واستطاع السيد الخوئي أن يجمع بين هذه المدارس الثلاث ، ويبلورها في مدرسة خاصة ، عرفت فيما بعد بمدرسة السيد الخوئي^(١٨) ، واستطاع ببراعة أن يبين أساس آراء الأصفهاني ويحل طلاسم أفكاره ، على ما يكتنفها من عمق فلسفي ، واستطاع أن يجمع بين دقة الفيلسوف ، وعرفيات الفقيه ، ومن دون أن تحس بتفاوت في مستوى الأداء^(١٩).

ولعل في قوله الذي ينقله عنه تلميذه وخليفته السيد السيستاني ، ما يكشف عن احتوائه وهضمه لأفكار أساتذته ، إذ يقول: "لكل شي علة مادية وعلّة صورية ، والعلّة المادية لأصولنا أفكار الشيخ الأصفهاني الكمباني ، والعلّة الصورية له أفكار المحقق النائيني"^(٢٠).

من هنا أصبحت آراؤه تذكر الى جانب آراء أساتذته ،وقد ساعده على ذلك قربه من أستاذه النائي، وربما ذهب بعض الباحثين الى أن المدرسة الأصولية بدأت بالشيخ المفيد وانتهت بالسيد الخوئي (٢١)، وبعبارة أخرى إن زمام التجديد الأصولي، لم يحسن أن يسمك به من المتأخرين، مثل ما أجاد السيد الخوئي، وإن التجديد في أصول الفقه بعده ،لا يعدو أن يكون تجديدا في العرض والأسلوب والتبويب ،ولم يكن بالمستوى الذي يرقى لان ينعت أصحابه بأنهم أصحاب مدرسة كالسيد الخوئي (قد). من ثم تتضح لنا الجوانب العلمية لهذه الشخصية .التي كان من شأنها أن ترتفع بصاحبها الى مستوى زعامة الحوزة العلمية في النجف الاشرف من جهة ،والمحافظة على أسبابها من جهة أخرى.

المحور الثاني :أعلميته:

قد يترائى للقارئ انه لا فرق بين أعلمية السيد الخوئي واجتهاده، وأنهما يفضيان الى معنى واحد ،بيد أن الباحث أراد من وراء هذا التفريق ، الفات الأنظار الى اشراقات علمية متميزة في تاريخ السيد الخوئي، مضافا لإبداعه الأصولي والفقهية اللذان أهلاه للاجتهد ،واللذان يتقاسمهما مع غيره من المجتهدين.

لعل من ابرز تلكم الاشراقات هو إبداعاته في الحقل الرجالي، فقد كان بحق رجاليا بارعا ،ومتتبعا ضليعا بأحوال الرجال، تكشف عن ذلك موسوعته الرجالية، التي تعد من احدث ما كتب في الرجال ومن أكثرها شمولاً (٢٢)، ومن خصائص هذه الموسوعة ومزاياها "انه قد ذكر في ترجمة كل شخص جميع رواته ،ومن روى عنهم في الكتب الأربعة، وقد يذكرها في غيرها ايضا ،ولاسيما رجال الكشي، فقد ذكر أكثرها فيه من الرواة، والمروي عنهم" (٢٣).

المحور الثالث: مرجعيته:

تولى السيد محسن الحكيم زعامة الحوزة بعد وفاة السيد أبي الحسن الأصفهاني (قد) (ت ١٣٦٥هـ)، وكان (قد)، وجهاً ناصعاً للإسلام المحمدي الأصيل، فقد حفظ بيضة الإسلام من المد الأحمر، الذي أراد هدم الفكر الإسلامي، وصان للحملة الاجتماعية للمجتمع العراقي، حين حرم مقاتلة الأكراد، ورسخ مباني الوحدة الإسلامية، عندما طالب الرئيس المصري جمال عبد الناصر بإلغاء قرار إعدام العالم (سيد قطب)، وبقي السيد الحكيم علماً شامخاً حتى وفاته عام (١٣٩٠هـ) فتزعم السيد الخوئي بعده الحوزة العلمية، واتسعت قاعدة تقليده شيئاً فشيئاً، وتوسعت معها زعامته، ليكون زعيم الحوزات العلمية المتناثرة في أرجاء المعمورة بأسرها (٢٤)، وقد شهدت مرجعيته ثلاثة أجيال من تلامذته الذين بلغوا رتبة الاجتهاد، وهو مالم يحصل لمن سبقه أو عاصره من المراجع (٢٥)، ولا عجب فقد تربع السيد الخوئي على كرسي الدرس لأكثر من سبعين عاماً، وهي فترة كافية لبلوغ أجيال ثلاثة. أو أكثر مرتبة الاجتهاد. ومن الجدير بالذكر إن السيد الخوئي - حسب ما ينقل احد تلامذته وهو آية الله الشيخ باقر الايرواني - نال لقب زعيم الحوزة العلمية، حتى في حياة السيد الحكيم (قد)، وأنه سمع من بعض المشايخ المعاصرين للسيد الحكيم، يذكرون إن السيد الحكيم، كان يشهد في حق السيد الخوئي نفسه، أنه زعيم الحوزة العلمية بحق.

ولعل من أسباب ذلك، كما يذكر الشيخ الايرواني، هو كثرة طلابه، الذين اعتادوا حضور درسه حتى أيام التعطيل، يجذبهم لذلك اشتماله على العمق الأصولي، وسخر البيان، ووضوح المطلب، وجلاء الفكرة، التي من شأنها شد أوساط الطلبة إلى درسه وبحثه.

ثالثا: البعد السياسي:

ويتجسد في الوضع السياسي الذي رافق مرجعية السيد الخوئي (قد)، إذ وافق تولي السيد الخوئي لزعامة الحوزة العلمية، مع استلام حزب البعث لمقالييد الحكم في العراق اثر انقلاب اسود. وقد كشف نظام الحكم، ومنذ أيام حكمة الأولى عن نيته المبينة في إنهاء التيار الإسلامي المتمثل بالحوزة العلمية، وتصفية رموزه.

والواقع إن السيد أدرك أيام زعامته للحوزة أكثر من عقدين، من حكم حزب البعث المقبور، الذي قام خلال العقد الأول منهما. واعني به سبعينات القرن المنصرم بإقصاء كوادر الحركات الإسلامية، وطلبة الحوزة العلمية، فيما سعى في بداية العقد الثامن وما بعده، الى تصفية الرموز الدينية، وشن الحملات المريعة في الاعتقال والقتل والتعذيب، ابتداء باعتقال تلميذ السيد الخوئي آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قد) (ت ١٤٠٢ هـ) وأخته العلوية الطاهرة بنت الهدى، وإعدامهما فيما بعد، ونشر الرعب والفرع في أوساط الشعب العراقي، من خلال الإعدامات العشوائية الهائلة، من غير جرم، أو ذنب.

من هنا كان العقد الثامن من القرن المنصرم، من أحلك الظروف والفترات التي مر بها العراق، وقد كانت الحوزة العلمية عرين العلماء ومأوى الفقهاء، المستهدف الأول لدى نظام الحكم، فهي تشكل الخطر الأكبر الذي يهدد الوجود البعثي؛ لان الفكر الحوزوي كشف في وقت مبكر أبعاد والمخطط، الذي رام من ورائه حزب البعث القضاء على الجذوة الإسلامية، وقد راح ضحية هذا الوضع الحرج الآف الشهداء والمعتقلين من علماء الحوزة، ومراجعها وفضلائها وطلابها، بل إن حملات التصفية الجسدية لم تستثن حتى الأطفال، كما حصل مع أنجال وأحفاد السيد محسن الحكيم (قد)، وقد نالت عائلة السيد الخوئي (قد) حظا وافرا من هذا الظلم والجبروت

، إذ اغتال النظام ولده السيد محمد تقى الخوئي ، فيما فر من يقي من ولده الى خارج العراق ، وحينما ثار الشعب في انتفاضته الشعبانية العارمة عام (١٩٩١م) التي كان للسيد دوره الثوري فيها ، اعتقل النظام الحاكم السيد السيستاني والشيخ البروجردي والشيخ الغروي ، وقد توزع سجنهم بين فندق دار الاسلام ومعسكر الرزاية ومعتقل الرضوانية ، وكان الموت طال بهم في كل ذلك .

وقد واجه السيد الخوئي (قد) هذا الوضع المعقد بكل أدواره بحكمة وأناة وصبر ، حفظ بها كيان الحوزة من كيد النظام الحاكم ، مع كل ما يعاني من الضغط النفسي الكبير والتضييق الخانق ، من قبل مخابرات النظام ، وقد ألجا هذا الطرف القاهرة طائفة من فضلاء الحوزة العلمية في النجف الاشرف ، الى مغادرة العراق ، كما دفع السيد (قد) الى توظيف النصيب الأكبر من القدرات المالية ، والأنشطة العلمية للحوزة خارج حدودها هذا من جانب ، من جانب آخر فان الطرف السياسي الصعب التي كانت تمر به الحوزة أبان زعامة السيد الخوئي ، وبقاءها شاخصا علميا ومعلما معرفيا جليا ، رغم التحديات التي تحيط بها ، كان من شأنه أن يبعث على إعجاب الشيعة وإكبارهم في أنحاء المعمورة ، وان تنجذب إليها العقول والقلوب ، مما سينعكس ، ويصب بالتالي ، باتجاه تأكيد الكفاءة والاستحقاق للسيد الخوئي ، وعلى كافة الأصعدة في تولي زعامة حوزة النجف العلمية .

خامسا : الانتفاضة الشعبانية خلفية تاريخية

يتفق المؤرخون والباحثون على أن الانتفاضة بدأت من مدن جنوب العراق وتحديدًا مدينة البصرة بعد انسحاب الجيش العراقي من الكويت وتدمير آلياته من قبل القوات الأمريكية، الأمر الذي اضطر الجنود العراقيين للعودة سيرا على الأقدام إلى العراق.

وعلى اثر هذا قام أحد الجنود العراقيين في فجر الثاني من آذار من عام ١٩٩١ بإطلاق النار على تمثال للرئيس العراقي آنذاك صدام حسين وانهال عليه بالذخائر والسباب وكان هذا في ميدان يدعى ساحة سعد في البصرة لتنتقل شرارة الانتفاضة الشعبية التي سرت بسرعة كبيرة جدا في أنحاء العراق وبحلول الصباح كانت الاحتجاجات تعم محافظة البصرة والهاجرة والدير وبدأ الثوار باستهداف مراكز الشرطة ومعسكرات الجيش العراقي في المدينة.

وخلال يومين فقط عمت الانتفاضة أغلبية مناطق العراق الأخرى ومنها ميسان والناصرية والنجف وكربلاء وواسط والمثنى والديوانية وبابل وديالى والأنبار والموصل وسامراء وسرعان ما وصلت إلى مدن شمال العراق دهوك، سلیمانية، أربيل وكركوك وفي ظل هذه الأوضاع المتأزمة بدأ النظام باستخدام أساليب القمع كافة لإيقاف الانتفاضة واستخدام طائرات الهليكوبتر التي أرسلتها أمريكا للنظام بحجة نقل الجرحى والمصابين من الكويت إلى العراق إلا أن النظام استخدمها بقصف المدن وإيقاف الانتفاضة ووصل الأمر بالسلطة لاستعمال الأسلحة الكيميائية ضد المواطنين.

بدأ الآلاف من العراقيين بالخروج إلى الشوارع وترديد أهزيج تندد بالنظام وتدعو لإسقاطه وقام البعض بالتوجه نحو مراكز الشرطة والمباني الحكومية وإخراج من كان فيها من السجناء الأبرياء والاستيلاء على مخابئ الأسلحة الصغيرة وسيطر المنتفضين على ١٤ مدينة من مجموع المدن العراقية الثمانية عشر.

المبحث الاول

الولاية والسلطة للفقيه (الحاكم الشرعي)

وأصل ثبوتها

المطلب الاول: مفهوم الحاكم والالفاظ ذات الصلة

اولا: تعريف الحاكم لغة: من حكم يحكم فهو حاكم ، بمعنى قضى يقضي فهو

قاض ، فالحاكم

هو القاضي بين الناس المتخاصمين^(٢٦)، فالحاكم هو الذي يمنع بقضائه عن الظلم.

ثانيا: تعريف الحاكم اصطلاحا: اطلق في لسان الفقهاء والاصوليين على عدة

معان وهي:

١- الله تعالى فله الولاية والحكومة بالأصالة ، ولا تكون الحكومة الا له ، فهو

الحاكم والمشرع المطلق، وهو الامر والنهي ، وهو الذي له الولاية التامة على مخلوقاته

بالاصالة ، ولا تنقل هذه الولاية لغيره الا بجعله كما قال تعالى ((التبى أولى

بالمؤمنين من أنفسهم))^(٢٧).

٢- المتولي لأمر المسلمين شرعا كابي(ص)، والامام المعصوم(ع) فولايتهما مجعولة

من قبل الله تعالى.

٣- الفقهاء المنصبون من قبل المعصومين(ع) ، والذين يعبر عنهم ب((حكام الشرع)).

٤- السلاطين من سائر الناس ، والذين يعبر عنهم ب((حكام الجور))، لانهم كذلك

غالبا.

٥- القضاة المنصبون من قبل السلاطين وقد يعبر عنهم ب((حكام الجور)) ايضا.

المراد من الحاكم في بحثنا ينحصر عن حكام الشرع ، وما لهم وما عليهم من

أحكام.

اذن المراد من الحاكم الشرعي هو الفقيه الجامع لشرائط الافتاء والذي له أهلية ان يصبح مرجعا.

المطلب الثاني: أصل ثبوت الولاية والسلطة للفقيه

ويمكن الاستدلال لها بالأدلة الأربعة :

اولا : من الكتاب الكريم :

أما الكتاب فيمثل قوله سبحانه وتعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)^(٢٨) وبيان الاستدلال يتوقف على ضم بعض المقدمات العقلية وحاصلها أن دفع الفساد في الأرض من الواجبات العقلية والشرعية ولذا وقعت غاية لدفع الله سبحانه الناس بعضهم ببعض وتحقيق الغاية والغرض الإلهي واجب على العباد من جهتين:

- الأولى: لكونه من باب شكر المنعم.

- الثانية: من باب دفع الضرر المحتمل بل الضرر المقطوع فيما نحن فيه.

وذلك لأن الغرض الإلهي لا يعود للباري عز وجل لغنائه عن ذلك فيتعين أن يكون الغرض للعباد أنفسهم كما حقق الكلام فيثبت أن في تحقيق الغرض ثبوت المصلحة وفي عدمه الضرر والمفسدة وكيف كان فإنه يجب دفع الفساد في الأرض فيجب ما يتوقف عليه ذلك أيضا لوجوب ما يتوقف عليه الواجب ومن المعلوم أنه لولا الحاكم المطاع ذو النفوذ وقع المحذور المذكور إما بنحو كلي كما وقع الفساد مطلقا في كل الأرض أو في الجملة كما عرفته من المباحث المتقدمة بداهة أنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر لدفع الفوضى والفساد والهرج والمرج وتأمين السبل والحقوق ونحوها وحيث لا يجوز تولي الفاجر مع وجود البر العادل شرعا وعقلا من جهة الكبرى لكونه ظلما للناس ولكونه قبيحا وترجيحا للمرجوح على الراجح

ونقضا للغرض فيتعين العادل ومن الواضح أنه في زمن حضور المعصوم (ع) هو المعين للحكم والحكومة وفي زمن غيبته فيتعين الأقرب إليه في الصفات والمنسوب من قبله لكونه صاحب الحق بالأولوية والأصالة وقد قامت الضرورة والإجماع بل ونصوص الأخبار على أنه الفقيه الجامع للشرائط لا غير.

ومن الآيات أيضا قوله سبحانه وتعالى: (وَإِذَا حُكِّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)^(٢٩) والآية مطلقة فتشمل القضاء والحكم أيضا وهي ظاهرة في الإنشاء ومفادها وجوب الحكم بالعدل فتدل على أمرين:

- الأمر الأول: التلازم بين الحكم بالعدل ولزوم كون الحاكم عادلا أيضا بداهة أن غير العادل لا يحكم بالعدل لأن فاقد الشيء لا يعطيه والفاقد الفاجر على كل تقدير ليس بعادل لأن فسقه وفجوره إن تعدى إلى الغير فهو ظالم وإن توقف عند نفسه كما لو كان الحاكم زانيا أو شاربا للخمر أو غير ملتزم بأحكام الله سبحانه فهو ظالم لنفسه بل ومتعديا على حقوق ربه عز وجل فيخرج موضوعا عن الآية.

- الأمر الثاني: أن العدل لا يتحقق إلا إذا كان الحاكم العادل عالما بالأحكام الشرعية وتطبيقاتها على العباد فيتعين للحكومة دون الجاهل بداهة أن العدل هو الهدف والموضوع في الحكومة والعلم طريق إليه وأجلى مصاديق العالم العادل هو الفقيه الجامع للشرائط بل المنصرف من الحاكم العادل في زمن الغيبة هو ذلك فيتعين للحكومة ولا يجوز تقديم غيره عليه لكونه ترجيحا للمرجوح على الراجح بل ومخالفا للضرورة والإجماع فضلا عن النص.

ثانيا: من السنة المطهرة:

وأما من السنة المطهرة فهناك روايات متضافرة أيضا منها :

١- مقبولة عمر بن حنظلة عن الصادق (ع) قال: ينظرون من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكما فإني قد جعلته عليكم حاكما فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد والراد علينا كالراد على الله وهو على حد الشرك بالله (٣٠).

ومحل الاستدلال في قوله (ع): إني قد جعلته عليكم حاكما فإنه ظاهر في كبرى كلية في مقام الإنشاء لكونها متفرعة عن قوله (ع): فليرضوا به حكما ومن الواضح أن جعل العالم بالحلال والحرام حاكما يقتضي تنزيل حكمه منزلة حكم الإمام (ع) بنحو التنزيل التعبدى الجعلي فتجب طاعته ولا يجوز مخالفته بل الرد عليه في حد الشرك لكونه رد على الأئمة (ع) والرد على الأئمة هورد على الله عز وجل وعليه فإن الفقيه الجامع للشرائط إذا حكم بحكمهم يجب طاعته في ذلك ومن الواضح أن الذي يحكم بحكمهم ليس إلا الفقيه الجامع للشرائط الذي استنبط أحكامه من سيرتهم وسنتهم (ع) ويعضد ذلك أيضا بعض الروايات منها قوله (ع) كل حاكم يحكم بغير قولنا أهل البيت فهو طاغوت وبذلك يظهر أن ورود الرواية في مورد بيان القضاء ورفع الخصومة لا يخصص الدلالة بها لما عرفت مما تقدم ولكون المورد لا يخصص الوارد وللأولوية أيضا في جهة الحكومة العامة والرئاسة على شؤون الأمة من القضاء في الشؤون الشخصية كما قد لا يخفى (٣١).

٢- ومن الروايات رواية إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري الذي هو من النواب الخاصين للإمام صاحب الأمر (ع) في زمن الغيبة الصغرى سألته أن يوصل لي كتابا قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي فوردت توقيع بخط مولانا صاحب الزمان (عليه السلام) أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك وقال له جملة من الأقوال حتى قال: وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي

عليكم وأنا حجة الله (٣٢) ولا إشكال في أن من أهم مصاديق الحوادث الواقعة هي الحكومة وتدبير أمور الناس السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية والعسكرية وما أشبه ولا يخفى أن الرجوع إليهم وإن كان أعم من رجوع الرأي في تعيين الحاكم أو رجوع نفس الحكم إليه بمعنى أنه الحاكم وبالتالي فالدلالة أعم إلا أن الظاهر أنها ترجع مآلاً إلى كون راوي الحديث هو الحاكم بعد المعصوم (ع).

أما الثاني فأمره واضح وهو الظاهر المتبادر من الرجوع.

وأما الأول: فلكون الرجوع إلى الفقيه في تعيين الحاكم حتى في أخذ الرأي فإنه إن كان لجهة أن رأيه حجة على الناس فلا يجوز الرجوع إلى غيره في تعيين الحكام ثبت المطلوب وهو أن مبدأ شرعية الحكم وسيادته وسلطنة الحاكم ترجع إلى الفقيه في أصلها ومنشأها وإن كان لجهة أن رأيه له مدخلية في تعيين الحاكم على الناس بمعنى أن من أرجع إليه الفقيه كان هو الحاكم فهو على المطلوب أدل ولعل مما يعضده روايات منها ما عن رسول الله (ص) أنه قال: اللهم ارحم خلفائي قيل: يا رسول الله ومن خلفاءك قال: الذين يأتون من بعدي ويرون حديثي وسنتي ومن المتبادر من الخليفة هو الحاكم المستخلف في كل شؤون النبي (ص) إلا ما أخرجه الدليل وأجلى مصاديق ذلك هو الإمام المعصوم في زمان حضوره ومن بعده من نصبه الإمام المعصوم (ع) وليس إلا الفقيه الجامع للشرائط ومنها ما ورد في صحيحة القداح عن الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (ص) أن العلماء ورثة الأنبياء والعلماء والأنبياء في الرواية جمع محلى باللام فيفيد العموم ومن الأنبياء من كان حاكماً ومملوكاً كما هو صريح القرآن وحيث أن العلماء يرثون الأنبياء وعلى هذا النحو من العموم والإطلاق فيرثونهم في الحكم والسلطة أيضاً ومنها ما في الفقه الرضوي منزلة الفقيه في هذا الوقت كمنزلة الأنبياء في بني إسرائيل ومنها ما ورد عنه (عليه السلام) العلماء حكام على الناس ومنها ما ورد في رواية الإمام الحسين (عليه

السلام) مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء ومنها رواية الكراجكي قال علي (عليه السلام): الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك^(٣٣) وهي أصرح من غيرها في الدلالة ومنها المروي عن إكمال الدين للصدوق رضوان الله عليه عنه (عليه السلام) أنه قال انه تبارك وتعالى لم يدع الأرض إلا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان ولولا ذلك لالتبست على المؤمنين أمورهم إلى غيرها من الروايات المعشودة سندا ودلالة ببعضها فضلا عن دلالة العقل بما لا يسعنا المجال بيانه هنا وفي مجموعها الدلالة على أن الولاية والسلطنة بعد المعصوم (عليه السلام) للفقهاء الجامع للشرائط^(٣٤).

ثالثا: من الإجماع:

وأما الإجماع فقد استدل به للولاية العامة أيضا جمع من الفقهاء منهم المحقق الكركي رضوان الله عليه حيث أنه قال اتفق أصحابنا على أن الفقيه العادل الجامع لشرائط الفتوى المعبر عنه بالمجتهد في الأحكام الشرعية نائب عن قبل أئمة الهدى عليهم السلام في حال الغيبة في جميع مال النيابة فيها مدخل وعن البلغى للسيد بحر العلوم رضوان الله عليه أن حكاية الإجماع على ذلك فوق حد الإحصاء^(٣٥) وأنه نص عليه كثير من الأصحاب بحيث يظهر منهم كونه من المسلمات بل لعله الظاهر من المستند في بحث القضاء حيث ادعى الإجماع على وجوبه وعلمه بتوقف نظام نوع الإنسان عليه^(٣٦) وأيد بمؤيدين قال فيهما:

- الأول: أن جمهرة كبيرة من العلماء كانوا يتصرفون في شؤون الدولة والسياسة العامة أمثال كاشف الغطاء الكبير حيث أجاز للملك القاجاري فتح علي شاه أن يزاول أعمال الدولة بالنيابة عنه وحجة الإسلام الشفيعي والسيد المجاهد والسيد المجدد والشيخ ميرزا محمد تقى الشيرازي والسيد محمد كاظم صاحب العروة حيث أفتى بإخراج العثمانيين والآخوند صاحب الكفاية والسيد الحبوبى أما مزاولته

الكركي والمجلسي والبهائي والميرداماد وغيرهم للحكم في أيام الصفويين فغني عن الكلام إلى غيرهم من العلماء الكبار مما لا يخفى عن من راجع أحوالهم (قدس).

- المؤيد الثاني: أنه يستفاد اتفاق الفقهاء على ثبوت الولاية للفقيه في مواضع كثيرة من الفقه ويعللون الحكم بالولاية العامة للفقيه ومن أمثلة ذلك قولهم بوجوب دفع الزكاة إلى الفقيه ابتداءً أو بعد طلبه وقولهم بوجوب دفع ما بقي من الزكاة في يد ابن السبيل بعد وصوله إلى بلده إلى الفقيه ومثل وجوب دفع الخمس بإجازة الفقيه أو إلى نفس الفقيه ومثل أن الفقيه مكلف بصرف الخمس والزكاة في مواضعهما المقررة وقولهم بوجوب استيجار الأرض المفتوحة عنوة من الفقيه وقولهم لا يجوز الجهاد ولا الدفاع إلا بإذن الفقيه وقولهم بولايته على ميراث من لا وارث له وقولهم بأنه ولي الصغير في زواجه وقولهم في توقف إخراج الودع الحقوق على إذنه وقولهم بطلاق المرأة التي غاب زوجها أو إجبار الحاكم له بطلاق زوجته إذا لا يعاشرها بالحسنى وقولهم بولايته في إجراء الحدود والتعزيرات وقولهم بولايته في أداء دين الممتنع من ماله وقولهم أنه المرجع في تعيين الهلال وفي القضاء بكل شؤونه وقولهم بأنه يقبض الوقف على الجهات العامة وقولهم بتوقف التقاض من مال الغائب على إذنه وكذلك إذا امتنع الحاضر وقولهم بجواز إجازته لبيع الوقف حيث يجوز بيعه بحسب الشرائط والموازين وقولهم بأنه يقبض الحق عن كل ممتنع لقبض حقه مثلما إذا امتنع الدائن عن قبض الدين أو امتنع المشتري من قبض الثمن أو البائع من قبض الثمن إلى غير ذلك وقولهم بأنه الذي يحجر على المفلس والسفيه والمجنون وقولهم بأنه يضم إلى الوصي الخائن أو العاجز من يشرف عليه وقولهم بأنه يعزل الخائن إذا لم ينفع الظن وقولهم أنه يقيم الوصي لمن مات وصيه أو انعزل وأنه يقيم الوصي والولي لمن لا وصي له ولا ولي له إذا احتاج إلى ذلك وقولهم بأنه يضرب أجل العنين وأنه

يبعث الحكمين من أهل الزوجين وأنه يجبر الممتنع من أداء النفقة لزوجته أو سائر واجب النفقة وأنه يجبر المظاهر على أحد الأمرين إلى غيرها من الموارد الكثيرة جدا بل إننا لم نجد مصنفا في الفقه إلا وفيه كثرة من هذه المسائل كما لم نجد فقيها في التاريخ ولا فقيها معاصرا إلا كان يزاوّل هذه الأعمال حتى إذا كان من أشد المحتاطين بل قد رأينا جملة منهم يرون أنفسهم من أولي الأمر الذي قال الله عنهم: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (٣٧) بمقتضى أن ظاهر الآية وجود ولي الأمر المظاهر في كل زمان وليس ذلك في زمان الغيبة إلا الفقيه الجامع للشرائط ولذا يسمون بنائب الإمام (٣٨).

أما ما ورد في تفسيرها بأن المراد الأئمة (عليهم السلام) فهو من باب المصداق كما هو الظاهر من غالب تفسير الآيات المطلقة بمورد خاص (٣٩).

رابعا: دليل العقل: ويمكن بيانه من وجوه أبرزها وجهان:

- الوجه الأول: من جهة أنه يستقل بقبح ترك الحكيم الناس بدون إمام ينظم أمورهم ويصلح فاسدهم ويرعى حقوقهم ويقيم فيهم العدل ويدفع عنهم الظلم والجور ويأخذ من غنيهم لفقيرهم ويحارب أعدائهم ويسالم أصدقائهم ويرفع عزهم سواء كان من جهة أن الترك يسبب الفوضى والهرج والمرج أو من جهة أن الترك يسبب استبداد الظالمين وسيطرة الطغاة والمفسدين فيحكم بلزوم نصب الحاكم لدفع ذلك ولا بد أن يكون المنصوب عادلا لما عرفت من أن نصب الظالم ينقض الغرض ويستلزم التناقض ونصب العادل الجاهل كذلك فيتعين العادل العالم بالأحكام وليس إلا الفقيه الجامع للشرائط.

- الثاني: من جهة حكم العقل باشتراك وجوب بعث الأنبياء ونصب الأئمة (ع) مع نصب الحاكم في العلة سواء كان حكمه من جهة اللطف أو جذب المصلحة ودفع

المفسدة فإنهم ذكروا أن النصب واجب على الله عز وجل لحفظ البلاد ونظم أمور المعاش والمعاد لذا فإن نصب الإمام حافظ الذمام لطف من الله على الأنام فإنه مقرب للطاعة وقائد الناس إلى الإطاعة فكما وجب النصب عقلا بالنسبة إلى النبي والإمام (ع) وجب النصب عقلا بالنسبة إلى القائم مقامهما ويؤيد ذلك سيرة الأنبياء والأئمة (ع) على نصب الرؤساء والوكلاء والأمناء ونحوهم لحفظ شؤون الناس ومصالحهم في حال وجودهم بين الناس فنصبهم لهم في زمان غيبتهم بشكل أولى بل هذا ما قامت عليه سيرة العقلاء طرا أيضا في تدبير أمورهم وتنظيم معاشهم وحفظ حقوقهم كما هو المشاهد في الوجدان فضلا عن البرهان فكيف بالشارع سيد العقلاء وأحرصهم على الحقوق والواجبات وعليه فإنه يتعين عليه نصب الحاكم العادل لحفظ ذلك وليس ذلك إلا الفقيه الجامع للشرائط لما عرفته من الملاكات المتقدمة (٤٠).

وربما يمكن الاستدلال أيضا لذلك بالقدر المتيقن بمقتضى حكم العقل وبيانه من جهة أنه لا يمكن إهمال أمر الناس من حيث الحكومة إذ لا بد لهم من ولي وأمير يدير أمورهم ويأخذ حق الضعيف من القوي ويدافع عنهم وينتصف لهم ويجري الحدود ويسوسهم في جميع ما يحتاجون إليه في أمر دينهم ودنياهم كما أنه لا ينبغي الشك في أن النبي (ص) كان بنفسه يتولى هذه الأمور ومن بعده كان هذا للأئمة المعصومين (ع) وأما بعد غيبة ولي الله الأعظم الحجة المنتظر (عج) فإما أن يكون المرجع في هذه الأمور خصوص الفقيه الجامع للشرائط أو يصح لكل أحد القيام بها (٤١) ولا إشكال في أن القدر المتيقن من الجواز هو الأول لعدم قيام دليل على الثاني والأصل هو عدم ولاية أحد على أحد خرجنا من هذا الأصل في الفقيه الجامع للشرائط لأن جواز ولايته ثابت على كل حال كما هو مقتضى الضرورة والإجماع مضافا إلى النصوص وإنما الكلام في جواز غيره.

والحاصل إذا من مجموع الأدلة الأربعة هو أن للفقيه الجامع للشرائط الولاية العامة وهو الولي وصاحب السلطة بعد النبي الأعظم والإمام المعصوم (ع) فترجع السلطة والسيادة في منشأها ومصدرها إليه فهو أصل السلطة ومنشأ السيادة يمكنه أن يباشر هذه السلطة بنفسه كما يمكنه أن يعطي هذه السلطة لبعض من يراه مناسباً فينصبه على نحو الوكالة أو النيابة أو المأذونية ونحو ذلك على ما ستعرف تفصيل ذلك في البحوث القادمة إن شاء الله تبارك وتعالى.

المبحث الثاني

مناصب الحاكم الشرعي عند الفقهاء.

ويلاحظ أن مناصب الفقيه ثلاثة: الأول منصب الإفتاء، الثاني منصب القضاء، الثالث منصب الحكومة وتشكيل الدولة وتطبيق الأحكام والقوانين الإسلامية وقد اتفقت كلمة الفقهاء على المنصب الأول والثاني واختلفوا في المنصب الثالث وتفصيل الكلام في ذلك يستدعي التعرض إلى بعض الأدلة والأقوال في ذلك.

المطلب الأول: منصب الإفتاء:

ذكر الشيخ الأنصاري أن للفقيه الجامع للشرائط مناصب ثلاثة أحدها الإفتاء فيما يحتاج إليها العامل في عمله ومورده المسائل الفرعية والموضوعات الاستنباطية من حيث ترتب حكم شرعي عليها^(٤٢) والظاهر أن الإفتاء كما أنه من مناصب الفقيه فإنه من وظائفه أيضاً فيجب عليه التصدي له وجوباً كفائياً وللعوام أيضاً أن يقلدوه على ما فصله الفقهاء في باب الاجتهاد والتقليد بداهة أن المكلف إما يجب أن يكون مجتهداً أو يكون مقلداً أو عاملاً بالاحتياط فإذا رجع المقلد إلى الفقيه فإنه يجب على الفقيه الإفتاء له وإلا لكان إيجاب التقليد لغوياً وقد استقرت سيرة المتشرعة منذ زمن الرسول الأعظم (ص) على رجوع الناس في المسائل الشرعية إلى فقهاء الأمة فكان (ص) إذا فتح بلداً أرسل إليه أميراً وقاضياً فالأمير يقوم بنظم البلد

والقاضي يقوم بمهمة الفتوى والقضاء ولم يكن القضاء في ذلك الأيام أمراً مستقلاً عن الإفتاء فإذا جهلوا بالحكم سألوا القاضي وإذا اختلفوا وتنازعوا في الحقوق رجعوا إليه في القضاء أيضاً وقد كان بعضهم جامعاً بين مقام الإمارة والفتوى بمعنى أنه أمير وقاض ومفتي لجهة أعلميته أو لجامعيته للشروط خصوصاً وأن الحاجات ربما كانت في تلك الأزمنة بسيطة وقليلة بالقياس إلى مثلها في مثل هذه الأزمنة ثم لما اتسع نطاق الفقه والعلم انفصل مقام القضاء عن الإفتاء فقد كان هناك فقهاء عارفون بالأحكام يراجعهم الناس في كل بلد في شؤون الفتوى وإن لم يكونوا من القضاة خصوصاً في مثل دول الجور والظلم الذي كانت تستبعد الفقهاء العدول وأصحاب الأئمة (ع) عن مجال القدرة والنفوذ ومنه قال الصادق (ع) في الحديث لبعض أصحابه أحب أن تجلس في مسجد المدينة وتفتي الناس نعم لعل الاجتهاد في تلك الأعصار كان بسيطاً جداً بالنسبة إلى عصرنا إذ كان يكفي الفقيه المفتي المعرفة باللغة والعرف ومعرفة الحديث والرواية وحكم التعارض بين الأحاديث وشبه ذلك (٤٣).

المطلب الثاني: منصب القضاء والحكم بين الناس:

وهذا أيضاً من مناصبه ووظائفه الواجبة عليه كفاية، وقد يكون واجباً عينياً في بعض الشروط، وقد فصل الفقهاء أدلته في باب القضاء واتفقوا على أنه من مناصبه وربما يكفيها هنا الإشارة إليه بدليل العقل من جهة أن وقوع المنازعات والتخاصم بين الناس أمر مفروغ منه في الحياة البشرية، بل هو لازم لطبيعة الإنسان وطبيعة الحياة فلا مجال للتخلص من النزاع والاختلاف ولا مجال لإبقاء المنازعات والاختلافات على حالها، لأنها تستلزم الفساد والظلم والهرج والمرج، فلا بد من حلها والفصل فيها،

فيجب التصدي لفصل الخصومات والحكم بين الناس لجماعة من العلماء وجوبا

كفائيا ولا يجوز للجاهل ذلك، بداهة أنه ينقض الغرض ويوقع في التناقض.

فأحق الناس بهذا المنصب وأولاهم به بل القدر المتيقن من بينهم هو الفقيه الجامع للشرائط العالم بأحكام الشريعة وشرائط القضاء والحقوق الواجبة كما لا يخفى فإنه الذي يرجى منه تحقيق هذا الأمر المهم لا غيره، وهذا هو المعروف بين الأصحاب بل حكي الإجماع عليه، وعلى أن يكون المتصدي له من المجتهدين الذين جمعوا الشرائط خلافا للقليل من الفقهاء كصاحب الجواهر (رض) حيث أجاز تصدي غير المجتهد وتحقيق الكلام في ذلك موكول إلى محله من باب القضاء.

لكن لا يخفى هنا لزوم التصريح بأنه حتى على القول بجواز التصدي لهذا المقام من قبل غير المجتهد أنه ليس معناه جوازه لكل أحد من المقلدين، بل اللازم العلم بجميع المسائل التي يتصدى للقضاء فيها من الحقوق والحدود وشرائطها وفروعها والعلم بجميع أحكام القضاء وآدابه، وهذا لا يحصل إلا للمقلد يكون تاليا للمجتهد وقريبا منه، على تفصيل لا يسعنا بيانه هنا.

وكيف كان فإنه لا ينبغي الشك في أن القضاء من المناصب ولا يجوز التصدي له إلا بعد النصب له عموما أو خصوصا، ويدل عليه أمور:

الأول: إنه كذلك بين جميع الأمم إذ قامت سيرة العقلاء بل سيرة أهل الأديان على ذلك، فهو جزء من ولاية الحاكم، وشأن من شأنه ولا يزال ينصب القاضي من قبل رؤساء الحكومات وولاة الأمور، والسر فيه هو أنهم متصدون لأموال البلاد الذي لا يتم إلا بحسن القضاء بين الناس، مضافا إلى أن أحكام القضاة لا تنفذ إلا بقوة وهيبة قهرية تجبر الظالم على أداء حق المظلوم، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان القاضي معتمدا

على قوة السلطان لأن الناس لا يقومون بالقسط إلا بالحديد أحيانا، ولذا أنزله الله بعد إنزال الكتاب والميزان (٤٤)

- الثاني: ما وقع التصريح به في مقبولة عمر بن حنظلة في قوله (ع): (فإني قد جعلته حاكما) وقوله (ع): (إني قد جعلته قاضيا) في رواية أبي خديجة فإنها ظاهرة صريحة في حاجة القضاء إلى الجعل وأنه من المناصب الإلهية التي أمرها بيد ولي الأمر لا بيد كل أحد (٤٥).

هذا مضافا إلى أن المسألة مجمع عليها بين الأصحاب، إذ أجمعوا على أنه يشترط في ولاية القضاء إذن الإمام (ع) أو من فوض إليه الإمام (ع) وقد جعلوه لكل مجتهد عادل في عصر الغيبة، كما ذكره الفقهاء في باب القضاء. نعم في قاضي التحكيم لا يشترط التنصيب من قبل الإمام (ع) لقيام النص على أنه ما تراضى به الخصمان بالترافع إليه والحكم بينهما، وهذا هو المشهور بينهم بل ادعي الإجماع عليه.

هذا ويتفرع على ذلك جواز تصديه للأمور الحسبية والمراد بها الأمور التي لا ولي لها بالخصوص، كتولي الأوقاف العامة وتولي شؤون القصر والغيب بالنسبة إلى أموالهم وما يتعلق بهم كإجراء النفقة على زوجة المجنون وإجراء الحجر على السفیه والمفلس وإجازة تجهيز الأموات الذين لا ولي لهم وتنصيب القيمين على الأوقاف والمساجد والحسينيات والمدارس وما أشبه ذلك.. فإن هذه يجوز للفقهاء التصدي لها والقيام بشؤونها وذلك لأمرين:

- لأول: أنه من باب المعروف الذي علم من الشارع إرادة وجوده في الخارج.

- الثاني: أن هذه الأمور من فروع القضاء المأذون به شرعا للفقهاء الجامع للشرائط.

كما نرى من رجوع هذه الأمور في مثل هذه الأزمنة وما قبلها إلى الحكام والقضاة، بل قد ادعي إطباق التواريخ على أنه كان كذلك في زمان رسول الله (ص) والأوصياء (ع) فإن القاضي المنسوب من قبلهم كانت بيده هذه الأمور أيضا كما أن

الوالي كان بيده الأمور السياسية والإدارية، كما ستعرف توضيحه فيما يأتي إنشاء الله.

المطلب الثالث: منصب الحكومة وتشكيل الدولة وتطبيق الأحكام والقوانين الإسلامية.

هو الولاية والحكومة وهو المقصود بقولهم ولاية الفقيه على التصرف بأنواع التصرفات^(٤٦)، وهو في الجملة مما لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه، وقد قامت الأدلة الأربعة عليه في الجملة، وإنما الكلام في حدود هذه الولاية وشروطها فقد ذكر العلماء^(٤٧) ثلاثة مراتب:

- إحداها: وهي المرتبة العليا وهي مختصة بالنبي الأعظم وأوصيائه الطاهرين (ع) وهي غير قابلة للتفويض إلى أحد، واثنان منها قابلتان للتفويض.

أما غير القابلة فهي كونهم (ع) أولى بالمؤمنين من أنفسهم، بمقتضى الآية الشريفة: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)^(٤٨) وهذه المرتبة غير قابلة للتفويض ولا يمكن أن يتقمصها من لا يليق بها من الظالمين والمستبدين وما أشبه، وأما القابلة للتفويض فقسم منها يرجع إلى الأمور السياسية التي يرجع إلى نظم البلاد وانتظام أمور العباد، وسد الثغور والجهاد مع الأعداء، والدفاع ونحو ذلك مما يرجع إلى وظيفة الولاية والأمراء. وقسم يرجع إلى الإفتاء والقضاء، إلى آخر كلامه..

وقد عرفت مما تقدم حكم الإفتاء والقضاء، وحكم الولاية الأولى غير القابلة للتفويض، وأما الكلام في الولاية العامة فالظاهر إن لم يرد المحقق النائيني (رض) التمثيل والتشبيه فالظاهر أنها أعم مما ذكر، لكونها تشمل الولاية على أخذ الأخماس والزكوات والأوقاف العامة وصرفها في مصارفها على ما ذكروها في باب الخمس والزكاة والوقف^(٤٩).

- الثاني: الولاية على إجراء الحدود الخارجة عن منصب القضاء.

- الثالث: الولاية على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يتوقف ذلك على ضرب أو جرح أو قتل أحياناً، فإنهم ذكروا في باب النهي عن المنكر أن له مراحل، فما لم يبلغ إلى هذا الحد كان من وظائف عموم المؤمنين، أما إذا توقف النهي عن المنكر على ضرب أو جرح أو ما أشبه فلم يجز ذلك إلا بإذن الفقيه الجامع للشرائط.

- الرابع: الولاية على الحكومة والسياسة من نظم البلاد وحفظ الثغور والدفاع في مقابل الأعداء، وكل ما يرتبط بنظام المجتمع والمصالح العامة التي يتوقف عليها، وسيأتي بيان ذلك تفصيلاً.

- الخامس: الولاية على الأموال والنفوس مطلقاً.

- السادس: الولاية على التشريع بأن يكون للفقيه حق وضع القوانين وتشريعها بحسب ما يراه من المصالح في ضمن إطار الأدلة الأربعة، كل ذلك مما لا بد من أن يبحث عن حالها والبحث في سعتها وضيقتها، وآراء الأعلام فيها.

هذا وقد تعرض الأصحاب لهذه المسائل في أبواب مختلفة من الفقه، كما يظهر من مراجعة كتاب (البيع) وكتاب (القضاء) و(الزكاة والخمس) و(الحجر) و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) و(الجهاد) و(الحدود والتعزيرات) و(إحياء الموات) وغيرها..

- المسألة الثانية: في الأقوال في المسألة، إذ اختلفت أقوال الفقهاء في ثبوتها من ناحية السعة والضييق إلى أقوال ثلاثة:

- القول الأول: يرى بأن ما للمعصوم من الولاية والسلطنة ثابتة للفقيه أيضاً، وهو اختيار المحقق النراقي (رضوان الله عليه) كما يظهر من كلماته في (عوائد الأيمان).

- القول الثاني: هو القول الوسط وهو المشهور بين الفقهاء، حيث يرى أن للفقهاء مضافا إلى منصب الإفتاء والقضاء، منصب الحكومة والتصدي لإقامتها، والجهاد كذلك وممارسة السياسة وما أشبه ذلك.

- القول الثالث: وهو الأضيق إذ يحصر مسؤولية الفقهاء ومناصبه بالتصدي للأمور الحسبية والإفتاء والقضاء فقط. وهذا اختيار جمع من الفقهاء كما يظهر من المحدث البحراني (رضوان الله عليه) في (الحقائق) ولعله المستفاد من كلمات بعض ممن تبعه. ولعل توضيح الحال في المسألة يتطلب التعرض إلى بعض الأقوال فيها:

قال صاحب الجواهر في كتاب (البيع): عند البحث عن ولاية الحاكم وأمينه على القصر والغيب لا يمكن استقصاء أفراد ولاية الحاكم وأمينه، لأن التحقيق عمومها في كل ما احتيج فيه إلى ولاية في مال أو غيره إذ هو ولي من لا ولي له، وهذا الكلام بقريئة التعليل ناظر إلى الغيب والقصر وأمثالهم من الممتنع والعاجز، إلا أن الظاهر منه هو إرادة العموم، في كل ما احتيج فيه إلى الولاية لما ذكره في كلامه من أن الحاكم وأمينه يليان كل ممتنع أو عاجز عن عقد أو إيقاع أو تسليم حق من الحقوق الإلهية وما أشبه ذلك^(٥٠).

هذا مضافا إلى ما صرح به في غير موضع من (الجواهر) كما يظهر من كلماته في باب الخمس وغيره هو عموم الولاية في مختلف الشؤون.

وقال شيخنا الأعظم في مكاسبه بعد تقسيم الولاية إلى قسمين الولاية المستقلة وهي ما يتصرف الولي بنفسه فيها، وغير المستقلة وهي ما يكون تصرف غيره منوطا بإذنه، قال ما ملخصه: إن القسم الأول ثابت للنبي والأئمة المعصومين من ذريته بالأدلة الأربعة، وكذا القسم الثاني ثابت لهم بمقتضى كونهم أولي الأمر فلا يجوز لغيرهم إجراء الحدود والتعزيرات وإلزام الناس بالخروج عن الحقوق وغير ذلك إلا بإذنهم، واستدل له أيضا بروايات، ثم بعد ذلك بين ظابطة هذه الأمور التي يرجع فيها إليهم،

وإنها الأمور التي يرجع فيها كل قوم إلى رئيسهم، هذا كله بالنسبة إلى الأئمة (ع)، وأما الفقيه فإن الاستفادة من مقبولة عمر بن حنظلة كونه كسائر الحكام المنصوبين في زمان النبي والصحابة في إلزام الناس بإرجاع الأمور المذكورة إليه، والانتفاء فيها إلى نظره بل المتبادر عرفاً من نصب السلطان حاكماً وجوب الرجوع في الأمور العامة المطلوبة للسلطان إليه.

فالمحصل من كلامه هو عموم ولاية الفقيه فيما يتصدى له السلطان والحاكم في الأمور العامة التي يرجع إليه فهو ثابت له، فالأمور التي لا يمكن إهمالها مثل إقامة النظم والعدل والأخذ بالحقوق وغير ذلك لا بد وأن يرجع فيها إلى الفقيه، بل لو لم يكن هناك فقيه فلا يجوز إهمالها إذ لا بد عندئذ من قيام عموم المؤمنين بها. وعليه فثبوتها للفقيه بشكل أولى.

وفي الجواهر أيضاً قال: فالمسألة من الواضحات التي لا تحتاج إلى أدلة، وأوضح من ذلك كله ما ذكره النراقي (رض) في كتابه (العوائد) حيث قال في بعض كلماته في المسألة: أن كلية ما للفقيه العادل تولية، وله الولاية فيه أمران أحدهما كل ما كان للنبي والإمام الذين هم سلاطين الأنام وحصون الإسلام فيه الولاية وكان لهم للفقيه أيضاً ذلك إلا ما أخرجه الدليل من الإجماع أو النص أو غيرهما.. ثانيهما أن كل فعل متعلق بأمور العباد في دينهم أو دنياهم ولا بد من الإتيان به ولا مفر منه إما عقلاً أو عادة من جهة توقف أمور المعاد أو المعاش لواحد أو جماعة عليه، وإناطة انتظام أمور الدين أو الدنيا أو شرعاً من جهة ورود أمر به أو إجماع أو نفي ضرر أو إضرار أو عسر أو حرج أو فساد على المسلم أو دليل آخر أو ورد الإذن فيه من الشارع ولم يجعل وظيفة لعين واحد أو جماعة ولا لغير معين، أي واحد لا بعينه بل علم لا بدية الإتيان به أو الإذن فيه ولم يعلم المأمور به ولا المأذون فيه فهو وظيفة الفقيه، وله التصرف فيه والإتيان به، ثم أخذ في الاستدلال على كل واحد منها.

ومن الأقوال أيضا قول السيد البروجردي (رض) كما يظهر من تقريراته المسماة بر (البدر الظاهر) في صفحة ٥٣ قال: وبالجملّة كون الفقيه العادل منصوبا من قبل الأئمة (ع) لمثل تلك الأمور العامة المهمة التي يبتلى بها العامة مما لا إشكال فيه إجمالا بعدما بيناه ولا نحتاج في إثباته إلى مقبولة عمر بن حنظلة غاية الأمر كونها أيضا من الشواهد.

ومنها قول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (رض) من أن الولاية على الشؤون العامة وما يحتاج إليه نظام الهيئة الاجتماعية يعود إلى الفقيه قال: وبالجملّة فالعقل والنقل يدلان على ولاية الفقيه الجامع على هذه الشؤون فإنها للإمام المعصوم أولا ثم للفقيه المجتهد ثانيا بالنيابة المجعولة بقوله (ع): (وهو حجتى عليكم وأنا حجة الله).

وفي (الحقائق) قال المحدث البحراني (رض) بأن ولاية الفقيه الحاكم الشرعي من المسلمات بين الفقهاء المتفق عليها بينهم، وإن أشكل هو فيها. وأما المحقق النائيني (رض) فبعد أن ناقش في كثير من أدلة ولاية الفقيه قال: نعم لا بأس بالتمسك بمقبولة عمر بن حنظلة، فإن صدرها ظاهر في ذلك حيث أن السائل جعل القاضي مقابلا للسلطان والإمام قرره على ذلك، فإن الحكومة ظاهرة في الولاية العامة، فإن الحاكم هو الذي يحكم بين الناس بالسيف والسطوط، وليس ذلك شأن القاضي ثم بعد ذلك أشكل في هذه السعة.

وفي الفقه قال السيد الشيرازي (قد) بعد تعرضه لقولين في المسألة اختار القول الثاني وحاصله الولاية على الجهاد والحدود والسياسات ونحوها مما كانت بيد النبي (ص) والخلفاء والولاة من قبلهم هذه الولاية وإن كثرت فيها الكلمات واختلفت فيها الأقوال لكن الأقوى في النظر جواز التصدي للفقيه لها، إلا ما خرج بالدليل الخاص

وذلك للروايات المتواترة الدالة على المطلوب بضميمة إطلاق الآيات والروايات في مثل الجهاد وصلاة الجمعة والعقوبات ونحوها.

هذا ما ذكره السيد (قدس سره) في كتابه (الفقه الاجتهاد والتقليد) في صفحة ٢٧. هذا وقد جمع السيد السبزواري (رضوان الله عليه) بين الأقوال في قوله في كتابه (مذهب الأحكام) في الجزء السادس عشر صفحة ٣٦٥ جمع بين الأقوال بما نصه: الظاهر أن هذا النزاع على طوله وتفصيله صغروي لا أن يكون كبرويا كما يظهر من أدلة الطرفين والنقض والإبرام الوارد منهم في البين، لأن المراد بالفقيه الذي يكون مورد البحث في المقام من استجمع ما ذكرناه من الصفات في كتاب (الجهاد) وما سنشير إلى بعضها في كتاب (القضاء) فإذا وجد من اتصف بتلك الصفات تنطبق عليه الولاية المطلقة قهرا، شاء أو لم يشأ، وبعبارة أخرى لو تحقق ما تقدم من الصفات في شخص يصير كأنه الإمام (عليه السلام) بعد استقرار إمامته الظاهرية، ولا يكفي تحقق ما سبق من الصفات لثبوت مثل هذه الولاية، فلمجموعها من الصفات من حيث المجموع دخل في تحققها.

نعم؛ مع وجود بعضها وتيسر الأسباب يجوز له التصدي فيما تيسر، بل قد يجب ذلك. وبذلك يظهر اتفاق الكلمة بين الفقهاء على أن للفقيه الجامع للشرائط مناصب وسلطنة بمقدار، والخلاف بينهم في سعة هذه السلطنة وضيقها فمن يرى ثبوت ولاية الفقيه يرى أن الفقيه له منصب الإفتاء والقضاء وإقامة الحكومة الإسلامية وتطبيق الأحكام الشرعية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقضائية وما أشبه.

وأما من يرى ضيق ذلك فيخصصها في باب الإفتاء والقضاء والأمور الحسبية.

وهناك من يرى سعة هذه الولاية بحيث يكون ما للمعصوم للفقهاء، وإن كان هذا القول شاذ ونادر بين الفقهاء.

نعم؛ لا ينبغي أن يخفى على أن القول بثبوت ولاية الفقيه لا يعني ذلك بأن الفقيه يتصدى لجميع الأمور بنفسه بالمباشرة، بل هو يفوض الأمور إلى أهلها من الأشخاص أو المؤسسات مع رعاية القوة والتخصص والأمانة والخبرة ويكون هو المشرف عليهم والهادي والمراقب لهم بعيونه وأياديه، ومسؤولا عن أعمالهم إذا تساهلوا أو قصرُوا، كما ينبغي أن يشاور لكل شعبة من الحوادث والأمور الواقعة المهمة الخواص المطلعين فيها حيث أن الأمر لا يرتبط بشخص خاص حتى يكون الاشتباه فيه قابلا للإغماض عنه بل يرتبط بشؤون الإسلام والمسلمين جميعا، ويتطبيق العدل وإعطاء الحقوق وقد قال الله سبحانه: (وأمرهم شورى بينهم) فإذا كان عقل الكل وخاتم الرسل خوطب بقوله تعالى: (وشاورهم في الأمر) فتكليف غيره واضح وإن تفوق ونبغ في ذلك.

- المسألة الثالثة في ولاية الفقيه في تشكيل الحكومة وإقامة نظام الحكم.

عرفت مما تقدم أن المشهور المعروف بين الأصحاب هو ذلك، بل في عوائد النراقي دعوى الإجماع عليه، قال حيث نص به كثير من الأصحاب بحيث يظهر منهم كونه من المسلمات، وهو الحق لأنه من جملة أحكام الإسلام بل والمهم منها أحكاما جزائية وقضائية وسياسية واجتماعية كالقصاص والديات والحدود والجهاد والصلح والقضاء وقبول الجزية وإحياء الموات وغير ذلك.. ولا يمكن إجراء تلك الأحكام التي فيها كمال الدين وتمامه إلا بيد الحاكم على الأمة، وبعبارة أخرى إن الأحكام التي أتى بها نبينا رسول الله (ص) إنما هي قوانين كلية ومن البديهي أن القانون إن لم يكن له مجر يصح لغويا فيعلم من ذلك أن النبي الذي جاء بتلك القوانين أراد تطبيقها ولم يرد فقط التشريع، وحينما ساعدته الظروف شكل الحكومة

بنفسه، وكذلك مولانا أمير المؤمنين (ع) حيث عين أشخاصا لإجراء تلك الأحكام، ف كذلك بالنسبة للمجتهد العادل الذي قال (ص) في حقه: (إنه خليفتي ووارثي) وقال الإمام (ع): (هو الحجة عليكم) إلى غير ذلك من النصوص..

ولا يخفى عليك أنه لا أحد أعرف بمباني الإسلام وقوانينه من المجتهد العادل لذلك فهو المتعين لأن يكون قائما بالحكومة وعلى رأسها.

وعليه فإنه لا ريب في أن وظيفة المجتهد في هذا العصر هو إجراء الأحكام وحفظ أمن البلاد الإسلامية والتحرز من مكائد الاستعمار، وحفظ استقلال البلاد وحرية المواطنين، والدفاع عن حريم الإسلام وحفظ أبناء المسلمين من التيارات المعادية لعقائدهم ولأحكامهم ولأفكارهم مضافا إلى عقد الذمة والعقود والعهود وإجراء الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهل يمكن إجراء شيء من ذلك إلا من قبل الدولة والحكومة القوية العادلة، وتلك من مهمات الفقيه بلا إشكال، إذ لو أنكرنا ذلك للزم تعطيل الكثير من الأحكام الشرعية، وهذا ما يخالفه المرتكز من المتشرع عن فهم الشريعة مضافا إلى مخالفته لبديهة العقل وحكمة الأحكام الشرعية وأغراضها وكمالية الدين، وقد تقدم خبر الفضل عن الإمام الرضا (عليه السلام) المتضمن لقوله (عليه السلام): إننا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملّة من الملل باقوا وعاشوا إلا بقيم ورئيس لما لا بد لهم منه في أمر الدين والدنيا فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق بما يعلم أنه لا بد لهم منه، ولا قوام لهم إلا به فإنها هذا البرهان العقلي جار في زمان الغيبة أيضا كما هو جار في زمان الحضور، ويشهد لذلك جملة من الأدلة العقلية والنقلية.

أما الأدلة العقلية فمضافا إلى ما عرفته مما تقدم نذكر بعضها منها:

- الأول: أن تنظيم تلك الأمور التي تكون مورد الولاية العامة والخلافة العظمى مطلوب لله تعالى إلى يوم القيامة أو لا، والثاني باطل لما ورد الأمر بها والترغيب والتحريض إليها. وعلى الأول إما أن يكون المتولي لها كل من استولى عليها ولو من قبل الظلمة وهو باطل بالضرورة، أو يكون هو شخص خاص ذات مناصبي الإفتاء والقضاء وهذا هو المتعين وهو المطلوب، ولا مجال لاحتمال الجاهل هنا لما عرفت من أن العادل الجاهل لا يحقق الغرض.

- الدليل الثاني: وهو ما ذكره السيد السبزواري (رض) في (مذهب الأحكام) وحاصله أن ما ثبت للإمام (ع) من الولاية إنما هو لأجل كونه ملجأ الخلق وملاذهم ومرجع شؤونهم الدينية، ولا موضوعية للعصمة من حيث هي في ذلك كله، وإنما هي بالنسبة إلى هذه الأمور طريقية للاطمئنان ووضع الأشياء في مواضعها، وإن كانت معتبرة من حيث الموضوعية في الإمامة فللعصمة حيثيتان: حيثية كونها من أعلى كمالات النفس الإنسانية، وحيثية كونها موجبا لتنظيم الأمور على طبق الوظيفة الشرعية وموجبة سكون النفس إليها والجهة الأخيرة هي مناط الولاية وهذه الحيثية موجودة في الفقيه العادل الجامع للشرائط المخالف لهواه، فيثبت له ما كان لهم من الولاية أيضا.

- الثالث: ما ذكره أيضا من أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أعطى مثل هذه الولاية لمحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر، ولا ريب في أن الفقيه الجامع للشرائط أرفع منهما قدرا، وأجل شأنا فلا بد من ثبوتها له بالفحوى، قال صاحب الجواهر في كتاب الزكاة ونعم ما قال على حد تعبير السيد السبزواري (رض) إطلاق أدلة حكومته خصوصا رواية النصب التي وردت عن صاحب الأمر (روحي له الفداء) يصيره من أولي الأمر الذين أوجب الله علينا طاعتهم.

نعم، من المعلوم اختصاصه بكل ما له في الشرع مدخلية حكما أو موضوعا ودعوى اختصاص ولايته بالأحكام الشرعية يدفعها معلومية كثير من الأمور التي لا ترجع إلى الأحكام كحفظه لمال الأطفال والمجانين والغائبين وغير ذلك مما هو محرر في محله، ويمكن تحصيل الإجماع عليه من الفقهاء فإنهم لا يزالون يذكرون ولايته في مقامات عديدة لا دليل عليها سوى الإطلاق الذي ذكرناه المؤيد بمسيس الحاجة إلى ذلك أشد من مسيسها في الأحكام الشرعية، وقال في كتاب الخمس أيضا ما يقرب منه.

- الدليل الرابع: وهو مبني من منفصلة حقيقية وحاصلها أنه لا بد للناس من ولاية وهي لا تخلو إما أن تكون ولاية ظلم أو ولاية عدل، والظلم يستحيل إثبات الولاية له شرعا، لأنه قبيح فيتعين العدل، وولاية العدل أمرها يدور بين إثباتها للفقهاء الجامع للشرائط أو لغيره، والثاني باطل لاستلزامه ترجيح المرجوح والتضييق على الناس، والإضرار بهم والأول ممنوع عقلا والثاني ممنوع شرعا لأن الشارع رفع العسر والحرج والضرر كما في متضافر الأدلة، وربما يعبد هذا الدليل أن عقيدة الإمامية أن الفقيه الجامع للشرائط يقوم مقام الإمام في كل ما له من المناصب والجهات إلا مختصات الامامة كالعصمة ونحوها.

وأما الأدلة النقلية فروايات منها مقبولة عمر بن حنظلة، قال سألت أبا عبد الله (ع) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك؟.

قال: من تحاكم إليه في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت.

قلت: فكيف يصنعان؟.

قال: ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكما فإني قد جعلته عليكم حاكما، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا رده، والراد علينا كالراد على الله وهو على حد الشرك بالله.

والكلام فيها تارة من حيث السند وأخرى من حيث الدلالة، أما الأول فالمعروف بأن الأصحاب تلقوها بالقبول حتى سميت في كلماتهم بالمقبولة، وأما نفس عمر بن حنظلة فالظاهر أنه لم يرد توثيق له في كتب الرجال، لكن في سندها صفوان بن يحيى وهو من أصحاب الإجماع، وقد ذهب جمع من الفقهاء ولعله المشهور من أن وجود بعض أصحاب الإجماع في سند الحديث يغني عن ملاحظة حال من بعده، هذا مضافا إلى ما ذكره المحقق المامقاني (رض) في (تنقيح المقال) بأن عمر بن حنظلة موثق وقد روى روايتين تدلان على توثيقه، واحدة منهم في باب أوقات الصلاة والثانية في باب القنوت في يوم الجمعة، كما وثقه الشهيد الثاني (رض) في درايته وقال إنا حققنا توثيقه من محل آخر مضافا إلى غير ذلك من الشواهد..

وأما من ناحية الدلالة فالمستفاد منها هو جعل المجتهد حاكما كسائر الحكام المنصوبين في زمان النبي (ص) والصحابة ومن المعلوم أن الحاكم المنصوب في تلك الأزمنة كان يرجع إليه في جميع الأمور العامة التي يرجع فيها كل قوم إلى رئيسهم، فالمجتهد قد جعل حاكما مطلقا بهذا المعنى، وبعبارة أخرى الحاكم هو المنفذ للحكم وهو مجعول للفقهاء في مثل هذه الرواية.

هذا وقد أشكلوا على الاستدلال بالضعف من جهة ظهور الرواية من الحاكم بالقاضي لأن مورد السؤال والتحاكم هو الترافع إلى القاضي، فقلوه (ع) فإذا حكم بحكمنا أي المراد منه أي قضى، فهي تدل على جعل منصب القضاء للفقهاء ولا تدل على جعل منصب الحكومة، لكن الظاهر إمكان المناقشة فيها من جهة أن المسلم

عند الأصحاب أن خصوص المورد لا يخصص عموم الوارد، مضافا إلى أن تصدر الرواية بحرف التعليل يصلح أن يكون بيانا لكبرى كلية، ومن مصاديقها مسألة القضاء كما عرفته مما تقدم.

هذا مضافا إلى إمكان إثبات الرجوع إلى الفقيه في شؤون الحكومة من مثل هذه الرواية بالأولية من القضاء بداهة أن الإمام (ع) حكم بطلان الرجوع إلى قاضي الجور والحاكم الطاغوت، فكيف بذلك في الأمور العامة والشؤون التي ترتبط بالنفوس والأموال والأعراض؟ فإذا كان قاضي الباطل وقاضي الجور في الأمور الشخصية لا يصح الرجوع إليه يستفاد منه أولوية ذلك أيضا في شؤون الحكومة والدولة، إذ من البداهة أن الدولة لا بد لها من أمير وحاكم، فإذا لم يكن هذا الأمير فقيها جامعا للشرائط كان غيره، وقد عرفت بطلان ذلك.

هذا مضافا إلى أن المراد بالقاضي في الرواية الأعم من الوالي والقاضي بقريضة صدرها وهو قول الراوي عن الرجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، فإن الإمام (ع) حيث ردع عن المراجعة إليهما وجعل مكانهما المراجعة إلى القاضي الشرعي، فما كانا يميزانه جورا أجاز إمضاء الشرع له حقا، كما يمكن أن يكون الذيل ناظرا إلى مرجع الفتوى أو القضاء في الشبهات الحكمية فإن مراجعة القضاة لا يختص بالشبهات الموضوعية كما لا يخفى، لا سيما في تلك الأزمنة حيث كان المتعارف فيها وحدة القاضي والمفتي في كثير من الأحيان، ولذا استدل بها جمع كثير على قبول منصب القضاء للفقهاء منهم المحقق النراقي في عوائده حيث قال فلهم ولاية القضاء والمرافعات وعلى الرعية الترافع إليهم وقبول أحكامهم، ثم استدل لذلك بالمقبولة المذكورة.

وبذلك يظهر بأن إشكال جمع كالسيد الخونساري والسيد الحكيم والمحقق الإيرواني وغيرها بحصرها بباب القضاء الظاهر أنه لا خصوصية له.

المطلب الرابع: الفقيه والولاية في إدارة نظام البلاد والدفاع عنها. السيد الخوئي ووظيفته القيادية في فترة الانتفاضة الشعبانية.

لأنه منصب المرجعية هو أعظم منصب في الفكر الإمامي بل هو سر القوة للمذهب الإمامي بلحاظ أن هذا المنصب يضمن للمذهب الإمامي القوة الفكرية والمكانة العلمية لذلك أستحق أن نتعرض له بشيء من البحث، والبحث يتضمن محاور ثلاثة: المحور الأول: المنطلق التخصصي لموقع المرجعية.

هنا نذكر أمور ثلاثة تتعلق بهذا المحور:

الأمر الأول: هناك عدة عناوين وردت في النصوص:

عنوان التفقه في الدين ، عنوان النظر ، عنوان الأمانة.

وكل عنوان يحكي مرحلة وعن صفة.

العنوان الأول: عنوان التفقه.

المراد به الوصول إلى حقائق الدين هناك فرق بين التفقه في الدين وعلم الدين العلم بالدين: هو عبارة عن الإمام بمعارف الإسلام إمام عام وأما التفقه في الدين: فهو أعظم من العلم بالدين التفقه يعني الوصول إلى حقائق الدين، فقد ذكر: بأن التفقه هو التوسل بالظاهر للوصول إلى الباطن فالشخص الذي يدرس في الحوزة فترة طويلة إلى أن يصل إلى حقائق الأحكام ومعرفة أدلتها والربط بينها فقد وصل إلى مرحلة «التفقه في الدين» (٥١).

العنوان الثاني: عنوان النظر.

في مقبولة عمر ابن حنظله قال: أنظروا إلى من كان منكم ممن روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا فرضوا به حكما فأنني قد جعلته عليكم حاكما، النظر ما هو

معناه؟! نظرفي حلالنا وحرامنا؟! النظر: هو القدرة على النقد والبناء إذا وصل العالم إلى مستوى أنه قادر على نقد آراء الأعلام وبناء رأي جديد فقد وصل إلى مرحلة النظر. العنوان الثالث: عنوان الأمانة.

ورد عن الإمام الحسين عليه السلام: "مجاري الأمور بيد العلماء بالله الأمانة على حلاله وحرامه" العالم أمين ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: "خذ دينك من زكريا ابن آدم فإنه المأمون على الدين والدنيا"، إذن الصفة الثالثة هي الأمانة أمين على الدين أمين على الإسلام، ومعنى الأمانة: يعني الورع في مقام الإفتاء لا يفتي بدون دليل ولا يتسرع في الحكم وله من الورع والتثبت عبرت عنها الأحاديث بالأمانة أمين.

إذن هناك صفات ثلاث ، متفقه في الدين ، ناظر في الحلال والحرام. الأمر الثاني: أن يكون موقع المرجعية هو موقع الأخباريه يعني هو الأخبر هو الأعرف بالدين، كيف؟! هنا وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: مقبولة عمر ابن حنظله: وقد مر ذكرها
إذن المرجعية تعني خبروية يعني رجل مارس التحقيق ومارس التدقيق ومارس عملية الاستنباط لمدة طويلة ثلاثين أربعين سنة إلى أن أصبح هو الأخبر هو الأعرف هو الأدق في مجال الدين.

الوجه الثاني: إذا أغمضنا عن مقبولة عمر ابن حنظله قلنا هذه واردة في باب القضاء لا نعممها للفتية نأتي إلى سيرة العقلاء سيرة العقلاء جرت على تقديم الأخبر على غيره عند الاختلاف.

الوجه الثالث: ما يعبر عنه بالعلماء بالأصل العقلي، ما معنى الأصل العقلي؟!

يعني إذا دار الأمر بين مشكوك الحجية ومتيقن الحجية أيهما يقدم؟! طبعا يقدم متيقن الحجية

لأجل ذلك ذهب معظم علمائنا إلى أن المرجعية تعني الأخبارية الأكثر دقة الأكثر خبره فأنه هو المضمون طبعا قد يختلف شخص يقول كيف يتحدد المرجعية مسألة عويصة يعرفها أهلها يعني مثل ما تشخيص الطبيب الأخبار من غيره يعرفه أهل الطب تشخيص الأعلام من غير يعرفه المجتهدون أهل الاختصاص وفي زماننا هذا الأمر أصبح أسهل لكثرة وسائل الاتصال وانتشار البحوث وانتشار الآراء ورواج الكتب فتحديد من هو الأخبار والأدق صار أسهل من الأزمنة السابقة لتوفر وسائل الاتصال.

نعم ربما يختلف أهل الخبره نتيجة الاختلاف في بعض المناهج قد يختلفون لكن لا يتعدى الاختلاف ثلاثة أو أربعة يعني لم يمر على الشيعة زمن كان المراجع كان أكثر من أربعة أو خمسة لم يمر لماذا؟ لأنه الأخبارية عادة تنحصر في عدد محدود يقل عن أصابع اليد أو بمقدار أصابع الأيد، إذن الاخباريه هي المساوقة إلى منصب المرجعية.

المحور الثاني: الموقع القيادي للمرجعية:

السيد الخوئي «قدس سره» في كتابه «التنقيح» في الجزء الأول وكتاب «المستند» في الجزء الثاني ذكر أن للمرجعية ثلاثة مناصب:

المنصب الأول: حجية الفتوى، فتواه حجة على من ليس مجتهد.

المنصب الثاني: القضاء: حكمه في القضاء نافذ بل أغلب مراجعنا يقول: يشترط في القاضي أن يكون مجتهد لا يجوز القضاء لغير المجتهد أي إنسان يتصدى للقضاء وهو غير مجتهد تصدى لما ليس له ولذلك الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام يخاطب شريح القاضي يقول له يا شريح جلست مجلسا لا يجلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي نبي

معروف وصي نبي أما إمام أو نائب إمام فإذا كان مجتهد أصبح نائب الإمام دخل ضمن الوصي إذا هو مفلس لا هو نبي ولا هو إمام ولا هو مجتهد إذن هو ماذا؟! شقي.

إذا حكم حكمه نافذ بل يذكر الفقهاء أن الفقيه إذا حكم يحرم نقض حكمه حتى على فقيه آخر يعني لا يستطيع حتى الفقيه الآخر أن ينقض حكمه إلا إذا علم خطئه أو خطئ مستنده من أين هذا من مقبولة عمر ابن حنظله التي قرأناها قال فيها «ينظران من كان منكم ممن روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكما فإني قد جعلته» يعني أنا الإمام جعلت للفقيه حاكما «عليكم حاكما فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله.»

المنصب الثالث: منصب الولاية: ما معنى منصب الولاية؟!

فقهاءنا اختلفوا على قولهم قول بالولاية العامة وقول بالولاية الخاصة، الإمام الخميني «قدس سره» وجمع من تلامذته ذهبوا إلى القول بالولاية العامة الإمام الخوئي وأغلب تلامذته ذهبوا إلى القول بالولاية الخاصة .

الولاية الخاصة: تعني ولاية الفقيه في الأمور الحسبية، ومعنى الأمور الحسبية: هي كل أمر دخیل في استقرار الحياة كل أمر دخیل في استقرار الحياة يسمى من الأمور الحسبية مثل الأموال حفظ الأموال العامة الخاصة هذا من الأمور الحسبية لأنه دخیل في استقرار الحياة، الأمور الحسبية يعرفها السيد الخوئي يقول: كل أمر علم أن الشرع يريده ولم ينصب له مكلف معين فالفقيه له ولاية فيه، مثل ماذا؟!

فمثلا تلميذ السيد الخوئي كالمقدس الشيخ التبريزي في «صراط النجاة» يقول: الأمور الحسبية كل ما علم أن الشارع يريده ولم ينصب له مكلف معين ومن أهمها

«إدارة نظام البلاد وتهيئة المعدات والاستعدادات للدفاع عن ثغور البلاد» يقول الشيخ التبريزي السيد الخوئي عندما يقول للفقهاء الولائية في الأمور الحسبية فقط ليس معناه أن الفقيه ليس له دور بعض الناس تتوهم أن الفقيه إذا لم يرى الولائية العامة مثل الإمام الخميني ولذا فالفقيه ليس له دور في حين أن كل فقهاءنا يقولون الفقيه قائد له موقع القيادة كل فقهاءنا بدون استثناء إنما السيد الخوئي يقول قيادة الفقيه في كل أمر يدخل في استقرار الحياة الفقيه له القيادة وله الولائية مثلاً إدارة النظام نظام البلاد أفترض بلد صارت بيد الفقيه إذا لم يديرها الفقيه يحصل الهرج والمرج الفقيه له الولائية على إدارة شؤون البلاد ونظامها والدفاع عنها بكل الوسائل (٥٢).

قال: يجب الجهاد الابتدائي في عصر غيبة الإمام (٥٣)

يقول أن المسلمين إذا امتلكوا العدة والعتاد والقدرة فأن جهاد الكفار لدعوتهم إلى الإسلام واجب عليهم ثم يقول وأن عملية هذا الأمر المهم الجهاد أمر مهم كيف تصير هذه العملية؟! وأن عملية هذا الأمر المهم في الخارج بحاجة إلى قائد وأمر يرى المسلمون نفوذ أمره عليهم، من هو القائد؟! فلا محال يتعين ذلك في الفقيه الجامع للشرائط فإنه يتصدى لتنفيذ هذا الأمر المهم من باب الحسبة على أساس أن تصدي غيره لذلك يوجب الهرج والمرج .

خلصنا إلى أنه حتى الفقيه الذي يرى الولائية الخاصة يرى لنفسه القيادة وأن له الولائية أن يقود الأمة حتى في الجهاد لذا فكل فقهاءنا بالإجماع يقولون الفقيه له قيادة، القيادة في حفظ النظام القيادة في كل أمر يدخل في استقرار الحياة وهو ما يعبرون عنه «بالأمور الحسبية» إذن ما هو الفرق بين الولائية العامة والولائية الخاصة؟!

إذا من يرى الولاية الخاصة يرى لنفسه الولاية على الجهاد وعلى حفظ النظام وعلى إدارة البلاد وعلى الدفاع عنها، إذن ما هو الفرق بين القول بالولاية الخاصة والولاية العامة؟! الفرق جدا بسيط في موقع معين كيف؟!

الذي يرى الولاية العامة مثل الإمام الخميني «قدس سره» يقول الفقيه له الولاية في كل أمر يرجع الناس فيه إلى ملوكهم ورؤسائهم فلا فرق مصلحة خاصة أو مصلحة عامة مصلحة ضرورية أو مصلحة كمالية كل أمر يرجع فيه الناس إلى رؤسائهم الفقيه له الولاية هنا السيد الخوئي يقول «لا» ليس كل أمر، كل أمر دخیل في استقرار الحياة يعني المصالح العامة أما لو كان مصلحة خاصة «لا» أو مصلحة كمالية ليست ضرورية «لا»، إذن الفرق بين الولايتين ضيق والافكلاهما متفقان على أن للفقيه الولاية في إدارة نظام البلاد والدفاع عنها إذن الموقع القيادي للفقيه ليس موقع محصور بكتابة الرسالة العملية.

المحور الثالث: الانجازات بين الطموح وأرض الواقع:

ذهب السيد محمد باقر الصدر إلى أن تكون المرجعية مؤسسة وليست فردية وهذا يقوم عليه الفقيه الأعلّم، جهاز مالي يتكفل بإدارة الحقوق من قبل متخصصين في القضايا المالية جهاز إداري يتكلف إدارة القضايا الحقوقية للمجتمع الإسلامي، جهاز فكري يتكفل بالمقارنة بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة الغربية بين فلسفة الفكر الإمامي فلسفة المذاهب الأخرى، إذن اقترح أن تكون المرجعية مؤسسه طبعا هذا الاقتراح لم تساعده الظروف على تحقيقه لا في العراق ولا في إيران.

فنحن الآن والمرجعية الموجودة على أرض الواقع، هل المرجعية الموجودة على أرض الواقع لا إنجاز لها؟! لا عمل لها؟! أم لا؟! المرجعية على أرض الواقع، المرجعية على مستوى الطموح لم تكن بمستوى الطموح، المرجعية على أرض الواقع تمارس ثلاثة أدوار: الدور الأول: تخريج الفقهاء وتربية المجتهدين.

المرجع يقوم بدور كبير وعظيم وهو تخريج الفقهاء والمجتهدين من تحت منبره من تحت لسانه ومن بين يديه.

تأتي مثلاً إلى السيد الخوئي، فقد درس أكثر من سبعين سنة مدرس كل يوم يصعد على المنبر كل يوم ماذا يحدث؟! طبعا هذه خبرة كبيرة جدا بالفقه بالأصول بالرجال بالتفسير سبعين سنة ماذا يعني هذه السبعين سنة ماذا قدمت؟! يعتبر السيد الخوئي اليوم المنبع الأول لجميع المراجع وجميع علماء المناطق بلا استثناء فهو المنبع وهو المدد كتبه الآن كتب السيد الخوئي أكثر من ستين مجلد في الفقه وفي الأصول وفي علم الرجال وفي التفسير وفي علم الكلام لا يستغني عنها باحث على الإطلاق ولا يستغني عنها استاذ فب الحوزة العلمية.

إذن تربية الفضلاء والمجتهدين وتخريج العلماء دور عظيم على مذهب التشيع لا يمكن احتقار هذا الدور والاستخفاف بهذا الدور فهذا إنجاز عظيم لعالم التشيع وتخصيصنا للسيد الخوئي بالذكر لأنه الأبرز في هذا المجال من غيره وإلا جميع مراجعنا يقومون بهذا الدور دور تربية الفقهاء والمجتهدين لكن السيد الخوئي أصبح أكثر من غيره في هذا المجال .

الدور الثاني: تأصيل الفقه.

الفكر الامامي يمتاز على بقية الفكر المذاهب بالعمق، حتى أصحاب المذاهب الأخرى يعترفون بذلك وهذا ما يؤكد العلماء من غير الامامية حيث يمتاز الفكر

الإمامي على غيره من المذاهب بالعمق والغزارة والدقة وهذه جاءت من عقول المجتهدين جاءت من عقول المراجع منذ زمان الشيخ المفيد، السيد المرتضى، الشيخ الطوسي، العلامة الحلي، محقق الحلي، محقق الكركي الشيخ الأنصاري هكذا عمالقة الإمام الخميني الإمام الخوئي عمالقة لولا هؤلاء العمالقة لتضعع المذهب من زمان هؤلاء حفظوا للمذهب فكره .

فقيمتهم بفكرهم فهؤلاء العمالقة أسسوا للمذهب الامامي بنية فكرية رصينة وسار تلامذتهم على ضوئهم تلامذة الإمام الخميني وتلامذة الإمام الخوئي وتلامذة وتلامذة ساروا على ضوئهم فالدور الذي يقوم به المرجع .

عند ملاحظة هذه الرواية عن الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد ووضعت الموازين فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء هذا الانجاز الثاني الدور الثاني.

الدور الثالث: القيادة.

القيادة الاجتماعية والسياسية: لم يمر مرجع على الشيعة لم تكن له قيادة لا يوجد إذا كان مرجع عام يقلده أكثر الشيعة لا يوجد مرجع عام يقلده أكثر الشيعة إلا وله موقع قيادي لم توجد مرجع منعزل ولا مرجع مستتر إطلاقاً، الآن أضرب لك أمثلة: السيد المجدد السيد محمد حسن الشيرازي قبل أكثر من مئة سنة الذي حرم التنباك وأفشل مخطط الاستعمار في إيران، الشيخ محمد تقى الشيرازي الذي أقام دورة العشرين على اكتافه الإمام السيد محسن الحكيم الذي كان بكلمة منه يسقط حكومة ويقيم حكومة في العراق وبقوله: "الشيوعية كفر والحاد" قضى على المد الشيوعي في العراق، الإمام الخميني الذي ببركة ثورته أسس كيان

إسلامي لم يسبق له نظير الشهيد الصدر الذي بدل ذمه في سبيل كرامة الشعب

العراقي وحرية، الإمام الخوئي بعضهم يستضعف الإمام الخوئي «لا».

الذي عاش في العراق يعرف الدور الذي قام به هذا الإنسان عاش السيد الخوئي تحت أكبر طاغية في زمانه لا يوجد طاغية مثل صدام أبداً كما عاش الصادق تحت المنصور كما عاش الإمام الهادي والعسكري تحت المتوكل العباسي عاش تحت أكبر طاغية في زمانه إلا وهو الشيطان الرجيم وكان قتل حاشيته ضيق على الحوزة العلمية ضيق عليه الخناق حتى في بيته وكل ذلك لأجل حرف تأيد لم يستطيع أن يحصل منه حرف تأيد ضيق عليه الخناق وهو صابر صامد لم يستطيع النظام في ذلك الوقت من أن يحصل من السيد الخوئي على كلمة واحدة تؤيده ليس مثل زماننا الآن «لا» السيد الخوئي ما مدح ظالم قط ولم تصدر منه كلمة مدح لظالم قط رغم التضيق رغم الارهاق رغم ما صنع به ضل صابر صامد ولم يصدر منه كلمة أو حرف تأييد لذلك النظام إطلاقاً يعني هذا الصبر والصمود أليس أنجازاً؟ هذه القوة والإرادة التي تتحدى الظلم مهما فعل أليس أنجازاً؟

عندما حدثت الانتفاضة الشعبانية نجد ان السيد الخوئي هو الذي تصدى لها؟ ومن الذي احتواها؟ صرفت ملايين الأموال من قبله في الانتفاضة وشراء الاسلحة والمعدات والاستعدادات ونصب هيئة لإدارة النظام راجع الانتفاضة وبياناتها أنظر إلى بيانات السيد الخوئي في الانتفاضة الشعبانية نصب هيئة لإدارة العراق من قبله.

إذن هذه المواقف كلها لا يمكن ان نضرب بها عرض الحائط ونقول هؤلاء رجعيين لم يكن دورهم إلا رسالة عملية فهذا ليس من الأنصاف؟ وهذا ليس من الموضوعية؟ فهؤلاء الذي عاشوا على خط الصبر والصمود هؤلاء الذين تحملوا المحن في سبيل أن

يبقى المذهب في العراق هؤلاء الذين تحملوا كل ما جرت عليها الانتفاضة وما ترتب عليه.

إذن بالنتيجة: المرجعية هي صمام الأمان للشيعة الامامية في كل زمن، الآن مرجعية النجف حمت الشعب العراقي من الاختلاف حمت دماء العراقيين احتضنت بروحها الأبوية أبناء العراق من مسيحيين من شيعة من سنة من صابئة احتضنت الجميع وبذلت المرجعية في العراق الآن الأموال الطائلة حتى للمسيحيين وحتى للصابئة في سبيل حفظ دمائهم في سبيل وحدة الشعب العراقي أن يبقى متوحد، إذن لا يمكن إغفال هذه الأدوار.

والمرجعية لها قدسية لأنها تمثيل للإمامة لأنها امتداد للإمام القائم «عجل الله تعالى فرجه الشريف» فالتقديس لها هو في الواقع تقديس للإمام والإجلال لها هو في الواقع إجلال للإمام نفسه لأنه الدفاع عن منصب الإمامة واجب وهذا ما جرت عليه سيرة أهل البيت من الدفاع عن منصب الإمامة، الزهراء عليها السلام بذلت دمها في سبيل الدفاع عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أم البنين الأربعة بذلت أولادها في سبيل الدفاع عن منصب الإمامة الدفاع عن الإمامة.

الخاتمة

• ينعّد السيد الخوئي واحداً من المراجع المعاصرين الذين سعوا إلى بث روح التجديد في البحث الأصولي، وقد بذل عمره وأفنى دهره في هذا الاتجاه، وقد كان ذلك من أول الأسباب التي منحتة الأهلية في الزعامة المطلقة للوجود الشيعي.

• يمكن أن نعد السيد ظاهرة قل نظيرها في التاريخ الامامي، لأنه حضي بالمقام العلمي المحمود، والسمات الشخصية التي أهلته لزعامة الحوزات العلمية في العالم.

• تبلورت جملة من الأسباب التي كان لها الأثر البارز في استلام منصب الزعامة، تباينت بين أسباب علمية وإدارية وسياسية، كشفت بجملتها عن كفاءات علمية، وقدرات نفسية وهبت السيد الخوئي الاستحقاق التام لزعامة الحوزة. الذي يرى الولاية العامة يقولون له الولاية في كل أمر يرجع الناس فيه إلى ملوكهم ورؤسائهم فلا فرق مصلحة خاصة أو مصلحة عامة مصلحة ضرورية أو مصلحة كمالية كل أمر يرجع فيه الناس إلى رؤسائهم الفقيه له الولاية هنا السيد الخوئي يقول «لا» ليس كل أمر، كل أمر دخیل في استقرار الحياة يعني المصالح العامة أما لو كان مصلحة خاصة «لا» أو مصلحة كمالية ليست ضرورية «لا»، إذن الفرق بين الولايتين ضيق وإلا فكلاهما متفقان على أن للفقيه الولاية في إدارة نظام البلاد والدفاع عنها إذن الموقع القيادي للفقيه ليس موقع محصور بكتابة الرسالة العملية. للسيد الخوئي دور كبير في الانتفاضة الشعبانية تمثل بقيادته لتلك الانتفاضة من مقام مبناه في ولاية الفقيه الحسبية وليس في مقام الولاية المطلقة.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، قم مؤسسة آل البيت ١٤٠٩ هـ.

٣- الحكيم، السيد محمد تقي، الأصول العامة للفقه المقارن .

٤- الطوسي، الفهرست، النجف الأشرف المكتبة .

٥- الحكيم، محمد باقر، الحوزة العلمية، قم—دار الحكمة ط ١ سنة ١٤٢٤ هـ.

٦- المجلسي، بحار الأنوار، بيروت مؤسسة الوفاء ١٤٠٤ هـ.

٧- الأصفهاني (ت ١٣٦١ هـ): حاشية المكاسب تحقيق عباس محمد

السباع القطيفي مطبعة العلمية، ط ١، (١٤١٨ هـ).

- ٨- الجلالى ، محمد حسين ، فهرس التراث، ج٢، مطبعة نكارش، قم، ٢٠٠١.
- ٩- الجواهري ، محمد(معاصر): المفيد من معجم رجال الحديث مكتبة المحلاتي قم- ايران الطبعة الثانية (١٤٢٤ هـ).
- ١٠- الحسينى اللوساتى :حسن (ت ١٤٠٠ هـ) نور الافهام في علم الكلام تحقيق إبراهيم اللوساتى مؤسسة النشر الإسلامية الطبعة الأولى (١٤٢٥ هـ) .
- ١١- الخوئى (ت ١٤١٣ هـ): معجم رجال الحديث الطبعة الخامسة (١٤١٣ هـ).
- ١٢- الخوئى .مصباح الأصول (تقرير بحث الخوئى) بقلم السيد علاء الدين بحر العلوم .
- ١٣- الشاهرودى: نور الدين :المرجعية الدينية ومراجع الامامية طهران - إيران (١٤٦ هـ).
- ١٤- شمس الدين ، محمد مهدي: أنصار الحسين (ع) الدار الإسلامية الطبعة الثانية (١٤٠١ هـ) .
- ١٥- الغروى: محمد (معاصر): مع علماء النجف الاشرف دار الثقليين بيروت -لبنان الطبعة الاولى (١٤٢٠ هـ).
- ١٦- الفتلاوي ،كاظم عبود ، مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف، ط٢، مطبعة التعارف الناشر النجف الاشرف، ٢٠١٠ .
- ١٧- الفياض ، الشيخ محمد إسحاق: محاضرات في أصول الفقه (تقرير بحث الخوئى) مطبعة النجف (١٣٨٢ هـ).
- ١٨- مجلة الموسم اكاديمية الكوفة المركز الوثائقي لتراث أهل البيت(ع) -هولند عدد خاص عن الإمام الخوئى المرجع الشيعي الأكبر.
- ١٩- النجفي ت ١٢٦٦ هـ ، محمد حسن ، جواهر الكلام في شرائع الاسلام ، تحقيق ، حيدر الدباغ ، مؤسسة دار النشر الاسلامي .

٢٠- الواسطي، احمد، سيرة وحياة الامام الخوئي، دار الهادي للطباعة والنشر، ١٩٩٨.

الهوامش:

(١) ظ:مجلة الموسم اكااديمية الكوفة المركز الوثائقي لتراث أهل البيت(ع) -هولند عدد خاص عن الإمام الخوئي المرجع الشيعي الأكبر ٢٥٣.

(٢) السيد الخوئي (ت ١٤١٣ هـ): معجم رجال الحديث الطبعة الخامسة (١٤١٣ هـ) ٢٣٢٠.

(٣) ظ:م.ن ٢٣٢٠ + الشاهرودي: نور الدين :المرجعية الدينية ومراجع الامامية طهران - إيران (١٤٦ هـ) ١٥٣.

(٤) ظ:الغروي:محمد (معاصر):مع علماء النجف الاشرف دار الثقليين بيروت -لبنانالطبعة الاولى(١٤٢٠ هـ) ٢٥١٩.

(٥) احمد الواسطي، سيرة وحياة الامام الخوئي، دار الهادي للطباعة والنشر، ١٩٩٨، ص ١١؛ محمد حسين الجلالي، فهرس التراث، ج ٢، مطبعة نكارش، قم، ٢٠٠١، ص ٦٥٥؛ كاظم عيود الفتلاوي، مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف، ط ٢، مطبعة التعارف الناشر النجف الاشرف، ٢٠١٠، ص ٣١.

(٦) الشاهرودي المرجعية الدينية ومراجع الامامية ١٥٤.

(٧) ظ:السيد الخوئي :معجم رجال الحديث ٢٣٢٢.

(٨) ظ:م.ن ٢٣٢٢.

(٩) بلغ تلامذة السيد الخوئي أكثر من (ستمائة) تلميذ ظ:مجلة الموسم ٢٧٧.

(١٠) الشيخ محمد إسحاق الفياض :محاضرات في أصول الفقه (تقرير بحث الخوئي) مطبعة النجف (١٣٨٢ هـ)، ٤٥.

(١١) ظ: تعليقاته على مناسك الحج للسيد الخوئي (قد)، ص ٣٨.

(١٢) ظ:السيد على الشاهرودي: دراسات في أصول الفقه (تقرير بحث الخوئي)، ص ١٢٣.

(١٣) ظ:الخوئي .مصباح الأصول (تقرير بحث الخوئي) بقلم السيد علاء الدين بحر العلوم: ٨٧.

(١٤) تطرق السيد الخوئي لذكرها في معجمة: ظ: معجم رجال الحديث ٢٣٢٠ +الغروي :مع علماء النجف الاشرف ٢٥١٩ + الشاهرودي :المرجعية الدينية ومراجع الامامية ١٥٤.

(١٥) يشتمل على مباحث أصولية معمقة يتلخص فيها عصاراة الفكر الأصولي للسيد الخوئي وأستاذه الشيخ النائيني اللذين بذلا جهودا مضنية لتطويره، ويعد أول اثر يطبع للسيد الخوئي: ظ. الحسيني اللوساتي :حسن (ت ١٤٠٠ هـ) نور الافهام في علم الكلام تحقيق إبراهيم اللوساتي مؤسسة النشر الإسلامية الطبعة الأولى (١٤٢٥ هـ) ١٣٥.

(١٦) يتضمن آراء السيد الخوئي وفتاواه وتعليقاته على كتاب العروة الوثقى للسيد اليزدي(قد).

- (١٧) وهو كتيب صغير طبع لأول مرة في النجف عام (١٣٤٢هـ)، ثم أعيد طبعه عام (١٤٠٩هـ).
- (١٨) ظ: مجلة الموسم ١٤٠.
- (١٩) ظ: م. ن.
- (٢٠) ظ: الشيخ الأصفهاني (ت ١٣٦١هـ) : حاشية المكاسب تحقيق عباس محمد السباع القطيفي مطبعة العلمية الطبعة الأولى (١٤١٨هـ) المقدمة ص ٨.
- (٢١) ظ: الشيخ الأصفهاني (ت ١٣٦١هـ) : حاشية المكاسب تحقيق عباس محمد السباع القطيفي مطبعة العلمية الطبعة الأولى (١٤١٨هـ) المقدمة ص ٨.
- (٢٢) مجلة الموسم ١٤٢.
- (٢٣) ظ: محمد مهدي شمس الدين : أنصار الحسين (ع) الدار الإسلامية الطبعة الثانية (١٤٠١هـ) ٢٥.
- (٢٤) ظ: محمد الجواهري (معاصر) : المفيد من معجم رجال الحديث مكتبة المحلاتي قم ايران الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ).
- (٢٥) مجلة الموسم ١٧٧.
- (٢٦) ظ: الصحاح ، مادة حكم، وظ: بن منظور، لسان العرب ، مادة حكم.
- (٢٧) الاحزاب : ٦ ، وقال النبي (ص) : (الست اولى بكم من انفسكم قالو بلى ، قال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه)، ظ: الخصال ، ٣١١ ، وظ: النسائي: السنن : ١٣٥ .
- (٢٨) البقرة : ٢٥١.
- (٢٩) النساء : ٥٨.
- (٣٠) الكليني ، الكافي ، ح ٧ باب (كراهية الجلوس إلى قضاة الجور)، ص ٤١٢.
- (٣١) ظ: الطبرسي ، الاحتجاج : ٤٥٧.
- (٣٢) الصدوق، كمال الدين واتمام النعمة : ج ٢ ص ٥١٠ پ ٤٥٥ ح ٤١
- (٣٣) الگلپايگانی ، الهداية ، ص ٣٦ .
- (٣٤) الصفار ، فاضل ، محاضرات فقه الدولة ، ص ١١.
- (٣٥) بحر العلوم ، البلغي ، ص ٢١٣.
- (٣٦) النراقي ، عوائد الايام ، ص ١٢٨.
- (٣٧) النساء : ٥٩.
- (٣٨) الشيرازي، الحكم في الإسلام، ص ١٨٨.
- (٣٩) م. ن : ٢٦ - ٢٨.
- (٤٠) الطباطبائي : تفسير الميزان : ١٨ : ٩٤.
- (٤١) ظ: الطبرسي: النجم الثاقب: ١٦٥
- (٤٢) الأنصاري ، الشيخ مرتضى : المكاسب: ١٧٦.

(٤٣) الأنصاري ، الشيخ مرتضى : المكاسب: ١٩٥ .

(٤٤) الحديد : ٢٥ .

(٤٥) مكارم شيرازي ، ناصر: نفحات القرآن: ١٣١ .

(٤٦) الانصاري، الشيخ مرتضى: المكاسب : ٣ : ٥٤٥ - ٥٤٦ .

(٤٧) النائيني ، منية الطالب: ١٢٦ .

(٤٨) الاحزاب : ٦ .

(٤٩) الخونساري : جامع المدارك: ٢٣٢ .

(٥٠) النجفي ، ممد حسن الجواهري ، جواهر الكلام

(٥١) الراغب الاصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ٢٤١

(٥٢) التبريزي : صراط النجاة: ٤٣ .

(٥٣) الخوئي: منهاج الصالحين: ٣٣٦ .

الدولة المدنية والنظام الديمقراطي لدى مرجعية السيد السيستاني

د.خالد شوكات

(أستاذ جامعي/ وزير ونائب برلماني تونسي سابق)

مدخل:

عندما التحقت بالمدرسة الإعدادية في قريتي "المزونة" التي تقع على طريق الجنوب التونسي، كانت الثورة الإسلامية الإيرانية لتوها قد نجحت في الإطاحة بالنظام الشاهنشاهي، ورموزها وقادتها وفي مقدمتهم مرشدها الأعلى آية الإمام الخميني (ق س) تملأ الدنيا وتشغل الناس، وكان النقاش بين مختلف التيارات الفكرية والسياسية على أشده، فالثورة الإسلامية كانت حدثا عظيما ومدويا بالمعنى التاريخي، ولكن العنصر الأكثر مفاجأة للمتابعين والمهتمين في الغرب والشرق كان إصرار قائد الثورة على إعلان "الجمهورية الإسلامية" نظاما سياسيا جديدا للدولة في إيران، ولم يكن ذلك أمرا مألوفا على الصعيد الدولي، فقد كان العالم حينها منقسما إلى معسكرين، غربي ليبرالي وشرقي شيوعي، وكانت الأنظمة المتداولة إما اختراعا أوريبيا أمريكيا أو اختراعا روسيا سوفيتيا، أما المسلمون فهم بعيدون تماما عن مسألة طرح نموذج مختلف للحكم، فهم يعيشون على هامش الحضارة تقريبا.

لقد تابعت ومنذ تلك السن المبكرة - وما زلت أفعل إلى اليوم الجدل العميق الذي أثارته أطروحة "الجمهورية الإسلامية" واستمرار هذا الجدل، بل احتدامه، مع اكتمال نظرية "ولاية الفقيه" وطرحها على الجمهور العام باعتبارها الإطار الشرعي والمقوم النظري للنظام الجمهوري الإسلامي، خصوصا بعد أن تحولت النظرية التي يردّها البعض إلى كتاب "آية الله منتظري"، إلى مؤسسات وآليات استوعبها الدستور

الإيراني الجديد ونزلها قادة النظام الإسلامي على أرض الواقع تدريجياً، فأضحت مصطلحات من قبيل "المرشد الأعلى للثورة الإسلامية" و"مجلس خبراء الدستور" و"مجلس الشورى" وغيرها من المؤسسات الدستورية الإيرانية كلمات مألوفة لدى الرأي العام الإسلامي والدولي، دون أن تنفي عنها هذه الإلفة، على الرغم من مرور أربعة عقود على قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، طابعها الإشكالي.

إن نظرية ولاية الفقيه تظل برأي كثير من الباحثين والمفكرين الإسلاميين وغير الإسلاميين، مسلمين وغير مسلمين، رؤية سياسية تتجاوز الفضاء الإسلامي الشيعي إلى الفضاء الإسلامي الأشمل، حيث تشير بعض الكتابات إلى أن بعض الأفكار الرئيسية التي استندت إليها قد استمدتها الإمام الخميني من خلال اطلاعه على كتابات وآراء بعض الجماعات الإسلامية السنية، ومن بينها جماعة الإخوان المسلمين والأطروحات التنظيرية لبعض مفكريهم، خصوصاً عند إقامة الإمام (ق س) في النجف الأشرف في عقد الستينيات من القرن العشرين، إذ إن آليات من قبيل "الانتخاب" و"الشورى" والجمع بين تمثيل "الخاصة" و"العامة" والحراسة الدينية والمؤسسة النيابية أو التمثيلية، كانت دارجة في كتابات المفكرين الإسلاميين السنة مثل أبو الأعلى المودودي صاحبة نظرية الدولة الإسلامية في باكستان، وسيد قطب صاحب مؤلف "معالم في الطريق" الذي طرح كذلك مشروع دولة إسلامية معاصرة.

لكن التحولات التي سيعرفها العالم الإسلامي المعاصر بشقيه الشيعي والسني خلال العقود الماضية، والمتغيرات التي سيشهدها العالم بأسره بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في بداية عقد التسعينيات من القرن الماضي، والتداعيات المصاحبة لذلك وتأثيراتها الفكرية والسياسية العاصفة إقليمياً ودولياً، ألقت بظلالها على حركة الفكر الإسلامي وساهمت في بلورة مراجعات نقدية عميقة لنظريات الحكم عند

الإسلاميين، حيث طرحت بقوة إشكاليات جديدة حول نظام الحكم من وجهة نظر إسلامية لم تكن دارجة من قبل، لعل من أهمها "نظرية الدولة المدنية" وما ترتبه من قبول بالنظام الديمقراطي القائم على مبدأ "ولاية الأمة" بدل "ولاية الفقيه" التي كان الإمام الخميني صاحب الفضل في بلورتها نظريا وتطبيقيا.

وقد شكل سقوط نظام صدام حسين الديكتاتوري في العراق منذ أبريل ٢٠٠٣، فرصة لاختبار نظرية ولاية الأمة ومجالا لاعتماد دولة مدنية ونظام ديمقراطي في بلد مسلم يشكل الشيعة غالبية سكانية فيه، وما كان لهذا المسار أن ينطلق دون بروز مرجعية النجف الأشرف ممثلة في المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني على الساحة العراقية العامة، ودعوته الواضحة الصريحة إلى ضرورة أخذ العراقيين بآليات الدولة المدنية والديمقراطية في دستورهم الجديد ودولتهم المستجدة، الأمر الذي ساعد على تجاوز مطبات كثيرة وتفكيك ألغام عديدة كانت ستفاقم من أزمت المرحلة الانتقالية الصعبة وربما تحول دون أي نوع من أنواع الاستقرار وستفضي إلى تفكيك البلد وانهيار مؤسساته، خصوصا في ظل وجود محفزات داخلية وخارجية ومشاريع تقسيم إقليمية ودولية كانت تراهن على بث الفتنة والفرقة على أسس طائفية واثنية وقومية وغيرها، ومن هنا ساهمت المرجعية في حماية الوحدة الوطنية.

أولا: محددات نظام الحكم في الإسلام:

لقد شكل نظام الحكم إحدى أهم الإشكاليات على مر التاريخ الإسلامي، بل لعله شكل الإشكالية المركزية الأكثر تعقيدا وسببا في انقسام المسلمين، فالفرق الإسلامية الكبرى الرئيسية في التاريخ الإسلامي منذ وفاة الرسول الأكرم محمد (ص)، مثل السنة والشيعة والخوارج، ظهرت إلى العلن في ارتباط بمسألة

الحكم، على هذا النحو أو ذاك. أما في التاريخ الإسلامي المعاصر، فإن جل الصراعات والخلافات الأساسية قد برزت للعلن في إطار انقسام المسلمين في مختلف أقطارهم حول شكل الدولة ونوع النظام السياسي، ومن ذلك انقسام المسلمين إلى معسكرين متناحرين علماني وإسلامي.

إن أول خلاف كبير واجهه المسلمون بعد التحاق نبيهم بالرفيق الأعلى (ص)، هو الموقف من الولاية بعد غياب الرسول الذي كان مالكا للسلطتين الروحية والزمنية، حيث ذهب فريق منهم إلى القول بـ"ولاية الإمام" وهم شيعة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، وفريق آخر قال بـ"ولاية الأمة" وهم من سيعرف لاحقا بأهل السنة والجماعة الذين ما يزالون ينظرون حتى الساعة لتجربة "الخلافة الراشدة" باعتبارها تجربة مرجعية على المسلمين العمل على إحيائها، بالنظر إلى تمثلها القيم والمبادئ الإسلامية.

لقد مثل الخلاف المستدام حول محددات الحكم الإسلامي، بين مختلف المدارس والفرق والجماعات الإسلامية، بالنسبة لبعض المفكرين القدامى والمعاصرين على السواء، دليلا على بشرية ونسبية هذه المسألة، فقد كانت النصوص المقدسة المعنية بالدولة وسياسة الشأن العام قابلة للتأويل والتفسير، ولم تحظى يوما بالإجماع، فيما شكلت تجارب الحكم الإسلامي المتعددة على اختلاف مرجعياتها دليلا آخر على الطابع الإنساني الأرضي الاجتهادي لهذه المسألة.

إن إصرار بعض الزعماء السياسيين والفقهاء الدينيين والمفكرين الإسلاميين على إضفاء طابع القداسة على نظرياتهم في الحكم الإسلامي أو تجاربهم فيه، مثل قول الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان "إنما حكمتكم بإرادة الله"، أو قول الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور "أنا ظل الله في الأرض"، لم يفضي البتة إلى خلق تجربة حكم إسلامي دائمة، سواء تعلق الأمر بالمجال السني أو بالمجال الشيعي أو بغيرهما، فقد قادت جميع تجارب الحكم الإسلامي في نهاية المطاف إلى الخلاصة نفسها، أن

الشأن لا يتجاوز كونه تجربة واجتهاد، معرض للصواب كما هو معرض للخطأ، وقد تطول دولته لكنها في الخاتمة ستزول ولو دامت بضع قرون، كما كان شأن الخلافة العثمانية التي عمرت قياسا إلى غيرها طويلا.

ثانيا: تجارب الحكم الإسلامية الشيعية والسنية

شهد التاريخ الإسلامي عبر عهوده المتعاقبة، منذ الإسلام المبكر وإلى غاية الإسلام المعاصر، سواء في المجال الشيعي أو في المجال السني، وكذلك في المجال الخارجي (نسبة إلى الخوارج/الإباضي)، جميع أشكال الدول وأنظمة الحكم، التي نسبت نفسها جميعا إلى الإسلام، مستعينة لكسب شرعيتها الدينية على النصوص القابلة للتأويل وعلى فقهاء كانوا غالبا مستعدين للي عنق الآيات والأحاديث النبوية خدمة في غالب الأحيان لإرادة الحكام والملوك المستبدين، حتى إن عالم الاجتماع العراقي الشهير علي الوردي رحمه الله سماهم بـ"فقهاء السلاطين".

لقد أقيمت على أرض المسلمين، شيعة وسنة وخوارج، خلافة وممالك وجمهوريات وإمارات والسلطنات، كما عرف المسلمون الحكم الجمهوري المنتخب والحكم الملكي الوراثي العضوض، واتسم التاريخ الإسلامي ببروز أنظمة حكم عادلة وأخرى مستبدة، وأقيمت دول على قاعدة الإمامة الشريفة المنحدر حكامها من الشجرة النبوية الشريفة كما أقيمت أيضا على أساس التمكين لسلاسل سلطانية عربية وأعجمية متعددة، واتخذت دول إسلامية توجهها قوميا فيما أخذت ثانية طابعا تعدديا، وشكلت تجارب في الحكم الإسلامي نماذج للحكم الرشيد العادل فيما نحت أخرى منحى الاستبداد الغاشم.

ومن مفارقات تجارب الحكم الإسلامية، أن تجارب شيعية بنيت على أساس الولاية للأمة بعد غيبة الإمام المهدي (ع) في وقت عرف فيه الفكر السياسي الشيعي غالبا بارتباطه الوثيق بفكرة الإمامة والمهدوية، بينما نجد تجارب سنية شيدت فيها

الدول على قاعدة "إمارة المؤمنين الشريفة" و"ملك الأسر الهاشمية المباركة"، وفي حين بلور الشيعة المعاصرون نظرية "ولاية الفقيه" التي أفضت إلى إقامة "جمهورية ديمقراطية ذات مرجعية إسلامية"، فإن تجربة الحركات الإسلامية السنية المعاصرة قد أنتجت نماذج في الحكم غاية في "الشيوقراطية" من قبيل دولة "طالبان" في أفغانستان ودولة "داعش" في العراق وسوريا.

إلا إن ما يجب ملاحظته إن الفكر الإسلامي المعاصر، برافديه الأساسيين الشيعي والسني، قد انتهى مع مطلع القرن الحادي والعشرين إلى تبني نظرية الحكم نفسها، دافعا من جهة الدين إلى وظيفته الأصلية الروحية والأخلاقية والاجتماعية، ومدافعا من جهة ثانية على التقاء الإسلام مع القيم الكونية والإنسانية التي تحث على الحكم الرشيد والديمقراطية النيابية وحقوق الإنسان وهو ما تجسم في نظرية "ولاية الأمة أو النظام الديمقراطي".

ثالثا: نظرية ولاية الأمة والنظام الديمقراطي

لقد ارتبط الفكر السياسي الشيعي عبر القرون بمركزية الفكرة الإمامية، لكن غيبة المهدي (ع) منحت الفرصة بالمعنى التاريخي لبلورة العديد من الرؤى والنظريات والمقاربات المتعلقة بالحكم، خصوصا مع اشتداد عود المرجعية النجفية وشقيقاتها، وذلك قياسا بالمجال السني الذي ظل مشدودا أكثر إلى نظريات "طاعة ولي الأمر" و"عدم الخروج على الحاكم حتى ولو كان ظالما" و"ضرورة عدم نقض البيعة"... إلخ.

وقد اشتهرت الكثير من الوجوه العلمائية في الأوساط الحوزوية، من قبيل الشيخ النائيني الذي يعتبر برأي الباحثين المنظر الفقهي والمدني الأبرز للحركة الدستورية في الحوزة العلمية- الشيعية.. إذ تعد رسالته الفقهية المعنونة بـ «تنبيه الأمة وتنزيه

الملة» من أوائل الرسائل العلمية والفقهية التي أثبت فيها مشروعية الحركة الدستورية.

والثابت عند كثير من الكتاب والباحثين المعاصرين المهتمين بعلاقة الدين والدولة في الفكر السياسي الشيعي، أن المحن والاضطهاد والتضييق والمحاصرة التي لاحقت مراجع الشيعة وعلمائهم، خصوصا خلال الفترة العثمانية وزمن صدام حسين، قد أسهمت في تطوير حساسية هؤلاء إزاء الاستبداد والديكتاتورية وهياهم بلا ريب لتبني أفكار تحررية ومدنية وديمقراطية، بلغت أوجها مع رعاية المرجعية النجفية، وتحديد مرجعية السيد علي السيستاني، لمشروع الدولة المدنية والنظام الديمقراطي في العراق الجديد.

وتعد الإسهامات الفقهية والفكرية لمرجعية السيد السيستاني في موضوع ولاية الأمة على نفسها والتشريع لدولة مدنية ونظام ديمقراطي في العراق الجديد المتعدد طائفيا واثنيا ودينيا، والدعوة إلى دولة الخدمات المتساوية في معاملتها لمواطنيها أيا كانت خلفيتهم القومية أو العقائدية، والتشبث بالتوازي مع ذلك بالوظيفة التاريخية والروحية والاجتماعية لرجال الدين، تأسيسا فعليا لما يمكن تسميته بـ"الإسلام الحضاري"، الذي يقطع مع تخلف الأمة الإسلامية طيلة القرون الماضية ويفتح المجال للمسلمين للمساهمة في تنمية منظومة القيم الكونية والإنسانية، التي تتفق حول معايير الحكم الرشيد ومنظومة حقوق الإنسان وتفصل وظيفيا بين الدولة والدين، لا على قاعدة العداء المتبادل بل على أساس العمل المشترك لما فيه خير المواطنين، وهو ما لا يمكن أن يتحقق عمليا إلا في ظل الدولة المدنية وضمن نظام ديمقراطي تعددي حقيقي.

رابعا: مرجعية السيد السيستاني والعراق الجديد

يقول الباحث محمد محفوظ في مقاله المعنون بـ"السيد السيستاني والدولة المدنية":
 إن السيد السيستاني من خلال إدارته غير المباشرة للمسألة العراقية، ينطلق من أن العراق كشعب متنوع مذهبيا وقوميا ويحتضن أديان متنوعة، يديرها انطلاقا من نظريته الفقهية التي تتضمن بناء دولة مدنية حاضنة وممثلة لجميع أطراف الشعب العراقي، وأن الديمقراطية وآلياتها المختلفة هي القادرة على إدارة الحياة السياسية والإدارية للشعب العراقي..".

ويرى الباحث نفسه "إن السيد السيستاني، يدير فقها الدولة العراقية وفق رؤية فقهية مغايرة لنظرية ولاية الفقيه.. وإن الرؤية التي يتبناها السيد السيستاني في إدارة المسألة العراقية لا تستهدف بناء دولة شيعية بالمعنى الأيديولوجي، وإنما بناء دولة مدنية تشترك جميع أطراف الشعب العراقي في تكوينها وإدارتها..".

ويؤكد محفوظ في مقاله المشار إليه إلى: "إن السيد السيستاني قبل وشجع أن تكون دولة العراق بعد سقوط الديكتاتورية دولة ديمقراطية تعددية ونظامها السياسي تمثيلي"، مضيفاً أن "السيد السيستاني قد عمل، مع اتضاح معالم رؤية بريمر الحاكم العسكري الأمريكي للعراق، على أن تتم كل الخطوات الكبرى التي يتشكل منها النظام السياسي الجديد، بناء على تصويت وأخذ رأي الناس فيها، فشرعية النظام السياسي وفق رؤية السيد السيستاني، يجب أن تكون نابعة من اختيار الناس لها، وشرعية النظام السياسي نابعة كذلك من مدى تمثيلها لرأي الناس وإرادتهم".

ويخلص الباحث في النهاية إلى الآتي: "لقد لعبت المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف دورا رئيسيا في العملية السياسية الجارية في العراق، فأستمرت المرتكزات، وواكبت تحولاتها، ورعت مسيرتها، وكان لمواقفها الأثر البالغ في الحفاظ على

الوحدة الوطنية، والسعي لإنجاز الاستقلال والسيادة، والعمل لإنهاء الاحتلال، من خلال الحث لإعادة بناء الدولة ومؤسساتها، على أساس الالتزام بالقانون، ومبادئ العدالة والمساواة واحترام الآخر وتفعيل المشاركة الشعبية.

كما يؤكد محفوظ في خاتمة دراسته على تقديره: "أن الرؤية التي يتبناها السيد السيستاني في ضرورة بناء دولة مدنية - تمثيلية - ديمقراطية، هي البداية الفعلية لامتلاك أسباب التقدم والتطور في مجتمعاتنا، وذلك لعدة اعتبارات من أهمها أن قوة الدولة وصلابتها الحقيقية، نابعة بالدرجة الأولى من التفاف الناس عليها وتمثيلها لقوى الناس المختلفة، إذ يبدو من مختلف الوقائع أن الدولة المدنية التي تمثل جميع الحساسيات والاعتبارات وهي القادرة على صياغة المجتمع على أسس أكثر عدالة وحرية، وهذا ما تحتاجه فعلاً مجتمعاتنا العربية والإسلامية".

مراجع البحث:

- ١- هشام جعيط، مسيرة محمد في المدينة وانتصار الإسلام، دار الطليعة، بيروت ٢٠١٥
- ٢- فرهاد دفترى، تاريخ الإسلام الشيعي، دار الساقى، لندن ٢٠١٧
- ٣- ديفيد هيلد، نماذج الديمقراطية، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد ٢٠٠٦
- ٤- تشارلز تيللي، الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٧
- ٥- د. سالم بن هلال الخروصي، الفكر السياسي عند الإباضية والزيدية، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٦
- ٦- د. عبد الحسين شعبان، الإسلام وحقوق الإنسان، مؤسسة حقوق الإنسان والحق الإنساني، بيروت ٢٠٠١

٧- د. الرزينة لالاتي، الفكر الشيوعي المبكر: تعاليم الإمام محمد الباقر، دار الساقى،

لندن ٢٠٠٤

٨- د. عبد الحسين شعبان، جذور التيار الديمقراطي في العراق، بيسان للنشر، بيروت

٢٠٠٧

٩- هشام جعيط، الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، دار الطليعة،

بيروت، الطبعة الخامسة ٢٠٠٥

١٠- عز الدين عناية، الأديان الإبراهيمية: قضايا الراهن، دار توبقال، الدار البيضاء

٢٠١٤

١١- محمد محفوظ، "السيد السيستاني والدولة المدنية"، رابط المقال:

<https://www.juhaina.net/?act=artc&id=٤٢٢٥١>

دور المرجعية الدينية المقدسة، في أحداث ثورة العرب الكبرى ١٩٢٠، (ثورة

العشرين)

م.م. محمد عبد علي حسين القزاز

جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

المقدمة

تعتبر مرجعية النجف الاشرف المرجعية الاولى في المجتمع الشيعي العراقي حيث يمتد مقلدوها في بقاع مختلفة من العالم، ويرجعون اليها في استيضاح مستجدات المسائل الشرعية، ويتواصلون معها من خلال حلقة الوكلاء الذين ينوبون عنها في المناطق التي يتواجدون فيها اتباعهم. وبرز ما تتميز به المرجعية الدينية هو العمق العلمي والزهد في الدنيا والحكمة، وهذا جعل من المجتمع يرتبط ارتباطا قويا بها، ويستجيب سريعا لما يصدر عنها ، ويؤكد تاريخ المرجعية الدينية على انها ومع الظروف القاسية التي مرت بها بقيت صامدة تواصل نشاطها وارتباطها، فقد لعبت دورا مهما لا على مستوى الشيعة فقط، بل على مستوى المسلمين عامة وفي مدن أخرى.

كان للحوزة العلمية الدينية وتوجيهاتها الدور الأساسي في انبثاق ثورة العشرين التي تعد اول ثورة في تاريخ العراق الحديث، حيث شكلت منعطفات تاريخيا وسياسيا واجتماعيا للشعب العراقي، وكانت البداية لتأسيس الدولة العراقية الحديثة، هذه الأهمية للثورة تنبع من الظروف المحيطة بها، والتي رافقت انطلاقها، والنتائج التي تمخضت عنها والتي كان لها أثر كبير على مستقبل العراق السياسي الحديث، وتنبع أهميتها من إنها أول ثورة وطنية ضد المحتل خاضها الشعب العراقي بكل طوائفه، وهي تعد مفتاح وحدة العراق من الريف.

تناول البحث الدور المرجعي الوطني لعلماء الحوزة العلمية الشريفة في اذكاء الثورة وقيادتها وما يتصل بهذا الدور من احداث ووقائع، ولو بحثنا في شمولية الثورة العراقية الكبرى واتساعها لوجب ذلك بحثا طويلا، لذلك جاء بحثنا مقتصرًا على ما نراه مناسبًا من أحداث هامة ومؤثرة في تاريخ الثورة.

تناول البحث حقيقة دور المرجعية الشريفة في إطلاق شرارة ثورة العشرين وهي حقيقة وطنية وقف فيها الشعب العراقي برمته وبكل شرائحه الاجتماعية مهتديا بالقيادة المرجعية الرشيدة لعلماء الأمة، فكانت ثورة وطنية اسلامية عربية تجسدت فيها القيم العربية الأصيلة بابهى صورها الوطنية الرائعة.

يتألف البحث من مبحثين هما :- المبحث الأول : ظروف انبثاق الثورة، ودور المرجعية في انبثاقها.

المبحث الثاني : أسباب فشل الثورة، وأهم النتائج التي ترتبت عليها.

المبحث الأول : ظروف انبثاق الثورة، ودور المرجعية في انبثاقها:

بدأت المواجهات المسلحة وانتشرت في مناطق متعددة بالعراق، حيث اتخذت الثورة في بادئ الأمر شكل مظاهرات من قبل أهالي بغداد بغداد، ولقد انطلقت المظاهرات من تجمع الأعيان والأهالي في جامع الحيدر خانة الذي شهد بداية الثورة في بغداد، ثم مدينة النجف الأشرف التي نزح إليها من بغداد قديما، الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي عام ٤٤٨ هـ وهو كبير علماء الإمامية الشيعية في ذلك الوقت، والذي وبانتقاله إلى مدينة النجف فتح عهدا جديدا للنجف حيث تحولت من مدينة ومزار إلى جامعة علمية كبرى. علما بان مدينة النجف كان لها قبل الشيخ الطوسي شأنها العلمي وكانت مقصد الطلاب للدراسة على علمائها الأعلام (١).

افتى مجتهدوا النجف الأشرف بالجهاد في بداية الحرب العالمية الأولى، بعد ان وجدوا في هجوم الإنكليز على العراق تدخلا سافرا على وطنهم، فانخرط الشعب في أثرهم بقيادة المجتهد العالم السيد محمد سعيد الحبوبى ومعه كتائب العلماء وطلاب النجف، وساروا مدججين بالسلاح إلى ساحات القتال في معركة ((الشعبية)) وغيرها. وبعد الاحتلال الإنكليزي للعراق وعلان الانتداب، دعا المرجع الأعلى الشيخ ميرزا محمد تقى الشيرازي كربلاء- الشعب العراقي لمقاومة الاحتلال والثورة على الانتداب، فهب الشعب حاملا سلاحه، فكانت الثورة العراقية الكبرى التي أرغمت المحتلين الإنكليز على اعلان الحكم الوطني، وتوفي الشيخ الشيرازي، فقاد الثورة خلفه الشيخ فتح الله النمازي المعروف بشيخ الشريعة. كانت النجف الأشرف مركزا للفقهاء والأصول ولبقيّة علوم الشريعة، حيث قاعدة العلماء والمجتهدين ومراجع الدين والعلماء، أمثال المجتهد الكبير السيد محمد سعيد الحبوبى، العالم والشاعر الكبير والثائر والقائد السياسى والسيد مهدي الطباطبائي بحر العلوم الفقيه والمرجع والشارع(٢).

كان الاستعداد على قدم وساق لمواجهة الغزاة الأنكليز بعد قدومهم الى العراق لغزوه ١٩١٤، حيث قاد هذه المواجهات واشترك فيها علماء الدين والحوزويين ضد الاحتلال، فشكّلت تجربة مهمة، ومقدمة لمواجهة تلك تلك ولا سيما في انتفاضة النجف الأشرف عام ١٩١٨ وثورة العشرين الكبرى ١٩٢٠، وتميزت بما حملته من دلالات فكرية وجهادية في مواجهة الاحتلال البريطانى لمدن البلاد(٣).

في مدينة النجف الأشرف أفتى المرجع الكبير محمد كاظم اليزدي (قدس) بـ"الجهاد" على الرغم مما عاناه القسم الأكبر من العراقيين في الوسط والجنوب من سوء معاملة، فضلا عن موقفه المناهض للثورة الدستورية العثمانية، إذ كان

من دعاة "المستبدة" المعادية لدعاة الدستور "المشروطة"، وسبق لهم ان هددوه بالنفي، لكنه تناسى الماضي وتعامل مع متطلبات الحاضر(٤).

انطلقت أولى الاجتماعات في النجف الأشرف أواسط آذار ١٩٢٠، إذ عقد اجتماع سري فيها، حضره عدد كبير من العلماء ورؤساء العشائر، وكان هذا الاجتماع بتوجيه من المرجع محمد تقي الشيرازي (قدس)، ساعيا من خلاله الى تحقيق "وحدة وطنية متماسكة"، قدر الامكان أولا، وإزالة "الخلافات وتحقيق التقارب" بين مختلف الطوائف العراقية بين السنة والشيعة خاصة(٥).

وجه المرجع محمد تقي الشيرازي "قدس" العديد من الرسائل الى عدد من الشخصيات والوجهاء ورؤساء العشائر ومن المذاهب الدينية المتنوعة في البلاد منها على سبيل المثال لا الحصر، رسالة في ٢٥ آذار ١٩٢٠، الى الشيخ موحان الخير الله، احد شيوخ عشائر المنتفك. أكد فيها على ضرورة ترك الاختلاف والتعاون على البر والتوافق فيما يرضي الله سبحانه وتعالى(٦).

بدأ الحديث عن ضرورة "اشعال نيران الثورة" ضد الوجود البريطاني، بعد ان توالى الاجتماعات بين رؤساء العشائر ورجال الدين، ففي ١٦ نيسان ١٩٢٠، عقد الزعيم العشائري علوان الياسري، اجتماعا في منزله الكائن في النجف الأشرف، فطرح فكرة "الثورة المسلحة" ضد البريطانيين لأول مرة، وقد أيدها البعض وعارضها آخرون وانتهى الاجتماع بالعمل على التمهيد لها عن طريق التوعية الدينية، وقرر المجتمعون اتخاذ عدد من الخطوات السياسية المكتملة في مواجهة المحتلين، كان في مقدمتها العمل على تأسيس جمعية باسم "الجامعة الاسلامية" مركزها كربلاء المقدسة ويرأسها المرجع محمد تقي الشيرازي (قدس) وتوزيع منشور بتوقيعه يأمر الناس بـ"الوحدة" ونبذ الخلافات(٧).

تم فرض الانتداب البريطاني على العراق، وكان ذلك بعد اعلان مؤتمر سان ريمو المنعقد بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٢٠، كان ذلك بمثابة "صب الزيت على النار" ان جاز لنا التعبير ذلك، حيث تم عقد الاجتماعات السرية لمواجهة الامر بحزم، فقد انعقد في أوائل ايار ١٩٢٠ اجتماعا بدار السيد أبو القاسم الكاشاني، الكائن في مدينة كربلاء المقدسة، حضره عدد من شيوخ العشائر ورجال الدين والوجهاء من مختلف مناطق الفرات الاوسط، تداول المجتمعون فيه قضية "الثورة المسلحة" ضد الوجود البريطاني، فكانت مشار نقاش محتدم ما بين معارض ومؤيد للثورة، وبسبب ما عراه البعض الى الامكانيات العسكرية للجيش البريطاني(٨).

حسم المجتمعين أمرهم بتشكيل وفد من خمسة عشر شخصا للاجتماع بالمرجع محمد تقى الشيرازي (قدس) وأخذ رأيته بالموضوع، فكان اللقاء في الخامس من أيار في العام ذاته، اعتبر هذا الاجتماع بمثابة انعطافة تاريخية مهمة من منطلقات الثورة ضد الوجود البريطاني، حيث تم بعده التباحث في امرين مهمين قدرات العشائر العسكرية اولا وامكانية "حفظ الأمن العام للبلاد" ثانيا، فاسفر الاجتماع في نهايته على موافقة المرجع بالقيام بالثورة(٩).

اتخذت الحكومة البريطانية اجراءات "التضييق" و"الترهيب" للقائمين بالأنشطة المعارضة لوجودهم، فلم يتوانوا عن اصدار أمر يمنع عقد الاحتفالات والاجتماعات الدينية فيما بعد، فرد عليها زعماء الحراك السياسي هذا بتشكيل وفد من خمس عشرة شخصية، لعرض مطالبهم على ارنولد ولسن، والخاصة بالحرية والاستقلال(١٠).

طالب زعماء المعارضة في بغداد "المساندة" من المرجعية لتعزيز موقفهم شعبيا، بعد كل هذه الضغوطات البريطانية الكبيرة عليهم، بعث جعفر ابو التمن

يوم ٢٦ آيار ١٩٢٠ رسالة الى المرجع محمد تقى الشيرازي (قدس)، أوضح فيها ممارسات الجانب البريطاني، مع التاكيد على ضرورة قيام المرجعية بـ"العون والمساعدة" (١١).

وجهت المرجعية في كربلاء المقدسة بقيادة السيد محمد تقى الشيرازي (قدس) رسالة مفتوحة الى عموم أبناء البلاد، أكدت مضامينها على التآزر مع الجهود المبذولة في الكاظمية المقدسة وبغداد، حاثا ابناء البلاد كافة في توجيه ممثليهم الى العاصمة لعرض مطالبهم وحقوقهم "المشروعة في الاستقلال"، مشددا على ان ذلك واجب عليهم "الاتفاق من أجل تحقيقه مع اخوانهم" (١٢).

سعى ارنولد ولسن الى عقد اجتماع في ٢ حزيران عام ١٩٢٠، لأن البريطانيين قد لمسوا صلابة الموقف الشعبي ازاء تزمتهن وعدم استجابتهن للمطالب المشروعة لأبناء البلاد، حضر الاجتماع عدد من وجهاء بغداد، اكد ارنولد ولسن فيه عزم "حكومته في تأسيس حكومة وطنية" في العراق، في الوقت ذاته أعلن مهددا "أن الذين يرومون تأسيسها بالقوة" لايجنون، بحسب تعبيره، "الا الخراب لوطنهم"، معربا عن تحذير سافر للمعارضة.

واجتمع في كربلاء المقدسة عدد كبير من وجهائها في ٤ حزيران ١٩٢٠، وقرروا اختيار مندوبين عنهم لمقابلة السلطات البريطانية في العراق، وبعد الحوار والنقاش تم الاتفاق على اختيار الشيخ محمد الخالصي، والسيد محمد علي الطباطبائي وغيرهم، إذ نظموا مضبطة لم تختلف مضامينها عما جاء بمضبطة النجف الأشرف (١٣).

كان لدعوى كتاب المرجع محمد تقى الشيرازي (قدس) ومضامينه، استجابة كبيرة من قبل رؤساء عشائر الرميثة، مؤكدين عزمهم على ارسال من يمثلهم

للاجتماع من علماء الدين ورؤساء العشائر في النجف الأشرف، مما حفز مندوبو النجف الأشرف الى رفع مذكرة الى الميجر نوربري حاكم لواء الشامية والنجف طالبوه فيها تحديد موعد لهم للاجتماع به يوم ٧ حزيران ١٩٢٠، نصت على "نحن مندوبو النجف المنتخبين من قبل أهالي النجف وابي صخير والشامية من الفرات الاوسط لتمثيلهم والمطالبة بحقوقهم المشروعة، نرغب ان تعين لنا موعدا للاجتماع بجنابك للمفاوضة حول مطلب الأمة العراقية" (١٤).

ارسل الحاكم السياسي للشامية والنجف في ١١ حزيران ١٩٢٠ كتابين الى كل من شيخ الشريعة الأصفهاني (قدس)، وآخر الى مندوبي النجف الأشرف، حدد فيه الثاني عشر من حزيران العام ذاته موعد للقاء في محاولة منه لاحتواء الموقف، وامتصاص مايمكن امتصاصه من نقمة الرأي العام وقادته في النجف الأشرف وضواحيها، في اطار سياسي هدفه "المماطلة" و"التسويق" لـ"التفاوض" والاستجابة للمطالب المشروعة (١٥).

قام الحاكم السياسي للواء الحلة الميجر بولي بتحريك قواته بتاريخ ٢٢ حزيران ١٩٢٠ صوب كربلاء المقدسة وطوقها ووضع المدافع الرشاشة تجاه الاماكن الحيوية فيها، مطالباً الكربلايين بتسليم اربعة عشر من زعماء المعارضة للوجود البريطاني. وكان هذا الاجراء بعد شعور الادارة البريطانية في العراق بضرورة اتخاذ خطوات باعادة انتشار قواتها العسكرية خاصة في منطقة الفرات الأوسط تحسبا لأي طارئ من شأنه ان يزعزع الوجود البريطاني فيها. وتحرزا لأي رد فعل غير محمود ازاء القوات المحاصرة، بعث بولي في اليوم ذاته، كتابا الى المرجع محمد تقى الشيرازي (قدس)، اوضح فيه ان هدف الوجود العسكري ما هو الا لحفظ الأمن، فجاءه جواب المرجعية "ساخطا" و"مههدا" ومنذرا للحاكم

السياسي انف الذكر. ووضح الجبوري ان علماء النجف الأشرف سعوا الى التخفيف من وطأة الاحتقان هذا، موضحا ان شيخ الشريعة الأصفهاني بعث برسالة الى ارنولد ولسن بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٢٠، اكدت محتوياتها على عدم قبول ماوقع في كربلاء المقدسة والحلة من اعتقالات، مؤكدا في الوقت ذاته، "اذ لم يطلق سراحهم فالأمر سيخرج عن نطاق السيطرة"، وبالتالي لن يحفظ فيه أمن ولا نظام(١٦).

أثر اعتقال الشيخ شعلان أبو الجون، اندلعت الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، إذ هجم عدد من أفراد عشيرته "الظوالم" على مقر الحاكم البريطاني، وأطلقوا سراحه في اليوم نفسه، فكان ذلك ايذانا باندلاع المواجهة ضد الوجود البريطاني في البلاد(١٧).

يمكن القول ان نجاح عملية تحرير الشيخ شعلان أبو الجون، شجعت أبناء عشيرته والمناطق المحيطة بها في توسيع هجماتهم، ففي اليوم التالي قاموا بمهاجمة سكة الحديد المارة في منطقة السماوة والرميثة والخضر، وفي الرابع من تموز صدت العشائر هجوما للقوات البريطانية في محاولة لفك الحصار عن الحامية، لاسيما وان العشائر الثائرة استطاعت قطع السكة الحديدية شمال وجنوب الرميثة فعزلت الحامية البريطانية بصورة محكمة(١٨).

قام الثوار بالاستيلاء على ست قطارات مسلحة، مخرجين اياها عن سكة الحديد بين السماوة والديوانية ، الأمر الذي اضطرت معه القوات البريطانية في الانسحاب إلى الديوانية بسبب ضغط هجمات العشائر المتزايد في قوته(١٩).

للنصر العشائري أثر كبير في اتساع حركته نحو الثوار وذلك لأنه كشف عن ضعف الادارة البريطانية التي لم يكن لدى حكامها السياسيين في منطقة واسعة سوى وعود وبيانات ماعدت تجدي نفعا (٢٠).

عقد البريطانيون اجتماعا في ٧ تموز ١٩٢٠ في الشامية مع عدد من شيوخ العشائر والمتنفذين من أمثال: عبد الواحد الحاج سكر والسيد نور الياسري وعلوان الياسري ومحسن ابو طبيخ ورايح العطية وسلمان الظاهر وفريق المزهري، سعيا منهم لتهدئة الأوضاع (٢١).

قرر الثوار توسيع عمليات الثورة على ان تكون أول راية ترفع لها راية السيد نور الياسري، لما في ذلك من تأثير معنوي في اوساط العشائر وان أول اعمالهم الاستيلاء على حامية ابو صخير، كان ذلك جراء التعنت البريطاني وعدم تهدئتهم للأمور دفع العديد من رؤساء العشائر في منطقة الفرات الأوسط الى الاجتماع في مضيف الشيخ عبد الواحد الحاج سكر في ١١ تموز ١٩٢٠، وفي اليوم التالي رفعت الراية، وانطلقت الأهازيج وتقدمت جموع العشائر نحو أبي صخير لمحاصرتها، فأطبق بتاريخ ١٣ تموز ١٩٢٠ الحصار عليها (٢٢).

هاجمت القوات البريطانية مسجد الكوفة جواً، ونتيجة لذلك استهجن علماء الحوزة وزعماء الثورة هذا الفعل، قد وصفت عباراتهم الهجوم بـ"الأعمال البربرية" و"الفاجعة" التي "أوجعت مهج العلماء و"أدمت عيون المسلمين"، وجهين خطابهم الى مختلف "حكومات العالم المتمدن" على حد مضامين البلاغ (٢٣).

باغت الثوار القوات البريطانية من ثلاث جهات ودارت معركة حامية، حيث رصد الثوار حركة هذه القوات في منطقة الرستمية استمرت هذه المعركة ست

ساعات تشتت فيها القوات البريطانية، وتكبدت خسائر كبيرة، تمكن الثوار من قتل أعداد كبيرة منهم واسروا آخرين (٢٤).

سيطر الثوار على منطقة "طويريج" بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٢٠ وفي اليوم التالي شنوا هجماتهم على الحلة، بيد ان البريطانيين تمكنوا من صدها بمساعدة عدد من شيوخ العشائر المواليين لهم في محيط المنطقة، في الوقت الذي استطاع فيه الثوار من السيطرة على سدة الهندية دونما مقاومة.

سعت الادارة لبريطانية الى التخفيف من حدة الموقف، فأذاعت بتاريخ ٣١ تموز ١٩٢٠ بلاغا، تضمن موافقة الحكومة البريطانية وساطة الحكومة الايرانية باطلاق سراح محمد رضا الشيرازي، ونقله الى ايران (٢٥).

تجمعت الكثير من عشائر مدينة السماوة بتاريخ الأول من آب ١٩٢٠، وانضمت الى صفوف الثورة، فأخذت تضغط على الحامية البريطانية العسكرية فيها، وشتت غارات على خط السكة الحديد الرابط بينها وبين الناصرية، وكان على رأسهم شعلان أبو الجون وغثيث الحرجان وهادي مكوتر، من الشنافية وبدأوا بقلع خطوط السكة الحديد في مواضع مختلفة بالقرب من محطة الخضر (٢٦).

حضر عدد من زعماء الثورة في مدينة كربلاء المقدسة اجتماعا في منزل المرجع محمد تقى الشيرازي (قدس)، تداولوا بشأن تنظيم ادارة المدينة وتشكيل ثلاثة مجالس رئيسية لأدارتها وتسيير أمورها، تمثلت بـ "المجلس العلمي"، وهو بمثابة المجلس السياسي والإعلامي للثورة، وانتخب السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني (قدس) رئيسا له، والمجلس الثاني "المجلس الملي" خاص بالإدارة العامة وتعيين الموظفين وجباية الضرائب والرسوم وتوزيعها وكان الشيخ محمد

حسن ابو المحاسن من بين أبرز أعضائه ، وأخيرا " المجلس الحربي" تركز مهامه الاساسية على قيادة العمليات العسكرية للشوار ووضع الخطط المناسبة للانقضاء على القوات البريطانية، وكان من بين أبرز أعضائه كل من عبد الواحد الحاج سكر وعلوان الياسري وغيرهم وكانت هذه المجالس تعمل جميعا بأشراف المرجع محمد تقي الشيرازي(٢٧).

نشر الشوار خبر مقتل الكولونيل ليجمن الحاكم السياسي للواء الدليم بتاريخ ١٢ آب ١٩٢٠ ببلاغ بتاريخ ١٦ آب ١٩٢٠ ، أوضحوا فيه تفاصيل العملية. حيث سلطت الأضواء في هذا البلاغ على مقتل الكولونيل ليجمن الحاكم السياسي للواء الدليم بتاريخ ١٢ آب ١٩٢٠ في خان النقطة على يد الشيخ ضاري المحمود، من قبيلة زوبع بمشاركة ولديه(٢٨).

بعث المرجع محمد تقي الشيرازي (قدس) برسالة الى عصبة الامم في جنيف بتاريخ ١٢ آب ١٩٢٠، أوضح في مضامينها تنصل "الحلفاء" عن وعودهم السابقة، واستخدامهم أساليب "القتل" و"التنكيل" ضد الشعب العراقي لا لشيء الا لأنهم طالبوا بحقوقهم مطالباً ايها بصفتها منظمة دولية اتخاذ مايلزم.

توفي الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس) يوم ١٧ آب ١٩٢٠ ، وأشار البعض الى انه ربما اغتيل بالسم على أيدي عملاء لبريطانيا، وصادر شيخ الشريعة الأصفهاني (قدس) بيانا في اليوم ذاته نعى به "عميد المسلمين" بحسب تعبيره، مؤكداً على ضرورة شد العزائم ومتابعة "الجد والنشاط" من أجل الدفاع عن البلاد(٢٩).

حضر عدد كبير من العلماء ورجال الدين ورؤساء العشائر يوم وفاته فجري له تشييع كبير، ودفن في الصحن الحسيني الشريف في مدينة كربلاء المقدسة وأقيمت له مجالس الفاتحة لأيام وشهور عديدة في كثير من المدن العراقية(٣٠). ألقت الطائرات البريطانية آلاف النسخ من الكتاب الموجه الى شيخ الشريعة الأصفهانى (قدس) المرجع الديني الكبير، وزعتها في جميع مناطق الفرات وباقي مناطق الثورة الأخرى، حيث بادر ارنولد ولسن بتاريخ ٢٧ آب ١٩٢٠ إلى عرض الصلح عن طريق توجيه كتاب الى شيخ الشريعة الأصفهانى (قدس) المرجع الديني الكبير، تم نشره في الصحف المحلية، أعدت نصوص هذا الكتاب على رغبة الإدارة البريطانية بعقد الصلح وتجنب ما أسمته من "سفك الدماء" وإزهاق النفوس(٣١).

اضطرت السلطات البريطانية الى اصدار امرا بتوقيف يوسف السويدي وعلي البارزكان وجعفر ابو التمن والشيخ احمد الشيخ داود، حيث بدأت التظاهرات والاجتماعات تزداد بشكل كبير، فضلا عن الخطب السياسية والقصاصد الثورية، فتمكن الثلاثة الاوائل من الهرب الى منطقة الدورة ومنها الى الفرات الاوسط، أما الشيخ احمد الداود فقد تم القاء القبض عليه حيث نفي الى جزيرة هنجام في الخليج العربي(٣٢).

تعزز حجم القوات البريطانية في البلاد، بعد ان زاد عدد جنودها مع حلول نهاية شهر آب، وان مركز قيادتها في بغداد تعزز هو الآخر، وازداد احتياطها في العدة والعدد. تأثرت سلباً معنويات الكثير من الثوار، بعد ان استنزفت بشكل كبير الكثير من جهودهم وقدراتهم وعتادهم في عمليات شهري تموز وآب عام ١٩٢٠، الى جانب انحسار كميات المؤن، فضلا عن ان معظم الثوار من الفلاحين، وما

يعنيه ذلك من ارتباطهم بنشاطهم الأساس زراعة الأرض، وابتعادهم عنها ونشاطهم هذا مدة قرابة الخمسة أشهر، أثر سلبا على معنوياتهم الى حد كبير(٣٣).

تباحث السير برسي كوكس في الأول من تشرين الأول، بعد وصوله البصرة مع رؤساء العشائر القريبة منها وباحثهم حول تأسيس الحكومة المنشودة في العراق ثم غادرهم يوم ٥ تشرين الأول متوجها الى بغداد(٣٤).

انطلق اللواء العسكري البريطاني ثلاثة وخمسين بتاريخ ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠ باتجاه كربلاء، واستطاعت قواته من احتلال منطقة طويريج بعد معركة حامية الوطيس مع الثوار(٣٥).

كان لهذه المعركة تأثيرا سلبيا على معنويات معظم الاهالي في كربلاء المقدسة، الأمر الذي دفع عدد من وجهاء البلدة في الذهاب الى قيادة القوات البريطانية في طويريج، بتاريخ ١٧ تشرين الأول ١٩٢٠ للتفاوض من اجل انتهاء الثورة فيها، بيد أن أمر القوة العسكرية فيها لم يستجب لمطلبهم، وحثم في لقاء برسي كوكس للتفاوض معه بشأن مطلبهم(٣٦).

اصطدمت القوات البريطانية في معركة عنيفة بالثوار في مدينة الكوفة وان "المعركة بين الطرفين" كانت شديدة، وتمخضت عن وقوع العديد من الجرحى والقتلى بين الطرفين، بيد ان استخدام القوات البريطانية لنيران مدفعيتها وطائراتها الكثيف، أجبر أهالي المدينة على الاستسلام في العشرين من تشرين أول العام المذكور(٣٧).

فرضت الحكومة البريطانية جملة من الشروط والمطالب على عدد من وجهاء النجف الأشرف وبعض من رؤسائها، بعد ان تم استدعائهم الى مقر الادارة

البريطانية بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٠ ، وتم تسليمهم جملة من الشروط والمطالب التي فرضت على اهالي المدينة، كان من بينها دفع "١٢٧٦" بندقية حديثة و"١٤٢٩" بندقية صالحة للاستعمال وثمان رشاشات من طراز لويس ورشاشتين من طراز هوشكيس مع ٢٠٠ ألف خرطوشة وتسليم خمسة أشخاص للادارة البريطانية وفي اثر ذلك دخلت قواتهم اليه(٣٨).

المبحث الثاني : أسباب فشل الثورة، وأهم النتائج التي ترتبت عليها:

ان فشل الثورة أمر لم يتفق على اسبابه المؤرخون، حيث تجمعت العديد من الأسباب التي ادت الى فشل هذه الثورة العظيمة، وفي الوقت الذي اتسع نطاق الثورة فشمّل منطقة الفرات الأوسط بأجمعه، وقسم غير قليل من المحافظات الجنوبية والشمالية، بل ان الاضطرابات سرت إلى بغداد وباتت مهددة من الدخل والخارج بالعناصر الوطنية، سحقت الثورة وفشلت ويمكن تلخيص الظروف والأسباب التي احاطت بهذا الفشل وحصرها بالأسباب التالية:

- ١- انخفاض مستوى سبل تمويل الثورة
- ٢- قلة الأماكن العسكرية والحربية لدى الثوار
- ٣- كبر حجم الأماكن العسكرية لدى الجيش الأنكليزي
- ٤- قوة الأماكن العسكرية الجوية لدى الأنكليز
- ٥- امتداد زمن القتال
- ٦- جهل الثوار بأسلوب الحرب النظامية
- ٧- جهل الثوار بأسلوب حرب الغور، وحصر الثورة في الفرات الأوسط، وفقدان القيادة العامة
- ٨- خيانة بعض البرجوازيين والأقطاعيين

٩- قدوم برسي كوكس بالأمانى

١٠- انقطاع الصلة بالعالم الخارجى

إذا كان يحق للعراقيين أن يفخروا بشيء فإن لهم في ثورة العراق الكبرى (ثورة العشرين) خير ما يعتزون ويفخرون به، فلقد أظهرت هذه الثورة المباركة بفتوى المرجعية الرشيدة المعدن الأصيل لأبناء شعب العراق في مواجهة عدوهم الحقيقى بعد سنوات قليلة من دخول القوات البريطانية للعراق بعد هزيمة الدولة العثمانية وخسارتها الحرب العالمية الأولى، ولم تكن ثورة العشرين وكما حاول البعض أن يصورها وليدة حادثة معينة أو ضرف شخصى أو اجتهد دينى أو نكرة عشائرية بل هي كانت ثورة كل العراق.

بالحقيقة ان ثورة العشرين قد اخفقت عسكرياً ،الا انها تمخضت عن نتائج سياسية وإدارية أنية ولاحقة آنذاك كان لها أثر كبير في تكوين المملكة العراقية المعاصرة ب دستورها ومؤسساتها التشريعية والتنظيمية من جهة وحددت شكل العلاقة مع بريطانيا العظمى من جهة أخرى.

كان من أهم النتائج التي تمخضت بها الثورة :-

١- لقد اتحدت ارادت الشعب العراقي في هذه الثورة ، وكان الولاء للأسلام والوطن ولم يكن للمذهب الواحد.

٢- أن ثورة العشرين كانت بحق ثورة اسلامية وطنية، اذ كانت دوافعها اسلامية وطنية خالصة حيث لم يكن زعمائها ابتداء من الهرم المرجعي وانتهاء بالقيادات الشابة من العشائر في جبهات القتال ذوو مطامع شخصية أو طموحات سلطوية.

٣- بريطانيا التي ذاقت مرارة الشيعة ومراجعتها وعلمائها في النجف وصمود السنة في المقاومة والكفاح والنصر، لم تكن لديها النية في اسناد الوزارات لهم لولا، وتأسيس

الحكم الملكي لملك عربي عراقي ،هذا الصمود العظيم برفع شعار (الطوب أحسن لو مكوان).

٤- لقد كانت الروح الوطنية حاضرة في كل خطوة خطتها المرجعية في احداث العراق، وكان الوطن رديفا للأسلام والمذهب والتعصب عندها .

٥- اثناء اشتعال الثورة العراقية الكبرى في الفرات الأوسط وجنوبه وامتدادها لمناطق متفرقة في انحاء العراق ، استبدلت الحكومة البريطانية ولسن بالسيد برسي كوكسي لتجعل منه مندوبا على العراق .

٦- كانت هناك سلسلة من المراسلات المهمة بين عدد من علماء الدين في النجف الأشرف وأمير المحمرة الشيخ خزعل، لحث الأخير ومن خلال صلاته مع البريطانيين في اتخاذ مايلزم لاطلاق سراح المنفيين في الخارج بسبب احداث ثورة العشرين وعودتهم الى بلدهم العراق.

٧- ترشيح الامير فيصل بن الحسين ملكا على العراق.

أهم نتائج البحث

١- يمكن القول ان أولوية ماعملت عليه المرجعية الدينية في العراق، هي أولوية الواجب الجهادي الذي ظل ملاصقا معها منذ تأسيس العراق وحتى وقتنا الحاضر. شهد العراق أحداثا عصفت به، بدءا من عملية احتلاله ودخول القوات الأجنبية إلى أرضه الى وقتنا الحالي. تؤكد على حرصها الشديد لدماء أبناء العراق ومحاولة الابتعاد عن ما يؤدي الى اراقة قطرة دم واحدة من دماء أبنائه. لم يكن الإمام القائد الشيخ الميرزا محمد تقى الشيرازي (قائد ثورة العشرين المجيدة) قائد ثورة فحسب، بل كان قائد دين، وعملاق فكر، ومعلم خير وفضيلة، قضى عمره الشريف في خدمة الله

ومصالح المسلمين، برحابة صدر، وانشرح قلب، وانفتح باع، كان علما من أعلام الاجتهاد والمرجعية في العالم الإسلامي.

٢- ان الزعامة الدينية الشيعية في العراق والتي لعبت دورا خطيرا في تفجير وأجيج ثورة ١٩٢٠م الوطنية، كانت تنطلق في تفكيرها السياسي من منطلق ديني اسلامي عام لا يختص بطائفة مذهبية معينة، شيعية أو سنية، ولا بفئة اثنية دون أخرى، عربية أو كردية أو تركية أو غيرها.

ملخص البحث

لم يلتزم الاحتلال البريطاني بوعوده باستقلال العراق بعد تحريره من العثمانيين، وتسلطهم على مقدرات العراق، واستخدام اسلوب القسوة ضد السكان ففي ٢٥ نيسان ١٩٢٠ أعلنت مقررات مؤتمر سان ريمو، والتي تضمنت إعلان الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين، والفرنسي على سوريا ولبنان. لقد كان القرار صدمة قوية للأوساط الشعبية والدينية العراقية، وكانت قد سبقته تحركات سياسية فجرها الاستياء من سوء معاملة الإدارة البريطانية للعراقيين عموما، وكانت المرجعية في اول الركب، حيث رفضت هذا الاحتلال الغاشم، الذي فرض على الشعب العراقي فتصدت وتولت قيادة الكفاح والجهاد ضد المستعمر الغاشم. لهذا اصبحت الثورة الاداة الفاعلة لأسقاط هذا المخطط الاستعماري. إنها أول ثورة في الشرق الاوسط، اصطدم بها الاحتلال البريطاني، وقد وصفها الإمام السيد (محمد الحسيني الشيرازي)، بأنها الثورة التي هزت العرش البريطاني، وهذه الثورة كانت مفتاح اعلان العراق كدولة تحت حكم النظام الملكي، بعد سنوات من السيطرة الأجنبية عليه. تناول البحث حقيقة دور المرجعية الشريفة في إطلاق شرارة ثورة العشرين وهي حقيقة وطنية وقف فيها الشعب العراقي برمته وبكل شرائحه

الأجتماعية مهتديا بالقيادة المرجعية الرشيدة لعلماء الأمة، فكانت ثورة وطنية اسلامية عربية تجسدت فيها القيم العربية الأصيلة بابهى صورها الوطنية الرائعة. يتألف البحث من مبحثين هما :- المبحث الأول : ظروف انبثاق الثورة، ودور المرجعية في انبثاقها.

المبحث الثاني : أسباب فشل الثورة، وأهم النتائج التي ترتبت عليها. يعكس هذا البحث كيف كان للحوزة العلمية الدينية وتوجيهاتها الدور الأساسي في انبثاق ثورة العشرين التي تعد اول ثورة في تاريخ العراق الحديث، حيث شكلت منعطفًا تاريخيا وسياسيا واجتماعيا للشعب العراقي، وكانت البداية لتأسيس الدولة العراقية الحديثة، هذه الأهمية للثورة تنبع من الظروف المحيطة بها، والتي رافقت انطلاقها، والنتائج التي تمخضت عنها والتي كان لها أثر كبير على مستقبل العراق السياسي الحديث. إنها الثورة التي وحدت الشعب العراقي تحت قيادة شعبية موحدة من كافة فئات الشعب العراقي تحت إشراف المرجعية الدينية بقيادة المرجع الاعلى (محمد تقي الحائري الشيرازي) الذي اعطى فتواه بالإذن الشرعي بالجهاد واعلان الثورة.

الهوامش والمصادر

- (١) محمد بحر العلوم، الدراسة وتاريخها في النجف / موسوعة العتبات المقدسة - جعفر الخليلي، قسم النجف، ج٢، طبع دار التعارف، بيروت، ١٩٦٦.
- (٢) السيد مصطفى جمال الدين، مقدمة الديوان، ص: ١٣ - ٢٧.
- (٣) عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ن (بيروت : الدار العالمية ، ١٩٨٥)، ص ٢٩٣.
- (٤) رشيد الخيون، المشروطة والمسبدة، (بيروت : مطبعة الفرات ، ٢٠٠٦)، امجد سعد المحاويلى، محمد حسين النائفي، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة: كلية الآداب ، ٢٠٠٦).
- (٥) عبد الحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص ٢١١.

- (٦) كامل سلمان الجبوري، رسالة الأمام الشيرازي الى الشيخ موحان الخير الله احد رؤساء قبائل المنتفك يدعوه الى توحيد الكلمة والاتفاق بين القبائل في اللواء لمواجهة العدو، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج٣، ص٤٨.
- (٧) علي الشرقي، الأحلام، (بغداد: شركة الطبع، ١٩٦٣)، ص١٠٨.
- (٨) كامل سلمان الجبوري، النجف الأشرف والثورة العراقية، ص٤٥.
- (٩) المصدر نفسه، ص٥٠.
- (١٠) كاظم الدجيلي، احداث ثورة العشرين كما يرويها شاهد عيان، (بغداد: طبعة الزمان، ١٩٧٣)، ص٢٥.
- (١١) كامل سلمان الجبوري، كتاب جعفر أبو التمن الى محمد تقي الشيرازي يخبره بالحوادث الأخيرة في بغداد، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج٣، ص٦٩.
- (١٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٥، ط٢، (بيروت: دار الراشد، ٢٠٠٥) ص١٨٤.
- (١٣) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج٣، ص١٠٢.
- (١٤) المصدر نفسه، ص١٢٣.
- (١٥) المصدر نفسه، ص١٣٤.
- (١٦) كامل سلمان الجبوري، محمد تقي الشيرازي، ص٢٧١.
- (١٧) كامل سلمان الجبوري، اندلاع الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، ج٣، ص٤٠٤.
- (١٨) جاسم حسين الصكر، شيخ العشيرة دوره السياسي في العراق في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢، (بابل: دار الفرات، ٢٠٠٩)، ص٩٩.
- (١٩) عبد الله فهد النفيسي، دور علماء الشيعة في تطور العراق السياسي، (بيروت: دار النهار، ١٩٧٢) ص٣٧٨.
- (٢٠) جيمس سوماريزمان، مذكرات الكابتن مان، ترجمة كاظم الساعدي، تحقيق كامل سلمان الجبوري، (بيروت: مؤسسة المعارف، ٢٠٠٢)، ص٢١-٢٢.
- (٢١) عبد الزهرة الفتلاوي، عاشق العراق عبد الواحد آل سكر، (النجف: دار الضياء، ٢٠٠٦)، ص٤٨.
- (٢٢) عمار يوسف عبد الله العكيدي، السياسة البريطانية تجاه عشائر العراق ١٩١٤-١٩٤٥، أطروحة دكتوراه، (جامعة الموصل: كلية التربية، ٢٠٠٢)، ص٢١٠.
- (٢٣) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج٤، ص٩٨.
- (٢٤) جاسم حسنين الصكر، شيخ العشيرة دوره السياسي في العراق في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢، (بابل: دار الفرات، ٢٠٠٩)، ص١١٠.

- (٢٥) كامل سلمان الجبوري، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج ٤، ص ٦٦.
- (٢٦) خالد العاني، موسوعة العراق الحديث، (بغداد: د.ط، ١٩٧٧)، مج ١، ص ١٩٣.
- (٢٧) - أخلاص لفته الكعبي، موقف الحوزة العلمية في النجف الأشرف من التطورات السياسية في العراق ١٩١٤-١٩٢٤، رسالة ماجستير، (الجامعة المستنصرية: كلية التربية، ٢٠٠٦)، ص ١٤٢.
- (٢٨) عمر ابراهيم الشلال، لواء الدليم في عهد الحكم البريطاني المباشر على العراق ١٩١٧-١٩٢٠، رسالة ماجستير، (جامعة القادسية: كلية الآداب، ٢٠٠٢)، ص ١٦.
- (٢٩) كامل سلمان الجبوري، بيان شيخ الشريعة الى الأمة العراقية بمناسبة وفاة الأمام الشيرازي، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج ٣، ص ٢٦٤.
- (٣٠) نور الدين الشاهرودي، أسرة المجدد الشيرازي، (طهران: د.ط، ١٩٩١)، ص ١٩٠.
- (٣١) كامل سلمان الجبوري، كتاب ولسن الحاكم الملكي العام في العراق الى شيخ الشريعة بمناسبة وفاة الأمام الشيرازي وقد طبعت السلطة البريطانية الآف النسخ منه ووزعتها في جميع مناطق الفرات، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج ٤، ص ٢٨١ - ٢٨٣.
- (٣٢) المصدر نفسه، القاء القبض على زعماء الفئة المتطرفة، ج ٤، ص ٧٢-٧٣.
- (٣٣) صادق حسن السوداني، لمحات موجزة من تأريخ نضال الشعب العراقي، (بغداد: دار الحرية، ١٩٧٩)، ص ١١-١٢، المس بيل، فصول من تأريخ العراق القريب، ص ٢٤٤.
- (٣٤) كامل سلمان الجبوري، المندوب السامي وصل الى البصرة، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج ٤، ص ١٠٣.
- (٣٥) كامل سلمان الجبوري، بلاغ بريطاني، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج ٤، ص ١١٢.
- (٣٦) سلمان هادي ال طعمة، كربلاء في ثورة العشرين، ص ٧١.
- (٣٧) كامل سلمان الجبوري، النجف الأشرف والثورة العراقية، ص ١٣٧.
- (٣٨) كامل سلمان الجبوري، الموقف في العراق، وثائق الثورة العراقية الكبرى، ج ٤، ص ١٥٠.

((تعدد المعنى في تفسيري التبيان ومواهب الرحمن- دراسة موازنة في**سورة آل عمران-))**

م.م حسام جليل عبد الحسين

مديرية تربية النجف

المقدمة .

الدراسات الموازنة لا تختلف كثيرا عن المقارنة بل يصبان في نهر واحد ؛ لما يوصفان به من التقاط لأهم القضايا المتباينة الخاصة بالبحث فضلا عن التوافقية الضمنية بينهما لعرضها على طاولة الدرس ناضجة تنتظر ذلك الباحث الجاد الذي يهوى الترجيح مرة والرد مرة أخرى أو إنضاج رأي جديد أو مغمور ، وهذا ما سرنا عليه في هذه الدراسة المختصرة والموسومة بـ ((تعدد المعنى في تفسيري التبيان ومواهب الرحمن - دراسة موازنة في سورة آل عمران-))؛ لنقف على أهم آراء المفسرين - موضوع البحث - فيما يتعلق بتعدد المعنى .

واعتمد البحث المنهج الوصفي مع مزجه بمزية الموازنة ، واتكأ الباحث فيه على مصادر متنوعة جمعت بين المصادر القديمة الخاصة بكتب علوم القرآن والتفسير فضلا عن الكتب الحديثة الخاصة بالدلالة وعلوم القرآن أيضا .

وقسم البحث على ثلاثة أقسام رئيسية : القسم الأول تمثل بالمقدمة ، والقسم الثاني خصص للتمهيد ، أما القسم الثالث فكان للأمثلة التطبيقية الخاصة بالبحث .

وجاءت خاتمة البحث متوجة بالنتائج التي توصل إليها الباحث ثم الهوامش وقائمة المصادر ، ونسأل الله أن يقبل منا هذا القليل ويوفقنا لفهم القرآن وإدراكه وسبر غور معانيه ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

تمهيد .

تحتل أغلب الكلمات العربية بمزية تعدد المعنى ولاسيما حين تدرس في حقل علم الدلالة الذي يوصف بأهم علومها الباحثة عن المعنى المتشكل في الكلمات المفردة أو المجتمعة في نص ما ، ويدرس تعدد المعنى في ظل إحدى الظواهر اللغوية المعروفة التي تسمى بـ (المشترك اللفظي)؛ لذلك يصنف هذا التعدد في ضمن الحقول الدلالية التي تسمى (الحقول الدلالية المشتركة) التي يكون المشترك اللفظي على رأسها^(١)، وما يقصده البحث في هذا الموضوع أوسع من معنى المشترك اللفظي ؛ لأن المشترك نفسه قد يحدد في بعض المواضع بقرينة معينة تجبره على فرض معنى معين^(٢)، وهنا ستضعف سطوة التعدد فيه .

وقد يفرض النص تعددا في معاني المفردات ولاسيما في النص القرآني؛ مما يمثل تنوعا دلاليا يقصد به: ((ما يحمله اللفظ من دلالات متعددة لا تناقض بين أفرادها ولا تنافر بين أحادها ، بحيث تشكل في مجموعها ترابطا دلاليا يخدم وحدة المعنى الذي تتحدث عنه السورة أو المقطع))^(٣)، وهذا التعدد في المعنى ؛ ناشئ من ارتباط الكلمة بغيرها مع الحفاظ على موضعها في نظام النص^(٤)، ولاسيما في النص القرآني الذي جعل المفسرين يذكرون معاني كثيرة للمفردة القرآنية؛ مما شكل ذلك اتساعا في دلالتها وتعددا ملحوظا في معانيها مع اختلاف في التوجيه بينهم ، وقد أطلق بعضهم على ذلك الاختلاف عبارة: (اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد)^(٥)؛ لأن هذا التعدد مع التنوع في معاني المفردات من إحدى المميزات التي انفرد بها القرآن الكريم عن غيره من النصوص الأخرى .

وتعدد المعنى في القرآن الكريم لا يتحقق إلا بشرطين أساسين هما : الكثرة والاختلاف^(٦)؛ فالكثرة بتعدد معاني المفردة الواحدة زيادة على الاختلاف الذي

يتركز البحث فيه؛ للنظر في مدى تقبل النص لهذا الاختلاف مصاحبا للتعدد، أو عند ترجيح وجه من الوجوه المتعددة بحسب الأدوات المتوافرة في البحث.

ولتعدد معاني المفردة الواحدة صور مختلفة منها ما يكون من وجهة نظر المعجم على الرغم من أن وجهته تمثل ((الناحية الجامدة السكونية من اللغة إلا أن كثيرا من الألفاظ ما يكون عاما متعدد الدلالة))^(٧) ولاسيما حين ينتظم في نص يقبل ذلك التعدد؛ مما يجعلنا نخضع له مرة، أو نحاول ترجيح معنى من المعاني مرة أخرى، وقد لا يقبل بعضهم بالخضوع والتسليم لذلك التعدد المفروض في المفردة الواحدة؛ لأننا ((حينما نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما))^(٨)، وهذا الرأي يستحق الوقوف عليه والنظر فيه بإنعام؛ لأن الانخداع يكون بسبب عدم فك شفرات النص؛ مما يضطرنا إلى التسليم بتعدد المعاني أو الوقوف عند باب الترجيح غير الراض تمام الرافض للمعاني الأخر.

وتعدد المعنى للمفردة الواحدة لا يكون بسبب المعجم فقط ((بل إنه يشمل التراكيب والمخاطبات، ويشمل الضمائر وعودها، والمتحدث عنهم، وغيرها من ظواهر الخطاب))^(٩)؛ فباب التعدد أكبر من المشترك اللفظي؛ مما جعلنا نبتعد عنه في هذا البحث، وسنركز البحث في أنواع التعدد التي قبلها النص بحسب رأي المفسرين، من حيث: القبول بتعدد معاني المعجم، و تعدد المعنى من حيث علاقة المفردة القرآنية مع غيرها في النص، وسنتناول ذلك كالاتي :

أولا: تعدد المعنى لتعدد المعاني المعجمية.

يتعدد المعنى المعجمي للمفردة الواحدة سواء أ كانت في النص القرآني أم أي نص آخر؛ لذلك قالوا : ((إن الوحدة المعجمية تجمع معاني مختلفة بحيث أنها تحيل في كل مرة على أحد المعاني المجمعّة ومجموعة هذه المعاني أيضا))^(١٠)، ومهما تكن

أهمية المعجم، سيبقى قائمة تحصى الألفاظ ومعانيها المتعددة لا نظاماً قائماً بذاته (١١)، وما يحدد قبول تعدد المعنى من عدمه؛ صورة النص المترجمة للقبول أو الرفض . والنص القرآني من النصوص التي انمازت بميزة قبول التعدد المعجمي في مواضع مختلفة من سور القرآن الكريم ، ويبدو أن التعدد والتنوع في المعاني القرآنية لا يكون إلا في المعاني الظنية التي تحتمل ألفاظها دلالات متعددة ، منها ما يرجح بدليل معتبر، ومنها ما يدخل في باب التنوع الدلالي (١٢)، والبحث سيركز على التعدد بنوعيه عند المفسرين؛ ليصل إلى نتيجة الترجيح مرة أو قبول التعدد في المفردة الواحدة مرة أخرى، وكما يأتي :

١- محزرا

وردت هذه المفردة في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٣)، والأصل لكلمة (محزرا) في الآية القرآنية يحمل عدة معانٍ معجمية؛ لأنها تقع في ضمن مادة (حرر) التي تدل على دلالات متنوعة منها الحرارة التي هي ضد البرد (١٤) ومنها ما يعني الحرية ؛لذلك قلوا : ((الْحُرُّ نَقِيضُ الْعَبْدِ، وَالْجَمْعُ اخْرَارٌ وَحِرَارٌ، الْأَخِيرَةُ عَنْ ابْنِ جَنِي، وَالْأَوَّلَى خُرَّةٌ، وَالْجَمْعُ حَرَائِرُ شَاذٌ، وَحُرَّةٌ: اعْتَقَهُ)) (١٥)، فضلا عن معانٍ أخر.

وقد نقل الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) بعض المعاني المعجمية لهذه الكلمة التي ذكرها السابقون فقال : ((وقيل في معنى (محزرا) ثلاثة أقوال: أحدها - قال الشعبي: معناه مخلصا للعبادة، قال مجاهد: خادما للبيعة، وقال محمد بن جعفر بن الزبير: عتيقا من الدنيا لطاعة الله)) (١٦) ولم يكتفِ الطوسي بما ذكره السابقون من تعدد معجمي قريب لمعنى التحرير، فقال في المعنى اللغوي لكلمة (محزرا) إنه: ((يحتمل أمرين: أحدهما - معتق من الحرية، تقول: حررتَه تحريرا: إذا أعتقته أي جعلته

حراً، الثاني - من تحرير الكتاب وهو اخلاصه من الضرر والفساد، وأصل الباب الحرارة، لان الحر يحمي في مواضع الأنفة، فالمحرر يخلص من الاضطراب كما يخلص حرارة النار الذهب ونحوه من شائبة الفساد، وهو نصب على الحال من (ما) وتقديره نذرت لك الذي في بطني محرراً والعامل فيه نذرت))^(١٧)، فالمعنى اللغوي الذي ذكره الشيخ الطوسي كان من ضمن المعاني المعجمية المتعددة ولم يرجح أي معنى منها، إذا اكتفى بالنقل مرة ثم ذكر المعنيين اللغويين - العتق والتحرير من الفساد - مرة أخرى .

أما السيد السبزواري (ت: ١٤١٤ هـ) فرأى أن (محرراً) ((من التحرير ،وهو الخلوص والتخلص عن الوثائق ،كتحرير العبد ، أي خلوصه عن الرقبة ، وتحرير الكتاب هو تخليصه عن الفساد والاضطراب ، أو إطلاق المعاني عن قيد الذهن والفكر، ويقال لكل ماخلص أنه حر))^(١٨)، وهذا النقل المعجمي لم يكن بعيداً عما ذكره الشيخ الطوسي سابقاً فضلاً عن المعجمات العربية ، لكن السيد السبزواري حاول أن يرجح أحد المعاني التي تتلاءم مع سياق النص ، إذ قال : ((وتحرير الولد لله تعالى أو للأمكنة المقدسة، أو النفوس المحترمة، هو التفرغ للعبادة والعمل للأخرة، قد كان متعارفاً في الأمم القديمة وكانوا يعتبرون ذلك وسيلة لحفظ الولد عن الضياع والتربية الحسنة وعبادة الله الواحد القهار، فلا يتزوج ولا يعمل للدنيا، ومعنى التحرير في الأزمنة السابقة هو تحرير الولد من قبل الأبوين))^(١٩)، فمعنى التحرير الذي مال إليه السيد السبزواري هو تحرير الولد لله بحسب ما كان متداولاً في زمن سياق النص ، وكان السبزواري ابتعد عن الاستطراد في تعدد المعاني المعجمية متكئاً على عدمها كما أشارت إلى ذلك دراسات السياق المختلفة^(٢٠) .

وما يدعم رأي السيد السبزواري في الترجيح سياق الآية المباركة التي صدرت بكلمة (نذرت) التي تأتي منسجمة مع رأيه وتبعد المعاني المعجمية الآخر لكلمة (محزرا)؛ لأن من معاني (النذر) التي يستعملها العرب أن يكون الابن - ذكر أو أنثى - قيما أو خادما للكنيسة أو المتعبد بعد رغبة الأبوين لذلك (٢١)، واستعمال (محزرا) بهذا المعنى ((معروف في اللغة ان يقال لكل ما خلص حر ومحزرا)) (٢٢) لكن التعدد في المعنى قد يفرضه المعجم ولم يفرضه السياق؛ لأنه واضح؛ لذلك يمكن أن يكون المعنى ((إني جعلت لك يا رب نذرا أن لك الذي في بطني محزرا لعبادتك، يعني بذلك: حبسته على خدمتك وخدمة قدسك في الكنيسة، عتيقة من خدمة كل شيء سواك، مفرغة لك خاصة)) (٢٣)، وهذا أقرب للسياق اللغوي من جهة وسياق المقام من جهة أخرى، مما يرجح رأي السيد السبزواري في اختياره.

٢- يكتبهم.

وردت هذه الكلمة في قوله تعالى: ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبَتُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ (٢٤)، والكبت في اللغة له معانٍ متقاربة، جاء في الصحاح: ((الكبت: الصرف والإذلال، يقال: كبت الله العدو، أي صرّفه وأذله، وكبته لوجهه، أي صرعه)) (٢٥)؛ فالكبت الصرف مع الإذلال، ويمكن أن يكون مصحوبا بالحرز الشديد (٢٦)، وقد أول الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) الكبت بر ((الرد بعنف وتذليل)) (٢٧)، وهذه المعاني على الرغم من تعددها إلا أنها متقاربة في الدلالة.

وقد رأى الطوسي أن (الكبت) هو: ((الخزي، ومعناه أو يخزيهم في قول الربيع، وقتادة، وقال الخليل: الكبت صرع الشئ على وجهه كتبهم الله فانكبتوا، وحقيقة الكبت شدة وهن يقع في القلب فربما صرع الإنسان لوجهه للخور الذي يدخله)) (٢٨)؛ فالكبت عند الطوسي لا يعني الصرع فقط بل قد يصل الإنسان إلى

الصرع بسبب وهن القلب ، فكأنه نظر إلى اللفظة من جانب آخر وبحث عن أصل الصرع أو الخزي الذي لا يبتعد عن وهن القلب كما يرى .

أما السيد السبزواري فمادة (الكبت) عنده ((تدل على الإهانة والذلة بدواعي سلطان مختلفة إما الخزي أو العار ، أو الصرف ، أو الرد بالغیظ ، أو الرد بعنف وتذليل ، أو بالصرع على الوجه ، أو بالهزيمة ونحو ذلك ، وقد استعملت هذه المادة في القرآن الكريم في ثلاثة موارد : أحدها المقام ، والثاني والثالث ، قوله تعالى : ﴿ كُتِبَتْ لَهُمْ ﴾^(٢٩) ، والجامع هو الإهانة والذلة ، وما ذكره أهل اللغة والتفسير من المعاني إنما هو بدواعي الاستعمال وإن جعلوها من أصل المعنى ، وكبت الذين كفروا وقع في يوم الأحزاب وأمثالهما ، حيث أذلهم الله تعالى بأخس وجه ، فقد رجعوا خائبين منهزمين قد انقطعت آمالهم ، ولم يلحقهم إلا الخزي والعار))^(٣٠) ؛ فقد أرجع السيد السبزواري المعاني المتعددة للكلمة إلى أصل الإهانة والذلة على الرغم من استعمال آخر عند المفسرين لكن الإهانة أو الذلة - بحسب رأيه - الأصل في مادة الكبت.

وحيثما ننعم النظر في سياق الآية المباركة على الرغم من عدم دخولنا في فقرة السياق إلا أننا نحتاج إليه للفصل في أغلب المسائل القرآنية ولا انفكاك عنه البتة ، فقد ذكر اللغويون أن (الكبت) أصله الصرف وقرنوا معه الإذلال والمعاني الأخر ؛ لذلك توسع المفسرون في معاني (الكبت) بحسب سياق المقام ، ولا ضير في ذلك لكن السياق قد يرجح معنى معجميا واحدا بعيدا عن ذلك التعدد المفهوم من حيث التفصيل في المعنى نفسه .

فإذا عدنا إلى المعجمات العربية سنرى أن مادة (الكبت) لا يفارقها الصرف أو الإذلال^(٣١) ، والصرف في مادة (الكبت) ليس كما قالوا إنه : ((رد الشيء عن وجهه

صَرَفَه يَصْرِفُه صَرْفًا فَائِصْرَفُ)) (٣٢) بل لا بد من شدة وإذلال وإرغام فيه ؛ لذلك قالوا :
(الكبت) الغيظ والخزي والصرف والذلة (٣٣) كل تلك الصفات مجتمعة لتؤدي
معنى الذل بالصرف .

ولسياق المقام سبب في تعدد المعاني المعجمية لهذه الكلمة فقد قالوا في سبب نزول
هذه الآية قولين: ((أحدهما: أنه كان يوم بدر يقتل صناديدهم وقادتهم إلى الكفر
، وهذا قول الحسن وقتادة. والثاني: أنه كان يوم أحد ، كان الذي قتل منهم ثمانية
عشر رجلا ، وهذا قول السدي)) (٣٤)، نرى أن سياق الآية السابقة لها تتحدث عن نصر
الله ، والحديث عن النصر لا ينسجم مع صرف الكافرين بذل في معركة أحد ؛ لذلك
قال ابن عاشور (ت : ١٣٩٤ هـ) حين تحدث عن القطع والكبت في آية البحث: ((وهذا
القطع والكبت قد مضيا يوم بدر قبل نزول هذه الآية بخمسينين، فالتعبير عنهما
بصيغة المضارع لقصد استحضار الحالة العجيبة في ذلك النصر المبين العزيز
التظير)) (٣٥)؛ فالذل أو الصرف المراد في الآية القرآنية من مفردة (الكبت) كان
مرافقا للكفار حين نصر الله المسلمين عليهم ، والمعاني المعجمية التي ذكرها
المفسران هي معانٍ متفرعة أصلها المعجمية صرف الكافر رغما عنه ؛ لتحقيق
الدلالات المتعددة ، فلا مسوغ من جعل وهن القلب - كما ذكره الشيخ الطوسي -
أساس المعنى المعجمي من غير الصرف بذل وعنف ، ولا مسوغ كذلك لجعل الخزي
أساس المعنى أيضا من غير الاتكاء على معنى صرف الآخرين بذل وإرغام .

ثانيا: تعدد المعنى لعلاقة المفردة القرآنية مع غيرها في النص.

لتعدد الدلالة في المفردة القرآنية على وجه الخصوص طرق مختلفة منها ما عرضناه
في الفقرة الأولى - التعدد المعجمي - ومنها ما يكون بسبب العلاقة مع مفردة أخرى

في السياق ؛ مما يجعل الكلمة المستهدفة في الشرح أو التوضيح تتصف بتعدد المعنى.

ولا نقصد في هذه الفقرة تسليط الضوء على العلاقة النحوية على الرغم من إمكان الارتباط فيها ؛لتداخل العلوم اللغوية ، بل سنعالج المفردات من حيث ارتباطها بكلمات النص ، أو كما يسمى ارتباط سباق أو لحاق (٣٦)؛ لأن معنى المفردة ليس من الضروري أن يتضح من التركيب النحوي الخاص بإيضاح ارتباط تلك العلاقة ، بل قد يتضح من ((مجموع العناصر المستنبطة المكونة لدلالاتها أو محتواها الدلالي (٣٧)، ولقارئ النص اللغوي أثر واضح في إبراز ذلك التواشج وبيان أهمية المعنى المتعدد من عدمه ، ولا سيما أن بعض المعاني قد تكون إضافية (٣٨)؛ فتسقط عند عرضها على قرائن النص المختلفة، والتي تسمح للباحث في التحرك الواسع بين زوايا النص بخلاف التحليل النحوي الخاص ببيان الاحتمالات التعلقية من وجهة نظر قوانينه الصارمة إلى حد ما؛ فالكلمات التي تفتقر إلى غيرها في النص ستنتفتح على السياق الواسع (٣٩) الذي يؤدي إلى تعدد المعنى وارتباط الكلمة بما قبلها وما بعدها ؛ وهذا الذي سنركز عليه في هذه الفقرة وكما يأتي :

١- بكّة .

وردت هذه الكلمة في قوله تعالى : ﴿ إِن أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٤٠)، وهذه اللفظة جذرها اللغوي (بكك) وهذا الأصل ((في المضاعف أصل يجمع التراحم والمغالبة)) (٤١)، فجذر الكلمة في المعجم من الأفعال المضاعفة ويدل في أصله على التراحم ؛ لذلك قيل: ((بك الشيء يبكّه بكّا: خرقة أو فرقة، وبك فلان يبكّ بكّة أي زحم، وبك الرجل صاحبه يبكّه بكّا: زاحمه أو

زحمه ((٤٢)، ودلالة ورودها في القرآن الكريم قد تعددت عند أغلب المفسرين ولاسيما المفسرين محور البحث .

فقد نقل الشيخ الطوسي الدلالات الخاصة بهذا الكلمة فقال: ((وبكة قيل معناه ثلاثة أقوال: أحدها - قال ابن شهاب وضمرة بن ربيعة: بكة هو المسجد، ومكة الحرم كله تدخل فيه البيوت، وهو قول أبي جعفر (ع) وقال أبو عبيدة: بكة هي بطن مكة، وقال مجاهد: هي مكة)) (٤٣)، ولم يكتف الطوسي بهذا الأقوال؛ لأنه اتكأ على المعنى المعجمي في موضع آخر ليفسر معنى الكلمة فقال: ((وأصل بكة من البك، وهو الزحم تقول بكه يبكه بكا إذا زحمه وتباك الناس بالموضع إذا ازدحموا، فبكة مزدحم الناس للطواف، وهو ما حول الكعبة من داخل المسجد الحرام)) (٤٤)، فيبدو أن الشيخ الطوسي حاول أن يحدد المعنى المتعدد ويؤكد أنه يدل على الزحام بين الناس عند الطواف ولاسيما حول الكعبة ابتداء من المسجد الحرام .

أما السيد السبزواري فلم يغفل عن آراء السابقين فيها فضلا عن دلالتها على الزحام وقد نقل ذلك قائلا: ((مادة (بكك) تدل على التزاحم ودق العنق ، ومنها : (تبارك القوم إذا ازدحموا)، ولم ترد هذه الكلمة في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع ، وهي أرض البيت التي يزدحم الناس فيها لأداء الطواف والصلاة ونحوهما ، وتدل فيها الجبابة بالخضوع لرب العالمين ، وقد اختلف المفسرون في المراد منها : ف قيل : إنها اسم المسجد ، وقيل : إنها المطاف، وقيل : إنها مكة ، أبدلت الباء ميما لتقريبهما، وقيل : إنها الحرم ، ويمكن تصحيح الجميع بالإضافة التشريفية ؛ لأن موضع البيت بكة معلوم من الآية الشريفة بلا ريب ، وتشمل مكة والحرم والمطاف تشريفا)) (٤٥)، ف يرى أن السيد السبزواري رجح معنى واحدا أيضا ووصفه بالعموم ؛ لأن البيت يدخل في ضمن التشریف الإلهي برأيه فلا ضير من كون المقصود المسجد أو مكة أو المطاف .

ومما تقدم لابد من أن نقف على إيضاح لأسئلة ستكون المفتاح للترجيح مرة أو لكبح جماح التعدد بشكل آخر يختلف عن عرض المفسرين مرة أخرى ، وأهمها :

أ- هل دلالة (بكة) المعجمية تختلف عن دلالة (مكة) ؟.

ب- هل يقبل السياق عمومية المعنى لـ(بكة) بدلا من تحديده ؟.

ت- ما المقصود بالبيت وأوليته في آية البحث والآية اللاحقة لها ؟ .

فحين نجيب عن السؤال الأول نرى أن معنى (مكة) لا يختلف عن معنى (بكة) جاء في اللسان : ((والمك: الازدحام كالبنك، ومكّه يَمْكُهُ مَكًا: أهلكه، ومكّة: مغروقة، البلد الحرام))^(٤٦)، فأصل كلمة (مكة) يدل على الزحام أيضا فضلا عن معانٍ أخرى كمص الماء من باطن الأرض؛ لقلة مائها^(٤٧)، لكن هذه المعاني وغيرها لا تنسجم مع سياق الآية المباركة؛ ويبقى الزحام سيد المعاني في هذا الموضع؛ لذا ذكره أغلب المفسرين وجعلوه لغة من اللغات قال الألوسي (ت ١٢٧٠هـ): ((وبكة لغة في مكة عند الأكثرين والباء والميم تعقب إحداهما الأخرى كثيرا، ومنه نميط ونبيط ولازم ولازب وراتب وراقم))^(٤٨)، وهنا لابد من أن نعرض اللغة على السياق فإن قبلها سرنا مع من ذهب إلى أنها - بكّة - لغة في (مكة) وإن كان العكس لابد من مخرج لذلك .

وعلى الرغم من توافق المعنى المعجمي بين الكلمتين لكن السياق يبقى الفيصل في ذلك ، فحين نجيب عن السؤالين الآخرين من أسئلتنا المفترضة ولاسيما في ما يتعلق بقبول عمومية المعنى الذي مال إليه السيد السبزواري ، إذ نرى أن قبول العمومية متعثر في ظل إجابتنا عن السؤال الأخير الخاص بأولية البيت ، فالسياق فرض الأولوية لهذا المكان - مكان الزحام المسجد أو الكعبة - فإن عرفنا معنى الأولوية ستنجلي غيرة التعدد مع عدم رفضنا لتشريف هذا المكان بشكل عام

، لكن البحث يسوقنا إلى إنعام النظر في اختيار الدلالة المناسبة، فضلاً عن ذلك لا بد من دراسة السياق القرآني بطريقة تأملية عميقة وليس كما يدرس بطرق بسيطة ساذجة^(٤٩)، تجتر ما ذكره السابقون من غير تدبر في معاني الكلمات وبناء الآية المباركة.

فالعمومية كتشريف لا خلاف فيها، لكننا حين نبحث عن المعنى المبتغى من ذكر الأولوية سنرى أن الاختيار القرآني كان محددًا؛ لأن الآية المباركة ذكرت كلمة (أول) والأولوية يبدو أنها خاصة بالمسجد هذا ما نقلته أكثر التفاسير^(٥٠)، وقد نقل الرازي (ت: ٦٠٦هـ) عن ((علي رضي الله عنه، أن رجلاً قال له: أهو أول بيت؟ [يسأل عن المسجد الحرام] قال: لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركاً فيه الهدى والرحمة والبركة أول من بناه إبراهيم، ثم بناه قوم من العرب من جزهم، ثم هدم فبناه العمالقة، وهم ملوك من أولاد عمليق بن سام بن نوح، ثم هدم فبناه قرينش^(٥١))، وهذا التوجيه لأمر المؤمنين، ع، يجعل الأولوية مشتركة بين المسجد الحرام لأنه السؤال عنه والكعبة المشرفة وكأنهما واحد من حيث الهدى والبركة والرحمة وهما كذلك الآن حتى إذا كان القصد من (البك) التزاحم، فلا أرى مسوغاً من عزل المكانين ولا سيما حين تتوسع بعض المصادر فتري أن (({بكة} ومكة شيء واحد، والباء تبدل من الميم))^(٥٢)، على الرغم من عدم ملائمة ذلك مع السياق؛ لأن قصد الحج لا يكون لمكة كمدينة كاملة، بل يكون للكعبة المشرفة ومن ضمنها المسجد؛ وهذا يرجح رأي الشيخ الطوسي في كون معنى (بكة) الزحام الذي حول الكعبة وحدده من المسجد الحرام فضلاً عما ذكرناه في كونهما مكاناً واحداً.

لفظة (الفرقان) جاءت في قوله تعالى : ﴿ من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ﴾ (٥٣)، والفرقان من مادة (فرق) و(الفرق): خلاف الجمع، فرقه يفرقه فرقا وفرقه، وقيل: فرق للصّلاح (فرقا) (٥٤)، ومن فرق بين رجلين أو كلامين يقع في ضمن هذا المعنى (٥٥).

وقد ذكر اللغويون معنى الفرقان وجعلوه قريبا أو مشتقا من أصله - فرق - ، فذكر العسكري (ت: ٣٩٥هـ) في الوجوه والنظائر أن (الفرقان) في القرآن يقسم على ثلاثة أقسام هي : النصره والبينة والقرآن كله (٥٦).

أما المفسرون فلم يبتعدوا عن معنى الفصل وارتباط الكلمة - الفرقان - بالآية التي قبلها سواء أكان الارتباط بكلمة (الكتاب) أم بالكتب السماوية ؛ لذلك نرى الطبري (ت: ٣١٠هـ) يميل إلى كون المعنى هو الفصل بين رسول الله محمد صلى الله عليه وآله والذين حاجّوه في أمر عيسى فقال : ((معنى (الفرقان) في هذا الموضع: فصل الله بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذين حاجّوه في أمر عيسى، وفي غير ذلك من أموره، بالحجة البالغة القاطعة عذرهم وعذر نظرائهم من أهل الكفر بالله، وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب، لأن إخبار الله عن تنزيله القرآن - قبل إخباره عن تنزيله التوراة والإنجيل في هذه الآية - قد مضى بقوله: ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ﴾ (٥٧) ولا شك أن ذلك (الكتاب)، هو القرآن لا غيره، فلا وجه لتكريره مرة أخرى، إذ لا فائدة في تكريره، ليست في ذكره إياه وخبره عنه ابتداءً)) (٥٨)، ورأى آخرون أن الفرقان ((هنا اسم للقرآن، قالوا: والتقدير: ولقد آتينا موسى الكتاب، ومحمدا الفرقان)) (٥٩)، ويبدو أن توجيه المعنى بحسب ارتباط الكلمة بالآية السابقة وهذا ما أشرنا إليه في عنوان الفقرة الثانية من البحث.

والمفسران - محور البحث لم تفتهما المعاني السابقة ، فذكر الطوسي أن قوله : ((وأنزل الفرقان) يعني به القرآن وإنما كرر ذلك لما اختلفت دلالات صفاته وإن كانت لموصوف واحد لان لكل صفة منها فائدة غير الاخرى لان الفرقان هو الذي يفرق به بين الحق والباطل فيما يحتاج إليه من أمور الدين في الحجج والاحكام، وذلك كله في القرآن وقيل أراد بالفرقان النصر ووصفه بالكتاب يفيد أن من شأنه أن يكتب))^(٦٠)؛ فنرى أن الشيخ الطوسي (رحمه الله) ذكر معاني متعددة لكلمة (الفرقان)، لكنه مال إلى كونه القرآن ، وتكرار في الآية السابقة - كلمة الكتاب - وفي هذه الآية لاختلاف معناه على الرغم من أن الموصوف واحد وهو القرآن الكريم .

أما السيد السبزواري فقد وافق الشيخ الطوسي في ميلانه إلى معنى القرآن مع ذكر معانٍ أخر منقولة عن السابقين ، فقال: ((والمراد به هنا القرآن الكريم فهو باعتبار وجوده الجمعي يسمى قرآنا ، وباعتبار تفرقه بين الحق والباطل يسمى فرقانا وباعتبار ارشاداته يسمى نورا ...وقيل المراد بالفرقان العقل ، وقيل الدلالة الفاصلة بين الحق والباطل، وقيل النصر، وقيل الحجة القاطعة للرسول ،ص، على من حاجه في أمر عيسى ،ع))^(٦١)، فلم يختلف السيد السبزواري في المراد من (الفرقان) في هذا الموضع ، لكنه لم يغفل عما ذكره السابقون من دلالات أخريات للكلمة ، وكان المفسرين يضعون بين يد الباحث خيار الترجيح مع ذكر ما ذهب إليه صراحة ، وهذا يحسب لهما ؛ لأن بعض المفسرين يتركون الباب مفتوحا من غير الترجيح أو الميلان الواضح إلى معنى معين .

وحين ننعم النظر في ارتباط آية البحث بالآية السابقة لها نرى أن كلمة (الفرقان) يمكن أن تحمل معنيين :

الأول : المعنى المعجمي العام الذي يقصد فيه التفريق بين شيئين .

والثاني : تطبيق المعنى العام على المعنى الخاص المتمثل بكتاب سماوي يعرف من السياق ، ومعنى الكتاب إما أن يكون (القرآن المعروف بكلمة الكتاب في صدر الآية السابقة أو يكون (التوراة والإنجيل) .

فالمعنى المعجمي الخاص يمكن تطبيقه على معنى متشمل بأحد الكتب السماوية - القرآن والتوراة والإنجيل - وهذا يجعلنا نبعد بعض المعاني التي ذكرها المفسرون ولاسيما المفسران محور البحث .

فإذا عرفنا أن مادة (فرق) ((أَصِيلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَمْيِيزٍ وَتَرْيِيلٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، مِنْ ذَلِكَ الْفَرْقُ: فَرْقُ الشَّعْرِ))^(٦٢)، فيمكن أن يكون معنى (الفرقان)) ((كلام الله تعالى، لفرقه بين الحق والباطل في الاعتقاد، والصدق والكذب في المقال، والصالح والطالح في الأعمال، وذلك في القرآن والتوراة والإنجيل))^(٦٣)، فهذا المعنى يمكن أن يسري على القرآن أو أي كتاب سماوي آخر فرضه السياق ؛ لأن اللفظ ((بمادته يدل على الأعم من ذلك وهو كل ما يفرق به بين شئ وشئ))^(٦٤) وإلى هذا أشار أغلب المفسرين ومنهم الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) الذي أكد أن المقصود جنس الكتب السماوية ؛ لأنها كلها فرقان بين الحق والباطل^(٦٥)؛ وهذا يمنع تعدد المعنى من جهة وعدم حصره بالقرآن الكريم من جهة أخرى ، زيادة على ذلك أن (الواو) في صدر جملة (وأنزل الفرقان) عطف على ما تقدم^(٦٦) أي أنها عطف على التوراة والإنجيل ويمكن أن يشمل القرآن أيضا الذي تقدم ذكره في صدر السابقة ؛ فمعنى الفرقان المعجمي العام الذي أريد منه التفريق بين الحق والباطل والخير والشر وغيرها من المعاني الخاصة بهذا التفريق يمكن أن يشمل الكتب السماوية كافة ومن

ضمنها القرآن الكريم؛ وهذا يبعدنا عن جادة تعدد المعنى فضلا عن التأويلات التي يتبناها المفسرون في هذا المقام.

الخاتمة .

بعد هذا الجهد المتواضع توصل البحث إلى النتائج الآتية :

- (١) اكتفى الشيخ الطوسي بنقل المعاني المتعددة من غير أن يدلّو بدلوه في ترجيح أحد منها .
 - (٢) لم يكن السيد السبزواري مستطردا في بعض المعاني المتعددة للألفاظ القرآنية .
 - (٣) لم يناقش المفسران آراء السابقين في تعدد المعنى إلا في إبراز خجول لرأييهما مع عدم دفع الآراء السابقة .
 - (٤) اعتمد المفسران على معانٍ تفرّعت من المعنى المعجمي الأصيل؛ ممّا جعل البحث يدلّو بدلوه لتشذيبها واختيار المعنى المناسب بحسب السياق .
 - (٥) دمج البحث بعض المعاني المتعددة التي ذكرها المفسران في معنى واحد يقبله السياق.
- هوامش البحث :

(١) ظ: مصطلحات الدلالة العربية: ٢٢٤.

(٢) ظ: المعنى وظلال المعنى: ٣٨٦.

(٣) نظرية السياق القرآني (دراسة تأصيلية دلالية نقدية): ١٨٣.

(٤) ظ: معنى المعنى (دراسة لأثر اللغة في الفكر والعلم والرمزية): ٣٠٩.

(٥) ظ: الإتيان في علوم القرآن ج: ٤ : ٢٠٣.

(٦) ظ: تعدد المعنى في القرآن الكريم: ٢٣.

(٧) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ١٧٨.

(٨) اللغة: ج. فندريس: ٢٢٨.

(٩) نظرية السياق دراسة أصولية: ١٣٦.

- (١٠) تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة: ٤٨ .
- (١١) ظ: اللغة العربية معناها ومبناها : ٣١٢ .
- (١٢) ظ: نظرية السياق القرآني (دراسة تأصيلية دلالية نقدية): ١٨٥ .
- (١٣) سورة آل عمران : ٣٥ .
- (١٤) ظ: اللسان : مادة (حرر).
- (١٥) المحكم والمحيط الأعظم : مادة (الحر).
- (١٦) التبيان : ج ٢ : ٤٤٣ .
- (١٧) م.ن.ج ٢ : ٤٤٣ .
- (١٨) مواهب الرحمن : ج ٥ : ٢٨٥ .
- (١٩) م.ن.ج ٥ : ٢٨٦ .
- (٢٠) ظ: نظرية السياق القرآني (دراسة تأصيلية دلالية نقدية): ٣٦٨ .
- (٢١) ظ: اللسان : مادة (نذر) .
- (٢٢) معاني القرآن : النحاس : ج ١ : ٣٨٦ .
- (٢٣) جامع البيان (تفسير الطبري): ج ٦ : ٣٢٩ .
- (٢٤) سورة آل عمران : ١٢٧ .
- (٢٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : مادة (كبت)
- (٢٦) ظ: اللسان : مادة (كبت) .
- (٢٧) المفردات : مادة (كبت).
- (٢٨) التبيان : ج ٢ : ٥٨٤ .
- دواع : أصوب .
- (٢٩) سورة المجادلة : ٥ .
- (٣٠) مواهب الرحمن : ج ٦ : ٢٩٣ - ٢٩٤ .
- (٣١) ظ: مقاييس اللغة : مادة (كبت)، واللسان : مادة (كبت).
- (٣٢) المحكم والمحيط الأعظم : مادة (صرف) .
- (٣٣) كتاب الأفعال : ابن القطاع : ج ٣ : ٨٣ .
- (٣٤) النكت والعيون (تفسير الماوردي): ج ١ : ٤٢٢ .
- (٣٥) التحرير والتنوير : ج ٤ : ٧٩ .
- (٣٦) ظ : نظرية السياق القرآني (دراسة تأصيلية دلالية نقدية): ١١٦ .
- (٣٧) التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه : ج ١ : ١٠٣ .
- (٣٨) ظ: علم الدلالة : أحمد مختار عمر: ٣٧ .

- (٣٩) ظ:نظرية السياق دراسة أصولية: ٢٥٤ .
- (٤٠) سورة آل عمران : ٩٦ .
- (٤١) المقاييس : مادة (بكك).
- (٤٢) اللسان : مادة (ب)
- (٤٣) التبيان : ج ٢ : ٥٣٥ .
- (٤٤) م.ن.ج : ٢ : ٥٣٥ .
- (٤٥) مواهب الرحمن : ج ٦ : ١٥٩ .
- (٤٦) اللسان : مادة (مكك).
- (٤٧) ظ: جمهرة اللغة : مادة (مكك) ، و الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : مادة (مكك) .
- (٤٨) روح المعاني : ج ٢ : ٢٢١ .
- (٤٩) ظ: دلالة السياق في النص القرآني : ١٣٥
- (٥٠) ظ: جامع البيان (تفسير الطبري) : ج ٦ : ١٩ ، وتفسير السمعاني : ج ١ : ٣٤١ .
- (٥١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : ج ٨ : ٢٩٧ .
- (٥٢) غريب القرآن : ابن قتيبة : ١٠٧ .
- (٥٣) سورة آل عمران : ٤ .
- (٥٤) مقاييس اللغة : مادة (فرق).
- (٥٥) ظ: تاج العروس : مادة (فرق).
- (٥٦) الوجوه والنظائر : أبو هلال العسكري : ٣٦٦ .
- (٥٧) سورة آل عمران : ٣ .
- (٥٨) جامع البيان : ج ٦ : ١٦٤ .
- (٥٩) اللباب في علوم الكتاب : ج ٢ : ٧٧ .
- (٦٠) التبيان : ج ٢ : ٣٩١ - ٣٩٢ .
- (٦١) مواهب الرحمن : ج ٥ : ١٣ - ١٤ .
- (٦٢) مقاييس اللغة : مادة (فرق).
- (٦٣) المفردات : مادة (فرق).
- (٦٤) الميزان : ج ٣ : ٩ .
- (٦٥) ظ: الكشاف : ج ١ : ٣٣٦ .
- (٦٦) اعراب القرآن وبيانه : ج ١ : ٤٥٤ .

مصادر البحث .

خير ما نبتدى به : القرآن الكريم

١) الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م.

٢) إعراب القرآن وبيانه : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ) الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) ، ط ٤ ، ١٤١٥هـ.

٣) تاج العروس من جواهر القاموس : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق : مصطفى حجازي : مطبعة حكومة الكويت - وزارة الإعلام، (د.ط) ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م.

٤) التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي، دار احياء التراث العربي، ط ١ ، ١٤٠٩هـ.

٥) التحليل الدلالي لإجراءاته ومناهجه : دكتور كريم زكي حسام الدين، دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٠ م.

٦) تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة: الدكتور صابر الحباشة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط ١ ، ٢٠١١ م.

٧) تعدد المعنى في القرآن الكريم : د. ألفة يوسف ، دار سحر للنشر ، كلية الآداب - منوبة، ط ٢ ، (د.ت).

٨) تفسير التحرير والتنوير : سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، (د.ط)، ١٩٨٤ م.

٩) تفسير القرآن (تفسير السمعاني): أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٠) جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١١) جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.

١٢) دلالة السياق في النص القرآني : علي حميد خضير، الأكاديمية العربية في الدنمارك، (د.ت)، (د.ط).

١٣) روح روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

١٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: دار العلم للملايين - بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

١٥) علم الدلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب - القاهرة، ط ٧، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٦) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: الأستاذ الدكتور هادي نهر، عالم الكتب الحديث، أريد - الأردن، ط ٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٧) غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- ١٨) كتاب الأفعال: علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القطاع الصقلي (ت ٥١٥هـ) الناشر: عالم الكتب، ط ١، ٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- ١٩) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت / لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- ٢٠) لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت - لبنان، (د.ط.)، (د.ت.).
- ٢١) اللغة: ج. فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، تقديم: فاطمة خليل، المرز القومي للترجمة، سلسلة ميراث الترجمة، العدد: ١٨٨٩، (د.ط.)، ٢٠١٤م.
- ٢٢) اللغة العربية معناها ومبناها: الدكتور تمام حسان، عالم الكتب للنشر وللتوزيع - القاهرة، ط ٦، ٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- ٢٣) المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ابن سيده) (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- ٢٤) مصطلحات الدلالة العربية (دراسة في ضوء علم اللغة الحديث): الدكتور: جاسم محمد عبد العبود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- ٢٥) معاني القرآن: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٩هـ.

٢٦) معنى المعنى (دراسة لأثر اللغة في الفكر والعلم والرمزية): أوغدن ورتشارد،
 قدم للكتاب وترجمه: الدكتور كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديد
 المتحدة، (د.ت)، (د.ط).

٢٧) المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية): د. محمد محمد يونس علي،
 دارالمدار الاسلامي، بنغازي- ليبيا، ط٢، ٢٠٠٧م.

٢٨) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن
 الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء
 التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢٩) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان
 داوودي، دار القلم- الدار الشامية، ط٤، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٣٠) مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد
 هارون، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي
 السبزواري، مطبعة نكبن، قم، ط٥، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٣٢) الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (قدس
 سره)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، (د.ت).

٣٣) نظرية السياق القرآني (دراسة تأصيلية دلالية نقدية): الدكتور: المثنى عبد
 الفتاح محمود، دار الوائل للنشر، عمان- الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.

٣٤) نظرية السياق دراسة أصولية: الدكتور نجم الدين قادر كريم، دار الكتب
 العلمية- بيروت، ط١، ٢٠٠٦م: ١٣٦.

٣٥) النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه) : علي بن فضال بن علي بن غالب المجاشعي القيرواني، أبو الحسن (ت ٤٧٩هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار النشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م.

٣٦) الوجوه والنظائر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد عثمان، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م.

Abstract

The studies of the budget are not very different from the comparison, but are embedded in a single river; they are characterized by the capture of the most important different issues of research as well as the implicit compatibility between them to present at the mature table waiting for that serious researcher who likes to weight once and respond again or the maturity of a new or obscure , And this is what pleased us in this short study and tagged B ((the multiplicity of meaning in the interpretation of the interpretation and the talents of Rahman - a study of the budget in Surat Al - Imran -)); to stand on the most important views of the interpreters - the subject of research - with regard to the multiplicity of meaning.

The research adopted the descriptive approach with its mixture of budget, and the researcher relied on a variety of sources that

combined the old sources of the books of Quran and Tafsir, as well as modern books on the significance and sciences of the Koran as well.

The research section is divided into three main sections: the first section is represented by the introduction, the second section is devoted to the initialization, and the third section is for the applied examples of the research.

The conclusion of the research comes in line with the researcher's findings, the margins and the list of sources. We ask God to accept from us this little and agree to understand the Qur'an and its understanding and to explore its meanings. Thank God the Lord of the Worlds and prayers and peace be upon our good master Muhammad and his good family.

مقررات مؤتمر لوزان ١٩١٢ م وفتوى الجهاد في النجف الاشرف

باحث حسين جويد الكندي

العراق - النجف

المقدمة

موضوع هذا البحث يتمحور حول فتوى الجهاد التي انطلقت من مدينة عراقية هي النجف ، حيث مرقد الخليفة الرابع للمسلمين ، والتي جاءت على إثر تقاسم دول الاستكبار للاراضي العربية والاسلامية والاستعدادات الايطالية الحثيثة لاحتلال طرابلس (ليبيا) على اعتاب الحرب العالمية الاولى على ما عرف تاريخيا بمؤتمر لوزان ١٩١٢ م ، وصاحب الفتوى مجتهد شيعة وعلى راسهم الفقيه الكبير آية الله السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (١٢٤٧ - ١٣٣٧ هـ) .

اهمية البحث تأتي في سياق البيان للمواقف العربية والاسلامية التي حصلت في تلك الفترة ، والتي اذكت الثورة الليبية الكبرى التي قادها الثوار الليبيون ، تلك الثورة التي استبسل فيها الشعب الليبي الذي ادرك العمق العربي والاسلامي المساند والمؤيد لمطالبه في الاستقلال والحرية ، والتي تعبر عن مدى تكامل الحركات التحررية العربية في تلك الاونة .

هدف البحث تسليط الضوء على مرحلة مهمة من مراحل النضال العربي والاسلامي ، ضد قوى الاستكبار العالمي ، وبيان موقف المرجعية الشيعية من الغزو الايطالي للاراضي العربية في ليبيا (طرابلس الغرب) وأثر الفتوى التاريخية لمجتهد النجف للجهاد في ليبيا في حصول الثورات ضد القوات البريطانية في العراق في ١٩١٤ - ١٩١٥ - ١٩٢٠ م .

منهجية البحث تمثلت في استخدام المنهج التحليلي الوصفي في قراءة النصوص التاريخية وتفسيرها ونقدها ، فقد وفر هذا المنهج الالية المناسبة للتعاطي مع النصوص التاريخية بما يخدم هدف البحث وموضوعه.

هيكلية البحث ، تتالف من مقدمة ومبحثين وخاتمة ، جاءت المقدمة لبيان تعريفات ضرورية قبل الولوج بالبحث ، اما المبحث الاول فجاء لبيان الاسباب السياسية لفتوى المجتهدين للجهاد في ليبيا ضد القوات الايطالية ، اما المبحث الثاني فقد تكفل ببيان اثر الفتوى في زيادة وتيرة الجهاد في ليبيا ومصر وسوريا والعراق ، وختم البحث بمجموعة من النتائج والتوصيات .

المبحث الاول

المطلب الاول

الاسباب السياسية لفتوى علماء ومجتهدي الشيعة للجهاد في ليبيا ضد القوات الايطالية

للفكر والثقافة الاسلامية أثرا فاعلا في تحريك الجماهير، وتأجيج النفوس للثورة ضد الظلم والاستبداد والاعتساف، أيا كان مصدره، سواء أكان استعمارا أجنبيا كافرا، أو حكما مستبدا ظالما، أو ملكا فاسدا، لا فرق في ذلك فان كل من ينز للسيطرة والاختضاع والافساد، لمصالح شخصية أو لأهواء ذاتية أو لدوافع شيطانية، فان الفكر الاسلامي له بالمرصاد، يكشف عوراته ويدحض أباطيله، ويرأب الصدع الذي قد يحدث في أوساط المجتمع الاسلامي ، ونحن هنا نبحث في الاسباب السياسية المباشرة التي كانت سببا في حصول الانعطافة التاريخية في الفكر السياسي الشيعي والمتمثلة في انطلاق فتوى الجهاد ضد الاستعمار الاوربي الى خارج

نطاق المذهب العقائدي والفقهي ، ليشمل جميع ابناء الامة باعتبارها الوجودي والحركي ، ومن تلك الاسباب :

١ - تطور الوعي السياسي عند مجتهدى الفقهاء الشيعة : ان الجدل حول موضوع منزلة المجتهد واختصاصاته، يتمحور اساسا على علاقة المجتهد بالسياسة، اي ما اذا كان المجتهد يمتلك الحق في ان يكون حاكما ومشرعاً، كما يرى اصحاب نظرية الولاية العامة، أو يكتفي بالاختصاص في الافتاء والقضاء، كما يرى اصحاب نظرية الولاية الخاصة ، لكن هناك علامة فارقة تتمثل في بقاء الجهاد، ومقاومة المحتل الاجنبي باعتباره ركنا اساسيا من اركان الاسلام، هو الموقف السياسي الوحيد الذي يجمع عليه جميع المجتهدين من انصار المدرستين (الولاية العامة والولاية الخاصة) هذه هي بعض ملامح مدرسة العمل الإسلامي التي نشأت في العراق خلال قرنين ماضيين، فيها ما في كل مدارس العمل الإسلامي التي نشأت لاحقا في القرن العشرين، وفي كل هذه المدارس الجديدة أيضا عناصر كانت وما زالت تمت بصلة إلى مدرسة العراق الإسلامية على نحو أو آخر، وهي ملامح قابلة لأن تتشكل من جديد وفق قراءات متخصصة في مجالها.

٢ - تطور الوعي السياسي والثقافي العام : تعود نشأة وظهور وحراك وتحولات الإسلام السياسي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وحتى اندلاع ثورة العشرين الوطنية في العراق مطلع القرن العشرين ، إلى بوادر العمل الإسلامي في العراق عندما كان الصراع فكريا بين التيار الأصولي والتيار الإخباري^١، وهو صراع قاده الفقهاء فيما بينهم لكنه انعكس فكريا على طبيعة الوعي الإسلامي في حينه.

٣ - رفض سياسات الاستعباد الاوربي : يمكن اعتبار الفترة الممتدة بين النصف الاول من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين هي بداية الغزو العسكري

الغربي لبلاد الشرق الاسلامي - العربي ، ولم تكن ملامح هذا الغزو كما يدعي الفاتحين ، تخلصا للشعوب (العربية) من ربقة العبودية (للعثمانيين) وانما في سبيل استبدال عبودية مكان اخرى ، ولم يأت هذا الغزو اعتباطا ، وانما كانت ثمرة مؤهلات تحضيرية قد مهدت الطريق أمام جحافل الغزو الاوروبي للبلاد الاسلامية ، ومن أبرز تلك المؤهلات الضعف والخور الذي انتاب الامبراطورية العثمانية التي كانت تمثل قطب الرحى الذي تدور حوله دول العالم الاسلامي آنذاك .

٤ - التسويات الاستعمارية للبلاد الاسلامية : استشرع علماء الاسلام خطورة الموقف السياسي من خلال التسويات المتعاقبة بين الدول الاستعمارية لتقاسم التركة الجغرافية التي سيكون عليها حال البلاد الاسلامية بعد القضاء على الدولة العثمانية التي بدأت ملامح انكسارها وتراجعها تلوح في الافق بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وقد سبق الغزو الايطالي لليبيا مجموعة من التسويات الدولية التي يرجع بعض الباحثين جذورها إلى ما بعد حرب القرم ١٨٥٣ - ١٨٥٦ ، التي اندلعت بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية والتي انتهت بانتصار الأخيرة ، بينما يرى آخرون أن افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ جعل ايطاليا التي توحدت حديثا تبدأ بالتفكير في أمكانية التدخل في ولاية طرابلس الغرب^٣ ، وقد عقدت ايطاليا العديد من التسويات الدولية مع بريطانيا وألمانيا وفرنسا والنمسا وروسيا .

يعتبر الشمال الإفريقي من مصر شرقا إلى المغرب الأقصى غربا من البقاع الإستراتيجية في العالم قديما وحديثا ؛ وذلك لموقعه الجغرافي الفريد ، والذي جعله في حالة مرابطة دائمة في قبالة العدو الأوروبي المتربص بالأمة في الضفة الأخرى للبحر المتوسط ، وأصبحت هذه البلاد (مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب) التي تشكل

دول الشمال الإفريقي- ميادين قتال مفتوحة بين العالمين الإسلامي والاوربي، وجهة متقدمة في الصراع الخالد بين الإسلام وأعدائه ..

المطلب الثاني

تاريخ التسويات الدولية التي قامت بها ايطاليا تمهيدا لاحتلال طرابلس سبق وان اشرنا الى التسويات الاستعمارية التي تحقق لدى علماء الامة خطورة حصولها على جغرافية ومن ثم تبعية الدول الاسلامية لسياسات الغرب الاستعماري ، وقد كانت ايطاليا في طليعة البلدان الطامعة بليبيا ، حيث اتبعت سياسة خبيثة في احتلالها لليبيا تقوم على التغلغل البطيء داخل البلد ، واحكام السيطرة الاقتصادية والمخابراتية عليها قبل العدوان العسكري والحربي، وجعلت لاحتلالها مقدمات مهدت بها لوطء التراب الليبي والاستيلاء عليه ، وقد أصبح الطريق ممهدا أمام الطليان لاحتلال ليبيا بعد الإطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني؛ فأرسلت إنذارا للدولة العثمانية في ٤ شوال سنة ١٣٢٩هـ - ٢٧ سبتمبر ١٩١١م تدعي فيه سوء معاملة النظام في ليبيا للجالية الإيطالية واضطهادهم، ان نية ايطاليا في غزو ليبيا كانت سابقة لنشوء جمعية الاتحاد والترقي التي اطاحت بالسلطان الاخير للعثمانيين ، فقد عقدت ايطاليا مجموعة من التسويات الدولية التي مهدت لها هذا الغزو، ونظرة على هذه التسويات ينبئ بنية ايطاليا التاريخية في الاستئثار بالتراب الليبي :

أولا : التسوية الإيطالية - البريطانية : الصراع البريطاني الفرنسي على حوض المتوسط^٤، ونشوء التكتلات والاحلاف العسكرية^٥، والتأييد الإيطالي لبريطانيا القوة العظمى الاولى في اوربا مهد الطريق لاطاليا لان تعطي بريطانيا لها الضوء الاخضر في احتلال طرابلس فعقدت من اجل ذلك التسوية السرية وذلك في ١٢ فبراير

١٨٨٣ اتفق فيها الطرفان بالمحافظة على الوضع القائم في البحر المتوسط والادرياتيک والبحر الأسود كما اتفق الطرفان على تأييد كل منهما الآخر فيما يتعلق بمصالحهما في مصر وطرابلس ، والحقيقة أن إيطاليا شرعت في حملة دبلوماسية وسياسية تهدف إلى كسب بريطانيا وتأييدها لسياستها في ولاية طرابلس الغرب، لاعتقادها أن التأييد الفرنسي وحده لم يكن كافياً بل أنه لا يعني شيئاً دون موافقة بريطانيا العظمى^٦

ثانيا : التسوية الإيطالية - الألمانية : بعد سنة ١٨٨٢ أحجمت ألمانيا عن تطوير رغبتها الاستعمارية في ولاية طرابلس الغرب وحاولت إن تستفيد من الاحتلال الفرنسي لتونس التي كانت لإيطاليا إطماع فيها، وفعلاً أفلحت في عزل إيطاليا عن كل من فرنسا وبريطانيا وبالتالي في إقناعها بالانضمام إلى الحلف الثنائي (ألمانيا والنمسا والمجر) الذي أصبح ثلاثياً سنة ١٨٨٣ وفي شباط ١٨٨٧ وقع الزعيم الألماني (بسمارك) اتفاقاً ثنائياً مع إيطاليا اعترف فيه بحقها في احتلال ولاية طرابلس وبرقة رغبة منه في تقوية علاقات التحالف مع إيطاليا من جهة وإثارة الصدام بينهما وبين فرنسا من جهة أخرى خاصة إذا ما زادت من توسع نشاطها في الشمال الإفريقي^٧

ثالثا : التسوية الإيطالية - الفرنسية : لم يكن لفرنسا ميولاً حقيقية لاحتلال ولاية طرابلس الغرب، باستثناء أمر واحد فقط هو تسوية مشكلة الحدود لصالح تونس التي قامت باحتلالها سنة ١٨٨١، وهكذا بعد أن ضمنت إيطاليا الموقف البريطاني المؤيد بشأن إطماعها في ولاية طرابلس الغرب فإنها قامت بتسوية الأمور ذات الاهتمام المشترك بينها وبين فرنسا مستفيدة من الموقف البريطاني، حيث تبادل وزير خارجيتها مع السفير الفرنسي في روما العديد من الرسائل تؤكد عكس ما ذهب إليه بعض الباحثين من ضعف الدور الفرنسي في هذه المرحلة^٨.

رابعا : التسوية الإيطالية - النمساوية : وعدت النمسا ايطاليا ضمن اتفاقية الحلف الثلاثي الموقعة بينهما موافقتها على حرية التصرف الايطالي تجاه ليبيا (ولاية طرابلس الغرب) وذلك إنشاء تجديد اتفاقية الحلف الثلاثي الذي يضم ايطاليا وألمانيا والنمسا والمجر في تصريح رسمي مكتوب أعلن وزير الخارجية ايطاليا (أن النمسا ستكون محايدة في حالة، أي نتيجة للظروف الراهنة أو بسبب تطورات قد تحدث في ليبيا، تجد ايطاليا نفسها مضطرة إلى اتخاذ إجراءات تتطلبها مصالحها القومية)^٩.

خامسا : التسوية الإيطالية - الروسية : كانت التفاهات والتسويات بين ايطاليا وروسيا متأخرة بخصوص ولاية طرابلس الغرب، فقد توصلت معها ايطاليا إلى اتفاقيات في أكتوبر / تشرين الثاني ١٩٠٩ ووعدت ايطاليا بموجبها أن تؤيد الطموحات الروسية في المضائق وفي المقابل تركت روسيا ايطاليا حرة في ولاية طرابلس الغرب، وهكذا استكملت ايطاليا الاستعدادات الدبلوماسية والسياسية للعملية الغزو وأصبح احتلال ولاية طرابلس الغرب، مسألة وقت وتوقيت وظروف ملائمة^{١٠} كما حصلت ايطاليا على تعهد من روسيا بعدم وجود أطماع لديها في ولاية طرابلس الغرب فقد أكد ذلك جيوليتي رئيس الوزراء الايطالي في مذكراته قائلا (قد حصلت أثناء زيارة قيصر روسيا إلى راكونيجي على اعتراف بحقوقنا في تلك المنطقة من جانب روسيا)^{١١}.

الفكر الإسلامي يتحدى

كان للعقائد والتقاليد الشيعية التي أغنت الثقافة الإسلامية، واستقلالية المؤسسة الدينية الشيعية عن السلطات الحاكمة، ودور المدن الشيعية كمراكز قيادية دينية وثقافية أساسية للشيعية في العالم، فضلا عن دور المرجعية العليا، والدور

الشخصي للمرجع الاعلى بالذات، قد مثلت عوامل رئيسية مهمة، ساهمت في ظهور الاتجاه الفكري- السياسي الإسلامي الجديد نسبيا أواخر القرن التاسع عشر.

حيث كانت النجف من بين المدن الشيعية الاخرى تمثل خلال الثلث الاخير من القرن التاسع عشر تواصلا للازدهار الثقافي العلمي الديني، الذي ظهر منذ بداية ذلك القرن، وتواصلا للانتصار في الجدل الخصب الذي دار طيلة نصف القرن الذي سبق هذه الحقبة بين الاخباريين والاصوليين، حيث انتصر فيه الاصوليون، فانها وبفعل تلك العوامل والمؤثرات برزت آنذاك كمركز ثقافي إسلامي، تصدى علماءها للثقافة والنظريات المادية الغربية، بالدراسة والنقد، فألفت عشرات الكتب حول ذلك باللغتين العربية والفارسية^{١٢}.

وهذا الحديث يجزنا الى ان الحركة الاستعمارية لم تكن مجرد حركة سياسية- عسكرية، بل أنها حركة ثقافية- فكرية أيضا «فان علماء الإسلام الذين تتوفر فيهم الكفاءة العلمية كانوا الأقدر على رد فلسفة الغرب المادية وكل ما يتضرع منها من أفكار ومواقف، ويمتاز علماء الإسلام عن المثقفين بالفكر الغربي، الذين تصدوا للاستعمار السياسي، بأن علماء الإسلام كانوا في صراعهم مع الغرب متفوقين عليه نفسيا، وكانوا يملكون الطرح البديل للحضارة الغربية، بينما المثقفون بالفكر الغربي لم يكن لديهم الطرح البديل، لأنهم بالاساس قد ارتضعوا من ثدي الغرب، وبالتالي كانوا مهزومين أمام رؤيته الفلسفية منذ البداية»^{١٣}.

وان المجابهة الفكرية مع الغرب «كـون تيار مضاد استهدف حماية الأمة من الاخطار الفكرية الخارجية هذا التيار نبع من أعماق الأمة في محيط ذاتي لم تصل اليه أية يد أجنبية ولم تلوثه أية سياسة خارجية، منبع ذلك التيار كان ولا يزال هي الجامعات العلمية الدينية، التي حافظت مدى القرون على رسالة الإسلام، من تلك الجامعات انطلق نداء الجهاد الشامل ضد الاستعمار الغربي وتياراته الفكرية والسياسية

الغازية، هذا النداء الأصيل تصدى للتيار الغربي، وشق في المجتمع الإسلامي حركة فكرية - سياسية مناهضة للحركة الغربية في كل الوسائل والاهداف والغايات»^{١٤}

كان الوعي السياسي والنبوغ الفكري، دعامتان اساسيتان كانتا يستند عليهما بعض علماء الاسلام، الذين تخرجوا من الجامعة الإسلامية «فمناهج وطرق التدريس في الجامعات الدينية التي تشكل سمة ملازمة للدراسة فيها، قادرة على أن تشكل في ظروف التحولات الفكرية والسياسية العامة منهجا مهما لمعالجة القضايا المعاصرة المستجدة. وتبرز قادة دينيين - سياسيين في آن معا قد يشكلون ظاهرة تاريخية لتجديد الفكر والممارسة الإسلاميتين، وعلى سبيل المثال يمكن أخذ ظاهرة بروز جمال الدين الافغاني كزعيم لحركة إسلامية - اصلاحية في أواخر القرن التاسع عشر، لقد درس الافغاني وعاش في النجف وكربلاء والقاهرة، وتشبع ذهنه في جوهما الفكري، واذا كانت الظروف في العراق لم تسمح حينذاك للافغاني بأن يقوم بالدور الذي قام به في القاهرة، فان الذي يمكن استنتاجه هو أن أنظمة ومناهج التدريس في الجامعات الإسلامية العلمية، التي ساهمت بشكل اساسي في تكوينه الثقافي والفكري تهيء بذاتها مجالا مهما لتخريج زعامات دينية وفكرية وسياسية. بأنماط موائمة لظروفها التاريخية. وهذا ما يمكن أن نشهده في بروز عدد من علماء الاسلام في فترات مختلفة، وقيامهم بدور الزعامة الدينية والسياسية في آن معا»^{١٥}.

كان الشيخ عمر المختار من ذلك النموذج من العلماء العاملين، الذي استوعبوا الطرح الجهادي الاسلامي بنفس الوتيرة التي استوعبوا الطرح العلمي لتلك الجامعات العلمية، غير ان الفارق الذي كان مائزا للثورة الليبية هو قيادتها الميدانية من قبل الثائر الكبير والعالم الرباني بصورة لم يسبق لها مثيل في العالم الاسلامي الا في

مواقف متفاوتة في العراق لبعض العلماء في سنة ١٩١٤ م عند دخول الانكليز الى هذا البلد .

المبحث الثاني

المطلب الاول

علماء النجف وفتوى الجهاد في ليبيا ١٩١١ م

يخطئ من يظن أن فتوى علماء الشيعة كانت استجابة لفتوى شيخ الدولة العثمانية لانهم وعندما أفتوا بوجوب محاربة الغزاة تحت لواء الخلافة العثمانية، إنما كانت لما تمثله الأخيرة الدولة الإسلامية، وان خطرنا آنذاك كان أقل حتما من الخطر الكبير الذي كان يحرق بالامة الإسلامية من قبل الاستعمار الايطالي، إلا أن سجل التاريخ قبل الاحتلال حافل بمواقف مشرفة لبعض العلماء الشيعة ضد التطرف والفساد التركي، فإن الامام السيد محمد كاظم اليزدي^{١٦}، مرجع الطائفة الشيعية آنذاك، قد دعم عشائر العراق، وخاصة في الفرات الأوسط ضد الحكم التركي، بعد أن استشرى الفساد في البلاد، وبدأ النظام المتهري يضغط على الشعب وينهب ثرواته، وسلط عليهم ولاية مستهترين فاسدين، لادين عندهم ليهتدوا به، ولا عقل لديهم، ليسترشدوا به طريق الهدى والصواب.

هنا وينبغي ان لا نتغافل عن أن الثورات الإسلامية في الحقب الاستعمارية، لعبت دورا حاسما في التعبئة الشعبية العامة، وفي مواجهة الاستعمار الغربي، وانزال الهزائم بجيوشه في الميدان، وهذه المواجهة رهينة تفاعل الأمة مع قيادتها الرشيدة، ولولا هذا التفاعل والانشداد، فإن ثمة انشقاقات وتصدعات ستظهر في جسد الأمة، ينفذ المحتل الكافر من خلالها الى الجسد ويحاول تفتيته وتقطيع أوصاله «ومن هنا تأتي أهمية مقولة مالك بن نبي الشهيرة حول القابلية للاستعمار حيث يرى أن السبب الاول

في تمكّن الاستعمار من السيطرة على الشعوب الإسلامية يرجع الى السلبيات الداخلية التي يسميها القابلية للاستعمار، وفي الواقع يؤيد كثير من المفكرين والعلماء الحجة القائلة أن الاستعمار ما كان ليستطيع إنزال الهزيمة العسكرية بهذه الثورات لولا وجود ثغرات اساسية في داخلها^{١٧}.

الموقف العثماني من الغزو الايطالي

حاولت الدولة العثمانية عبثا وقف هذا الاحتلال الظالم، واتصلت بالدول الأوروبية لوقف إيطاليا عن حربها؛ فلم تجد أذانا مصغية، فلم تكن تعرف أنه أمر قد بيّت بلبل، وتشوور فيه من قبل في أروقة مؤتمرات التآمر والكيد للعالم الإسلامي، في ٧ شوال سنة ١٣٢٩هـ - ٣٠ سبتمبر ١٩١١م بدأ الأسطول الإيطالي في قصف المدن الليبية؛ فقصفت (درنة) ثم (طرابلس) و(بنغازي)، ونزلت الجيوش الإيطالية السواحل الليبية بثلاثمائة وأربعين ألف مقاتل وكميات ضخمة من الأسلحة والذخائر، في حين كانت الحامية العثمانية تقدر بخمسة آلاف جندي في طرابلس وألفين في برقة، ضعيفة التسليح، قليلة التجهيز.

كان للفكر القومي الطوراني الذي تبناه قادة جمعية الاتحاد والترقي، الذين خلعوا السلطان عبد الحميد الثاني، واستولوا على مقاليد الأمور في الدولة العثمانية، كان لهذا الفكر الأثر الأكبر في تخلي العثمانيين عن الدفاع عن ليبيا وتركها لرجال الطريقة السنوسية يحكمونها ويتولون الدفاع بأنفسهم عنها، فقبل رحيل القائد العثماني أنور باشا عن ليبيا زار زعيم الطريقة السنوسية^{١٨} (أحمد شريف السنوسي)، وأبلغه أوامر السلطان باستقلال ليبيا؛ وهذا الأمر جعل رجال الطريقة السنوسية في مواجهة الاحتلال الإيطالي، وعلى كواهلهم يقع عبء مقاومة الغزو الإيطالي الغاشم.

وفي الوقت الذي كانت فيه الحرب العالمية الأولى قد اندلعت ، ودخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، على حين انحازت إيطاليا إلى جانب الحلفاء، وجد العثمانيون انفسهم مجبرين على تعزيز موقفهم الاسلامي ، فأرسلت الدولة العثمانية عدة قادة لمساعدة الليبيين في حربهم ضد الطليان، وحقق الليبيون انتصارات رائعة على الطليان، حتى إن الليبيين قد حاولوا الهجوم على الإنجليز في مصر، ولكنهم فشلوا، وتنازل أحمد شريف عن الزعامة إلى ابن عمه محمد إدريس، الذي قاد السنوسيين لعدة انتصارات على الطليان ، أجبرت هذه الهزائم المتتالية الطليان على إبرام اتفاقية مع محمد إدريس زعيم السنوسيين، اعترفوا له فيها بحكمه على المناطق الداخلية، كما تعهدوا باحترام الإسلام، وعدم التعرض للزوايا السنوسية، ولكنهم سرعان ما نقضوا هذه الاتفاقية؛ إذ اتضح أنهم ما عقدوها إلا لالتقاط الأنفاس، وحشد القوات، وانتظاراً للإمدادات، وبالفعل هجموا بأعداد غفيرة على طرابلس وأعادوا احتلالها في صفر ١٣٤٢هـ - سبتمبر ١٩٢٣م، ولكنهم لم يستطيعوا احتلال الجبل الأخضر بسبب المقاومة الهائلة التي أبداهها السنوسيون بقيادة البطل عمر المختار؛ وذلك سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م.

احتلت ايطاليا مدن طرابلس وبنى غازي في تشرين الاول ١٩١١ ولما وصل الخبر الى بغداد اصدر الوالي جمال باشا بيانا الى المسلمين طلب منهم ان يهبوا لنصرة الدولة في مواجهة المحتلين ، واثر ذلك خرجت المظاهرات في بغداد ، واعلن جميع العلماء موقفهم المناهض للاحتلال الايطالي ونشرت فتواهم وجاء فيها "هذه جنود ايطاليا قد هجموا على طرابلس الغرب وهي اعظم الممالك الاسلامية بادروا الى ما افترضه الله عليكم من الجهاد في سبيله واعدوا له ما استطعتم" ١٩ ووقع على الفتوى عدد من العلماء الاعلام ، الا ان السيد محمد كاظم اليزدي تأخر في اقرار تلك الفتوى وتشكلت

كذلك في جميع انحاء العراق لجان لتنفيذ الفتوى وجمعت التبرعات وتطوع عدد كبير من المواطنين للمشاركة في عملية الجهاد^{٢٠} ، ان تأخر اليزدي بعض الشيء في اقرار فتوى علماء الشيعة في النجف التي تقضي للجهاد في ليبيا بالرغم من موقفه المؤيد للجهاد ضد المحتل الايطالي سببه عمل اليزدي على اصدار فتوى شاملة ضد جميع انواع التغلغل الاجنبي في العالم الاسلامي ، وعدم حصر الفتوى ببلد دون آخر ، وقد صدرت فتواه العامة الشاملة فعلا ، مؤكدا في فتواه انه يجب على عموم المسلمين من العرب والعجم ان يستعدوا لدفاع الكفار عن ممالك الاسلام بكل صورة^{٢١} .

حملت المرجعية لواء الجهاد دفاعا عن حرمة الإسلام والمسلمين، بغض النظر عن الولاءات المذهبية والحدود الإقليمية والانتماءات العرقية، فحينما تم الاحتلال الإيطالي لليبيا عام ١٩١١م، وقفت القيادة الدينية - الشيعة بكل إمكانياتها إلى جانب الدولة العثمانية في سبيل الدفاع عن ليبيا ، فقد أصدر الشيخ الخراساني فتوى للجهاد والدفاع عن ليبيا ضد الاحتلال الإيطالي لها، وقد أكد هذه الفتوى بعد وفاته، اثنان من كبار المجتهدين هما: السيد محمد سعيد الحبوبى، والشيخ محمد (صاحب الجواهر)، وقد أرسلت (الهيئة العلمية) إثنين من أعضائها إلى ليبيا لغرض الاستطلاع، ودرس إمكانية الاشتراك في حركة الجهاد هما: السيد مسلم زوين وعزيز بك، قائممقام النجف المستقيل عن الاتحاد والترقي، فسافرا إلى طرابلس ومنها إلى الأستانة^{٢٢} .

وتجلى الموقف الجهادي لمجتهدي الشيعة مرة أخرى خلال الاعتداء على إيران من قبل روسيا عام ١٩١١م، (وهو ذات العام الذي شهد الفتوى للجهاد الدفاعي في ليبيا) هذا وأن الحكومة الروسية تدرك من تجربة حية، تأثيرات الفتاوى الصادرة من علماء

الشيعة في النجف وكربلاء وسامراء والكاظمية فهي التي أنهت عهد محمد علي شاه المتحالف معها - من عهد قريب - وأجبرت روسيا على الانسحاب من إيران، ولكنها في هذه المرة، كانت تقدم حججا حول مصالحها الاقتصادية في إيران، إلا أنه يمكن القول، بأن الروس استغلوا الحالة الخلافية المتجذرة بين أنصار المشروطية وأنصار المستبدة. وراهنوا على عدم تفاعل الساحة مع الفتوى الجهادية. لذلك احتلوا شمال إيران في كانون الأول ١٩١١ م.

أن هذا الموقف المبدئي ضد الأعداء المحتلين، لم يتخذ بمعزل عن الدولة العثمانية، بالرغم من عدم وجود التنسيق المطلوب إلا أن الجامع المشترك كان يدعو علماء الشيعة إلى تحمل المسؤولية الشرعية، فقد بعث العلماء برقية إلى السلطان العثماني محمد الخامس جاء فيها: إن العالم الإسلامي يعمه الاضطراب والتأثر البالغ نتيجة الهجوم الشامل الذي يتعرض له الإسلام من كل الجهات، وأنا بصفتنا نمثل الزعامة الدينية لثمانين مليون مسلم جعفري يقطنون في إيران والهند وباقي البلدان، أجمعنا على وجوب الهجوم الجهادي والدفاعي، وحكمنا بذلك. ويعتبر من واجب جميع المسلمين صد وتشتيت مسيبي إراقة دماء المسلمين وصيانة دين محمد (صلوات الله عليه)، وهو واجب عيني، وأنا نعلن لجلالتكم.. الحامل للأمانة المقدسة.. ونرجو أن لا تبخلوا بإعطاء لواء الحمد النبوي (صلى الله عليه وآله) للمسلمين الذين سيحتشدون من شتى أقطار العالم بهدف الدفاع..». وقد وقع على هذه الوثيقة كل من الشيخ الآخوند الخراساني، وعبد الله المازندراني، ومحمد حسين الحائري، وإسماعيل صدر الدين العاملي. هذا، وقد التحق سائر العلماء الآخرين بهذه الحركة الجهادية، وعلى رأسهم السيد اليزدي تأييدا منه للموقف الجهادي العام، فقد أصدر فتواه الجهادية ضد روسيا وبريطانيا وإيطاليا، في أواخر

تشرين الثاني ١٩١١م، جاء فيها: (اليوم هجمت الدول الأوروبية على الممالك الإسلامية من كل جهة، فمن جهة هجمت إيطاليا على طرابلس الغرب، ومن جهة أخرى روسيا على شمالي إيران، وإنكلترا على جنوبها، وهذا يهدد باضمحلال الإسلام. لذا يجب على عموم المسلمين من العرب والعجم أن يهيئوا أنفسهم للدفاع عن البلاد الإسلامية ضد الكفر، وأن لا يقصروا ولا يبخلوا في بذل أنفسهم وأموالهم في تقديم الأسباب التي يمكن من خلالها إخراج جيش إيطاليا من طرابلس الغرب، وجيش روسيا والإنكليز من شمالي وجنوبي إيران، وهذا من أهم الفرائض الإسلامية، حتى تبقى المملكتان العثمانية والإيرانية مصونتين محفوظتين بعون الله تعالى من هجوم الصليبيين) حرر يوم الاثنين خامس ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٩هـ الموافق للسّادس والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩١١م.

أما بيان الشيخ الخراساني، والسيد إسماعيل الصدر، والشيخ عبد الله المازندراني، وشيخ الشريعة الاصفهاني قد جاء فيه.. (إن هجوم روسيا على إيران، وإيطاليا على طرابلس الغرب، موجب لذهاب الإسلام، واضمحلال الشريعة الطاهرة والقرآن، فيجب على كافة المسلمين أن يجتمعوا ويطالبوا من دولهم المتبوعة رفع هذه التعديات غير القانونية من روسيا وإيطاليا.. جهادا في سبيل الله كالجهاد في بدر وحنين)، وقد أكد هذه الفتوى بفتاوى مماثلة، بعد الوفاة المفاجئة للخراساني، إثنان من كبار المجتهدين هما: الشيخ محمد تقي الشيرازي، والشيخ مهدي الخالصي.

وتم تشكيل مجلس تنفيذي يتولى مهام الإعداد والتخطيط للمجاهدين ضم ثلاثة عشر عضوا هم: (السيد مصطفى الكاشاني، السيد حسن صدر الدين، شيخ العراقيين، الميرزا محمد حسين النائيني، الميرزا مهدي بن الآخوند الخراساني، الشيخ جواد الجواهري، السيد أبو الحسن الاصفهاني، الشيخ إسحاق الرشتي، نجل السيد صدر

الدين، الشيخ عبد الحسين الرشتي، الشيخ محمد رضا بن شيخ العراقيين، السيد عبد الله الاصفهاني، السيد محمد رضا أرومية) ، ووضع لهذا المجلس مجموعة قواعد تنظيمية ترعى التحرك الجهادي. وبالفعل تحرك المجاهدون بزعامة العلماء من النجف إلى كربلاء وإلى بغداد، ثم إلى الكاظمية. إلا أن الحكومة الإيرانية طالبت العلماء المجاهدين بالترئس في الحركة الجهادية، وأخبرتهم بأنها في طريقها لحل الأزمة مع روسيا عبر المفاوضات السلمية، وأن القوات الروسية انسحبت من بعض مناطق إيران ، اما السيد مسلم زوين وعزيز بك، قائممقام النجف المستقيل عن الاتحاد والترقي، فسافرا إلى طرابلس ومنها إلى الآستانة ، استبياننا لحاجة المجاهدين في ليبيا وتقديم الاقتراحات للقيادة العسكرية والسياسية في الآستانة ، غير ان مجمل الاوضاع السياسية ، وانفراد العثمانيين بالادارة والقرار حال دون ارسال المجاهدين العراقيين الى ليبيا ، لعدم توفر الدعم اللوجستي من قبل العثمانيين .

المطلب الثاني

حركات التحرير الليبية

كانت ليبيا تتمتع نسبيا باستقلالية الجهاز الديني عن الجهاز السلطوي التابع للحكم العثماني، ولكن بنسب متفاوتة، حسب ما تتطلبه الظروف وتمليه عليهم العقيدة والمذهب، وعلى الرغم من أن السلطة العثمانية قد تركت انطبعا سيئا في قلوب الناس، إلا أن شعب ليبيا لم يخضع نفسيا لذلك الخذلان وقد انتفض تحت القيادة الدينية للتصدي للاستعمار الايطالي ، ولهذا السبب وسمت الثورة الليبية وقيادتها انها قيادات دينية مستقلة عن الحكم العثماني^{٢٣} ، وقد عزز هذا الشعور الازر الكبير الذي تلقاه الليبيين من ابناء الامة الاسلامية ، من خلال الوفود الى وصلت طرابلس معلنة الجهاد للدفاع عن التراب الليبي .

وفي ظل هذه الظروف العصيبة التي مرت بها ليبيا وغيرها من الدول التي وقعت فريسة الاحتلال الغربي، انطلقت طلائع المقاومة من رحم الشعوب المضطهدة، لطرد العدو الغازي من التراب الوطني الإسلامي، وهكذا توالى الثورات والانتفاضات الشعبية ضد الغزاة الطامعين، وكان لابناء بلاد الرافدين موقف جهادي مشرف يتمثل في فتوى الدفاع المقدس ووصول طلائع المجاهدين الى ليبيا لترتيب وصول القبائل العراقية الى تلك الاراضي الاسلامية، غير ان تخاذل العثمانيين وعدم توفيرهم الغطاء السياسي واللوجستي للمجاهدين حال دون وصولهم الى طرابلس

واجهت ايطاليا حركات تحررية ليبية عنيفة قادها الشيخ عمر المختار عام ١٩١١م في ليبيا واستطاعت هذه الثورة ان تحرر مناطق واسعة، وتقيم فيها حكما إسلاميا ، ولم يصف أمرها إلا بالقوة المسلحة الخارجية^{٢٤}، أن هذه الثورة بقيادة علماء الدين المجاهدين قد قاومت الاحتلال الايطالي مقاومة شديدة، ولم تفتش الأرض رياحينا للعدو أيا كانت الأسباب، حتى لو كانت، العداء للظلم والاستبداد العثماني موجودا.

إن الذين دافعوا عن الدولة العثمانية في مواجهة الغزو الغربي، ماكانوا يؤيدون الحكم الفردي المتمثل بنظرية الخلافة العثمانية، فعلماء الدين الذين قاوموا الاستبداد العثماني جاهدوا يوم أن داهم الخطر الأكبر مرابض الأمة الإسلامية ، والسؤال المطروح هنا كيف دافع علماء الشيعة - بالخصوص - عن نظام الخلافة العثمانية، والحال أن هذا النظام مناقض تماما مع الاطروحة الشيعية في الولاية والحكم؟ ليس غريبا أن يكون علماء الشيعة الذين يؤمنون بنظرية الإمامة المضادة لنظرية الخلافة بالقوة، في مقدمة الذين أفتوا بضرورة محاربة الغزاة البريطانيين تحت لواء الخلافة العثمانية؟ ذلك أنهم كانوا يواجهون شرين أحدهما

أكبر من الآخر، الشر المطلق الذي هو سيطرة الغرب الكافر على المسلمين، والشر النسبي الذي هو الحكم التركي المستبد الظالم، وعندما يخير المرء بين شرين، فعليه أن يختار أهونهما دفعا للخطر الاعظم .

وبرز دور الشيخ عمر المختار قبل أن تنعقد له قيادة الثورة، وذلك بعد مواقفه التحريرية المتعددة فغلق الابواب أمام أي وصاية للاستعمار الايطالي على ليبيا، ولهذا عاود الاستعمار، بعد أن طرد من الباب ان يدخل من الشباك، وذلك عبر محاولاته استمالة الشيخ الى جهته، وهو شكل آخر من أشكال السيطرة غير المباشرة.

حركة أسد الصحراء عمر المختار

اضطر محمد إدريس السنوسي للخروج من ليبيا واللجوء إلى مصر، وترك قيادة المجاهدين للمجاهد الكبير عمر المختار، وكان وقتها على مشارف السبعين، وكان من قبل شيخا لزاوية القصور بالجبل الأخضر، وكان من أوائل من جاهد الطليان، وأظهر بطولته نادرة وشجاعة فائقة في القتال، حتى إنه كان يخرج للقتال بنفسه؛ بل يقوم باستطلاع مواقع العدو بنفسه.

حدثت تغييرات سياسية كبيرة داخل إيطاليا، وتسلم موسوليني زعيم الحزب الفاشي زعامة إيطاليا، وكان طاغية جباراً مهووساً بالسلطة، مستبدًا لأقصى درجة، فألغى كل الاتفاقيات السابقة مع الحركة السنوسية، ورفض الاعتراف أو التقيد بالتزامات الحكومة السابقة نحو احترام الإسلام وشعائره، ثم عين "موسوليني" حاكمًا جديدًا على ليبيا، وأعطاه صلاحيات واسعة ووضع تحت تصرفه جيشًا ضخماً يقوده جزار إيطاليا الشهير "جرازياني" ومساعداه الداهية "بادوليو"، الذي أراد أن يتعرف على خطط عمر المختار واستعداداته ومعنوياته، فعرض عليه التفاوض لمعرفة شروطه، فجاءت إجابات المختار لتكشف عن عقيدة راسخة، ويقين فولاذي،

وإيمان يناطح الجبال، وعرف "بادوليو" أن المختار لن ينكس راية الجهاد أبداً، فحشد الطليان أعداداً ضخمة من الجنود جلبوهم من جميع أنحاء إيطاليا، فارتكبوا مجازر وحشية، وانتهكوا الحرمات والأعراض، وهدموا المساجد وداسوا المصاحف وكتب العلم بأقدامهم، ولم تمنع هذه الوحشية المفرطة المجاهدين بقيادة عمر المختار من مواصلة المقاومة، مستخدمين أسلوب الهجمات الخاطفة وحرب

الادب النجفي وفتوى الجهاد في ليبيا سنة ١٩١١ م

تتابعت فتاوى الجهاد من العلماء السنة والشيعة لمقاومة الاحتلال الإيطالي، وعلى أثرها تشكلت - في جميع أنحاء العراق - لجان للدفاع عن ليبيا من السنة والشيعة، ولعب الشيعة فيها دوراً مميزاً رغم أن المعاملة التي كانوا يتلقونها من السلطة العثمانية سيئة.. وفي كربلاء عقد الأهالي اجتماعاً عاماً عند ضريح الإمام الحسين، وألقيت الخطب الحماسية، ثم جرى جمع التبرعات، وفي ١٢ تشرين الأول ١٩١١م، تظاهر ما يقارب الألفين من الأهالي.. وشهدت مدينتا النجف وسامراء تظاهرات مماثلة خلال يومي ١١، ١٧ تشرين الأول، وألقيت فيها الخطب الحماسية، ودعا الخطباء إلى نبذ الخلافات الطائفية وتوحيد الجهود، فقد كان (العراق في بداية هذا القرن كان على صلة بالتيارات الفكرية العربية بمصر وسورية). وكان كثير من صحف هذين البلدين كالمقطم والعروة الوثقى والهلال المصرية والعرفان والمقتبس الشاميتين معروفاً في هذه البلاد، ومع أن معرفة هذه الصحف كان مقتصرًا على عدد ضئيل من أبناء المدن الكبيرة كالنجف وبغداد والموصل، إلا أن أثرها في الحركة الوطنية لم يكن بالقليل أما الصحف التركية، فإنها ولعوامل متعددة كانت منتشرة بين من يجيد اللغة التركية في المدن العراقية المختلفة، ومع هذا فإن تأثيرها في الحركة الوطنية لأسباب سياسية في الغالب كان ضئيلاً وغير

مباشراً^{٢٥} ، وانعكس ذلك في مهرجانات الأدب والشعر، التي كانت تلهب أحاسيس الناس وتدفعها للجهاد، نذكر- للإطلاع- شيئاً من قصيدة (يا بلادي) للشيخ علي الشرقي^{٢٦} التي مطلعها:

كيف أصبحت فأفصحى يا بلادي فيك ما يعقد الرطاب الفصاحا
إن دعونا أرائك الجور طاحت يا دم الأبرياء كنت المطاحا
ما لروما فلا استوى عرش روما فتلت ذيلها وعجت نباحا
جنبت عن نضال كل قوي فأغارت على الزوايا اكتساحا
نطحت برقة، وبرقة واحات من النخل ما عرفن النطاحا
ويقول الشيخ محمد باقر الشبيبي^{٢٧} في قصيدته- ايطاليا وإعلان الحرب:

فيا ايطاليا اعتقدي بأنا سننشرها بأجنحة الظلام
ونضرب بالسيوف لكم رقابا ونحمي بالدفاع حمى الحريم
سلوا إن شئتم اليونان عنا وإن شئتم سلوا حرب الصريم
نصول بكل هدار هزير إذا اشتد الوغى اسد هجوم
نذب عن الحقيقة في حماها ونحمي حوزة الوطن القديم
وللشيخ محمد حسين كاشف الغطاء^{٢٨} قصيدة نهضوية هادفة بعنوان (حرب
الطلليان والبلقان) يقول فيها:

أيها المسلمون هبوا فليس الـ موت إلا حياتكم بهوان
قد دهاكم ويل فماذا التماذي وأتاكم سيل، فماذا التواني
جاءكم جارف من الغرب تيار يهد البناء رأس المباني
يستغيث الإسلام فيكم فيلقي عنه منكم تصامم الآذان

صارخا فيكم فهل من سميع صرخات الإسلام والقرآن
أفیرجو الإسلام لقيان سلم بعد حرب الطليان والبلقان
إلا أن ظروف التحدي كانت كبيرة للدولة العثمانية، فاضطرت لعقد الصلح مع
إيطاليا في تشرين الأول ١٩١٢م، لتفرغ لحرب دول البلقان التي أعلنتها بعد يوم واحد
من التوقيع على معاهدة الصلح هذه، فشرعت جيوش بلغاريا واليونان وصربيا
والجبل الأسود، تهاجم الحدود العثمانية من عدة جهات حسب خطة مدبرة.

الخاتمة

اتسمت الفترة التي اعقبت الحركة الدستورية في ايران، بالحراك السياسي-الفقهي
في النجف الاشرف، سيما وان تدخل الفقهاء في قضية الاصلاحات الدستورية تناول
حكومات ودولا خارج نطاق اقليم العراق، فقد طالت المطالبة بالصلاح الدستوري
كل من تركيا وايران، وظهر في النجف تيارين فقهيين متباينين، احدهما يرمي
الى الاصلاح الدستوري سمي بالـ (المشروطة) ورأسه الفقيه الاخوند الخراساني، واخر
وسم بالـ (المستبدة) ورأسه السيد اليزدي، وقد فتح هذا التدخل السياسي من قبل
الفقهاء الباب على مصراعية لميادين اوسع في تلك الفترة تحت ذريعة ضعف
الدولتين التركية والايرانية، وضرورة اخذ المبادرة من قبل الفقهاء للدفاع عن
الاسلام والمسلمين، فقد توالى الفتاوى لاعلان الجهاد ضد الغزاة الطامعين في ارض
الاسلام.

وقد كان لفقهاء النجف كلمتهم في هذا الميدان، فمن فتوى الجهاد ضد الروس الذين
احتلوا شمال ايران ١٩١١م، الى فتوى الجهاد في ليبيا ضد الغزاة الطليان ١٩١١، الى
فتوى الدفاع المقدس ضد البريطانيين في العراق ١٩١٤، وماتلاها ١٩٢٠، حيث شهد
العراق بقيادة علماء الدين الثورة العراقية الكبرى التي اطاحت بمخططات بريطانيا

في ذلك الوقت ، وقد كان هاجس العلماء ان تكون الفتاوى شاملة عامة لجميع اراضي المسلمين كي لاتتجزأ جهود الامة حسب الاقطار المحتلة ، وذلك يوضح صدور الفتوى بصيغة العموم لجميع المسلمين ولجميع الاقطار الاسلامية .

لقد كان لعلماء الدين في النجف كلمتهم الفصل فيما يتعلق بالخطر الذي كان محدقا بالامة الليبية ، وضرورة تحفيز ابناء الامة للدفاع عن التراب الليبي ، وشهدت تلك الفترة ١٩١١ م ، حالة من الغليان الشعبي في العراق واستعداد منقطع النظير من القبائل العراقية بعد صدور الفتوى من العلماء في النجف والكاظمية للذهاب الى ليبيا وتم تشكيل وفد زار طرابلس واتجه نحو الاستانة لبحث امكانية توفير الاجواء اللازمة لسفر المقاتلين ، غير ان ظروف الحرب وانشغال الدولة العثمانية بحرب البلقان حال دون توفير المستلزمات الضرورية لذهاب المجاهدين ، وذلك يعبر بصدق عن تكامل الحركات التحررية العربية .

الهوامش:

١ . الأخباريون، هم فرقة من الفقهاء الإمامية الذين يعتبرون أخبار وأحاديث أئمة الشيعة كمصدر وحيد للفقهاء واستنباط الحكم الشرعي. ظهرت هذه الفرقة في القرن الحادي عشر، وكانت لا تجوز استخدام الطرق الاجتهادية وعلم أصول الفقه. وفي مقابلها يقع الفكر الأصولي الذي يرى ضرورة العمل بالطرق الاجتهادية والاتكال على علم أصول الفقه لاستنباط الحكم الشرعي ، وقع الصراع فيما بين الأخباريين والأصوليين الإمامية حتى قبل القرن الحادي عشر القمري للهجرة لكن كان بشكل غير رسمي ومعلن، لكن اشتد الصراع في القرن المذكور وساد المصطلحين الأخباري والأصولي وقامت الفرقتين بالوقوف علنا أمام الآخر.

٢ . ينظر : د. ميلاد المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي ليبيا ، ١٩٩٥، ص ١٦٧ - ١٧٢

٣ . ينظر: وليم. س. اسكيو، أوروبا والغزو الايطالي لليبيا ١٩١١ - ١٩١٢ ترجمة ميلاد المقرحي، منشورات مركز جهاد الليبي ضد الغزو الايطالي، سلسلة الدراسات المترجمة (١٤)، ١٩٨٨ ص ١٥ ومابعدها

- ٤ . عبد المولى صالح حرير، التمهيد للعغزو الايطالي وموقف الليبيين منه ، مجلة بحوث ودراسات في التاريخ الليبي ١٩٩١ ، ١٩١٣ الجزء الثاني طرابلس ١٩٨٨ . ص ٣٠
- ٥ . محمد محمد صالح، تاريخ أوروبا الحديث، ١٨٧٠ - ١٩١٤ ، مطبعة شقيق بغداد، ١٩٦٨ . ص ١٤ - ١٥ .
- ٦ . ينظر: مذكرات جيوليتي "الإسرار السياسية والعسكرية لحرب ليبيا ١٩١١ - ١٩١٢" - تعريب وتقديم محمد خليفة التليسي منشورات الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان الطبعة الثالثة، بنغازي. ١٩٨٦ ص ١١ وما بعدها.
- ٧ . عبد المولى صالح حرير، المصدر السابق. ص ٢٦ - ٣٠
- ٨ . المصدر نفسه، ص ٣٢
- ٩ . ينظر: وليم. س. اسكيو، أوروبا والغزو الايطالي لليبيا ١٩١١ - ١٩١٢ ، المصدر السابق ، ص ١٥ وما بعدها
- ١٠ . وليم. س. اسيليكو ، المصدر السابق. ص ٣٢
- ١١ . مذكرات جيوليتي، المصدر السابق. ص ٤٨ .
- ١٢ . منها نقد فلسفة داروين للشيخ آغا رضا الاصفهاني، ويذكر الاستاذ الوردي انه عندما وصلت أعداد «المقتطف» التي نشر فيها شبلي الشميل، مقالات متسلسلة في شرح نظرية داروين، انبرى له عدد من علماء النجف يردون عليها ويفندونها، وكان انشطهم في ذلك الشيخ رضا الطهراني والشيخ جواد البلاغي، فألفوا في ذلك كتباً ضخمة، حتى أن الاصفهاني، أرسل كتابه في نقد نظرية داروين الى شبلي الشميل نفسه، ومما يجدر ذكره هنا، ان الشيخ البلاغي اشتهر في كتابة عدد من المؤلفات التي تدافع عن الإسلام، وتحذر من مخاطر تغلغل الثقافة والحضارة الغربيتين ونظريتهما المادية». ينظر: عبد الحليم الرهيمي- تاريخ الحركة الإسلامية في العراق / ص ١٢٦ .
- ١٣ . عباس محمد كاظم- ثورة الخامس عشر من شعبان ، مطبعة الديار- دمشق ، ط ١ - ١٩٩٦ ، ص ٤٣ و ٤٤ .
- ١٤ . المصدر نفسه ، ص ٤١ و ٤٢ .
- ١٥ . عبد الحليم الرهيمي- تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ، دار الولاء- النجف ، طبعة ١٩٨٧ ، ص ١٢٤ .
- ١٦ . السيد محمد كاظم بن عبد العظيم بن السيد علي الطباطبائي الكسنوي الحسني اليزدي (١٨٣١ - ١٩١٩ م) ولد في احدى قرى يزد ، انحدر من عائلة تمتعت بمهنة الفلاحة، انتقل من القرية الى مدينة يزد وانهى المقدمات فيها ، ثم قرر الانتقال الى مدينة مشهد المقدسة ، فدرس الفقه والاصول والفلسفة والرياضيات ، ثم انتقل من مشهد الى اصفهان بهدف الاستزادة من الحلقات العلمية التي تعقد هناك ويحضرها العلماء ورواج اسواق العلم فيها، برز نجمه في المدينة الجديدة ولفت انظار

اساتذته بفطنته العلمية ، وفيها كلف من قبل استاذة القمي بتدريس كتاب المكاسب لطلبة مرحلة السطوح . واصبح في ضوء امكانياته مؤهلاً لمنح الاجازة من قبل استاذة الذي اغدق عليه الكثير . ثم قرر التوجه الى مدينة النجف التي اوضحت قبلة الساعين للتعمق في مجال الفقه ، غادر مدينة اصفهان الى النجف عام ١٨٦٤ ولم يتجاوز العقد الثالث من عمره وهدفه الاساسي تطوير درسه الفقهي، بعد وفاة السيد حسن الشيرازي صاحب فتوى التنباك برز اكثر من فقيه للمرجعية وتوزع المقلدون على كل من السيد اليزدي والشيخ الخرساني والميرزا حسن الخليلي ، ولكن بعد وفاة الاخيريين صارت المرجعية العامة للسيد اليزدي عام ١٩١١ وظلت حتى وفاته ١٩١٩ ، وبعد وفاته تشتت المرجعية مرة ثانية. انظر : المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب بين سنتي ١٩١٤ و ١٩٢٠ ، نقله للعربية وكتب حواشيه جعفر الخياط ، ط ٢ ، (بيروت ١٩٧١) ، ص ٩٣ .

١٧ . منير شفيق- الفكر الإسلامي المعاصر ، دار القلم- بيروت ، ط ١ - ٢٠١٠ ، ص ٧٦ .

١٨ . الطريقة السنوسية : اسس هذه الطريقة هو السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي من سلالة الملوك الأدارسة، الذين أسسوا الدولة الإدريسية بالمغرب سنة ١٧٢ هـ. ولد ببلدة مستغانم بالجزائر سنة ١٢٠٢ هـ- ١٧٨٧ م في بيت علم وفضل؛ فتشأ نشأة صالحة، ولكنها متأثرة بالصوفيّة تأثراً كبيراً، وتعمق السنوسي في التنقل والترحال، فزار بلاد المغرب العربي كله ثم مصر، والتقى شيوخ الأزهر وأئمة المذاهب، ثم زار الحجاز وحج البيت ، ووضع أسس طريقته التي تقوم على فكرة الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة، والتصدي لكل مظاهر الخروج على الدين؛ وذلك ببساطة ويسر وقد اعتمد السنوسي على إنشاء الزوايا في شتى أنحاء العالم الإسلامي؛ لتكون مراكز بثّ دعوية وإرشادية لطريقته ومنهجه، وبالجملة كانت الطريقة السنوسية طريقة صوفية نشطة، اعتبرت الدولة العثمانية الطريقة السنوسية طريقة مشروعة ورسمية، واعترفت بها، وعندما خرجت من ليبيا سلمتها مقاليد الحكم؛ فقاد أحمد شريف السنوسي زعيم السنوسيين حركة الجهاد الإسلامي ضد الاحتلال الطلياني في طرابلس وبرقة وفزان.

١٩ . محمد علي كمال الدين ، النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨ تحقيق كامل سلمان الجبوري ، ط ١ ، (النجف ٢٠٠٥) ص ١٤٨- ١٥٠ .

٢٠ . ينظر : وميض جمال عمر نظمي ، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق ، ط ١ ، (بيروت ١٩٨٤) ، ص ١٢٢

٢١ . ينظر : كامل سلمان الجبوري السيد محمد كاظم اليزدي سيرته واهواء على مرجعيته ومواقفه ووثائقه السياسيّه حقائق ووثائق ومذكرات من تاريخ العراق السياسي لم ينشر بعضها من قبل ، ط ١ (الكوفة ٢٠٠٦) ص ١٩٨ .

٢٢ . محمد سعيد الطريحي ، مجلة الموسم ، العدد السادس ، المرجعية الشيعية وقضايا العالم الإسلامي: الغزو الإيطالي للقطر الليبي وحرب طرابلس سنة ١٩١١ ، ص ٣٧٧ - ٤٢٥ .

٢٣ . عباس محمد كاظم - المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

- ٢٤ . منير شفيق- الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات ، المصدر السابق ، ص ١١ .
- ٢٥ . عبد الله فياض- الثورة العراقية الكبرى ، مكتبة المتنبي- بغداد ، ط ١ - ١٩٩٤ ، ص ٩٠ .
- ٢٦ . علي الشرقي شاعر وكاتب ووزير. ولد في النجف عام ١٨٩٠ ودرس فيها علوم اللغة العربية والمنطق والفقه والفلسفة. بزغ نجمه في مطلع القرن العشرين كأحد رواد النهضة الأدبية في العراق وكان له دور كبير في تطوير الشعر شكلا ومضمونا. كما كان كاتباً مرموقاً تناول في كتبه ومقالاته القضايا الاجتماعية والسياسية. شغل عددا من المناصب بينها رئاسة مجلس التمييز الشرعي الجعفري وعضوية مجلس الأعيان ووزارة الدولة. توفي في بغداد عام ١٩٦٤ خلفاً وراءه نتاجاً غزيراً من الشعر والنثر ضمنته كتبه المطبوعة والعديد من المقالات والبحوث المنشورة في الصحف والمجلات العراقية والعربية.
- ٢٧ . الشيخ محمد رضا الشيباني (١٨٨٩ - ١٩٦٥) شاعر من نوابغ الشعراء المتأخرين وزعيم وطني، مفكر رصين شديد التؤدة والأناة، ابتلي بالسياسة فكان مصلحاً اجتماعياً مثالي النزعة أكثر منه سياسياً ورجل دولة.
- ٢٨ . محمد حسين آل كاشف الغطاء، (١٢٩٤ - ١٣٧٣ هـ) من مجتهدي الإمامية، ذوي النزعة الإصلاحية، والداعين إلى وحدة الأمة الإسلامية. عمل على تصنيف الدراسات الأصولية والفقهية المقارنة في الحوزة النجفية، ووضع ما يقرب من ثمانين مؤلفاً في مسائل مختلفة؛ خاصة في ما يتعلق بالتعريف بمذهب الشيعة، وقد ترجم كتابه المعروف أصل الشيعة وأصولها إلى عدة لغات، كما كان حريصاً على وحدة المسلمين ، اهتم محمد حسين آل كاشف الغطاء بالعمل الاجتماعي والسياسي وكانت له مشاركة في مواجهة الإنجليز في الحرب العالمية الأولى.
- المصادر

١. رسول محمد رسول ، الإسلام السياسي في العراق العثماني ، دارالنايا للدراسات والنشر والتوزيع- دمشق، ط ١ - ٢٠٠٥ .
٢. ميلاد المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي ليبيا ، ١٩٩٥ .
٣. وليم. س. اسكيو، أوروبا والغزو الايطالي لليبيا ١٩١١ - ١٩١٢ ترجمة ميلاد المقرحي، منشورات مركز جهاد الليبي ضد الغزو الايطالي، سلسلة الدراسات المترجمة (١٤)، ١٩٨٨ .

٤. عبد المولى صالح حرير، التمهيد للغزو الايطالي وموقف الليبيين منه ، مجلة بحوث ودراسات في التاريخ الليبي ١٩٩١، ١٩١٣ الجزء الثاني طرابلس ١٩٨٨ .
٥. محمد محمد صالح، تاريخ أوروبا الحديث، ١٨٧٠ - ١٩١٤ ، مطبعة شقيق بغداد، ١٩٦٨ .
٦. مذكرات جيوليتي "الإسرار السياسية والعسكرية لحرب ليبيا ١٩١١ - ١٩١٢ " تعريب وتقديم محمد خليفة التليسي منشورات الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان الطبعة الثالثة، بنغازي. ١٩٨٦ .
٧. منير شفيق- الفكر الإسلامي المعاصر، دار القلم-بيروت، ط ١ - ٢٠١٠ .
٨. محمد علي كمال الدين ، النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨ تحقيق كامل سلمان الجبوري، ط ١ ، (النجف ٢٠٠٥ .)
٩. وميض جمال عمرنظمي ، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق، ط ١ ، (بيروت ١٩٨٤ .)
١٠. كامل سلمان الجبوري ، السيد محمد كاظم اليزدي سيرته واهله على مرجعيته ومواقفه ووثائقه السياسيـه حقائق ووثائق ومذكرات من تاريخ العراق السياسي لم ينشر بعضها من قبل ، ط ١ (الكوفة ٢٠٠٦ .)
١١. محمد سعيد الطريحي ، مجلة الموسم ، العدد السادس ، المرجعية الشيعية وقضايا العالم الإسلامي: الغزو الإيطالي للقطر الليبي وحرب طرابلس سنة ١٩١١ .
١٢. عبد الله فياض- الثورة العراقية الكبرى ، مكتبة المتنبى- بغداد ، ط ١ - ١٩٩٤ م.
١٣. عباس محمد كاظم- ثورة الخامس عشر من شعبان ، مطبعة الديار- دمشق ، ط ١ - ١٩٩٦ م.

١٤. عبد الحليم الرهيمي - تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ، دار الولاء - النجف ،
طبعة ١٩٨٧ م.

دور المرجعية الدينية في حل المشاكل السياسية والاجتماعية السيد ابو

القاسم الخوئي انموذجا

انوار حميد كريم يعقوب

منتسبة في العتبة العلوية المقدسة

المبحث الاول : نبذة تعريفية عن المرجعية الدينية

المبحث الثاني : دور السيد ابو القاسم الخوئي من القضية السياسية

المبحث الثالث : دور السيد الخوئي من القضية الاجتماعية

المرجع الديني : اذا تصدى المجتهد للافتاء فيما انتهى اليه رايه واجتهاده من مسائل فعمل المكلفون من غير المجتهدين بأرائه ورجعوا اليه فقلدوه فيها باعتباره الاعلم بموجب شهادة الخبرة و التخصص عند مرجعا دينيا وقاضيا بين الناس بالقسط في امورهم المختلفة هاديا الى الحق والهدى والصلاح معلما الكتاب والسنة والحكمة والشرعية مزكيا ومطهرا ما امنكه قلوب المؤمنين من الزيغ والضلال والانحراف حارسا للعقيدة الحققة أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر محافظا على بيضة الاسلام مبينا الاحكام الشرعية لمقلديه وربما متوليا ما استطاع لامر الامة في زمن الغيبة على خلاف بين الفقهاء في سعة هذه الدائرة وضيقها وفي دليلها ومدركها^١

المرجعية الدينية : الجهة التي بلغت الى مستويات عالية جدا من العلم والفقاهة و التقوى بحيث يؤهلها هذ المستوى العالي للتصدي لامور المسلمين الدينية والشرعية

٢

استمدت شرعيتها من القران الكريم والسنة النبوية (فاسالوا اهل الذكر ان كنتم

لاتعلمون)^٣

(وما كان المؤمنون لينفروا كافةً ً فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفةً ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) ٤

واما السنة النبوية فعن ابي خديجة عن الامام الصادق عليه السلام "اجعلوا بينكم رجلا قد عرف حلالنا و حرامنا فاني قد جعلته عليكم قاضيا" ٥

وقد اورد عن الامام الحسين (عليه السلام) "الملوك حكام على الناس و العلماء حكام على الملوك" اي ان ولاية العالم فوق كل الولايات الوضعية و حاكميته فوق كل الحاكميات البشرية ٦

"واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله" ٧.

الهدف من وجود المرجعية

١. سد الفراغ الهائل الذي كان يتوقع بغيبة الامام المهدي (عج) و حتى نتعرف على هذا الفراغ الهائل فهناك مقطع من رواية للامام الرضا (عليه السلام) يتحدث فيها عن دور الامام يقول فيه "ان الامامة زمام الدين و نظام المسلمين و صلاح الدينا و عز المؤمنين"

بالامام تمام الصلاة والزكاة و الصيام والحج و الجهاد و توفير الفيء والصدقات و امضاء الحدود و الاحكام و منع الثغور و الاطراف الامام يحل حلال الله و يحرم حرام الله و يقيم حدود الله و يذب عن دين الله ٨ وهنا الامام عليه السلام يشير الى ان المعصوم عليه السلام يمارس ثلاثة ادوار خطيرة و مهمة

- الدور القيادي و هو ما اشار اليه بقوله ان الامامة زمام الدين و نظام المسلمين و صلاح الدينا و عز المؤمنين اي انما تنظم بوجود منظم يمسك بزمامها وهو الامام
- الدور التشريعي و هو ما اشار اليه الامام " يحل حلال الله و يحرم حرام الله "

• الدور التنفيذي وهو ما اشار بقوله " ويقيم حدود الله "

وهذه الادوار المهمة تتعطل بغيبة الامام عليه السلام فكام تاسيس مشروع المرجعية

الدينية من اجل سد هذ الفراغ الهائل

٢. اعطاء قوة للكيان الشيعي فان كل كيان سواء كان صغيرا او كبيرا انما

قوته بوجود مركز القرار و القوة الذي يحكم عالم التشيع وهي المرجعية الدينية

المباركة^٩

المبحث الاول :

تاريخ المرجعية الدينية في العراق

يعود تاريخ الحوزة العلمية كجامعة للدراسات الاسلامية الى العام ٤٤٨ هـ وهو

التاريخ الذي دخل فيه الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي مدينة النجف وان

العلم اخذ بالازهار في عصره و مما يجدر ذكره ان عملية تلقي العلوم الدينية في

النجف قد بدأت منذ القرن الثالث الهجري ووصلت الى اوج ازدهارها في عهد عضد الدولة

احد الملوك البويهيين وكان اول من فتح باب التدريس على طريقة الاجتهاد المتبعة

اليوم في النجف وهو اول من جمع من علماء النجف بين الحديث و الفقه و الاصول في

مؤلفاته و اوجد هيئة علمية ذات حلقات^{١٠}

نبذة تعريفية عن السيد ابو القاسم الخوئي

ولد السيد ابو القاسم الخوئي محمد بن آية الله السيد علي اكبر الموسوي الخوئي ليلة

النصف من رجب من عام ١٣٧١ هجري الموافق ١٩ كانون الاول ١٨٩٩ في مدينة خوي

من اقليم اذربيجان ، هاجر الى النجف ليتلحق بابيه في الثالثة عشرة من عمره انتسب

الى معاهد النجف العلمية مبتدئا بدراسة علوم العربية و المنطق و الفقه و التفسير و

الحديث وتمرس في طلب العلم على كبار عصره من آية الله الشيخ فتح الله المعروف

بشيخ الشريعة والشيخ المازندراني وآية الشيخ ضياء الدين العراقي وغيرهم^{١١}

المبحث الثاني : دور السيد ابوالقاسم الخوئي من القضية السياسية

بعد وفاة السيد محسن الحكيم ١٩٧٠م صارت المرجعية الدينية يتقاسمها اكثر من فقيه و تشطرت بين آية الله السيد محمود الشهرودي و بين السيد ابوالقاسم الخوئي الا ان زعامة الامام الشهرودي و مرجعيته لم تنتشر على نطاق واسع .

يعيد عصر الامام الخوئي عصور الازدهار العقلي لمدرسة الاجتهاد اي المحقق ايام المحقق الحلي القرن السابع الهجري و لعصر الشيخ الانصاري القرن الثالث الهجري كان السيد ابو القاسم الخوئي مترويا كثير من ابداء موافقة السياسية بصورة علنية لاسيما ما يتعلق منها بالامور الداخلية للعراق بسبب السياسات الجائرة التي انتهجتها السلطة الحاكمة في العراق بحق كل من بيدي موقفها يخالف سياستها يصل الى بعض الاحيان قيامها باعتقال او اغتيال المعارضين لسلطتها وقد تعرض السيد الخوئي لضغوط كبيرة من قبل السلطة الحد الذي ادى عم السماح بطباعة كتبه الفقهية الا بعد حصول موافقة وزارة الاعلام و حذف بعض الفقرات والمسائل التي لا تروق للسلطة^{١٢}

استطاع السيد ان يجمع الوحدة بين الحوزات في ايران والعراق وبقية العالم بفتوى خاصة في ارسال رسالة الى اربع وعشرين عالما و مرجعا الى ايران مبينا فيها انزعاجه من القوانين الجائرة التي تويدها الصهيونية والبهائية والمخالفة للشرع الاسلامي، حيث نفذ الشاه بنود الثورة البيضاء بعد اجراء الاستفتاء الشعبي على اصلاحاته من خلال الاعتماد على رجال سلطته وواجه معارضة شديدة من قبل علماء ايران فقامت قواته

بالحجوم على مجلس عزاء في المدرسة الفيزيائية في ١٩٦٣ و تم الاعتداء على الحاضرين وقتل عدد من طلبة العلوم الدينية^{١٣}

عندما توفي السيد البروجردى والذي كان مرجع الطائفة في زمانه لاسيما في ايران تصور الشاه حينئذ ان المرجعية قد انهارت وان له ان يصنع ما يريد من غير ان تواجه قوة فأراد اولا ان يحول ارض قم المقدسة وهي مدينة العلم الى مدينة ملاة وبارات ثم غير في بنود الانتخابات فحذف كلمة الاسلام من شروط الناخبين والمنتخبين وجعل من ضمن البنود ان المنتخب يحق له ان يقسم باي كتاب سماوي سواء كان الانجيل ام التوراة ام القرآن بلا فرق كما كون علاقة مع الصهانية و اعترف رسميا بدولة اسرائيل وكان اول من اعترف بذلك^{١٤}

ونظر السيد الخوئي الى الشيوعية كعقيدة فلسفية تتاقض اصول الدين الاسلامي الحنيف فلم تؤمن بالعقيدة الإسلامية او بنظامها الاجتماعي والاقتصادي وهي لدية كفر والحاد وقد عد محاولة نشر الفكر الماركسي في بلاد المسلمين سلاحا فكريا بيد الغرب للنيل من البناء العقائدي الاسلامي لالبناء الامة وقد اشار الى ان الشيوعية كنظام اقتصادي واجتماعي تتاقض قوانين الاسلام التي يجب على المسلمين كافة الدعوة اليها كما يحرم عليهم الدعوة الى غيرها من النظم الاجتماعية لان الاسلام وحده خيرة رب العالمين ورسالة خاتم النبيين وحذر من تنامي الفكر الشيوعي في العراق بحكم انتمائه العقائدي في مجتمع افترض انه مغلقا على بنائه العقائدي والديني فلم يتوان من الوقوف الى جانب العلماء ممن اتخذوا مواقف صارمة ازاء المد الشيوعي والشيوعيين وافتوا بحرمتها والتصدي لمتني

وابرز السيد موقفه من رفض اصدار بيان ضد الجمهورية الاسلامية الايرانية بطلب الحكومة العراقية على الرغم من ضغوطها خلال الحرب العراقية الايرانية ١٩٨٠ -

١٩٨٨ فقد قام طه يسن رمضان نائب رئيس الجمهورية عام ١٩٨٦ بزيارته بصورة مفاجئة و طلب منه اصدار بيان يستنكر فية استمرار الحرب ومحملا مسؤولية استمرارها الحكومة الايرانية لكنه رفض طلبه الامر الذي ادى الى تضيق الحصار عليه واعتقال عدد من تلامذته ،

يمكن الامام بالظروف القاسية التي مرت بالسيد ومنها حربين شرسين ظالمتين اثارهما النظام حرب الخليج وغزو الكويت وقد ضغط النظام على الامام الخوئي ان يشجب الحرب الايرانية ويؤيد غزو الكويت ولم يلبي اي طلب منها وبالعكس شجب القتال بين المسلمين وتدمير مدن الطرفين بما لامر له وبالنسبة للثاني فانه اعلن معارضته و تحريم اقتناء و التداول باي لون بكل المنهوبات باعتبارها اشياء منهوبة ومسرقة من بلد مسلم ١٥

بالإضافة الى اعدام كوكب من العلماء في عصره امثال السيد محمد باقر الصدر وغيرهم حاول نصيحة النظام بالكف عن هذه الاعمال الاجرامية بحق الشعب المظلوم ولكن لم تلق اذانا صاغية

حاولت السلطة الجائرة في البلاد ان تشتت طلاب الجامعة العلمية الدينية في النجف الاشرف وهدم المعالم الاثرية والتاريخية كالمساجد القديمة والمدارس المعدة لسكن طلاب العلوم الذين يؤمنون النجف من اجل الاستفادة من دروس فكر اهل البيت (عليهم السلام) ومنع الزوار الذين يرمون تجديد العهد بمراقد الائمة الطاهرين في النجف و كربلاء و الكاظمية و سامراء و الاولياء الصالحين و قلصت السلطة و منعت الدخول للعراق خشية ان يطلعوا على الدمار المنتشر في المدن الكبرى وخاصة التي تضم مراقد الائمة (عليهم السلام)

تختلف وجهات النظر في تقدير سياسة آية الله الخوئي في الطرح العام واتخاذ قراراته في العمل السياسي فبعض يرى ان الامام الخوئي بعيد عن ممارسة السياسية لا يتدخل في كبيرها ولا في صغيرها و الاخر يرى ان سماحته يتدخل في الازمات وفي حدود ضيقة والثالث يرى ان الامام الخوئي لا يقول بولاية الفقيه ولا يرضى باسلوب العنف بل يعمل بطريقة النقد البناء والمعارضة الايجابية وتحت سقف (ووجداهم بالتي هي احسن) ^{١٦}

اي ان الامام الخوئي لا يذهب الى ولاية الفقيه التي قامت عليها الثورة الاسلامية وولاية الفقيه هي العنصر الاساسي الذي خول الامام الخميني ان يقيم الحكم الاسلامي في ايران وان كثير من علماء الشيعة في العراق وايران ولبنان يخالفون هذا المبدأ ويرون بعد ولانهم عن الاسلام ولاية الامة على نفسها وهو المصطلح الذي يقابل سيادة الشعب في نظم الحكم الحديثة ^{١٧}

كان السيد ينطلق في ولاية الفقيه من الامة والمجتمع والمسؤولية العامة وكان يرى ان ولاية الله مطلقة بأطلاق ذاته وولاية و ولاية السول (ص) متسعة باتساع نبوته وخاتمتها وهي مشتقة من الولاية الالهية على خلقه (النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم) عادا لسيرته قولاً وفعلاً ومنهجه القويم في الادارة مصدرا اساسا لا في التشريع وحسب انما منهجا علميا و فاعلا في تنظيمات المجتمع و الدولة وعلى الصعد كافة .

واوضح ان الولاية للأمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) حتمت ولايته على المسلمين كونها و حسبما اشار انها ولاية مشتقة عن ولاية الرسول محمد (ص) هي بالتالي مستندة الى الولاية الالهية وان امامته متمما للرسالة واستمرار لوجودها عادا موقف الرسول (ص) في يوم الغدير ولاية الائمة المعصومين (عليهم السلام) قائمة

على مستوى امامتهم في حين ولاية الفقيه الجامع للشرائط عدة مناصب الأول الافتاء في المسائل الفرعية و الموضوعات المستنبطة و غيرهما مما يحتاج اليه الانسان العامي في عمله الثاني منصب القضاء والحكم في باب المرافعات وغيرهما اما المنصب الثالث ولاية التصرف في الانفس والاموال وهو الذي وقع فيه الخلاف حول ثبوت الولاية المطلقة للفقيه الجامع للشرائط واكد بعدم قيام الفقيه بمنزلة الامام

(عليه السلام) في وجوب اطاعته في اوامره الشخصية او في نفوذ تصرفاته في الاموال و الانفس من غير اعتبار رضا صاحب المال كما كن معظم فقهاء الامامية يقولون بعدم ثبوتها الم يجد آية دلالة على الولاية المطلقة للعلماء من خلال الروايات الواردة بشأن الفقهاء منها العلماء امناء الرسل لان كونهم امناء لا يستدعي نفوذ تصرفاتهم في الاموال والانفس باعتبار ان معنى الامين ان لا يخون الوديعة المجعلولة عنده من الاحكام او غيرها وقوله (ص) "علماء امتي كأنبيا بني اسرائيل" لا دلالة فيه على الولاية المطلقة للعلماء بوجه من الالوجه فان تشبيههم بأنبياء بني اسرائيل كونهم كانوا مختلفين في مكان دعوة النبوة في المدينة او القرية وبين السيد الخوئي ان الاستدلال بأطلاق الحجة على العلماء في قول الامام المهدي (عج) "هم حجتي عليكم وانا حجة الله" هي ليست دلالة على الولاية المطلقة لان الحجة مناسبة للإفتاء و القضاء ولايناسب الولاية على التصرف في الاموال والانفس فيما استدل على ولاية الفقيه في الاموال بوجهين احدهما ان يصدى لامور الصغار و المجانين و يتصرف في اموالهم بالبيع و الشراء ونحوهما من لم يكن له خليفة يقوم بهذا الامر اما الوجه الثاني فكان في خصوص التنازع في الميراث او دين لافي جميع الامور وهذا في منصب القضاء و المحاكمة لهم فلا يستفاد منه في الولاية المطلقة للفقيه بوجه من الوجوه

اوضح السيد ابو القاسم الخوئي ان الدين الاسلامي يحتوي على سياسات قادرة على ان تقود المسلمين الى حياة حرة كريمة تغنيهم عن الانصهار في سياسات واردة غير مشروعة ورأى ان السياسة الإسلامية سلطنة زمنية مستمدة اصولها من اسس الشرع القويم الى جانب سياسة وسيرة الرسول محمد (ص) واولى اهتماما كبيرا لطبيعة الحكم في الدولة الإسلامية فتحدث عن اساليب الادارة الاجتماعية والسياسية التي اعتمدها الرسول الاعظم (ص) على المستويات كافة خاصة في ادارة المدن وبيت المال والقضاء وقيادة الجند والعلاقات مع دول الجوار فضلا عن الاسس والثوابت والقيم الانسانية والمبادئ السماوية التي بنيت عليها تلك الدولة ثم قدم نموذجا ساميا من نماذج ادارة الحكم باقامة العدالة والمساواة بين الرعية مهما كانت مكانته المرء و منزلته وقربه من الحاكم فالرعية عنده سواء وهذا ارضن نجاح الحكومة ومقدمات بنائها واوجب على الحاكم الامانة والنزاهة والحفاظ على المال العام فضلا عن ترك الاجتهاد الشخصي في صرف المال بدون موافقة الولي الشرعي المقترن برضا العامة وشكل الجهاد ركنا اساسيا في فكر السيد الخوئي باعتباره فض كفاي في اصل الشريعة الإسلامية المقدسة وعده القوة الفاعلة لحماية المجتمع والدولة في المنظور الاسلامي^{١٨}

وكان السيد ابو القاسم الخوئي من القلائل الذين قالوا بوجوب الجهاد الابتدائي في عصر الغيبة اذ رأى ان الظاهر عدم سقوط وجوب الجهاد في عصر الغيبة وثبوته في كافة الاعصار لدى توفر شرائطه مع الاعتماد على اراء المسلمين من ذوي الخبرة في موضوع ، وضح السيد ايضا رفضه للروايات التي تحرم الخروج على الحكام وخلفاء الظلم والجور قبل قيام القائم (عج)^{١٩}

رعاية الانتفاضة الشعبانية

لما انتفض الشعب العراقي ١٤١١ هـ ضد الحكومة البعثية الظالمة في اواخر حياة السيد الخوئي تكفل برعاية تلك الانتفاضة رعاية شرعية حتى اصبح بيته مركز للقيادة السياسية وفي ذلك تحمل اعتقال تلامذته و المعتمدين عنده و اولاده و اصهاره وقتل بعضهم ٢٠

امضى اكثر من ستين عاما مشغولا في بحوث الاجتهاد و التحقيق داخل الحوزة العلمية و قد امتد عمره الشريف قرابة قرن شه

فيه اهم الاحداث في القرن العشرين فقد عاصر الدولة العثمانية و القاجارية كما شهد انهيار الدولة العثمانية اما الغزو الاوربي و عاصر ثورة النجف و ثورة العشرين في العراق و الثورة الدستورية في ايران و اخيرا قيام ثورة الشعب المسلم في ايران و انتصارها بقيادة الامام الخميني و تسلم العلماء مقاليد الحكم و قد اختار الفقيه الراحل دورا علميا و فكريا و سعى من اجل الحفاظ على استقلالية المؤسسة الدينية و كرس تراث ائمة و علماء المسلمين الشيعة في عدم خضوع علمائهم للحكم الجائر و تقويم مهمة اغناء الفكر و التراث على مهمة التصدي لشؤون ادارة الدولة السياسية ٢١

المبحث الثالث : دور السيد الخوئي من القضية الاجتماعية

من اهم واجب ايجاد الصلاحيات اللازمة في اوساط الحوزات من اجل مواجهة الازمات الفكرية و لعل البعض لا يدرون بما يدور في اذهان جمع من الشباب لانهم لا يهتمون بذلك ان ناك اليوم من المراكز في الداخل و الخارج من تصب كافة جهودها على محاولة تغييب الشباب عن مباني الاسلام و المفاهيم الالهية وذلك عن طريق خلق المشاكل و اثاره الشكوك و الريب بكلام لامضمون له و ان كان براقا في مظهره

لاي من للحوزة تجاهل هذه النشاطات التي بمقدروها القاء الشباب في خضم الازمات

الفكرية منذ حوالي اربعين سنة الاحادي الماركسي يكثل احدى الازمات ٢٢

ان فكر الامام الخوئي وتفكيره نقل الدعوة الاسلامية الى خارج البلاد بما يناسب مع العصر الحديث لتربية الجيل المسلم كما تتطلب حياتهم فخطط لفتح مراكز اسلامية في دول بعيدة عن المحيط الاسلامي في اوربا وامريكا وكندا واستراليا وعلى ان تضم مدراس على مختلف اصعدتها ومكتبات عامة تسد حاجات المسلمين و تصدرت مشاريعه انشاء مؤسسة عالمية خيرية تتمتع بشخصية قانونية تقوم بجميع الخدمات الاسلامية الفاعلة ٢٣

حارب السيد الخوئي بعض النزعات العشائرية الموجودة في الدول العربية وخاصة في العراق والتي تعود هذه العادات والتقاليد في الجاهلية وخاصة عن المرأة كما اوضح في كتاب السانية الشرعية السنن العشائرية على ضوء فقه اهل البيت (عليهم السلام)

١: حيث شرط في تزوج المرأة البكر اذن الولي وهو الاب والجد للاب الا اذا منها الولي من التزويج بالكفو شرعا وعرفا فانه تسقط ولايته حينئذ

٢. الاكراه لا يجوز للاب والجد فضلا عن غيرهما فرض الزوج على المرأة البالغة الرشيدة سواء كانت بكرا او غير بكرا فان التزويج بالاكراه من ابن العم او غيره محرم لها دينيا

٣. النهوة . لا تجوز النهوة مطلقا.

٤. لامانع لدينا من تزويج بناتنا لابناء العشائر الاخرى سواء كانوا من السادة او غيرهم ولاندعي اننا افضل من غيرنا او فوق مستوى الآخرين وكلنا لادم وادم من تراب

٥. لا يجوز جعل المرأة التي كرمها الله تعالى دية و دفعها فصلية فان ذلك من اشد

المحرمات

٦. تعذيب الضحية يحرم ايذاء المرأة او معاقبتها فضلا عن قتلها عندما تتعرض

للاعتداء او التحرش الجنسي بلا اختيار منها

٧. زواج الشغار لا يجوز الزواج المسمى (كصة بكصة) لحرمة الشرعية

٨. لا يجوز من ارتكبت الخطيئة بحجة غسل العار ويرجع الى الحاكم الشرعي من

يبحث عن الطريق الصحيح لردع المرأة الاثمة^{٢٤}

واهتم السيد الخوئي بتأسيس المشاريع التي تخدم وتكفل المجتمع العالم منها

١. في قم انشا مدينة كاملة تحتوي على بيوت ومستشفى ومدارس اسمها مدينة

العلم

٢. في لبنان قام بانشاء المبرات الخيرية التي شيدها كمبرة الامام الخوئي للايتام

وتتكفل برعاية الاف الايتام

٣. مركز الامام الخوئي في نيويورك

٤. مركز الامام الخوئي في لندن

٥. دار العلم للسيد الخوئي في بانكوك^{٢٥}

ملخص البحث

تحتاج الامة الاسلامية بعد الرسول (ص) و الائمة (عليهم السلام) من يوضح لهم

تعاليم دينهم باعتبار ان الامام الثاني عشر غائب (عج) ويجب من ينوب عنه بتقديم

التعاليم الدينية الصحيحة المستندة الى القرآن الكريم و روايات اهل البيت و لة

مواصفات خاصة للقيام بذلك من درجة العلم و الاخلاق و الفطنة و الشجاعة

ويكون قادرا على مسك زمام الامور وحل جميع المشاكل السياسية والاقتصادية

و الاجتماعية ولا يكون ذلك الا بالانخراط مع المجتمع لحل القضايا المتعلقة بحياتهم وفق تطبيق دستور القرآن الكريم بحيث يضمن لهم مصلحة وكرامة الانسان وهذا ما وجدناه في شخصية السيد ابو الاسم الخوئي لما له متابعة امور المسلمين في كافة انحاء العالم ويبرز دور المرجعية هنا للتصدي لأعداء الاسلام والذي كان له السيد الخوئي اول مواجه له بعد تقليده المرجع الديني للامة واصدر الفتوى الخاصة لاعداء الامة و كما كان السيد محسن له الدور في محاربة الشيوعية

الهوامش:

- ١ عبد الهادي الحكيم ، حوزة النجف الاشرف النظام و مشاريع الاصلاح ، الطبعة الاولى ، مؤسسة آفاق للدراسات والابحاث العراقية - بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ١٧٥
- ٢ القطيفي، المرجعية الدينية مشروع السماء في زمن الغيبة ، الطبعة الاولى ، دار زين العابدين ، قم المقدسة ، ٢٠١٧ م ، ص ١١
- ٣ النحل آية ١٦
- ٤ التوبة آية ٩
- ٥ العامللي ، محمد بن الحسن الحر ، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ١٣٩ ، ٢٧ ، الباب ١١ ، الحديث ٦
- ٦ الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني ، تحف العقول عن آل الرسول ، الطبعة الاولى ، المكتبة الحيدرية - ايران ، ص ١٧٠
- ٧ الغيبة ، الطوسي ، ٢٩١
- ٨ الكليني ، محمد بن يعقوب بن اسحاق ، الكافي ج ١ ، احياء الكتب الاسلامية ، ايران ، ١٤٢٨ هـ ، ص ٢٠٠
- ٩ الطيفي ، ضياء عدنان الخباز ، المرجعية الدينية مشروع السماء في زمن الغيبة ، الطبعة الاولى ، دار زين العابدين ، قم ، ٢٠١٧ ، ص ٣١-٣٢
- ١٠ احمد الواسطي ، سيرة وحياة الامام الخوئي ، الطبعة الاولى ، دار الهادي ، بيروت ، ١٤١٩ هـ ، ص ٣٥.

- ١١ بحر العلوم ، محمد صادق باقر، النجف الاشرف بين المرجعية و السياسة ، الطبعة الاولى ، دار الزهراء ، بيروت، ٢٠٠٩ ، ص ٢٦٥
- ١٢ مكتبة الامام الخوئي العامة ، تقرير الاعلام العراقية حول حذف فقرات من كتاب السيد الخوئي الصلاة احمد الواسطي / ص ٤٣
- ١٣ احمد الواسطي / ٤٦
- ١٤ القطيفي، ٣٦٠ ص
- ١٥ بحر العلوم ، النجف الاشرف بين المرجعية و السياسة
- ١٦ بحر العلوم / ص ٢٧٣
- ١٧ بحؤ العلوم ، ص ٢٧٣
- ١٨ الجزائري ، محمد جواد ، السيد ابوالقاسم الخوئي رؤاه ومواقفه السياسية ، الطبعة الاولى ، الرافدين، لبنان ، ٢٠١٧ ، ص ٣٤- ٣٥
- ١٩ الجزائري ، ص ٣٦
- ٢٠ القطيفي، ٣٦٠ ص
- ٢١ الواسطي، ص ٩١
- ٢٣ بحر العلوم ، النجف الاشرف بين المرجعية والسياسة ، ص ٢٧٢
- ٢٤ حازم الميالي، السانبة الشرعية / الطبعة الاولى ، المطبعة العالمية ، النجف الاشرف ، ٢٠١١ ، ص ١١٠-١١٣
- ٢٥ القطيفي، ص ٣٥٦
- المصادر
- القرآن الكريم
- عبد الهادي الحكيم ، حوزة النجف الاشرف النظام و مشاريع الاصلاح ، الطبعة الاولى ، مؤسسة آفاق للدراسات والابحاث العراقية - بغداد ، ٢٠٠٧ ،
- القطيفي، المرجعية الدينية مشروع السماء في زمن الغيبة ، الطبعة الاولى ، دار زين العابدين ، قم المقدسة ، ٢٠١٧ م
- وسائل الشيعة ١٣٩، ٢٧، الباب ١١ ، الحديث ٦
- تحف العقول عن آل الرسول ، ص ١٧٠

٢٥ الغيبة، الطوسي، ٢٩١

- الكافي ١، ٢٠٠ ص

- الطيفي، ضياء عدنان الخباز، المرجعية الدينية مشروع السماء في زمن الغيبة،

الطبعة الاولى، دار زين العابدين، قم، ٢٠١٧

- احمد الواسطي، سيرة وحياة الامام الخوئي، الطبعة الاولى، دار الهادي، بيروت،

١٤١٩ هـ،

- بحر العلوم، محمد صادق باقر، النجف الاشرف بين المرجعية و السياسة، الطبعة

الاولى، دار الزهراء، بيروت، ٢٠٠٩

- مكتبة الامام الخوئي العامة، تقرير الاعلام العراقية حول حذف فقرات من كتاب

السيد الخوئي الصلاة احمد الواسطي / ص ٤٣

- الجزائري، محمد جواد، السيد ابوالقاسم الخوئي رؤاه ومواقفه السياسية، الطبعة

الاولى، الرافدين، لبنان، ٢٠١٧.

- حازم الميالي، السانبة الشرعية / الطبعة الاولى، المطبعة العالمية، النجف الاشرف،

٢٠١١.

THE ROLE OF ISLAMIC THOUGHT AND INSTITUTION MARJAAAT IN COUNTERING EXTREMISM

Professor Nikita Filin

Radicalism and extremism threaten the security of many countries. Among the various aspects of this phenomenon, its ideological side is of particular importance. On the whole, Sharia and Islamic jurisprudence by their nature openly oppose international terrorism. The decisions of the leading centers of Islamic legal thought reject the ideology of the radicals.

To solve the problem of extremism, the interaction of various institutions, both state and public and religious, is necessary. The limited number of leaders who can lead the masses to traditional Islam has caused a large number of young people to leave their homes and go to war on the side of various terrorist groups. In this regard, we are convinced that the role of Islamic thought and the institution of religious mentoring (marjaata) in countering extremism is very important. The authority of mentors and their ability to influence the political environment is evidenced by a number of examples from history and modernity. Among them, Ayatollah Sayyid Ali Sistani's publication of a fatwa in June ٢٠١٤, calling on Iraqi citizens to defend the country, its people and holy places from militants; conviction by high-ranking clergymen

(Shoberi Zanjani, Safi Golpayegani, Mousavi Ardebili, Makarem Shirazi, Jafar Sobhani, Yousef Sanei) of crimes committed by extremist groups; calls for Shiite and Sunni leaders to establish a dialogue between the followers of these two directions, and others. Over the entire period of its existence, mankind has sought to form an ideal model of interaction between various groups, both in the field of public interests and in the spiritual sphere. However, often the search for a path of peaceful coexistence led to the emergence of extreme ideas and due to the desire to prove superiority. views of representatives of one group over another. The rapid pace of development of modern society, along with the processes of globalization that determined the openness of nations and nationalities, on the one hand, contribute to the achievement of progress in various fields, on the other - cause the development and active dissemination of extremist sentiments. Extremism today, of course, is one of the most serious national and transnational threats. In its various manifestations, it carries a danger to the integrity of the country and its citizens, regardless of their national, religious, linguistic, social, or racial affiliation. The main feature of extremism is ideology, that is, a system of ideas and attitudes that are extreme or radical and manifest in intolerance towards carriers of other values. Extremism can be described as one person's activity or

groups of people, far from the norms, order and rules accepted in society. Meanwhile, the definition of the norm is often of a subjective political nature, which complicates the identification of extremist actions. Another difficulty arising in the way of combating this phenomenon is connected with the idea of justice: for some people, actions of an extremist orientation may often seem fair, perpetrated for the good purpose, while representatives of opposing views directly associate such activities with crime. However, it should be clarified: people who resort to extremism do not always use violence to achieve their goals, and the results of their efforts are not necessarily negative, which is clear if we consider this phenomenon from the point of view of excessiveness, extremes in any activity. Thus, in themselves, actions regarded as extremism can be used, in particular, to draw attention to a pressing social or political problem. However, in this report, extremism is seen as calls for violence, the struggle aimed at inciting hatred towards the opposite side. Most often, the studied phenomenon is divided into several main categories: political, national, racial, and religious. At the same time, from the point of view of the influence of the institute of spiritual mentoring - marjaat - on preventing the manifestation of extremist sentiments in society, the religious variety is of particular interest. This type is most dangerous for countries or particular areas with a multi-

faith population. The main tasks of the state and society, aimed at preventing the development of religious extremism, experts include the following:

he normalization of the political situation in the country;

-the formation of the spirit of social peace, tranquility;

- preventing political, interethnic and interfaith conflicts, social disagreements in society;

- identification and gradual elimination of the causes and conditions conducive to the emergence and spread of religious extremism;

- raising the cultural and educational level of the population, the study of religion, history, culture and traditions;

-increase interfaith understanding;

-the formation of tolerance between ethno-confessional formations;

- opposition to the involvement of citizens in religious extremist groups, communities, organizations;

- countering the dissemination of information and literature, extremist materials aimed at inciting interfaith conflicts;

-the development of recommendations for the improvement of the activities of subjects of counteraction to extremist activities for the prevention of religious extremism, the improvement of methods

and technologies for their interaction with public and religious associations.

Islamic extremism in this context is a particularly interesting topic; Moreover, an analysis of the causes of its manifestation (including among Muslim youth) is important for understanding the problem as a whole. This kind of extremism is motivated by the interpretation of Islam, in which the Shari'ah acts as the only comprehensive religious and political system. The establishment of the power of an Islamic state in all countries with a predominantly Muslim population, and ultimately throughout the world, is the ultimate goal pursued by Islamic extremists who reject in this regard any manifestations of democracy, as well as human rights. They are convinced that they are acting in the name of justice and freedom. To achieve the main goal requires the elimination of non-Muslim armed forces from Muslim territories, as well as the overthrow of the regimes of opponents.

Extremists, using Holy Scripture, tend to impose their religious views on representatives of other religions, often through violence and cruelty. The main stumbling block is the interpretation of the texts of the Quran, which call on Muslims to fight the enemies of Allah.

Over the centuries, Islamic political and legal thought has accumulated a multitude of ideas and ideas on all key issues that

are directly related to modern terrorism. In particular, they concern the interpretation of the foundations of power and law, the interrelations of the state and the individual, the status of the pagans and relations with non-Muslim countries, the justification of permissible methods of political struggle. The main specific prescriptions of Islam on these issues were formulated on the basis of *ijtihad* - a rational search for solutions to issues not resolved in the Qur'an and Sunnah, or the interpretation of allowing for different understanding of the provisions of these sources. The few rules of war that they had or relations with the Gentiles formed in the initial period of the emergence of Islam as a religion and state, of its intense rivalry with political ideological opponents. As a result, many of these norms reflect realities that remain in the distant past, but modern Islamic thought cannot ignore them. Some of them, most often taken out of the historical context of their formation, are nowadays often used to justify political extremism, intolerance and cruelty.

Islamic extremists are convinced that they have the right to create violence against those who do not obey the will of Allah, including Muslims who do not share their views. To justify such a right, the well-known concept is used, in particular, according to which a Muslim is obliged to encourage everyone to follow what is established by sharia as mandatory or encouraged and prevent the

commission of something prohibited by them. Finally, one of the central places in the ideological platform of the supporters of terrorism under Islamic slogans is the concept of non-recognition of any authority deviating from the sharia regulations. It is important to emphasize that the terrorists refuse to recognize the power belonging not only to the wrong, but also to the Islamic rulers, if the latter, in their opinion, deviate from the Shari'a.

An analysis of traditional and modern Islamic thought leads to the conclusion that a prominent place in it is occupied by principles that reject radicalism. These values in Islamic jurisprudence can be found convincing justification. It is not by chance that modern Muslim thinkers come to the conclusion that the postulates that play the role of the ideological basis of terrorism under the name of Islam, are contrary to the general meaning of the Shari'a. The main thing in it is the comprehension of its main objectives, the comparison of the damage and benefits that the practical implementation of the provisions of the Koran and Sunna can bring. Given this sharia's orientation, authoritative representatives of modern Islamic thought refute extremist views precisely by Islamic legal arguments. This, above all, concerns jihad, which the Islamic thought interprets in different ways. Muslim jurists distinguish the narrow and widespread meaning of jihad. In the narrow sense, jihad means the rules of war developed by Islamic

legal thought and the legal consequences of its termination. This is how traditional traditional fiqh jihad understood - as an Islamic science about the rules of people's external behavior, reducing it to the rules of preparation and conduct of hostilities. The attitude towards jihad in general in fiqh is reproduced in general by modern Islamic legal thought. It should also be borne in mind that the traditional fiqh proceeded from the possibility of waging war only against non-Muslims. Therefore, the widespread, albeit incorrect, definition of jihad as a "holy war against the infidels" should not be surprising. And the practice of terrorists, who call their actions jihad, would seem to confirm the correctness of such an understanding of it. At the same time, modern Islamic thought, analyzing the meaning of this phenomenon taking into account all the provisions of Sharia, understands it much more widely. Jihad, in general, refers to efforts aimed at the implementation of the commandments of Allah in a variety of ways, up to the assertion of Islam by armed means. Within the framework of such an understanding, modern Muslim jurists identify two main variants of jihad - the so-called preaching and military (armed). The first implies, as the Muslims say, addressed to all people "a call to embark on the path of Allah." It includes the promotion of Islamic truths, as well as any efforts aimed at self-improvement and building a true Islamic society, based not on literally following the

provisions of Sharia, but mainly on implementing its leading principles, values and goals. Moreover, preaching jihad excludes any violence against non-Muslims. In other words, jihad is by no means reduced to war, although it can also be in the form of hostilities, which is its second option. In this regard, the question arises about the grounds for the legitimate use of armed force: is the goal of military action a reflection of aggression and the protection of Muslims, or are they intended, as Muslim radical preachers believe, to combat unbelief and spread Islam by means of weapons?

The approach of Islamic thought to this issue is not different unity. In it, indeed, there were and there are currents who consider the struggle against unbelief to be a sufficient justification for the use of armed force. This view is shared by the current Muslim terrorists. However, modern Islamic thought interprets armed jihad in a different spirit. Based on the systematic interpretation of Sharia norms, modern Islamic thought understands jihad as an admission of armed violence only under one condition - in the case of aggression. Naturally, one of the leading forms of jihad is the use of armed force. According to the overwhelming majority of Muslim jurists, this is permissible only as a defensive means to repel aggression. It is extremely important to bear in mind that only the use of force that does not pursue personal gain, is not

aimed at achieving interests of a national or ethnic character, is not aimed at seizing property or territory is considered legitimate armed jihad. Jihad in the exact sense can be called only those actions that are taken in order to assert Islamic values and their protection from external encroachment.

At the same time, military jihad cannot be carried out in the interests of compulsion to faith, the adoption of Islam. In modern Islamic thought, the viewpoint about the inadmissibility of the deprivation of life of non-Muslims only because of their disbelief prevails. There is no doubt that the actions of terrorists claiming the only correct understanding of the Shari'a do not meet this demand, since they not only ignore the arguments, but also openly violate the rules for conducting combat operations formulated by most interpretations of fiqh. According to Islamic norms, collective responsibility for acts of terror should be borne by all persons involved in them, and not only their direct perpetrators. The fact is that, according to Sharia, jihad is permissible only by order of the Imam-ruler. Therefore, political leaders - direct commanders and, above all, the supreme leader - cannot deny themselves responsibility for the evil perpetrated by the criminals. Contrary to the claims of Islamic extremists, they do not serve Islam, but bring it harm. By forming a negative image of Islam and Muslims through their actions, spreading it around the world, they

put at risk the highest value protected by sharia - religion. Therefore, there are significantly more reasons to call jihad not terrorist attacks under the slogans of Islam, but the fight against their performers, organizers and inspirers in defense of Islam and Muslims.

The views of the ideologists of Islamic extremism contradict the position of modern Islamic thought on other points as well. This, in particular, concerns the approach to the state, the legitimate institutions of government. Ibn Taymiyya argued that the “affairs makers” are precisely the rulers and scholars. The establishment of the order in the affairs of Allah depends on their consistent fulfillment of their mission. Moreover, in this alliance, scientists have a special role, because the authorities should apply to their knowledge every time when they are not able to find the right answer in the Quran and Sunnah or face issues on which these sources do not provide ready-made solutions.

Developing this idea, a student of Ibn Teimiyyah, a major Islamic thinker Ibn Qayyim al-Jawziyah (١٢٩٢-١٣٥٠) emphasized: “Indeed, those who know are the heirs of the Prophets. After all, the Prophets did not leave behind either a dinar or a dirham, but left a legacy of knowledge ... Connoisseurs of Islam (faqihs) on earth - akin to the stars in the sky, illuminating the way for those who wander in darkness. ” As a result, he came to the following

conclusion: "The authorities are worthy of obedience to the extent that they do things in accordance with knowledge; therefore, submission to the emirs follows the obedience of the scientists themselves, for the authorities must obey within the limits prescribed by Allah and what science dictates; in turn, obedience to those who know is due to their strict obedience to the Messenger." This thesis is the essence of the approach of Islam to the ratio of divine revelation, knowledge and power, which gives knowledge the place of an intermediary between the Shari'ah and the actions of the rulers.

To consider the slightest deviation from the detailed external rules of worldly behavior, formulated hundreds of years ago, without thinking about their meaning, to be a matter of apostasy, is to give means for the purpose and not to catch the main thing in the Shari'a. Fanatics professing such an approach, noted al-Jawziyya, cannot be counted as knowledgeable. In his opinion, no mujtahid has the right to give his opinion for the will of Allah, and the imposition of perceptions that distort the true nature of Sharia is comparable to the judgment of Allah and his precepts without knowing what is strongly condemned by the Quran. At Imam Al-Bukhari we find the Hadith with the words of the Prophet Muhammad: "Allah does not hold onto himself knowledge, pulling him out of people's hearts, but keeps it in the hands of

scientists; if there is no scientist left, people will take for themselves the leaders of ignorant people who, in response to questions addressed to them, will make decisions without reliance on knowledge, mistaken themselves and misleading others.

However, Islamic radicals do not think about the meaning of the Shari'ah prescriptions, refer only to those of them that correspond to their initial premises. In the same way, they choose from the whole great Islamic heritage, including that left by Ibn Teimiyah, who enjoys special prestige among extremists, that which confirms their own vision of Islam and Sharia.

The most important goal of religious extremism is the violent forcing society to follow the chosen system of religious beliefs; therefore, the religion component itself should be considered only as one of the instruments of political struggle. Therefore, when analyzing this phenomenon, it is not entirely correct to say only that it is directed exclusively against other confessions. So, in the relationship between Shiites and Sunnis, there are also a large number of problems that often impede constructive dialogue. In this regard, it is necessary to emphasize that a number of Muslim leaders strive to solve these problems. In particular, in ٢٠٠٨, Ayatollah Hussein Wahid Khorasani issued a fatwa in which he forbade Shiites from accusing Sunnis of kufr (unbelief). He argues: "You can not curse and insult their [Sunni] authorities, this

may cause them to distance themselves from the Family of the Prophet (SAS) and their teachings." In addition, the theologian states that the Shiites should be assisted by the Sunnis, if the latter are in a quandary. Thus, although the confrontation between Sunnis and Shiites has continued for more than ١,٣٠٠ years, religious leaders who disagree with this position consider it their duty to convey their vision to followers. In this regard, it would be appropriate to consider the problem of combating religious extremism from the point of view of the role of religious mentoring. The emergence of this institution brings us back to the process of the formation of the Shiite trend of Islam and is associated with the period of great concealment of the ١٢th Imam Mahdi that began in ٩٤١. If at first, as follows from dogma, the hidden imam kept in touch with people by means of four governors, then in the future the role of the spiritual leaders of the Shiites was assumed by representatives of the clergy who had previously broadcast the blameless ideas. They were addressed many questions arising from the period of great concealment. First of all, it was necessary to determine who will now perform the tasks previously assigned to immaculate imams, because the latter were the spiritual guides and mentors of Muslims.

The beginning of the rule of the Safavids (١٥٠١-١٧٢٢, ١٧٢٩-١٧٣٦) is marked by the fact that the Shiites cease to be an

oppressed minority, the rulers and the clergy are drawing closer. During this period, between Shiite theologians and the Safavid Padishah, there is a tacit division of responsibilities. Shari'a questions, such as judging, fall under the authority of theologians, and common affairs, such as security and politics, are the responsibility of the rulers.

With the advent of Qajars (١٧٩٥-١٩٢٥) to power, the interaction weakened, but the strong ties of the rulers with the clergy, caused by the need to recognize religious legitimacy and public approval, remained. By this time, Shiite theologians began to have a great social influence, and also strengthened the role of their seminaries. Russian-Persian War of ١٨٠٤-١٨١٣ became a pretext for activating the clergy in the manifestation of their own political power. Theologians considered the struggle against the oppression within the country and foreign aggression as their duty. For example, Sheikh Jahafar al-Gita, known as Sheikh Jaafar Najafi, who has the highest spiritual title "Marja at-Taklid", issued a fatwa calling for jihad against foreign intervention.

The institute of mentoring, close to the species that we know now, was born in the XIX century. and was presented in the concept of Sheikh Murtaza Ansari. The events of the Qajar times associated with the war with Russia in ١٨٢٦-١٨٢٨, the massacre in the Russian embassy in Tehran on February ١١, ١٨٢٩, the tobacco

protests of ١٨٩٠-١٨٩١. et al., showed the previously hidden ability of the clergy in general and religious mentors in particular to influence the internal political situation and led them to establish contact with the masses.

A new period of development of religious mentoring was caused by the Constitutional Revolution in Persia of ١٩٠٥-١٩١١. In the religious society of Iran of this era, no movement could succeed without the support of the clergy. Thus, the interest of a number of theologians to the ideas of the constitutional movement became decisive. At the same time, in trying to explain the new realities through the paradigm of Islam, the clergy divided. Thus, Sheikh Fazlullah Nuri, speaking in favor of a system based on Sharia, openly refused to recognize the parliamentary system, since, in his opinion, it contradicts the basic provisions of Islam. As a result, the first experience of the new constitutional order forced the clergy to abandon their interference in political affairs and engage in the strengthening of religious centers.

During the reign of Shah Reza Pahlavi (١٩٢٥-١٩٤١), religious circles were only engaged in the restoration and development of the spiritual center of Qom, where Ayatollah Haeri Yazdi in ١٩٢٢ founded and headed the seminary. It is noteworthy that Khayeri refused to accept an invitation to come to Najaf and become a religious mentor, noting that it was his duty to remain in Iran. In

spite of this, the competent religious leaders conferred on him the title “Marja Al-Taklid”. Among the disciples of the Ayatollahs were Ruhollah Mousavi Khomeini (١٩٠٢–١٩٨٩), Mohammad Ali Araki (١٨٩٤–١٩٩٤), Muhammad Reza Golpayegani (١٨٩٨–١٩٩٣), **Muhammad Kazem Shariatmadari** (١٩٠٥–١٩٨٦), and Ahmad Hansari (١٨٩١–١٩٨٤)..

The Institute of Religious Mentorship gradually strengthened its position, taking up more space in all areas of society. The apogee of its development was the ١٩٧٩ Islamic Revolution in Iran, which consolidated the supremacy of the clergy and the main role of religion in political affairs. Having many followers and counting on their support, religious leaders use their position to influence the foreign policy of the state. For example, Ayatollah Seyid Ali Sistani in June ٢٠١٤, after a third of the territory of Iraq was captured by militants of the DAISH group, issued a fatwa calling on Iraqi citizens to defend the country, its people and holy places. Tens of thousands of volunteers who joined the Iraqi forces instantly responded to his call. The fatwa also helped the Shiite, Sunni, Christian, and Yezidi militaries to recognize the leadership of the formations, called militia forces. In total, about ٦٥ thousand volunteers joined the execution of the fatwa, including ١٧ thousand representatives of Sunni tribes.

In November ٢٠١٥, the Ayatollah addressed the young people of Europe and the USA

Sayyid Ali Khamenei. In his view, criminal extremist and terrorist groups, such as Daesh, were the product of a clash with alien cultures. He emphasizes: if the problem was only in religion, such phenomena would have been observed long before the era of colonialism, but history shows opposite examples. “Reliable historical evidence allows us to understand how

the colonial merger of extremism and rejected ideas in the heart of the Bedouin tribe sowed the seeds of extremism in this region. So how

It is possible that such rubbish as DAISH comes from one of the most ethical and humane religious schools, one of whose key ideas is the conviction that killing one person is equivalent to killing all of humanity? ”he asks.

A significant component of the manifestation of religious extremism is the destruction of holy places. In this regard, it is worth noting a number of outstanding ulama, sharply condemning such actions in their fatwas. Thus, Ayatollah Makarem Shirazi says that “every act that leads to division and discord among Muslims must be avoided, all Muslims must unite in the face of a common enemy”; he emphasizes: any manifestation of disrespect for the holy shrines of madhhabs is strictly prohibited. Ayatollah

Describing the Sunni-Shiite relationship, Shubeyri Zanjani writes:

“Believers, according to the method of the Family of the Prophet, should certainly avoid all those acts that lead to discord and separation of Muslim society, and donkey blyayut Islam. ”

Ayatollah Sistani argues that "insulting the sanctities of the Sunnis is contrary to the teachings of the Family of the Prophet (SAS)."

The great imam of the University of Cairo, Al-Azhar Sheikh Ahmad al-Tayyib, organizes meetings of Shiite and Sunni leaders. So, at the conference on the unity of Muslims around the world, eminent Islamic theologians were invited to condemn the horrific inhuman crimes committed by extremist groups. Later Ahmad al - Tayib called on all participants to the general meeting of the university in order to draw up the text of a joint fatwa against the murder of Muslims. Ayatollah Shirazi, who was invited to the meeting, expressed concern over terrorist acts committed under the banner of Islam and which are of an exclusively extremist nature. He stated that the killing of representatives of other faiths is carried out by terrorist groups, it has nothing to do with Islam and is strongly condemned in the civilized Muslim community.

Ayatollah Sistani's address to the soldiers says: “There are a number of principles of jihad that should be followed by everyone fighting non-Muslims. The Prophet, peace be upon him and his descendants, advised all his companions to follow these rules

before sending them to the battlefields.” The words of Imam Jafar al-Sadiq (٨٣-١٤٨) are also given there: “When the Messenger of God, peace be upon him and his descendants, made the decision to send troops into battle, he sat down with them and advised them to represent God justly and follow the correct example of religion the messenger. He said: “Do not allow yourself to commit extremist acts, do not resort to deception, do not kill the elderly, children and women, and do not cut down trees, except when you are obliged to do so.”

According to the famous religious mentor of the great Ayatollah Mohammad Ali Gerami, the only force that was able to prevent extremism was still the power of the word of the clergy and theologians, Khatyb and seminaries; they use various methods in their work, and their followers respect them and turn to them. He notes that in countries far from spiritual centers, there is a more open manifestation of extremism. Unfortunately, many people in Islamic communities do not turn to moral sources and Islamic behavior in its real meaning. Now in most cases there is a problem of hostility, and not the lack of culture.

A religious mentor from Qom, Ayatollah Nuri Hamedani, called radicalism a threat to the Islamic world and called on Muslims to use every opportunity to protect the Islamic faith. At various times, the extremists actions related to Daishev activities condemned and

called wrongful six senior clerics, has the title of "Grand Ayatollah" and "marja al-taqlid": Shawbury Zanjani, Safi Golpayegani, Mousavi Ardebili, Makarem Shirazi, Jafar Sobhani, Youssef Sanei.

Aware of the scale of the spread of extremist religious views, the heads of state seek to establish cooperation to combat this problem, since the solidarity of top leadership, as well as more active promotion of interfaith harmony, can have a tremendous impact on the situation. One example of such interaction was the aforementioned meetings of Shiite and Sunni leaders, during which they condemned the actions of extremists around the world. With the support of religious activists in Iraq, Lebanon and Syria, Shiite theologians in Iran are developing close cooperation with Sunni religious figures from Arab states and other countries in the region.

Modern Islamic jurisprudence not only contrasts its conceptual approach with the views of the ideological leaders of the Muslim radicals, but it also extremely accurately qualifies terrorist activities from the standpoint of Sharia. Some authoritative Muslim thinkers are convinced that it is not enough to call modern Muslim terrorists stupid or some group that has gone astray. They are criminals fighting with Allah and His Messenger, and for their atrocities should be held responsible by the Koran. Moreover,

along with the perpetrators of this crime, the responsibility for its commission should be equally borne by its organizers, inspirers and sponsors.

The spread of religious extremism alarming heads of state and spiritual leaders around the world, obliging them to search for effective ways to solve this problem. Globalization processes allow people and communities to speak more openly about their views, which often causes discontent among followers of other religious schools and movements. A significant role in countering extremist sentiments is capable of playing the institution of religious mentoring, which has always adhered to the principle of “calling for the good and banning the reprehensible.” Attracting religious mentors to the execution of public duty to combat extremism and terrorism demonstrates positive results, and therefore this practice has been widely used in many countries around the world, including those in which the Muslim population is represented by a numerical minority. The following conclusion can be drawn: the cooperation of spiritual leaders, which implies a joint search for ways to solve the problem of religious extremism, will continue to be maintained and developed because of its effectiveness, which contributes to inculcating true values to the younger generation.

References

١. **Bartoli A., Coleman P.T. Dealing with Extremists // Beyond Intractability** / Eds. G. Burgess, H. Burgess. - Boulder: Conflict Information Consortium, Univ. Colorado, ٢٠٠٣. - URL: <http://www.beyondintractability.org/essay/dealing-extremists>, free.
٢. **Fridinsky S.N. Countering the implementation of extremist activity // Legality.** - ٢٠٠٨. - № ٦. - P. ٢٨-٣١.
٣. **Jibril A.R.M. Islamic Extremism: The Untold Truth.** - South Africa: Partridge, ٢٠١٥. - ٢٠٨ p.
٤. **Kokorev V.G. The concept and signs of religious extremism // Socio-economic phenomena and processes.** - ٢٠١٤. - V. ٩, № ٥. - P. ٨٩-٩٧.
٥. **Hashemian-far S. The typology of the political behavior of Shiite religious mentors (Guneshenasi-ye raftar-e siyasi-ye marja'a-ye taghlid-e shiye).** - Tehran: Imam Sadeq University, ١٣٩٠. - ٣٣٢ p. (in Persian. lang.)
٦. **Mir I. The Religion and Politics Connection: Magist. dis.** (Rabete-ye din va siyasat). - Tehran: Imam Sadek University, ١٣٧٩. - ٣١٣ p. (in Persian. lang.)
٧. **M. Farastah. At the beginning of modern religious and non-religious thinking (Dar aghaz-e nou andishe-ye moaser-e dini**

va gheyr-e dini). - Tehran: Sherqat-e Sahami-e-Entheshar, ١٣٧٧. -

٥٤٦ p. (in Persian. lang.)

٨. **Salami R. Review of the role of the spiritual leaders of the constitutional movement and the Islamic revolution:** Magist. dis.

(Barrasi-ye naghsh-e rahbaran-e rouhani-ye nehzat-e mashruteh va eghelab-e eslami). - Tehran: Imam Sadek University, ١٣٦٨. -

٢٢٠ p. (in Persian. lang.)

٩. **Hosseinian R. The Political History of Shiism (Tarikh-e siyasi-ye tashayo).** - Tehran: Markaz-e Asnad-e Enghelab-e

Eslami, ١٣٨٠. - ١٢١١ p. (in Persian. lang.)

١٠. **Ruhbahshsh R. The legacy of Ayatollah Borujerdi (Miras-e ayatollah Borujerdi).** - Tehran: Moaseseye chap va ngshe Oruj,

١٣٨٠. - ٢٩٠ p. (in Persian. lang.)

١١. **Analysis of the role of Shiite theologians in the rise of the Islamic revolution**

(Takhlili bar naghsh-e aleman-e shiye dar peydayesh-e enghlab-e eslami). - Tehran: Archive of the Islamic Revolution, ١٣٧٩. - ١١٢

p. (in Persian. lang.)

١٢. **Haeri A. Shiism and constitutionalism in Iran (Tashayo va masrutiya dar Iran va naghsh-e iraniyan-e moghim-e Erag).** -

Tehran: Amir Kabir, ١٣٦٤. - T. ١. - ٤٠٠ p. (in Persian. lang.)

١٣. Razi M.Sh. History and encyclopedia of the seminary in Qum (Tarikh va dayere ol-moaref-e house-ye elmi-ye ghom). - Cum: w / o, ١٣٣٣. - T. ١. - ١٢٢٠ s. (in Persian. lang.)

١٤. Yazdi M.Kh. The memory of Dr. Khaeri Yazdi (Khaterat-e doctor). - Tehran: Ketab-e Nader, ١٣٨١. - ١٤٤ p. (in Persian. lang.)

The Power of Narratives in Conflict and Peace: The Case of Contemporary Iraq

Moritz Ehrmann

Crisis Management Initiative

Gearoid Millar

University of Aberdeen

Introduction

The recent history of Iraq has been difficult. Since the regime of Saddam Hussein in particular, deep divisions in Iraqi society have been aggravated, culminating in the effective partition of the country into three separate and mutually hostile entities a decade after Hussein was ousted, in ٢٠١٤.^١ These three entities include areas controlled by the Iraqi government, territories controlled by the so-called Islamic State (IS), and the region controlled by the government of the Kurdistan Autonomous Region. Like in many conflicts around the world, in the Iraqi case the development of antagonistic narratives between in- and out-groups was crucial to fuelling and igniting the violence. As will be described, over a relatively short period historical events gave rise to three different kinds of narratives which defined the relationships between these

While Iraq doesn't represent an ethnic and religious mosaic as complicated as Lebanon or Syria, the country is divided into two major parts ethnically and religiously. The Shia majority forms about ٦٥٪ of the population against ٣٢٪ Sunnis. Kurds who are mostly Sunni form about ٢٠٪ of the population in ٢٠١٩ while the rest are Arabs.

groups; victimhood narratives, divisive narratives, and violent narratives. Together these narratives legitimated and promoted the violent conflict that would ensue. With a focus, therefore, on the population of Sunni confession, the first part of this paper will focus on how such narratives were expressed amongst ordinary Iraqi citizens during the period leading up to and during the culmination of violence in ٢٠١٤.

However, the paper will then also explore how these narratives among the Sunni confession evolved from inflammatory expressions and justifications of violence (and even terrorism), towards increasing self-reflection and expressions of reconciliation. Over time, and in response to the violence which occurred between the in- and out-groups, different forms of narrative emerged, first more nuanced narratives, then the first hints of reconciliatory narratives, and finally, unifying narratives. These alternative and pro-peace forms of narrative opened the door for attempts at conflict transformation from within and supported efforts by international actors to engage with and facilitate such attempts to deconstruct the in-group/out-group dichotomy. The paper, therefore, explores the complex interweaving of historical events and vocalized narratives in the construction of conflicting promoting in-group vs. out-group dynamics, as well as the central role narratives play both in

breaking down such dynamics and as an indicator of when international intervenors can have the most positive impact on conflict transformation. Excerpts of interviews taken over the course of one year, and mostly in Baghdad city and province, are used throughout the paper to illustrate these trends.

“Othering”: The Power of Collective Narratives

Conflict Resolution (CR) is a field which has benefited enormously from the ability to incorporate and learn from a variety of disciplines such as political science, economics, law, social-psychology, and sociology. Such an eclectic mix, in turn, has given rise to a field divided among many sub-fields. In the case of CR that includes both scholars and practitioners who work in sub-fields such as arbitration, mediation, negotiation, track-II diplomacy, intergroup dialogue, peacekeeping, peacebuilding, conflict transformation and reconciliation. But while the field is obviously quite diverse, there are a handful of

central ideas which contribute to and provide foundation for most of these sub-fields and their related practices. Those ideas form, therefore, the central core of the field. One of those central ideas is that of the in-group/out-group dichotomy and the related notions of the “other” and the process of “othering”. These concepts are foundational to a number of the practices (such as mediation or intergroup dialogue) noted above which make up the CR field

broadly. So what exactly is “othering”, and why is it so important to the theory and practice of CR?

In the now classic *The Functions of Social Conflict* (١٩٥٦), Lewis A. Coser argues that conflict performs key required functions for social groups. First among these central functions is the reification of the boundaries between groups, which provides further strength and stability to the group. In reifying the boundaries between groups, for example, conflict serves to strengthen group control mechanisms, solidify group identity, and provide the “in-group” (the “we” or “us”) with an “other”, or an “out-group” (the “them”). This “other”, therefore, is the group against which the in-group compares itself, and it is this “other” which serves as the target for aggression in conflict, whether violent or otherwise. While there are other concepts which have become central to the field – Galtung’s idea of the “Positive Peace”, for example (١٩٦٩), or Lederach’s more recent “elicitive” approach (١٩٩٧) – few ideas have affected more areas of the field of conflict resolution than this idea of the “in-group” and the “out-group”. But explaining how conflict contributes to this formation and reification relies on further theory. What occurs before, during, or as a result of conflict which leads to the formation and reification of in- and out-groups? This brings us to the role of “narrative” and Vamik Volkan’s now famous idea of the “Chosen Trauma” (٢٠٠١). Volkan argued that

collective or shared traumas are transmitted, even across generations, through simple processes of storytelling and myth-making, and that the memories of such traumas form the foundations by which identity groups then define themselves in opposition to the “other”. In Volkan’s example narratives shared around the campfire or the dinner table transmit traumas between individuals and allow them to percolate up from the household, to the community, to the group as a whole, forming a historically rooted sense of “us” versus “them” based on the narratives shared across these scales. Such collective narratives of trauma and pain are then appropriated by political elites who use these narratives of trauma (of past invasions, massacres, defeats), as well as shared heroic myths (of military victories, visionary leaders, etc.) to galvanize the in-group and foment violent action against the “other” identified in the narrative as the cause of the trauma (Mertus ١٩٩٩).

Many classic cases within the CR literature evidence such dynamics of identity formed via shared narratives, indicating further how conflict occurs and serves only to further reify pertinent in-group/out-group divisions. In Northern Ireland, for example, one of the pivotal cases of the past half century, the Catholic and Protestant groups are not only defined by alternative historical narratives, but the division is itself reified by the process

of conflict; the manner in which the groups live in divided neighbourhoods, and how those neighbourhoods are divided by the prominent use of “symbols of local community identity” (Sluka ١٩٩٦: ٣٨٥), such as “flags, anthems, murals, badges, bunting and graffiti” (ibid: ٣٨١). Such symbols act as “public manifestations of group identity” (Brown and Mac Ginty ٢٠٠٣: ٨٤) and, when combined with the actual physical separation, they add to the othering effect of the conflict (Leonard ٢٠١٠: ٣٣٣). Similar phenomena are evident in cases around the world, from the influential cases of Israel, South Africa, Israel/Palestine, Cyprus, South Africa, Rwanda, or the former Yugoslavia (Saunders ٢٠٠٣; Halperin ٢٠٠٨), right through to cases that few in CR commonly engage with, such as within Indian cities (Mehta and Chatterji ٢٠٠١).

This perspective, of course, is quite pessimistic. But while the establishment or reification of groups via conflict narratives is concerning, the underlying and more pivotal theoretical contribution of this literature is hopeful. It suggests to us that narrative can play a central role both in creating and then in recreating identity groups. If in- and out-groups can be constructed, then they can be deconstructed, if they can be reified, then they can be tempered. Indeed, the goal of many CR practices has largely been to break down or deconstruct the in-group/out-

group dichotomies which have been reified in conflict between groups. Classic approaches clearly evidence this focus, with Allport's early development of "intergroup contact theory" (١٩٥٤), for example, forming the foundation of many practices which would later become central in the field and which work to break down inter-group animosities (Schofield ١٩٧٩; Pettigrew ١٩٩٨; Saunders ١٩٩٩; Miller ٢٠٠٢; Dovidio, Gaertner & Kawakami ٢٠٠٣), and Osgood's description of a process for "Graduated Reciprocation in Tension Reduction" (GRIT) designed to lessen the tensions between two opposing groups in conflict (١٩٦٢).

This issue is of much more interest to certain sub-fields of conflict resolution than it is to others. Theorists or practitioners of inter-group dialogue (Burton ١٩٨٧; Saunders ١٩٩٩), conflict transformation (Lederach ١٩٩٧), or reconciliation (Fisher ٢٠٠١; Nadler and Schnabel ٢٠٠٨) are clearly interested in deconstructing such dichotomies, but this is much less of a concern in arbitration, peacekeeping, or negotiation. Whether reconciliation, for example, it is considered an individual psychological process which might have wider group effects (Kelman ٢٠٠٤; Moaz ٢٠٠٠; Fisher ٢٠٠١; Saunders ٢٠٠١), or as a psychological process which helps to realign cognitive and emotional understandings of the relationship between groups (Bar-Tal & Benink ٢٠٠٤: ٣٤), or as a

collective psychological process “removing conflict-related emotional barriers that block the way to ending intergroup conflict” (Nadler & Schnabel, ٢٠٠٨: ٣٩), in all of these theories we can see reflections of Coser’s formulation of social conflict as centrally about the in-group/out-group dichotomy and of reconciliation as about the deconstruction of that dichotomy.

Further, the active engagement of or reconstruction of narratives is key to such theories. Again, we see this clearly in reconciliation practices, which, at least in their largest scale in the form of Truth and Reconciliation Commissions (TRCs), have come to focus evermore on the public-performance of truth through presentations which might serve to reframe the existing narrative. To those scholars who see conflict as always occurring between an in-group and an out-group, this process of “truth-telling” is “a collective storytelling therapy” (Millar ٢٠١٥: ٢٤٥) which creates a new nationally shared narrative above the level of either parties to the conflict, a meta-narrative or a “collective memory (Chapman and Ball ٢٠٠٤: ١٥; Sooka ٢٠٠٦: ٣١٩) which, because it is shared by the whole population of the nation (by those in both groups) provides a new way to minimize “the number of lies that can be circulated unchallenged in public discourse” (Ignatieff ١٩٩٦: ١١٣) and starts to provide a foundation for more peaceful coexistence

between the groups. The foundation of the new shared nation, in this sense, is necessarily dependent on a new shared narrative.

But such processes, have in recent years, come in for extensive critique. TRCs have been attacked, in many cases quite rightly, for their politicization (Wilson ٢٠٠١), for sometimes re-traumatizing victims of past violence (Millar ٢٠١٥), for their focus on the national as opposed to the local histories and dynamics of conflict (Robins ٢٠١١), for their foundations on largely Western or European traditions of psychological healing (Pupavac ٢٠٠٤). Similarly, other practices implemented to deconstruct identity groups, such as inter-group dialogue processes, have been critiqued for inappropriately psychologizing and individualizing conflict dynamics (Erasmus ٢٠١٠), for their inability to overcome the broader structural conditions of conflict, and for the failure of positive impacts to generalize to wider populations at conflict. Such critiques, therefore, call for a very sensitive and responsive approach to interventions seeking to influence narratives, whether those which inspire conflict or those which promote peace. In the paper that follows we therefore trace the emergence of a number of forms of narrative in order to identify both how and why new narratives emerge, and when exactly interventions to shift such narrative might be more useful.

The Power of Narrative

In the period leading up to the dramatic events of ٢٠١٤ power was dominated by the Shia majority of the country and, more precisely, was in the hands of Prime Minister Nouri Al Maliki. Finally, after many years under Sunni control, power was finally with them (and only with them after the exit of US Forces in ٢٠١١) and this allowed the Shia majority to largely ignore the Sunni population and their concerns. However, this majoritarian governance led to a struggle for power and resources which turned into violence and resentment amongst the two main confessions; Sunni and Shia. Adherence to one of these sects was used either to claim power and benefits if you were Shia or to call for resistance if you were Sunni. Historic imbalances between the two sects were readily exploited by politicians to strengthen their power base through polarisation, supported by partisan media. The sectarian violence between the Shia and Sunni populations around ٢٠٠٦-٢٠٠٧ further increased this gap. As if nothing had been learned from this brutal period, the country's leaders continued their polarising policies until the next disaster in ٢٠١٤, when the Sunni population rose again, this time exclusively against the Iraqi government and accompanied by a brutality and inhumanity rarely witnessed before against Shia citizens. As is true in most conflicts

in the world, the experience of violence and the toxic political discourse fed from popular narratives, by now deeply engrained in the population. In an effort to escape the complexities of the situation, and due to a lack of any practical solutions, the Sunni population resorted to generalisations and simplifications, mostly directed against the Shia population, the central government controlled by Shia politicians, and Sunni politicians who had aligned themselves in such a way as to support the Shia dominance.

Victimhood Narratives

By ٢٠١٣ this had translated itself mostly into a deep feeling of victimhood amongst the Sunni populations in Western and Northern Iraq. A study of the narratives emanating from such feelings is indeed important in explaining their uprising that followed soon after. The gap had become so deep and the image of the other as an adversary, was so common that violence seemed a logical solution.

Indeed, listening to Sunni citizens in Baghdad province and border areas of Anbar province, it seemed almost as if many amongst them didn't feel like part of the same country or society anymore and they presented narratives that framed the two confessional groups as antagonistic. Parts of the Sunni population, for example, had clearly started to equate the Shia population as a whole with

the US-supported Shia-dominated central government. “The invaders promised democracy and freedom before destroying our country, only to give all power to the damned confessional dictatorship”^٢. Such extremely simplistic narratives, whether rooted in malice, ignorance, or some semblance of reality, nonetheless completely ignored the fact that large parts of the Shia population in the South of the country were also at odds with the central government and actively fought against US-troops as well as government security forces.

Others, perhaps in an effort to attribute the responsibility for this internal societal division to more or less abstract foreign powers, rather than their neighbours and fellow citizens, preferred to place most, or even all, of their grievances on neighbouring Iran. In this spirit, curious theories like “The US only attacked Iraq in order to pass the power over to Iran”^٣ were quite commonly voiced. It is quite likely though that none of the people giving voice such theories had ever seen an Iranian in their country, but a narrative need not be rooted in truth. There was, of course, some tenuous truth behind such ideas, since Iran was certainly trying its best to influence Iraqi affairs for the benefit of their own foreign and security policies and certainly not for the benefit of the Sunni

Interview with a local tribal leader in Al Rasheed district, Baghdad province, October ٢٠١٣^٢

Interview with a resident of Al Tarmiya district, Baghdad province, October ٢٠١٣^٣

population which had been the main support for former president Saddam Hussein, Iran's arch-enemy.

As is often the case, the Sunni population started recalling the seemingly better times during the past regime under president Saddam Hussein compared to the current prime minister Nouri Al Maliki. As one interviewee stated, "the Shia now have all the power. Under Saddam there weren't such differences between Sunni and Shia. Al Maliki is worse than Saddam"^٤. Or another, who argued:

"By God, Saddam was a tyrant. But at least he repressed everyone the same. One knew what to expect. At least there was some sort of equal system. Saddam once came here. In two cars, no security convoy, no army, nothing. Al Maliki wouldn't even dare to come here with half of his army. Because this confessional government of today doesn't do anything else than oppress the Sunnis"^٥.

The concentration of power among the Shia, of course, also translated to a domination of the security forces, who often behaved like foreign occupants, harassing local Sunni populations. A vicious cycle became apparent, whereby of a growing number of attacks against security forces in Sunni majority areas was answered by random mass arrests of young Sunni men. Meanwhile

Interview with a resident of Abu Ghraib district, Baghdad province, November ٢٠١٣^٤

Interview with a local public representative in Al Yusifiya district, Baghdad province, November ^٥

Sunni extremist forces like the Islamic State in Iraq and the Sham (greater Syria) grew in force again, soon to be more powerful than ever. Its attacks were increasingly directed against the civilian population: car bombs in popular places in Baghdad were frequent, and the victims mostly Shia.

Divisive Narratives

Following in this trend, the security forces also became the subject of divisive narratives among the Sunni population, and the narratives went so far as to portray retributive attacks on the security forces as justified. Indeed, even acts of terrorism were downplayed in such narratives. All that seemed to matter to many was that someone was defending them, or at least taking revenge on their perceived oppressors. That this “revenge” was often carried out by a brutal terrorist organisation indiscriminately targeting Shia men, women and children seemed almost secondary, even though the collateral damage on the Sunni citizens done by ISIS’ attacks was also significant.

The following exclamation, for example, is from a community leader in the provincial Abu Ghraib district in Baghdad province. It was collected in December ٢٠١٣, just a few days before a bigger clash was to happen: “This army is not Iraqi, it’s a confessional army. The army of Al Maliki, not the army of the Iraqis. And everyone always talks about terrorism! Which terrorism?! There is

no terrorism, that's all just politics!"^٦ It is of course arguable that the geographic distance contributed to such a blunt statement. The indiscriminate ISIS terrorist attacks took place almost exclusively in the more urban areas of Baghdad. Such statements, however, do portray a division in Iraqi society, ever widening as the enemy became the entirety of the "other" segment of society. This "other" was de-humanised in order to justify such gruesome attacks on innocent people, happening so frequently in the months before ٢٠١٤.

Also Supporting this finding are the many instances of verbal attacks against the way of life of the "other". The traditions of the Shia population, for example, started to be viewed with suspicion and were even ridiculed by members of the Sunni population. Traditions which had been essential elements of Iraqi society and its cultural heritage, became something alien, illogical and unintelligible in the 'otherizing' narratives of the Sunni minority. One example regards the Arbaceeniya, the mourning period for the death of the Shia-Imam Hussein. As one Sunni interviewee stated, assuming in his accusation that these Sunni boys were offending the Shia traditions:

"A few days ago my cousin and his friend went to Baladiyat (a Shia-majority neighbourhood in Baghdad). They started joking

Interview with a resident of Abu Ghraib district, Baghdad province, December ٢٠١٣^٦

and laughing about something and a man with a black beard came, shouting whether they were laughing because Imam Hussein had died.”^v

By the second half of ٢٠١٣ protest camps had been erected in Sunni strongholds in Western Iraq. Now, only a spark was needed to light the fire. At the same time the narratives voiced by Sunni interviewees evidence a feeling that some kind of violent change was about to come to this situation. It is not hard to understand that many welcomed this thought. As one interviewee stated:

“While oil is bringing money without end to the government, there are no services for the people here. Every year there are inundations but not enough drinking water. No functioning security apparatus and yet they lock up our sons for years without reason. The State says it’s fighting terrorists, but lets the militias do whatever they want. By God, this will not always stay like this. Something will have to change or else this country will break apart and we will fall back to the days of darkness”.[^]

The last sentence of this statement expresses very well the idea that even change with an uncertain outcome was apparently viewed as a better option than the status quo. Paradoxically, of course, the exact opposite happened and the change to the situation

Interview with a resident of Baghdad City, October ٢٠١٣^v

Interview with a tribal community leader in Al Rasheed district, Baghdad province, October ٢٠١٣[^]

that was soon to come was even worse than the status quo of ٢٠١٣. Indeed, the violence that emerged split the country into three and threw it into times of darkness never seen before.

Violent Narratives

There were, of course, others amongst the Sunni population who were worried about the growing movement; concerned about the cult of violence. Such personalities like a Sahwa militia leader in one of the hot-spots of Al Qaeda activity in the country-side near Baghdad, who expressed his dread of what was indeed going to come:

“These God-less people of Al Qaeda are destroying our societies. They come with customs not related to ours, not even to Islam. They only know death, they only want to fight and kill. More and more of our sons join them, thanks to the damned government. My nephew is with them. Once we managed to persuade them to a meeting. Me and the other Elders. We tried to explain them that a destroyed checkpoint will only be rebuilt and that three new soldiers will follow one dead one. Death will only be followed by death. But they didn’t care. They said their day would be coming soon.”^٩

Interview with a local Sahwa militia leader in Al Rasheed district, Baghdad province, November ^٩

٢٠١٣. Sahwa is a Sunni militia initially organised by the US Forces to fight Al Qaeda forces.

And indeed, in the last days of ٢٠١٣ a dynamic started to emerge which, while wished for by many, would actually turn out quite differently to how many expected. In the last days of ٢٠١٣, security forces attacked the home of an influential Sunni parliamentarian in Ramadi, arresting him and killing his brother. Soon after, they moved to dismantle a protest camp in nearby Fallujah. It is arguable that the Al Maliki government was seeking to take advantage of the holiday season in the Western world to crack down on its opponents. However, it was quite obvious that others had been waiting for this, the last provocation. Obviously well organised violent attacks quickly spread to most of Iraq's western province of Anbar, where tribes united in the Tribal Revolutionary Council rose openly against the government. The army replied in force and soon frontlines were established, just thirty kilometres West of Baghdad.

When interacting with the Sunni population in areas close to this frontline a sense of relief was recognizable. Finally the longed-for change had come, their "brothers" in the West had stood up against the oppressors. A sense of genuine pride started rising amongst the Sunni population. And yet this pride most likely blinded people from the fact that the terrorist fighters of Al Qaeda were certainly amongst the rebel forces, if they were not in the lead from the beginning. In their narratives, however, interviewees tried to point

out, and even over-emphasized, the fact that the uprising was led by the tribal population of Anbar. The formulation “sons of the tribes” was commonly used in this context and became a strong part of the narrative of this first chapter of the ٢٠١٤ uprising. Interviewees even went so far as to equate Al Qaeda/ISIS/Daesh with the Shia militias (Maesh, as an abbreviation of “militias of Iran in Iraq and the Sham”). As one interviewees stated, “Daesh! Which Daesh? All of them sons of the tribes. Sunni tribes. They are only in their right! Which Daesh – you mean Maesh!”^{١٠}

It is not completely clear when and how the then local branch of Al Qaeda/ISIS actually gained complete control of what mostly started as a popular Sunni uprising in reply to the actions of a repressive Shia-dominated government. But by June ٢٠١٤ at the latest, when a few hundred ISIS fighters drove tens of thousands of Iraqi security forces out of Mosul and soon after swept through all of northern Iraq and right up to the borders of Baghdad, it was obvious that the tribes, and thus by extension the Iraqi Sunni population, were no longer in control. All measurement was lost. The sense of the “other” and of its dehumanisation, in effect, reached its culmination. Hundreds of captured Shia soldiers were massacred in cold blood and in triumph.

Interview with a tribal leader in Abu Ghraib district, Baghdad province, a couple kilometres from ^{١٠} the front line, January ٢٠١٤

Nuanced Narratives

At the same time, not all parts of the Sunni population that had until then fully participated in the aggressive and antagonistic narratives so far described were able to understand these developments. For example, in a conversation between several tribal leaders in Abu Ghraib district in Baghdad province, no more than a kilometre from the front line of the Euphrates river, many participants expressed confusion, which was apparently widely spread during that situation in immediate reaction to the first news of the fall of Mosul in June ٢٠١٤. Sprinkled throughout that conversation, for example, was confusion about the identity of the fighters perpetrating these acts of violence: “Where are tribes? Has anyone said anything about tribes? Those are all foreigners with Daesh” said one participant.^{١١} “Nonsense, without the tribes Daesh can’t do anything. Everyone knows that! The tribes control everything. Daesh is only on TV“, said another.^{١٢} “In reality this is all orchestrated by Al Maliki himself. So that he can incite the Shia against us. From the beginning this was planned by him!” said a third.^{١٣} “Better Daesh and the tribes than the Maliki-army!”

Interview with a community leader, Abu Ghraib district, Baghdad province, June ٢٠١٤ ^{١١}

Interview with a tribal community leader, Abu Ghraib district, Baghdad province, June ٢٠١٤ ^{١٢}

Interview with a tribal community leader, Abu Ghraib district, Baghdad province, June ٢٠١٤ ^{١٣}

In this confusion we can identify different perspectives on the violence, on those responsible, and on the fundamental reasons for its emergence. In their immediate reaction to the violence, the population in the northern Sunni provinces welcomed the invaders, taking them at first for tribal fighters coming to liberate them from the Shia occupation. By the time they realized who had actually come, it was too late. Triumph changed to disillusionment and the narratives, in turn, started to change from triumphant to criticism, or even regret. An excerpt from an interview with a local journalist and Internally Displaced Person (IDP) from Tikrit, Salahuddin province in Kirkuk, in July ٢٠١٤ (a month after the invasion of ISIS), expresses this quick change of narratives that evidences the shock and confusion among the Sunni population.

“Yes, most people welcomed the fighters. They thought Daesh were tribal fighters coming to save us from the Shia repressors. They were actually doing just that, only that they were in fact Daesh. I could see that soon. Many of them I knew. Some since I was young. With some of them you already knew back then that they were going to become Al Qaeda. And after they became Al Qaeda they of course became Daesh. Soon we realised they were all just criminals.”^{١٤}

Interview with a local journalist from Tikrit, Kirkuk City, July ٢٠١٤^{١٤}

It seems, therefore, to have been a slow process for the Sunni population; the realization that the invaders were not led by tribal heroes fighting for a just cause, but by brutal terrorists fighting for absolute power, and power alone. On ٢٩ July ٢٠١٤, ISIS's leader Abu Bakr al Baghdadi declared a worldwide caliphate from the city of Mosul and renamed the movement Islamic State (IS), thus leaving no doubt who was in charge, where this "uprising" had led, and what it was now about. This realisation obviously had an effect on the popular narratives, although differences in timing were visible, depending on who you talked to.

It was this announcement that made the situation to the urban population now under the rule of IS and they therefore soon came to a realisation similar to that expressed by the journalist above from the city of Tikrit, particularly as their more liberal ways of life immediately clashed with the ultra-conservative rule of the IS. As one interviewee stated, "There [Mosul and Tikrit] people are not used to this style of life that they are forcing upon us. A friend of mine had a DJ-shop in Tikrit. He had to run away like me when Daesh came"^{١٥}.

On the other hand, the more conservative population in rural areas had an easier time accommodating themselves with the new rulers

Interview with an IDP from Tikrit in Baghdad City, August ٢٠١٤^{١٥}

and their own narratives seemed rarely affected in the first period of the invasion. As one interviewee said:

“What problem should I have with them [the IS]. All they want from me is that I live like a good Muslim. I have been doing that all my life, so they are definitely better than these oppressors from Baghdad!”^{١٦}

Others, who were not under IS rule but exposed to the actions of Shia militias, and despite all the brutality and cruelty displayed by IS that was by then plainly obvious to anyone in the country, still wished for their presence. It seems that this brutality was not enough to deter a desire for their presence until it was witnessed directly. For example, a tribal leader in the Abu Ghraib district bordering IS-territory in August ٢٠١٤, argued that:

“Most people would prefer to have Daesh, like in Mosul. Now with these militias it’s even worse here. They are like the devil. Completely unpredictable, doing whatever they want and no one can tell them anything, not even the army.”^{١٧}

Reconciliatory Narratives

However, amongst the Sunni population perceptions and narratives did broadly change in most places when the brutality became too hard to conceal and the scope of it was no longer

Interview by telephone with a resident of Anbar province, August ٢٠١٤^{١٦}

Interview with a tribal leader, Abu Ghraib district, Baghdad province, August ٢٠١٤^{١٧}

justifiable for ordinary citizens. A few months after the invasion of IS, at the latest during the last months of ٢٠١٤, it became apparent that many amongst the Sunni population started to be disillusioned by the violence and narratives started to grow increasingly self-reflective. For example, one interviewee stated, “Many say that others are responsible for the mess. Some say Iran, some Saudi Arabia, some Qatar. But I believe in fact us Iraqis are responsible.”^{١٨}

Indeed, already at that time narratives started to focus the more fundamental problems Iraq faced, and the antagonistic sense of the “other” seemed to have moved to the background. One interviewee lamented, for example, how:

“The country is full of oil. But the people are not benefitting from that. That’s the real problem of the country. If all had a small part of that and a few greedy [individuals] wouldn’t eat up everything then no one would care about who is Sunni or Shia. Then there wouldn’t be any Daesh and Abu Bakr Al Baghdadi would be sitting somewhere alone in a cave like Usama bin Laden back then.”^{١٩}

Interview with a resident of Abu Ghraib district, Baghdad province, October ٢٠١٤^{١٨}

Interview with a tribal leader, Abu Ghraib district, Baghdad province, August ٢٠١٤^{١٩}

Other interviewees followed suite. One arguing, for „example, that “I believe most people are good, but the issue is like with a glass of water. One drop of poison and everything is poisoned.”^{٢٠}

As if the last months of such excessive violence had finally woken people up, narratives started to even turn reconciliatory. Coincidentally the same local tribal leader quoted earlier (footnote ٢) stated almost one year later that “in our culture we say when the Sunni is in peace, the Shia is also in peace.”^{٢١} As the disaster that was the uprising of early ٢٠١٤, which led to the brutal rule of IS over a third of the country’s territory, became more and more obvious in people’s minds, so did their narratives continue to evolve in this more reconciliatory direction. It had become clear that violence and antagonism had let nowhere good. Even worse from the perspective of Iraq’s Sunni citizens, it had become obvious that the forces controlling the initial uprising did not have their interests in mind.

It seemed that the combination of the extreme brutality of the events in ٢٠١٤, and the realisation that their uprising had been hijacked for a completely different purpose, had finally tipped the balance for Sunni citizens. In addition, the triumph of the rapid and vast military victories over the “Shia oppressors” in the form of

Interview with Colonel of the Iraqi Armed Forces of Sunni confession, Al Tarmiya district, ^{٢٠}

Baghdad province, October ٢٠١٤

Interview with a local tribal leader in Al Rasheed district, Baghdad province, September ٢٠١٤^{٢١}

the Iraqi army during the first half of ٢٠١٤, soon ceded to a stalemate and later to defeat and retreat. The military fate indeed turned during the second half of ٢٠١٤ after the call to arms by the Grand Ayatollah of the Shia Marjaiya to defend the country following the fall of Mosul in June ٢٠١٤. Even though the call was mostly answered by Shia citizens of Iraq's southern provinces, it was unmistakably directed at all Iraqi citizens, an effort that was definitely an important step in influencing narratives away from antagonism between the Sunni and Shia confessions and towards a more reconciliatory tone.

In this call to arms, IS was itself narratively framed as a force that could, at least in terms of its ideology, be portrayed as an external enemy that targeted not only the Shia but also the Sunni populations of Iraq. As a result, the Marjaiya claimed that all Iraqis could and should fight against it. The real consequences of this call for unity were, of course, mixed. The Popular Mobilisation Units (PMUs) where were soon formed, were in fact incorporated into the structures of different Shia militias. Highly motivated by the call from their religious leader to defend the country, these militias, together with their new recruits, were a match for the similarly zealous IS fighters and soon victory followed victory. One city occupied by the IS fell swiftly after the other, until finally

the ultimate battle for Mosul, Iraq's second biggest city, was decided towards the end of ٢٠١٧.

At the same time, the fact that the dreaded Shia militias that had played a brutal role during the sectarian violence of ٢٠٠٦-٢٠٠٧ were so instrumental, or even indispensable, in the military operations was soon recognised as a problem. Even the Iraqi army themselves, who depended on these fresh and motivated fighters after they themselves had so miserably failed, were concerned. As one high-ranking Iraqi army commander noted in November ٢٠١٤:

“It's true, without these volunteers who followed the call of the Marjaiya Baghdad would have probably fallen. But in the long run there is a problem. Some do come to join our structures [of the Iraqi army] but no one here knows what to do with so many unexperienced recruits. Therefore many of them go directly to the [Shia] militias, and what they are capable of doing everyone knows...”^{٢٢}

Another high ranking Iraqi army commander expressed to the author, in November ٢٠١٤, that:

“All these young guys that are now taking arms, exactly in order to take revenge...how to control this? Where would this revenge stop? Where, if also the local farmer and worker [in the Sunni

Interview with an Iraqi army commander, Al Yusifiya, Baghdad province, November ٢٠١٤^{٢٢}

majority areas invaded by the IS] contributed, like apparently it was the case almost everywhere in the beginning [of the uprising]? One can't hold the whole Sunni population of the country to account!"^{٢٣}

The Iraqi army soon tried to counter fears of retribution by the Sunni population by deploying the militias and other volunteer units in open combat situations as far away as possible from the local population, especially during the final efforts of retaking a city.

Unifying Narratives

The call by the Marjaiya, therefore, turned out to yield mostly positive results and even beyond this specific act the Marjaiya and its members seem to have adopted a reconciliatory role for themselves central to the efforts of the Iraqi society to move towards a common future. Considering the respect the institution of the Marjaiya holds with large parts of the Iraqi population, but also with the central government, this commitment is probably one that could tip the balance in a positive direction.

Members of the institution have indeed continued their calls for unity of the country, some actively working to show their personal commitment to national reconciliation. Through their direct influence on Iraq's Shia population, but also through their

Interview with an Iraqi army commander, Baghdad, November ٢٠١٤^{٢٣}

respected position within Iraqi society more broadly, they have directly affected and seemingly even targeted the antagonistic narratives of the past by trying to replace them with narratives of national unity. In their approach they seem self-reflective, as expressed by one influential representative of the Marjaiya in April ٢٠١٨:

“If my brother and father had been killed by our security forces, I myself would definitely also have joined Daesh...I don’t like to say that, but apparently even the IS had a good side, since apparently it took this tragedy to finally make the population realise that we have to stand together.”^{٢٤}

Beyond exerting influence on the narratives of their usual clientele some of their representatives were also willing to step far out of their comfort zones and even expose themselves to tangible security risks. An example of this was the visit by a delegation of important Marjaiya and other Najafi civil society representatives to Ramadi in January ٢٠١٩. Ramadi, as the capital of Anbar Province, was one of the first places where the uprising in ٢٠١٤ took hold. Before the trip, all representatives asked said that they had never been to Ramadi either ever before, or at least since ٢٠١٣. But the fact that the anti-Shia Sunni uprising had been initiated in

Interview with a representative of the Marjaiya, Najaf, April ٢٠١٨^{٢٤}

this province and that they might be targeted by extremist cells in that city did not deter them from their mission. Whether by coincidence or by design their messages were concrete, problem-oriented and seemed to thereby concur with the change in narratives amongst the Sunni population described earlier, which have started to focus on the dire economic situation and the failure of government to remedy this situation.

At the same time, the Marjaiya representatives seemed aware that narratives themselves needed to be tackled directly. Addressing an audience of university students and civil society representatives at Ramadi University during the event, one Marjaiya representative stated:

“Travelling around the country, all Iraqi people, from Erbil to Basra seem to have the same problems with the government... We all just want to live in security and we ask for a just government... We cannot count on the government to address this. We have to build up pressure together from civil society ... Reconciliation is not only good will, it has to be a project! ... There is so much negativity on internet fora, it is up to us to balance this!”^{٢٠}

The Sunni side echoed almost all of these comments during the event, as was evident in the address by an influential civil society representative from Ramadi:

From an address of a Marjaiya representative, Ramadi, January ٢٠١٩^{٢٠}

“There is no real problem between Iraqis, our problems are mainly economic... we need to be present in the media, the media depends on diverse inputs... Where the efforts of the government to strengthen reconciliation in our society?”^{٢٦}

It does indeed seem that years after the extreme events of ٢٠١٤ there is at least a willingness within Iraqi society and amongst both the Shia and Sunni populations to leave sectarian conflict behind and affect unified narratives by focusing on issues of concern for all Iraqi citizens. The awareness that this societal unity is an urgent matter seems to also be present. As one civil society representative in Ramadi stated; “We need compromise and we can’t only stay in our place. Otherwise sooner or later conflict between us will return”^{٢٧}.

Discussion and Conclusion

In the above analysis of six different kinds of narrative, heard among members of the Sunni confession in Iraq, we clearly witness an evolving interpretation of the relationship between the Sunni and Shia communities. As described, beginning prior to ٢٠١٣ the Sunni community had already started to define itself as mistreated by the newly dominant Shia majority. They came to identify the Shia as empowered and

From an address of a civil society representative of Ramadi, Ramadi, January ٢٠١٩^{٢٦}

Interview with a civil society representative in Ramadi, April ٢٠١٨^{٢٧}

emboldened by the US intervention, and as using their newfound power specifically to undermine the Sunni community. These perspectives can quite easily be seen to be part of a victimhood narrative. Following this, however, came the worrying trend of quotes which not only described those of the Shia faith as the tormentors of the victimized Sunni community, but started to identify those of the Shia faith and the community more broadly as inherently dangerous, as violent, and even as terrorists. This form of divisive narrative serves to de-humanize the enemy and set the stage for outright violence to increase dramatically if and when it is sparked by a specific event.

This event, as described, came on the last few days of ٢٠١٣, when the Al Maliki government set to work dismantling Sunni protest camps which led immediately to the rise of a violent revolution in Iraq's western province of Anbar. This revolution was initially led by the Tribal Revolutionary Council, and, as described above, was seen by many Sunni as a rightful response to the violence and indignity forced on the Sunni community by the Shia majority government. As such, in the articulation of a violent narrative, the Sunni's interviewed defended this revolution as carried out by the "sons of the tribes" and defied the alternative narrative that this was an external intervention by Al Qaeda or its affiliates. The evolution of these narratives, from one focusing on the

victimization of Sunnis, to then dissociating the Sunni from a de-humanized Shia, and eventually to one which openly supported a violent revolution against the Shia government, evidences both how such narratives relate to each other and evolve over time, and how they shift in response to historical political and economic events. These dynamics are evidenced further in the evolution towards more conciliatory narratives as well.

As described, as the nature of the ٢٠١٤ violence and the role of external actors in the form of Daesh fighters became more apparent, a new set of more nuanced narratives started to emerge. These narratives started, in essence to deconstruct the clear “us” versus “them” binary that had been developed in the victimhood, divisive and violent narratives, and instead started to evidence recognition that there was some diversity within the Sunni perspective of or position regarding the revolution. It was the declaration of the IS caliphate from the city of Mosul by Abu Bakr al Baghdadi on ٢٩ July ٢٠١٤ which seems to have been a turning point, a moment when it became clear exactly who would be governing this new political establishment and how. Many members of the Sunni confession at this point started to question this movement. While some rule by IS was still better than by the Shia, it was at this point that more reconciliatory narratives started to emerge, with some now turning to recognize Daesh as the

“other” and both Sunni and Shia as Iraqi victims of this externally driven movement. The extreme brutality of IS throughout ٢٠١٤ had already led to a call to arms issued by the Grand Ayatollah of the Shia Marjaiya in June ٢٠١٤, which was heard by both Shia and Sunni as a call to defend Iraq as itself against this “other” which threatened them all. This, in turn, evolved into the more unifying narratives described in the final section.

The evolution of these narratives follows, perhaps unsurprisingly, the classic model of the conflict cycle (see Figure ١), with the first three forms of narrative (victimhood, divisive and violent) on the left or conflict escalation side of the curve and the second three forms of narrative (nuanced, reconciliatory and unifying) on the right or conflict de-escalation side. The top of the classic model is represented by the “(Hurting) Stalemate” which is a classic trop in the tangential area of CR related to negotiation processes. As usually articulated, the “mutually hurting stalemate” is simply the point in time when all parties to the conflict realize that they are locked in a conflict from which they cannot benefit more than they might if they simply end the conflict (Zartman ٢٠٠١). This the moment when both parties are more likely to be open to being drawn into the process of engagement, brought to the negotiating table, and to make concessions which might bring an end to violence. While the mutually hurting stalemate is too simple a

frame by which to analyse the de-escalation witnessed in the Iraqi narratives, it does nonetheless highlight the importance of a crux point, a critical moment of change.

Figure ١: The Conflict Cycle



In the Iraqi case this critical moment appears to have been two-fold; first, the call to arms issued by the Grand Ayatollah of the Shia Marjaiya, and second, the declaration of the IS Caliphate under Abu Bakr al Baghdadi. These two moments served to drive home the pivotal realization among many Sunnis that the violence was not in their favour, was not defending the “us” against the “other”, and was, in fact, undermining a more general Iraqi identity and sovereignty. They were the first cracks in the foundation of the older conflict promoting narratives, and, at the same time, the first steps towards the more conciliatory narratives that would replace them. The case is extremely informative, therefore, in identifying the importance of these pivotal moments as it both evidences the manner in which such turning points

emerge from the conflict dynamics themselves, and highlights how critical it is that intervenors be ready to support the transition to more pro-peace narratives if and when they do emerge. Key questions, for example, that must be asked as a result of this analysis include: ١) how can external actors assess if and when such critical moments will occur? ٢) If a critical moment appears to be occurring, can external actors encourage parties to take advantage of them? ٣) If such a moment is not occurring, is it ethical for external actors to promote them?

Each of these questions requires deep reflection and consideration of more data from more cases before substantive answers can be provided. But this case seems to hint at some answers. First, as with so many areas of international intervention in conflict affected states, it is very difficult for international actors to assess such subtle conflict dynamics in real time. Scholars are very good at assessing historical narratives post hoc, but in the moment analysis is an entirely different story. You cannot know what actions will give rise to a critical moment until the moment has passed, either having resulted in substantive change or not. It is also very dangerous, therefore, for external actors to try to force parties in conflict to respond in a particular way to an event which the external actor believes should be a pivotal turning point but may not be. For the same reason, it seems highly unethical for

external actors to try to engineer such moments; particularly if such engineering carries the risk of aggravating the conflict itself and of reifying further the conflictual promoting narratives. Instead, this seems another case where external actors are best placed to serve as facilitators and assistants as opposed to drivers of peace.

If and when shifts in the nature of narratives as observed in this case emerge, international actors can certainly play a key role in providing the necessary skills, capacities, and resources to help local actors take advantage of and build on the foundations for reconciliation and unity that pivotal moments provide. In order to be available, to be trusted, and to be there when they are needed, of course, conflict resolution, conflict transformation, peacebuilding, or reconciliation organizations must already be engaged, they must have built up some level of rapport and trust with local communities, and they must understand the on-the-ground realities of the conflict enough to play a positive and supportive role in taking advantage of such moments. This requires, therefore, a long-term commitment to support the parties to the conflict, and particularly actors within the setting who are interested in and capable of supporting peace and of identifying the right moments to act, whether these be civil, religious, business, government, or from other sectors of society. In short,

identifying and acting on these pivotal moments must be locally driven and externally supported.

In conclusion, the data described above both provides new and interesting insights into the subtle development and evolution of conflict and peace related narratives within a particular context, while also reaffirming some of the central theoretical insights in the field regarding othering, the importance of narrative, and the more recent focus on bottom-up or locally driven CR processes. It also serves to highlight a more subtle or complicated issue for international CR actors, and this is the balance that must be struck between hands-on and hands-off engagement or between being proactive and being reserved. It also indicates worryingly bureaucratic issues regarding funding and impact assessment. How exactly can external actors acquire the funds and support to stay engaged and prepared on the ground while ostensibly waiting? Will funders require activity that requires more directly hands-on or proactive approaches that can be assessed as impactful, or are they prepared to support CR institutions simply to be ready to facilitate activity from the bottom-up when it becomes possible? These are further questions for research and analysis to be carried out at a later time.